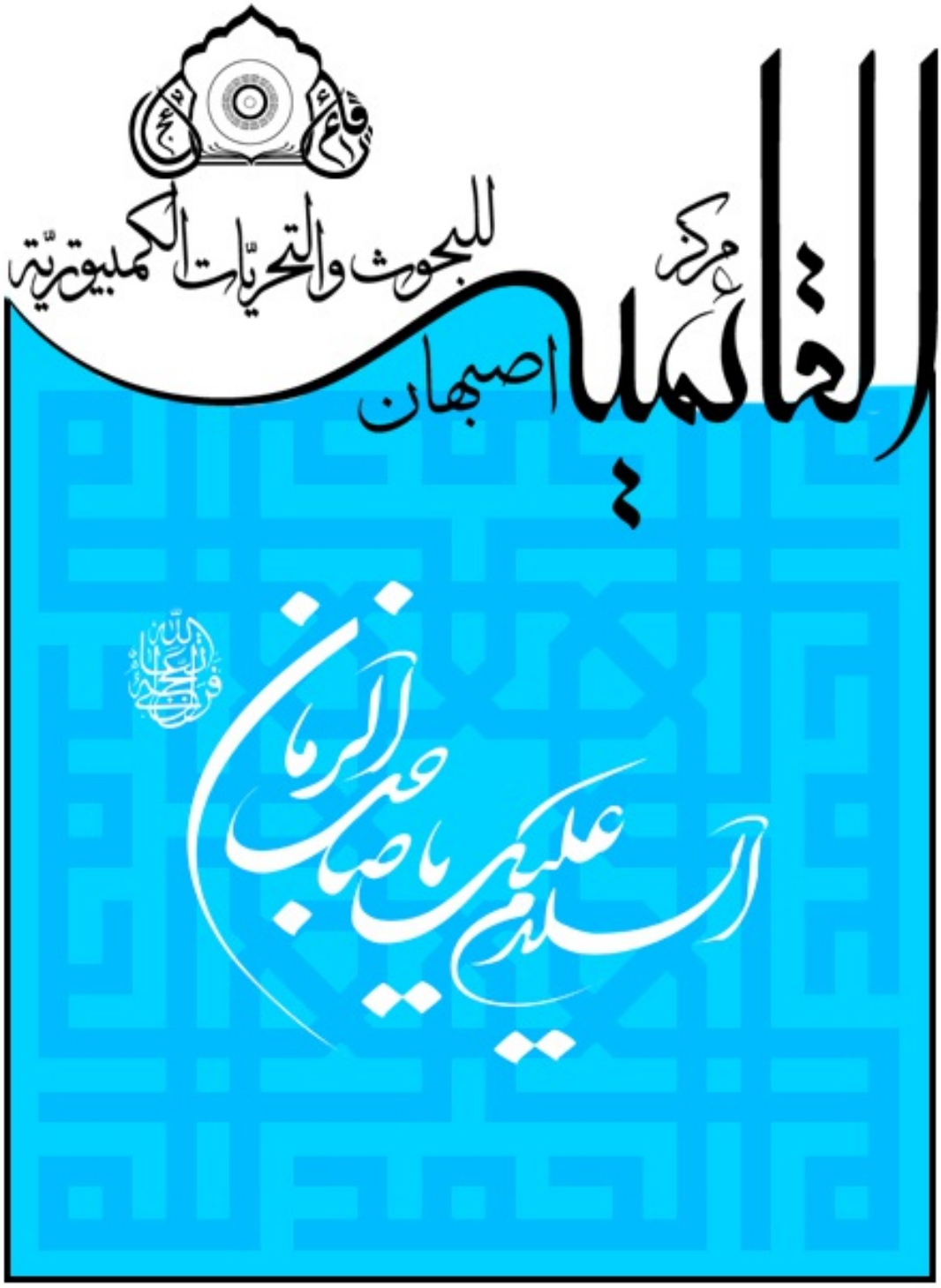

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

الحياة السياسية والعسكرية والثقافية لأئمة أهل البيت عليهم السلام

٢-١

تأليف
رسول جعفريان

منشورات
دار الحق
بيروت - لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحياة الفكريه و السياسيه لائمه اهل البيت عليهم السلام

كاتب:

رسول جعفريان

نشرت فى الطباعة:

دارالحق

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس ----- ۵
الحیاة الفکریة و السیاسیة لائمة اهل البیت علیهم السلام ----- ۱۴
اشارة ----- ۱۴
الجزء الاول ----- ۱۴
مقدمة الناشر ----- ۱۴
[مقدمة السید جعفر عاملی] ----- ۱۵
دراسة حیاة الأئمة علیهم السّلام شمولا و عمقا ----- ۱۵
اشارة ----- ۱۵
آفاق البحث ----- ۱۶
سؤال .. و سؤال آخر ----- ۱۶
تأریخان .. غیر متجانسین ----- ۱۷
التزویر .. و الاصالة: ----- ۱۷
بین الافراط .. و التفریط ----- ۱۸
مدخل دراسة، تعوزه الفهرسة ----- ۲۰
و النقاط هی التالیة: ----- ۲۰
[مقدمة المؤلف] ----- ۲۶
[اهل البیت علیهم السّلام] ----- ۳۱
الامام علیّ علیه السّلام ----- ۳۲
اشارة ----- ۳۲
معرفة مختصرة ----- ۳۲
إیمان علیّ علیه السّلام ----- ۳۲
صحبة علیّ لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم ----- ۳۴
سیاسة الامام ----- ۳۷

اشارة ----- ۳۷
خلافته ----- ۳۷
المبادئ و الاصول السیاسیة للإمام طیلة حکمه ----- ۳۸
اشارة ----- ۳۸
الف: اصلاح نظام الحکم و تقدیمه علی الفتوحات: ----- ۳۸
ب- الاستفادة من الاسس الاسلامیة و الاخلاقیة فی اصلاح الانحرافات: ----- ۳۹
ج- جمیع الجهود لحفظ الاسلام: ----- ۴۰
مصیر السیاسة فی حکومة امیر المؤمنین علیه السّلام ----- ۴۱
تحرّک الامام لاحیاء الدین ----- ۴۳
البعد العلمی للامام علی علیه السّلام ----- ۴۶
نمط حیاة الامام علیه السّلام ----- ۴۸
الامام الحسن علیه السّلام ----- ۴۹
اشارة ----- ۵۰
المشارکة فی حروب الجمل و صفین و النهروان ----- ۵۲
مسئولیة الامامة ----- ۵۳
رغبة الامام القاطعة فی محاربة معاویة رغم الموقف الضعیف لاهل العراق ----- ۵۵
حرکة اهل العراق البطیئة المحاربة القاسطین: ----- ۵۶
الصلح المفروض من قبل معاویة و تحلیل أسبابه ----- ۵۷
الصلح المفروض و بنوده ----- ۶۰
خطبة الامام علیه السّلام بعد دخول معاویة الی الکوفة ----- ۶۳
الامام و معاویة و محاربة الخوارج ----- ۶۳
خصائص الامام الحسن علیه السّلام ----- ۶۴
استشهاد الامام علیه السّلام ----- ۶۵
الامام الحسین علیه السّلام ----- ۶۷

اشارة ----- ۶۷
الامام الحسین علیه السّلام و مبایعة یزید ----- ۶۸
دور الانحراف الدینی فی واقعة کربلاء ----- ۷۴
طاعة الائمة، و وجوب حفظ الجماعة، و حرمة نقض البیعة ----- ۷۴
الاعتقاد بالجبر ----- ۷۶
موقف أهل الکوفة من واقعة کربلاء ----- ۷۷
ضغط ابن زیاد علی اهل الکوفة ----- ۷۸
فرار الناس و انحیازهم الی معسکر الحسین ----- ۸۰
تعلّق الناس بالعطاء ----- ۸۲
تقویم سفر الامام الحسین علیه السّلام الی العراق ----- ۸۲
الجواب علی الاعتراضات ----- ۸۳
عنصر الغیب فی حادثة کربلاء ----- ۸۷
دور واقعة کربلاء فی تکوین الشیعة ----- ۸۸
الامام السجّاد علیه السّلام ----- ۸۹
اشارة ----- ۸۹
أم الامام السجاد علیه السّلام ----- ۹۱
امامة السّجاد علیه السّلام ----- ۹۲
الشخصیة العلمیة و الاخلاقیة للامام السّجاد علیه السّلام ----- ۹۲
الامام السجاد علیه السّلام و الشیعة ----- ۹۵
العلاقة بین الامام و التوابین ----- ۹۶
علاقة الامام بالمختار ----- ۹۸
الامام السّجاد علیه السّلام و اصحابه ----- ۱۰۰
موقف الامام من الامویین ----- ۱۰۱
استفادته من سلاح الدعاء ----- ۱۰۴

الامام السجاد علیه السّلام و استقطاب الموالی ----- ۱۰۷
الامام الباقر علیه السّلام ----- ۱۰۹
اشارة ----- ۱۰۹
المکانة العلمیة للامام الباقر علیه السّلام ----- ۱۱۱
الامام و الاختلافات الفقهیة بین الفرق الاسلامیة ----- ۱۱۳
تصدّیه للافکار الیهودیة ----- ۱۱۶
التراث الثقافی للامام الباقر ----- ۱۱۸
اوضاع و مکانة الشیعة وفقا لرأی الامام ----- ۱۲۱
الامام و القضایا السیاسیة ----- ۱۲۴
الامام الصادق علیه السّلام ----- ۱۲۹
اشارة ----- ۱۲۹
شخصیة الامام الصادق علیه السّلام الفقهیة و الاخلاقیة ----- ۱۳۰
شیعة الامام الصادق علیه السّلام ----- ۱۳۳
الامام الصادق علیه السّلام و الغلاة ----- ۱۳۵
اشارة ----- ۱۳۵
۱- صیانة الشیعة الحقیقیین من الغلاة: ----- ۱۳۶
۲- تکذیب عقائد الغلاة: ----- ۱۳۶
۳- تکفیر الغلاة: ----- ۱۳۸
اعتماد الفقه الشیعی علی روایات اهل البیت علیهم السّلام ----- ۱۴۰
کتابة الحدیث فی عصر الامام الصادق علیه السّلام ----- ۱۴۵
الامام الصادق و الاحتجاجات الفقهیة لأهل السنّة ----- ۱۴۶
الضغط السیاسی علی الشیعة ----- ۱۴۷
الامام الصادق علیه السّلام و المسائل السیاسیة ----- ۱۴۸
ا- ثورة زید: ----- ۱۴۸

ب- الامام الصادق و دعوة ابی سلمة و ابی مسلم. ۱۵۰
ج- الموقف تجاه المنصور. ۱۵۱
د- موقف الامام من محمد بن عبد اللّه بن الحسن (النفس الزکیة). ۱۵۳
الجزء الثانی ۱۵۳
الامام الکاظم علیه السّلام ۱۵۳
اشارة ۱۵۴
مشکلة الامامة بعد الصادق علیه السّلام: ۱۵۵
المواقف السیاسیة للامام الکاظم علیه السّلام. ۱۵۹
الامام الکاظم علیه السّلام و هارون الرشید ۱۶۲
اشارة ۱۶۳
۱- مواقف هارون الرشید من الامام: ۱۶۳
۲- سجن الامام: ۱۶۴
۳- استشهاد الامام: ۱۶۷
شهادة الامام الکاظم علیه السّلام: ۱۷۱
الجوانب الاخری لمقارعة الامام الکاظم للخلافة العباسیة: ۱۷۲
المواقف الکلامیة للامام الکاظم علیه السّلام ازاء المعتقدات المنحرفة لاهل الحدیث: ۱۷۴
الامام الرضا علیه السّلام ۱۸۰
اشارة ۱۸۰
ولایة عهد الامام: ۱۸۳
هدف المأمون: ۱۸۳
رد فعل الامام علیه السّلام. ۱۸۶
علاقة الامام الرضا علیه السّلام بالمأمون من بدایة ولایة العهد حتی استشهاده: ۱۸۹
استشهاد الامام: ۱۹۱
الامام فی مواجهة الدعایات العباسیة ضد العلویین: ۱۹۱

الامام الرضا و المسائل الکلامیة: ۱۹۳
الامام الرضا علیه السّلام و ایران!: ۱۹۹
الامام الجواد علیه السّلام ۲۰۰
اشارة ۲۰۰
امامة الجواد علیه السّلام: ۲۰۱
حیاة الامام الجواد علیه السّلام: ۲۰۳
المناظرات العلمیة للامام الجواد علیه السّلام: ۲۰۶
التراث العلمی للامام الجواد علیه السّلام. ۲۱۰
موقفه علیه السّلام من الفرق المنحرفة: ۲۱۱
اصحابه: ۲۱۲
علاقة شیعة ایران بالامام الجواد علیه السّلام: ۲۱۳
الامام الهادی علیه السّلام ۲۱۴
اشارة ۲۱۴
امامته علیه السّلام: ۲۱۶
سیاسة المتوکل ازاء الامام الهادی: ۲۱۶
جلب الامام الی سامراء: ۲۱۷
اقامته علیه السّلام فی سامراء: ۲۱۹
مواقف الامام من المتوکل: ۲۱۹
احوال الشیعة فی عهد المتوکل: ۲۲۱
وکلاء الامام الهادی علیه السّلام و صلاحیاتهم: ۲۲۳
الامام الهادی علیه السّلام و الشیعة فی ایران: ۲۲۵
اصالة القرآن فی فکر الامام الهادی: ۲۲۷
الامام الهادی علیه السّلام و علم الکلام عند الشیعة: ۲۲۷
الامام الهادی علیه السّلام و مسألة خلق القرآن: ۲۳۰

الامام الهادی علیه السّلام و الصوفیة: ----- ۲۳۱
ثقافة الدعاء و الزیارة فی کلمات الامام الهادی علیه السّلام: ----- ۲۳۱
الامام الهادی علیه السّلام و غلاة الشیعة: ----- ۲۳۲
الامام العسکری علیه السّلام ----- ۲۳۵
اشارة ----- ۲۳۵
امامته علیه السّلام: ----- ۲۳۷
الامام فی سامراء: ----- ۲۳۷
مکانته علیه السّلام فی سامراء: ----- ۲۳۸
مدة حبسه علیه السّلام: ----- ۲۳۹
الامام و علاقته بالشیعة: ----- ۲۴۲
اصحاب الامام و صیانة التراث الثقافی الشیعی: ----- ۲۴۷
الامام العسکری علیه السّلام و یعقوب بن اسحاق الکندی: ----- ۲۴۸
الکتب المنسوبة الی الامام: ----- ۲۴۹
أ- التفسیر: ----- ۲۴۹
ب- کتاب المقنعة: ----- ۲۵۰
رحلة الامام العسکری علیه السّلام: ----- ۲۵۱
الامام الحجة علیه السّلام ----- ۲۵۲
اشارة ----- ۲۵۲
مساعی الحکومة العباسیة للعثور علی الامام المهدی علیه السّلام: ----- ۲۵۳
معرفة بعض الشیعة بولادة صاحب الزمان علیه السّلام: ----- ۲۵۵
الاختلافات المذهبیة بعد رحلة الامام العسکری علیه السّلام. ----- ۲۵۶
اشارة ----- ۲۵۶
۱- الواقفیة: ----- ۲۵۷
۲- الجعفریة: ----- ۲۵۷

۳- المحمدیة: ۲۵۷
۵- الامامیة: ۲۵۷
تمهید النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و ائمة الشیعة علیهم السّلام لغیبة القائم: ۲۵۸
دور المعتقدات الکلامیة للشیعة فی اثبات غیبة المهدی: ۲۶۰
الامام المهدی علیه السّلام و النواب الاربعة: ۲۶۱
اشارة ۲۶۱
۱- عثمان بن سعید العمری السمان: ۲۶۲
۲- ابو جعفر محمد بن عثمان العمری: ۲۶۲
۳- ابو القاسم الحسین بن روح: ۲۶۳
۴- ابو الحسن علی بن محمد السمری: ۲۶۴
نظرة علی الاعمال التی قام بها النواب للحفاظ علی الشیعة: ۲۶۴
اشارة ۲۶۴
ا- التصدی للغلاة: ۲۶۵
ب- ازالة الشکوک التی اثیرت بشأن المهدی (عج): ۲۶۶
ج- تنظیم عمل الوکلاء: ۲۶۷
د- المحافظة علی بقاء الامام فی الخفاء: ۲۶۸
وجوب عدم ذکر اسم الامام فی الغیبة الصغری: ۲۶۸
اتساع المد الشیعی اثناء الغیبة الصغری و نفوذهم فی البلاط العباسی: ۲۷۰
ما هو رأی الشیعة فی الحکومة؟ ۲۷۲
سیرة الامام المهدی علیه السّلام: ۲۷۲
اشارة ۲۷۲
أ- سیرته الدینیة: ۲۷۳
ب- سیرته الخلقیة: ۲۷۳
ج- سیرته العلمیة: ۲۷۳

د- سیرته الثوریة: ---- ۲۷۴
ه- سیرته السیاسیة: ---- ۲۷۵
و- سیرته التربویة: ---- ۲۷۵
ز- سیرته الاجتماعیة: ---- ۲۷۵
ح- سیرته المالیة: ---- ۲۷۶
ط- سیرته الاصلاحیة: ---- ۲۷۶
ی- سیرته القضائیة: ---- ۲۷۷
تعریف مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة ---- ۲۷۷

الحياة الفكرية و السياسية لائمة اهل البيت عليهم السلام

اشارة

سرشناسه : جعفريان، رسول، - ۱۳۴۳

عنوان و نام پديدآور : الحياة الفكريه و السياسيه لائمه اهل البيت عليهم السلام/ تاليف رسول جعفريان

مشخصات نشر : بيروت : دارالحق ، م۱۹۹۴ = .ق۱۴۱۴ = .۱۳۷۳.

مشخصات ظاهری : ج ۲

وضعيت فهرست نويسی : فهرستنويسی قبلی

يادداشت : عنوان اصلی: حيات فكری و سياسی امامان شيعه عليهم السلام.

موضوع : ائمه اثناعشر -- سرگذشتنامه

موضوع : اسلام -- تاريخ

رده بندی كنگره : BP۳۶/۵/ج۷ح۹۰۴۳ ۱۳۷۳

شماره كتابشناسی ملی : م۸۱-۹۰۶۱

زبان: عربی

موضوع: دوازده امام عليهم السلام

نوبت چاپ: اوّل

الجزء الاول

مقدمة الناشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

الحمد للّه رب العالمين و الصلاة و السلام على محمد و آله الطاهرين.

برغم ضخامة المؤلف عن حياة الأئمة عليهم السّلام الذى تارة أخذ شكل المجاميع الروائية أو الأخبار التأريخية، لم تأخذ حقها من الدراسة كحياة عظماء جسّدوا الاسلام و اعطوا المثال الأروع عنه، و ذلك نتيجة ابعاد الاسلام الاصيل عن الساحة، و تصدى النموذج الأبعد عن الاسلام للأمر.

و بعد بزوغ فجر الاسلام من جديد و عودته إلى دوره، كان لزاما إعادة النظر فى جميع مجالات الحياة السياسية و الاجتماعية و الاقتصادية و الثقافية و العسكرية، و دراستها لاستكشاف رأى الاسلام و منهجه، و بلورة مفهوم صحيح و صالح عنه. و هو شأن المفكرين و ذوى الاختصاص.

و من أهم الجوانب التى يجب التركيز عليها حياة المثال الأروع و المسجد الحقيقى للاسلام الأئمة عليهم السّلام و الكتاب الذى بين يديك- عزيزى القارئ- جهد مشكور قام به أحد علمائنا الأفاضل، يتناول الجانب الفكرى و السياسى للأئمة عليهم السّلام، و دراسة حياتهم، و قد جمع فى مجلدين، تناول الجزء الأول حياة ستة من الأئمة، و تناول الجزء الثانى بقية الأئمة (سلام اللّه عليهم).

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۶

و دار الحق للطباعة و النشر و التوزيع إذ تضع هذا الجهد بين يدى القارئ الكريم، تأمل من جميع المفكرين و ذوى الاختصاص، أن

يكون هذا الكتاب بادرة للتوسع فى دراسات معمقة و متخصصة عن حياة أولئك العظماء، و من القارئ العزيز الاستفادة من هذه الثروة فى الاحتذاء و الاقتداء بأولئك الهداة.

نسأل اللّه دوام التوفيق.

دار الحق للطباعة و النشر و التوزيع

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۷

[مقدمة السيد جعفر عاملى]

دراسة حياة الأئمة عليهم السّلام شمولا و عمقا

اشارة

«بداية:» بسم اللّه الرحمن الرحيم و الحمد للّه، و صلاته و سلامه على عباده الذين اصطفى، محمد و آله الطيبين الطاهرين ..

و بعد ...

فان الحديث عن الأئمة، و عن حياتهم، و مواقفهم و ممارساتهم ليس حديثا عن أشخاص لهم ميزات و خصائص محدودة، ذات طابع فردى تمتاز بها شخصية ما على حدّ ما عرفناه و الفناه.

و انما هو حديث عن الاسلام بشتى مجالاته، و مختلف ابعاده، و اروع

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۸

خصائصه، و بكل ما فيه من شمولية، و أصالة و عمق.

انه حديث عن الحياة بحلوها و مرها، و بكل ما لها من اتّساع و امتداد، و غموض و وضوح و هو أيضا حديث عن هذا الكون الرحب، و عن كل ما فيه من عجائب و غرائب و آيات بينات.

حديث عن الدنيا و الآخرة بآفاقهما الرحبة، و بجميع ما فيهما و لهما من ميزات، و سمات.

اذن .. فليس بوسع اى باحث أو مؤرخ ان يستوعب حياتهم عليهم السّلام. و لا أن يعكس لنا الصورة الدقيقة و الطافحة بكل النبضات الحية فى شخصيتهم، و فى مواقفهم و مجمل سلوكهم، الا اذا استطاع ان يدرك بعمق كل حقائق الاسلام، و يقف على واقع تأثيراته فى كل حياتهم، و فى كنه شخصياتهم، و من ثم انعكاساته على سائر المواقف، و على كل المفردات، و الحركات، و السلوك، و التعامل مع كل ما و من يحيط بهم.

و لا نظن احدا يستطيع ان يدعى انه قد بلغ هذا المستوى او وفّق لمثل هذا المقام الرفيع، الا ان كان واحد منهم عليهم السّلام، أو من يدانيهم فكرا و علما، و فضيلة و خلوصا، و صفاء، كسلمان الفارسى و ابى ذر و اضرابهما و اين و انّى لنا بأمثال هؤلاء، أو بمن هم دونهم بمراتب.

و لكن ذلك لا- يعنى ان نقف هكذا عاجزين، و لا- ان نرتد خائبين. بل لا بد من خوض غمار البحث، و اقتحام هذا العباب الزاخر بالخير و البركات، و العبر و العظات، من اجل ان يستفيد كل منا حسب ما تؤهله له قدراته، و تسمح له به امكاناته، فان ذلك نور على نور و هو محض الخير الذى من شأنه ان يؤهل لخير

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۹

اوفى و أوفر و اكبر و لبركات أعم و اتم و اكثر.

و ليست هذه المحاولة من الاخ الفاضل و المهذب الكامل حجة الاسلام الشيخ رسول جعفريان، الا من اجل أنه اراد ان يقتحم آفاق

النور لتلامس اشراقته قلبه، و يغمر لجين سناه عقله و روحه، فعاد بالخير الكثير، و بالعطاء الوفير، فشكر اللّه سعيه، و وفقه و هداه سبل الخير و الرشاد، و الفلاح و السداد.

آفاق البحث

و إذ قد عرفنا: أن الحديث عن الأئمة عليهم السّلام ليس تأريخا لاشخاص، فيما نعرفه من مفردات التاريخ لهم.

و إنما هو تاريخ الرعاية الإلهية لهذا الانسان، الذى أراد اللّه له أن تتجسد فيه كل آمال الأنبياء و جهودهم، على امتداد التاريخ البشرى، فانهم عليهم السّلام هم التجسيد الحى، و النموذج الفذ للخلافة الالهية على الارض، بكل ما لهذه الكلمة من معنى، و بجميع، ما تحمله من مداليل. نعم لقد تجسد فى شخصيتهم الانسان الكامل الذى واجه الحياة، بالإرادة و الوعى و الحكمة، و الحزم، و واجهته الحياة بكل ما تملك من سلبيات، و ما تختزنه من مصاعب و مشكلات و ما انطوت عليه من مهالك، و آفات. فقهرتها إرادته، التى هى امتداد لارادة اللّه سبحانه، و احبط مكرها وعيه، لأنه ينظر بعين اللّه، و انتصرت عليها حكمته، و أناف على جبروتها حزمه، لأن ذلك منه كان بتعليم اللّه و تسديده، و توفيقه و تأييده.

و من هنا .. فانه يصبح من الوضوح بمكان حاجتنا إلى فهم حياة الأئمة عليهم السّلام من خلال فهم كل الظروف، و الاحوال التى ساهمت فى فرض واقع معين كان لا بد لهم من أن يعايشوه، و أن يتعاملوا معه، فى كل مجال، و على كل صعيد.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۰

سواء فى ذلك ما ربما يعتبره البعض أنه يقع فى الدائرة الخاصة فى حياتهم الشخصية عليهم السّلام أو فى ما يفترض انه الدائرة الاوسع من الحياة العامة فى ظروف العمل السياسى و الاجتماعى و التربوى العام، و ما يرتبط بذلك أو ينتهى إليه، بسبيل، أو بآخر.

و كل ما تقدم إنما يدلّل على حقيقة واحدة، و يؤكدها، ألا و هى الصعوبة البالغة و حجم المشاق التى لا بد ان تواجه أى باحث يريد أن يفتح نافذة على الآفاق الرحبة فى حياتهم صلوات اللّه و سلامه عليهم، و يؤرخ لها و لو فى المستوى الادنى، مهما أراد أن يقتصد و يقتصر على الضرورى من الشواهد و الدلائل.

سؤال .. و سؤال آخر

و لكن ما تقدم يفرض علينا الاجابة على سؤال ملح، و هو:

هل يكفى ما بايدينا من نصوص و مصادر لهذا المهم، و يفى بهذا الغرض، و يحقق تلك الغاية؟! و إذا كانت الاجابة الصحيحة و الصريحة بالنفى، فان السؤال الآخر الذى يواجهنا هو:

هل استطعنا أن نوظف كل ما لدينا من نصوص؟ و هل استفدنا من جميع المصادر التى بحوزتنا بالشكل الكافى، و بالمستوى المطلوب؟! و طبيعى أن تكون الاجابة الصحيحة و الصريحة هى كالاجابة السابقة بالنفى أيضا، فان الكل يعلم: أننا لم نستطع أن نستثمر ما بأيدينا من نصوص فى مجال فهم حياتهم عليهم السّلام، و الانطلاق فى آفاقها الرحبة و اللامحدودة.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۱

بل إننا لن نكون مسرفين فى القول، إذا قررنا: أننا حتى الآن لم نقم بما هو ضرورى فى مجال التحضير للاجواء و المناخات، و تقريب الوسائل التى تؤهلنا، و لو لأن نقدم معلومات عامة منسقة بصورة فنية صحيحة، أو فقل: لم نقم حتى بفهرسة اجمالية تقربنا إلى معرفة القيمة الحقيقية لما نملكه من تراث نافع فى هذا المجال، أو ذاك.

فضلا عن أن نقوم بدراسة النصوص و تمحيصها، ثم ربطها بمناشئها و تأثيراتها فى غاياتها بصورة علمية معمقة و مفيدة، و لو فى دائرة

محدودة.

و إن كنا قد نجد لمحات و لمعات متناثرة هنا و هناك، لم تنل حظها من البحث و التقصى، و لا استطاعت أن تربط نفسها بما عداها، مما كانت لها تأثيرات- به أو فيه- بمستويات متفاوتة.

تأريخان .. غير متجانسين

و لعل مما يزيد الأمر صعوبة، و إشكالا: أننا إذا وضعنا تاريخ الأئمة عليهم السّلام، إلى جانب هذا التاريخ الذى يدعى أنه يسجل وقائع و احداث الفترة الزمنية التى عايشها الأئمة صلوات اللّه و سلامه عليهم،- لو وضعنا هما- أمام باحث أو ناقد لا يملك أية خلفيات تعطيه تصورا عن حقيقة تطورات الأحداث، و تأثير السياسات، فانه سيجد: أنهما تاريخان غير منسجمين، بل و حتى غير متجانسين، و لسوف يخيل إليه: أن الأئمة لا- يعيشون الاحداث و لا- يشعرون بما يحيط بهم بل لهم عالمهم الخاص بهم، المنغلق و المنطوى على نفسه، و للآخرين عالم آخر، لا يشبه ذاك العالم لا من قريب، و لا من بعيد.

و لكن الباحث الالمعى، و المدقق الخبير، الذى اطلع على حقيقة التطورات،

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۲

و ما رسمته السياسات فى المجالات المختلفة، لسوف يجد عكس ذلك تماما، و لسوف يكتشف: أن الأئمة عليهم السلام يلامسون الواقع عن قرب، و يسجلون الموقف الرسالى المسئول، و الواعى، تجاه كل ما يجرى، و يدور حولهم.

و لعلهم عليهم السّلام يمثلون فى أحيان كثيرة أعمق العوامل تأثيرا فى مجمل الواقع السياسى، و الاجتماعى، و الثقافى، و التربوى، على مستوى الأمة باسرها، فضلا عن تأثيرهم العميق، فى الدائرة التى يبدو- للوهلة الأولى- أنهم يعيشون فيها، و يتعاملون معها.

التزوير .. و الاصالة:

و فى مجال فهم عوامل هذا الاختلاف الظاهر بين ذينك التاريخين، لا بد من التأكيد على الحقيقة التالية:

و هى: أن ذلك الفريق الذى اهتم بتسجيل بعض اللمحات من حياة الائمة و مواقفهم عليهم السّلام، يختلف كثيرا فى عقليته، و فى مفاهيمه، و فى طموحاته، ثم فى حوافزه و دوافعه، و كذلك فى اهدافه و غاياته- يختلف كثيرا- عن ذلك الفريق الذى تصدى للتأريخ لتلك الفترة الزمنية، التى عايشها الأئمة عليهم السّلام.

و الأهم من ذلك هو ذلك الاختلاف الظاهر، و الاساسى بين هذا الفريق و ذاك فى مجمل المعايير و المنطلقات التى رضيها كلّ لنفسه، و انطلق منها لتمييز الحق من الباطل، و الصحيح من السقيم، و على أساسها كان الرد أو القبول، و الخروج، و الدخول، فى مختلف المواقع و المواضع.

حيث وجدنا: أن المنطلقات، و المعايير، التى انطلق منها، و تحرك على أساسها أولئك الذين أرخوا لتلك الحقبة من الزمن، و كتبوا ما يسمى ب «التاريخ

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۳

الاسلامى» قد كانت فى مجملها مزيفة و مضللة، أريد منها تكريس الانحراف، و تأكيده، و تبريره، و الحفاظ عليه، و تسديده.

و لا نقول ذلك تعصبا، و لا تجنيا على التاريخ و المؤرخين، ما دام أن الكل يعترف لنا بحقيقة:

أن التاريخ المكتوب ليس هو تاريخ الشعوب و الأمم، و لا- يملك القدرة على أن يعكس لنا آمالها، و لا آلامها، و لا معاناتها أو حركتها فى واقع الحياة.

و إنما هو تاريخ الحكام و السلاطين، و من يدور فى فلكهم.

و حتى تاريخ الحكام هذا؛ فانه لم يستطع أن يعكس واقعهم بامانة و دقة و نزاهة، ما دام أنه غير قادر إلا على تسجيل ما يرضى الحكام، و يصب فى مصلحتهم، و يقوى من سلطانهم، مهما كان ذلك محرفا غير نقى، أو مزورا و غير واقعى.

فلم يكن ثمة مؤرخ يملك حرية الرأى، و لا هو مطلق التصرف فيما يريد أن يقول أو يكتب. كيف و هو يرى بأم عينه كيف ان رواية واحدة يرويها أحدهم فى فضل على عليه السّلام، تثير عليه غضب الحاكم، فيصدر أمره بجلده مئات السياط.

و يروى الطبرى حديث الطبرى، فيرجم العامة داره، حتى كان على بابه تل من الحجارة.

و يروى أحدهم رواية حول مناظرة بين آدم و موسى عليهما السّلام، فيشكل الأمر على أحد الحاضرين و لا يعرف أين اجتمع آدم و موسى، و بين موت ذاك، و ولادة هذا المئات من السنين، فيدعو الخليفة له بالنطع و السيف، إلى آخر ما هنالك مما يحتاج استقصاؤه إلى وقت طويل و جهد وافر.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۴

أضف إلى جميع ما تقدم: أن ما كتب و سجل، فانما كتب بعقلية خرافية، قاصرة و غير ناضجة فى احيان كثيرة.

و لا أقل من أن كثيرا منهم ينطلق من تعصبات مقيتة، أو من هوى مذهبى رخيص لا يلتزم بالمنطق السليم، و لا يهتدى بهدى العقل، و لا يؤمن بالحوار و الفكر كأسلوب أفضل للتوضيح و للتصحيح.

هذا .. إلى جانب اهواء و طموحات لا مشروعة و لا مسئولة، تتوسل بالتحوير و التزوير. لتتوصل إلى المناصب و المآرب.

و من خلال ذلك كله، و سواه، فانه يصبح من الطبيعى: أن لا يجد الباحث فى كتب التاريخ الملامح الحقيقية للشخصيات التى تقف فى موقع التحدى للحكام، و لمخططاتهم، و تتصدى لاصحاب الأهواء المذهبية، و التعصبات العرقية، و غيرها، و لانحرافاتهم.

هذه الشخصيات التى تركت آثارا عميقة و خطيرة فى واقع الحياة السياسية و الاجتماعية، و العلمية و التربوية و غير ذلك.

و من هنا .. فاننا نعرف: أنه لا بد من البحث عن الأيدى الامينة و المخلصة التى تستطيع أن ترسم الملامح الحقيقية لهؤلاء الافذاذ من الرجال. ثم محاولة التقاط ما تناثر هنا و هناك من لمعات، أو ندّ من لفتات و لمحات، لم يجد الحكام فيها خطرا، و لربما أراد المؤرخون ان يقضوا بها و طرا.

بين الافراط .. و التفريط

و بعد .. فاننا نشعر: أن من الضرورى الاشارة هنا إلى ذلك النهج من

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۵

البحث، الذى يفرط فى الاعتماد على الغيب فى فهمه لمواقف الائمة عليهم السّلام، و تفسيرها.

و يفصلهم عن واقع الحياة و حركتها، و يصورهم على أنهم يحركون الحياة، و يتعاملون معها بصورة خفية، و من وراء الحجب، و لا تكاد تذكر له أمرا عن امام حتى يصدمك بالقول بأن ذاك امام له حكمه الخاص به حتى كأن الامام لا يجوز الائتمام به، و ليس قوله و فعله و تقريره حجة علينا و على الناس جميعا.

و ذلك إن دلّ على شىء، فانما يدل على أن صاحب هذا النهج من البحث و الفكر يعانى من مشكلة فهمه الخاطئ للأئمة عليهم السّلام، و لدورهم، الذى رصدهم اللّه للقيام به، الا و هو نفس دور الرسول الاكرم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، الذى ارسله اللّه سبحانه مبلغا و معلما، و مربيا، و قائدا، و قاضيا، و حاكما إلى آخر ما هنالك من مهمات صرح بها القرآن الكريم، و لهج بها النبى العظيم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

كما أنه لم يأخذ بنظر الاعتبار تأكيدات القرآن و الرسل على بشريتهم: قُلْ سُبْحانَ رَبِّى هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَراً رَسُولًا، وَ ما مَنَعَ النَّاسَ أَنْ

يُؤْمِنُوا إِذْ جاءَهُمُ الْهُدى إِلَّا أَنْ قالُوا: أَ بَعَثَ اللَّهُ بَشَراً رَسُولًا «۱».

وَ لَوْ جَعَلْناهُ مَلَكاً لَجَعَلْناهُ رَجُلًا، وَ لَلَبَسْنا عَلَيْهِمْ ما يَلْبِسُونَ «۲».

إلى آخر ما هنالك من آيات لها هذا الطابع، أو تصب فى هذا الاتجاه.

و فى مقابل ذلك، فاننا لا نوافق الآخرين أبدا، بل نخطؤهم بقوة فى نظرتهم المادية إلى الأئمة عليهم السّلام، بعيدا عن عنصر الغيب، و الكرامات الالهية فيفسرون مواقفهم عليهم السّلام و كل سلوكهم، و أنحاء تعاملهم، و يفهمونها على أساس مادى،

---

(۱) الاسراء ۹۳ و ۹۴.

(۲) الانعام ۹.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۶

خاضع لحسابات رياضية، له آثار و نتائج طبيعية و ذاتية بالدرجة الأولى.

و هم يتجاهلون بذلك النصوص التى لها طابع غيبى، على أساس الالطاف الخفية، و الكرامة الإلهية لعباد اللّه الاصفياء، و حججه على عباده، و امنائه فى بلاده.

فلا يكاد يقترب من تلك النصوص و الآثار التى تسجل- على سبيل المثال- حقيقة: أنه يوم قتل الحسين عليه السّلام لم يرفع حجر فى بيت المقدس الا و وجد تحته دم عبيط.

ثم ظهور الحمرة فى يوم عاشوراء، و قول زينب عليها السّلام لابن زياد أ فعجبتم أن مطرت السماء دما و لا يتصدى لبحث ذلك و تأييده، أو رده و تفنيده و ليفترض لنا أن زينب عليها السّلام إنما تفترض الحدث و لا تنقله و تسجله على أنه حقيقة واقعة.

و هم ابعد ما يكونون عن الحديث عن كلام الرأس المقدس فوق الرمح بالآية الكريمة: أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحابَ الْكَهْفِ وَ الرَّقِيمِ، كانُوا مِنْ آياتِنا عَجَباً.

بالاضافة الى حديث ارتفاع جدران المسجد، حينما همّت الزهراء عليها السّلام بالدعاء على الذين يضطهدون أمير المؤمنين عليه السّلام، و يغتصبون حقه، بعد ضربهم لها و اسقاطهم جنينها حين وفات أبيها الرسول الاكرم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

إلى غير ذلك من نصوص و آثار، تشير إلى ظهور الكرامات، و خوارق العادات لهم عليهم السّلام، و شمول اللّه لهم بالطافه الخفية، تماما كتلك المعجزات و الكرامات التى سجلها القرآن للانبياء، كما فى قضية عصا موسى، و نقل عرش ملكة سبأ، و غير ذلك.

نعم .. إن هؤلاء الباحثين و الكتاب، لا يكادون يقتربون من النصوص التى

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۷

لها هذا الطابع، و تصب فى هذا الاتجاه، حتى كأنهم لا يريدون الاعتراف بها، أو أنهم يخجلون من وجودها. تماما كخجل البعض منهم و إبائه من طرح موضوع الامام المهدى الغائب صلوات اللّه و سلامه عليه و على آبائه الطيبين الطاهرين فى أى من كتبه و ابحاثه، متمحلا اعذارا واهية لا تسمن و لا تغنى من جوع.

و لا ندرى إن كان بعد ثبوت صحة هذه النصوص، و سلامتها، يمكن لهؤلاء أن لا يعتبروها جزءا من تاريخ الأئمة، و من حياتهم.

و أخيرا .. فاننا نؤكد لهؤلاء و لغيرهم على حقيقة: أن الائمة عليهم السّلام إنما يمثلون الرعاية الالهية لانسانية الانسان، من خلال الاعتراف بواقعية وجوده المادى، ثم الانطلاق بهذا الواقع بالذات، و السمو به إلى المطلق الى رحاب اللّه سبحانه، من خلال الامداد الغيبى حيث يكون ذلك ضروريا، و اكرامه بالكرامات الظاهرة و اكتنافه بالألطاف الالهية الخفية اللامحدودة، حيث يصبح محلّا و أهلا لها.

أما أولئك الذين يحجمون دور الأئمة، و يقصرونه على الاخلاق، مثلا أو على الدور الاجتماعى، أو خصوص التحرك السياسى مثلا،

و يصبون كل تصوراتهم فى هذا القالب المحدود أو ذاك، فانما يقدمون للآخرين صورة تفقد معظم معالمها الاساسية، و لا يمكن أن يعكس بحث كهذا واقع حياتهم، و حقيقة دورهم عليهم السّلام.

مدخل دراسة، تعوزه الفهرسة

و لقد كان بودّى أن أسهم بدورى ببحوث تتناول بعض جوانب حياتهم عليهم السّلام. و هذه أمنية عزيزة على، و أثيرة لدى. و قد كنت قبل سنوات قد سجلت بعض النقاط، المؤهلة للبحث بصورة اكثر الحاحا، على أن تمثل بمجموعها

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۸

مدخلا معقولا لدراسة حياتهم عليهم السّلام، و إن كانت ربما تكون لا تستوعب كل ما يجب، و ما ينبغى.

و قد بقيت هذه النقاط متناثرة تائهة، يعوزها التنسيق، و التبويب و الفهرسة و قد سنح بخاطرى الآن ان أقدمها إلى القرّاء كما كانت عليه، علّ أن ينفع اللّه بها، من يسعفه التوفيق للبحث و التقصى فى حياتهم عليهم السّلام.

و النقاط هى التالية:

۱- إن من الطبيعى اعطاء لمحة عن تواريخهم عليهم السّلام كيوم الولادة، و يوم الوفاة، و السنة و الشهر، و محل السكنى و الاولاد و الزوجات، و الاصحاب و سائر النقاط التى تمثل الجانب الفردى و الشخص لهم عليهم السّلام.

و ذلك بصورة علمية صحيحة، فيها من التحقيق، ما يزيل كل شبهة و ريب أو ترديد.

۲- لما ذا تعدد الائمة عليهم السّلام، سؤال لا بد من الاجابة عليه .. و هل يمكن أن يكون لما نراه من اختلاف و تميّز المواقف لكل إمام بالنسبة للامام الآخر، فهذا تراه يهتم بالتربية العقائدية، و ذاك يهتم بنشر المعارف الفقهية، و ثالث يهتم بالناحية السياسية، إلى غير ذلك مما تفرضه عقليات، و حاجات الأمة فى الأزمنة المختلفة- هل يمكن أن يكون لذلك صلة بتعدد الائمة عليهم السّلام، أم أن ذلك لمحض الصدفة و اقتضاء الحالات و الظروف الطارئة؟ مع العلم بأن بعض الائمة قد تصدوا لاكثر من مجال أيضا.

۳- بيان الطرق التى اتبعها الأئمة لمعالجة الانحرافات الفكرية، و ايراد امثلة على ذلك، سواء فى النواحى العقائدية، أو الفقهية، أو فى التفسير، أو فى السلوك

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۹

الانسانى، و الأخلاقيات، أو فى المواقف من القضايا الحساسة و المصيرية، و غير ذلك.

۴- محاولاتهم طرح الاسلام العملى، الذى يرتبط بالغيب، و يندفع نحوه، مع مقارنة بين ذلك و بين ظاهرة التصوف الذى اهتم بالرياضة الروحية، و أهمل الجانب الثقافى و العلمى. و بيان الفوارق بينهما و كذلك الحال بالنسبة لذلك الاسلام النظرى الذى اهتم بالناحية الثقافية و العلمية، و حشر المفاهيم الجافة و النظريات الفارغة من النفحات الروحية، و من الارتباط بالغيب.

۵- الملاحظة الدقيقة لموقفهم عليهم السّلام من أهل الحديث، و من المعتزلة، و سائر الحركات الدينية و الفكرية و الفرق المختلفة التى كانت تحاول فرض نفسها، و بلورة افكارها هذا بالاضافة إلى مواقفهم عليهم السّلام من الفقهاء المنحرفين، و علماء السوء، و وعاظ السلاطين.

۶- و لا بد أيضا من إلماحة سريعة إلى سرّ موقفهم عليهم السّلام السكوتى فى قضية خلق القرآن، و سبب أمرهم شيعتهم بعدم التدخل فى الجدل القائم حولها.

مع الماحة سريعة بأهداف طرح مسألة كهذه، ثم النتائج التى تحققت فى هذا الاتجاه.

۷- ثم هناك موقفهم عليهم السّلام من الثقافات الغريبة الوافدة عن طريق أهل الكتاب، و عن طريق الترجمات لكتب سائر الأمم، أو اختلاط المسلمين بعد الفتوحات، و غيرها بالأمم الأخرى، و اطلاعهم على ما عندها من أفكار و مذاهب.

و لا يجب أن ننسى مواقفهم عليهم السّلام من التحريفات، التى كان يتعرض لها

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۰

الاسلام الخالص من قبل اليهود و النصارى الذين اظهروا الاسلام. و من قبل القصاصين، و أهل الحديث من طالبى الشهرة و المال. و كذلك تحريف الحكام و السلاطين للاسلام، ليوافق مذاهبهم و مشاربهم السياسية، و يخدم طموحاتهم، و توجهاتهم السياسية، و مصالحهم الشخصية، أو القبلية و الإقليمية.

۸- و لا بد من بيان موقفهم من تفسير القرآن بصورة غير واقعية، و من التلاعب بالسنة النبوية الشريفة.

ثم التعرف على الموازين و المعايير و الضوابط التى اتبعوها أو أرشدوا إليها و التى يتمكن الناس من خلالها من معرفة ذلك الجانب العريض من النصوص، و استبعاده كما و يتمكن شيعتهم بواسطتها من فهم القرآن فهما سليما غير متأثر بما هو غريب عن الدين و تشريعاته، و عن الاسلام و مفاهيمه.

و دراسة قضية الكندى هنا تصبح ضرورية لفهم بعض أساليب الأئمة فى مواجهة حالات الانحراف الفكرى، إذا كانت منطلقة من شبهة، و لم يكن لها خلفيات، ذات طابع غير اخلاقى، و لا إنسانى.

۹- كما لا بد من دراسة السرّ فى أنهم عليهم السلام لم يتركوا للناس آثارا مكتوبة، ما دام أن ذلك يحسم النزاع فى أمور كثيرة. مع أن تدوين العلوم كان فى زمنهم على قدم و ساق، و رغم أن أمير المؤمنين عليه السّلام قد كتب الجفر و الجامعة و غير ذلك، لكن ما كتبه عليه السّلام قد بقى عندهم، و لم يتجاوزهم إلى غيرهم.

و ذلك يحتم دراسة صحيفة الرضا عليه السّلام، و غير ذلك مما ينسب إليهم عليهم السّلام لمعرفة إن كانت من املاءاته، أم أنها من مكتوباته، و قد بقيت لانه كان ثمة فرق بين هذا العلم و ذاك، أو بين عصر و آخر، لا بد من تحقيق ذلك و إيضاحه.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۱

أضف إلى ذلك أننا نجدهم عليهم السّلام يشجعون شيعتهم باستمرار على تدوين العلوم، و اتقانها، لا بد من تفصيل وقائع ذلك بصورة واضحة.

۱۰- لا بد من البحث حول كرامات الأئمة عليهم السّلام، و الاجابة على سؤال: هل كان الأئمة بحاجة إلى ظهور تلك الكرامات على أيديهم؟ و ما الفرق بين الكرامة و المعجزة؟ ثم ما الفرق بين كراماتهم و بين ما ينسب الى غيرهم من المتصوفة و سواهم. و هل كل ذلك صحيح؟ أم أن كرامات الصوفية و غيرهم موضع شك و ريب؟ لا بد من ذكر مبررات ذلك إن كان. و إذا كان ثمة مبالغات غير معقولة، فلا بد من الاشارة إلى ذلك مع التركيز على فهم ظروفه و مبرراته.

كما أنه لا بد من دراسة ما ينسب إلى المرتاضين حتى من غير المسلمين من خوارق .. و كذا ما ربما يقال من حصوله لبعض غير المسلمين ممن لهم اعتقادات غير صحيحة.

و هل يدخل فى هذا المورد (الكرامات) اخباراتهم عليهم السّلام بالأمور الغيبية و عن المستقبل، و هل كانت ذلك من هذا الباب، أم أن بعضه من العلم الخاص، و بعضه ليس من هذا و لا ذاك، و إنما هو معرفة للنتائج من خلال دراسة الظروف الموضوعية بدقة و وعى؟! كما أنه لا بد من معرفة السبب فى أن عليا عليه السّلام قد كان يهتم باظهار هذا الأمر، اعنى الاخبار بالمغيبات، و قد بلغت اخباراته حدا جعل بعض الناس يتهمونه بالتكهن و حتى بالكذب- و العياذ باللّه-.

مع ذكر نماذج مما تحقق من اخباراته الغيبية عليه الصلاة و السلام.

۱۱- حدود علوم الأئمة صلوات اللّه و سلامه عليهم و كيفية علمهم مع

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۲

تسجيل الملاحظة التى تقول: إنهم عليهم السّلام كانوا باستمرار يؤكدون على أن لديهم من العلوم و المعارف الخاصة ما ليس عند غيرهم، و أنهم إنما تلقوا ذلك من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم الذى هو مصدر الوحى، و من ذلك قولهم: إن عندهم الجفر و الجامعة «كتاب على عليه السّلام» و غير ذلك. و ما هو السر فى ذلك؟

۱۲- محاولة اعطاء وصف دقيق- مع الامثلة الكثيرة- لشخصياتهم فى ابعادها المختلفة، و ابراز فضائلهم و مزاياهم النفسية، بالاضافة إلى التعرف على سلوكهم الانسانى و الاخلاقى.

ثم إعطاء تصور عن حياتهم الخاصة، و وصف دقيق لتعاملهم مع ابنائهم و سائر أفراد عوائلهم، و حركاتهم داخل بيوتهم، و تصرفاتهم مطلقا، حتى مع ضيوفهم، أو حينما يكون ثمة ما يوجب فرحا و سرورا أو حزنا و جزعا.

۱۳- ملاحظة مصادر أموالهم و حجمها، من أين كانوا يحصلون عليها و كيف؟ و فى أى شىء كانوا ينفقونها؟ و ما هو مدى تأثير المال فى حياتهم و فى روحياتهم و نفسياتهم؟

ثم الاشارة إلى حقيقة موقفهم من عطايا الحكام، و متى تقبلوها، و لما ذا؟

و هل كان رفضهم لها يعنى- بنظر الحاكم الظالم- تحديا، و اعلانا للحرب ضده.

و لا بد من معرفة السر فى أن أمير المؤمنين عليه السّلام قد كان ينفق على نفسه من أمواله فى المدينة، و هل كان يأخذ من بيت المال عطاء، و فى أى شىء كان ينفقه، و كيف جاز له أخذ العطاء، إذا كان يملك من البساتين ما تقدر صدقته، أو غلته بأربعين ألف دينار فى السنة؟! و هل كانوا عليهم السّلام يتناولون من الخمس شيئا، و كذا من غيره من الحقوق الشرعية، و لما ذا؟

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۳

هذا بالاضافة إلى توضيح كيف أنهم عليهم السّلام كانوا يصرون على العمل فى مزارعهم و بساتينهم بأنفسهم.

ثم البحث عن سرّ مطالباتهم ببعض ما انتزع منهم من أراض، و ما ذا كان مصير الخمس فى عهد على عليه السّلام.

۱۴- اساليبهم التربوية لشيعتهم، و أسس و أساليب تعاملهم معهم، و كيفيات ربطهم الناس بقضية أهل البيت عليهم السّلام، عقائديا و عاطفيا و ثقافيا و غير ذلك، و تأثيرات هذه المركزية الدينية على الحالة الفكرية و على الانسجام فى الفهم للامور و فى المواقف و التطلعات، و الآمال- هذا- إلى جانب موقفهم من كل الثقافات الأخرى و أن كل ما لا يخرج من هذا البيت فهو زخرف، و مدى تأثير ذلك فى صيانة الفكر و العقائد، و المفاهيم لدى الناس الذين كانوا مرتبطين بهم.

۱۵- هذا بالاضافة إلى تسليط الاضواء على الحالة التنظيمية الدقيقة التى ركزوها فيما بين شيعتهم، و الماحة الى دور وكلائهم فى مختلف الاقطار، و حدود صلاحيات و وظائف أولئك الوكلاء، ثم معالجات الأئمة عليهم السّلام للخلافات التى ربما كانت تنشأ فيما بين هؤلاء الوكلاء، مع التركيز الدقيق على الانضباطية فى الحالة التنظيمية، حتى إنهم ليرجعون الأموال لاحد الاشخاص، ليدفعه الى الوكيل الذى كان فى بلد ذلك الشخص.

۱۶- الاساليب الحربية، و مبادئ الحرب عندهم، هذا بالاضافة إلى المبررات التى كانت تكفى- فى رأيهم الذى هو رأى الاسلام- لخوض الحروب و مكابدة ويلاتها. هذا بالاضافة إلى بيان الحدود التى تفرض ايقاف تلك الحرب، و مبررات التخلى عنها.

و وصف دقيق لتعاملهم الانسانى مع أعدائهم، و رفض منطق التشفى،

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۴

و اسباب ذلك و تأثيراته.

۱۷- ابراز اهتمام الأئمة عليهم السّلام بتربية متخصصين فى العلوم و الفنون، فهذا متكلم، و ذاك فقيه، و آخر كيميائى، و هكذا ... ثم اهتمامهم فى أن لا يتجاوز كل منهم حدود اختصاصه و ارجاع الآخرين حين تمس الحاجة إلى أصحاب الاختصاصات هذه كل

حسب ما يتناسب مع ما يطلبه و يريده.

هذا .. إلى جانب ابراز المستوى الثقافى لاصحابهم عليهم السّلام حتى لقد أصبحوا فى عهد الامام الصادق، و الكاظم عليهما السّلام هم الطليعة المثقفة و الواعية، و ارباب الفكر و العلم فى الأمة الاسلامية، و هيمنوا على الثقافة العامة بصورة واضحة. و دراسة تأثيرات ذلك على صقل الفكر و انتقاء المقولات لدى أرباب الفرق و المذاهب الأخرى، هذا .. بالاضافة الى تأثيرات ذلك على السياسة و السياسيين و مواقفهم من الائمة عليهم السّلام، و من الشيعة بصورة عامة.

۱۸- بيان اهتمام الائمة عليهم السّلام بتعليل الاحكام الشرعية و غيرها، حتى لقد ألفت الكتب فيما روى عنهم عليهم السّلام من علل أو من حكم و دراسة الطابع و الخصائص التى كانت تتميز به تلك التعليلات و الموضوعات و النواحى التى ابرزتها أكثر من غيرها.

۱۹- بيان أنهم عليهم السّلام كانوا لا يستعملون التقية فى بعض القضايا الحساسة، رغم خطورة ذلك على حياتهم، كقضية: أنهم الأحق بالإمامة من كل أحد، و قضية النص على على عليه السّلام فما هو سر ذلك؟ و ما هى الاساليب التى استفادوا منها لاقناع الناس بهذا الأمر الخطير. ثم إظهار أنهم كانوا يركزون فى اثبات ذلك على أمرين: أحدهما: اظهار و اثبات: أن لديهم علوما خاصة، ورثوها عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و لا توجد لدى أى كان من البشر. الثانى: قضية النص.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۵

۲۰- كيف كان يتم الاتصال فيما بين الأئمة عليهم السّلام و بين القاعدة الشعبية، و بسائر أفراد شيعتهم، الذين كانوا فى ضيق شديد، و محنة عظيمة من قبل حكام الجور، و كثير منهم فى السجون، أو مشردون فى البلاد.

مع إعطاء لمحة عن الاساليب و الوسائل التى كان كبار شيعتهم يتوسلون بها للاتصال بهم و لا سيما فى الظروف الصعبة و الحرجة.

۲۱- لا بد من إعطاء لمحة عن نشاطات الائمة حينما كانوا فى سجون الطواغيت، سواء فى ذلك نشاطاتهم فيما بين الناس الذين يسيرون فى الخط الآخر، أى فى ركاب الحكام أو ينتمون إلى فرق أخرى ليست على علاقات طيبة مع خط اهل البيت عليهم السّلام، حتى لنجد يحيى بن خالد البرمكى يشكو إلى الرشيد بأن الامام الكاظم و هو تحت هيمنتهم، و رقابتهم قد أفسد عليهم قلوب شيعتهم.

۲۲- و بعد .. فان الملاحظ هو: أن الامام السجاد عليه السّلام قد كان يهتم بالموالى و شرائهم و عتقهم بصورة متميزة عن باقى الأئمة باستثناء ما عرف عن امير المؤمنين عليه السّلام و كان يعلمهم و يثقفهم، و كان يكتب ذنوبهم فى كتاب، ثم يذكرهم بها و يعتقهم و قد اعتق الوفا كثيرة منهم. لا بد من دراسة دقائق تعامله عليه السّلام معهم و ظروف عتقه لهم و آثار هذا التعامل و دوافعه. مع الالتفات إلى أن هذا منه عليه السّلام يجىء فى وقت كان فيه الحكام يمارسون سياسة التمييز العنصرى، و تفضيل العرب على كل من سواهم.

ثم .. الالماح إلى دور الموالى فى نشر الاسلام و لا سيما التشيع لأهل البيت، ثم ما كان لهم من دور فى نشر الاسلام فى الامم الأخرى بصورة عامة.

كما أنه لا بد من دراسة ظاهرة تزوج نفس الأئمة عليهم السّلام بغير العربيات بكثرة، حتى ان عددا منهم قد ولد من هؤلاء النساء بالذات.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۶

كما أن لمعرفة الائمة بلغات الأمم آثارا لها طابعها الخاص، لا بد من الاطلاع عليه و الالمام به و بمناشئه.

۲۳- ثم هناك موضوع التمهيد منهم عليهم السّلام لغيبة الامام المهدى صلوات اللّه و سلامه عليه، و كيف بدءوا يحتجبون عن الناس منذ عهد الامام الهادى عليه السّلام، ليعودوا شيعتهم على هذه الظاهرة. هذا بالاضافة إلى أن الإمام الجواد و الهادى قد تصديا لمقام الامامة فى سن مبكر جدا، أى فى الخامسة أو فوقها بسنوات معدودة. مع ملاحظة مدى تأثير ذلك على موقف الشيعة و على فكرهم، ثم على موقعهم بين أهل الملل الاخرى.

مع الاشارة إلى أن الامام المهدى قد غاب و هو صغير السن، و ذلك بعد وفاة والده عليه السّلام.

۲۴- و لا بد من الحديث عن مساهمة الأئمة عليهم السّلام فى النهضة العلمية، و عن تصريحاتهم أو تلميحاتهم إلى حقائق علمية، لم يمكن اكتشافها، أو فقل إدراكها الا بعد قرون من الزمن. و عن بعض القواعد و المبانى التى ساعدت على تحقق هذه النهضة العلمية، مع ذكر امثلة صريحة و يقينية فى هذا المجال، مع ملاحظة تنوع العلوم، و من اشتهر من اصحابه بالتصدى إليها كجابر بن حيان و غيره.

۲۵- و من الامور الجديرة بالبحث «الدعاء» عند الأئمة، و لا سيما بالنسبة لأمير المؤمنين، و السجاد، و الحسين عليهم السّلام، مع تقييم و بحث للصحيفة السجادية، و مضامينها المختلفة، و موضوعاتها المتنوعة، السياسية، و العقائدية، و التربوية، و الاخلاقية و غير ذلك. مع الاشارة إلى ما يلاحظ من المد و الجزر فى مستوى اعتمادهم صلوات اللّه و سلامه على طريقة الدعاء فى ابلاغ و تحقيق مقاصدهم الاعلامية و التعليمية و التربوية.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۷

كما لا بد من إلماحة و لو سريعة بما كان يعانى منه الناس من جهل مطبق، و تجهيل متعمد لهم بالاضافة إلى ظاهرة التحريف التى كانت تستهدف الاسلام و المسلمين فى تلك الفترة، حتى إن بنى هاشم، و هم أقرب الناس إلى مصدر الوحى و التنزيل كانوا إلى أن مضت سبع سنين من امامة الباقر عليه السّلام لا يعرفون كيف يصلون، و لا كيف يحجون.

كما أن من المفيد جدا تقديم دراسة لرسالة الحقوق للامام السجاد، و لعهد أمير المؤمنين عليه السّلام للاشتر، و توحيد المفضل، و الرسالة الطبية الذهبية.

۲۶- و إذا كنا نجد: أنه لم يكن يعترف بامامة السجاد سوى ثلاثة اشخاص، أو خمسة، حسب اختلاف النقل، فلا بد من معرفة الخطوات التى اتخذها الامام السجاد عليه السّلام لتهيئة الأجواء لمدرسة الباقر و الصادق عليهما السّلام.

مع أن الناس بعد قتل الحسين، و بسبب السياسة الأموية البغيضة قد انصرفوا عن اهل البيت، و لم يبق بينهم بنظرهم شخصية كبيرة تعنو لها الحياة بالتسليم و الخضوع و كيف استطاع السجاد عليه السّلام أن يصبح الرجل العظيم الذى يجله حتى أعداؤه و مخالفوه اكثر من أى إمام آخر، فهل كان ذلك لأنهم رأوا فيه انصرافا عن طلب الحكم و السلطة؟ أم لغير ذلك من أمور.

و ما هو مدى صحة ما يقال من أنه عليه السّلام قد غاب عن الناس عشر سنين ليعيش فى البادية، و ما هو تفسير ذلك على تقدير صحته.

۲۷- ما هى دوافع الحركات الشيعية و غيرها كالزيدية و كحركات الغلاة، و كذلك سائر الحركات التى قامت ضد الحكم و الحاكمين، مثل حركات الخوارج، و ما هو موقف الائمة عليهم السّلام من هذه الحركات، و كيف كانوا يوفقون بين آرائهم فيها، و بين حفظ موقعهم و هم يواجهون ظاهرة اندفاع الناس نحوها.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۸

و لما ذا نهى على عليه السّلام عن قتال الخوارج بعده. و ما هو موقف الشيعة و الأئمة منهم.

۲۸- و لا بد أيضا من دراسة حقيقة موقف الأئمة من الحكام و موقف الحكام من الأئمة، و كيف امكن لهم الحفاظ على التشيع، مع أنه كان يواجه الحكام على مدى التاريخ، و مع أن التعاليم التى كان يؤمن بها الشيعة هى على النقيض تماما مما يسعى الحكام له، و يعملون من أجله.

و قد رأينا: أن حكومة الجبارين ما حاربت مذهبا إلا و خنقته فى مهده، و قطعت أوصاله، إلا أن يسير فى ركابها و يدور فى فلكها و يجند نفسه و يحرف تعاليمه لتصبح فى خدمتها، و قد كان المعتزلة فرقة قوية فى منطقها و كانت تملك هى مقاليد السلطة على مستوى الخلافة الاسلامية كلها، و لكنها حين رأت السلطة:

أنها فى غنى عنها و ناصرت خصومها فانها أصبحت فى خبر كان، و أصبح أصحاب نحلة أهل الحديث، و هى من السخافة بمكان هم المسيطرون، و هم الحاكمون، و بقيت نحلتهم و دامت، و قعدت و قامت، و إن كان الاشعرى قد حاول طلاء وجهها ببعض الأصباغ

التى لم تستطع التخفيف من بشاعة ملامحها، حين يتأمل بها المتأملون، و يلتفت إلى ملامحها الشوهاء الواعون. و لا بد أيضا من التوقف عند الاساليب التى كان ينتهجها الحكام لابعاد الناس عن الأئمة، و منها اسلوب التخويف و الملاحقة كما أن من الضرورى الالفات إلى أن الشدة و غيرها من الاساليب التى كان الحكام يحاولون من خلالها ابعاد الناس عن أهل البيت عليهم السّلام، قد كانت تنتج عكس ما يريدون و خلاف ما كانوا إليه يطمحون، حيث يزداد الناس فى كثير من الأحيان تعلقا باهل البيت، ثم محاولة تفسير ذلك بالشكل المعقول و المقبول.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۹

مع تقديم اطروحة كاملة عن نظرتهم عليهم السّلام إلى الحكم و الحاكمين، و عن الموقف الشرعى منهم، و أساليب التعامل معهم.

۲۹- و من اللازم أيضا تفسير ظاهرة عدم ثورة الأئمة بعد الحسين عليه السّلام على الحكام، مع وجود ثورات كثيرة قام بها الزيدية و غيرهم.

كما أن من الضرورى معرفة حقيقة موقف الائمة من ثورة زيد و المختار، و كذلك سائر الثورات التى كانت ترفع شعار الحق و العدل، كثورة الحسين الهرش و ثورة الحرة بالمدينة بالاضافة الى ثورة الحسين بن على فى المدينة، و سائر ثورات العلويين.

و لما ذا كانوا عليهم السّلام يرغبون باستمرار هذه الثورات، و يقولون لشيعتهم: «ما زالت الزيدية لكم وقاء أبدا»، و يقولون أيضا ما مضمونه: «ما زلت أنا و شيعتى بخير ما خرج الخارجى من آل محمد». أو نحو ذلك.

و كيف يمكن تفسير هذا الكلام، و على أى معنى يحمل. مع أننا لا نجد فى علاقات نفس هذا الامام بالثائرين، ما يشجع، أو ما يستحق أن يقال عنه: إنه علاقات طبيعية على أقل تقدير، و ذلك بسبب وجود كثير من الفجوات و المشاكل فيما بينه و بينهم.

۳۰- يضاف إلى ما تقدم: دراسة محاولاتهم عليهم السّلام إدخال بعض الشخصيات الشيعية- و لو مع التقية- إلى المراكز الحساسة فى الدولة التى يحكمها الظالمون، كما هو الحال فى ابن يقطين فى دولة الرشيد العباسى. و قد بقى بعض الشيعة يحاولون النفوذ إلى بعض المراكز فى الحكومات، حتى بعد عصر الأئمة الطاهرين صلوات اللّه و سلامه عليهم اجمعين.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۳۰

و لكنهم فى نفس الوقت يمنعون صفوان الجمال من كراء جماله لهارون الرشيد حتى لأداء فريضة الحج. فكيف نوفق بين هذين الموقفين.

و من المفيد جدا أيضا: التعرف على الاساليب العملية فى مجال الدعوة كالدعاء، و الشعر، و الكرامات، و الاخبار بالمغيبات.

بل نجد عطاياهم للشعراء مثيرة للعجب، لكثرتها، حتى ليرد سؤال: أ ليس الفقراء كانوا أولى بهذا المال من هذا الشاعر؟

كما لا بد من دراسة استشهادات على و الحسين عليهما السّلام كذلك لحديث الغدير فى رحبة الكوفة و فى منى و غير ذلك من المواضع.

و هناك أيضا موضوع تخصيص الامام الباقر عليه السّلام ثمانمائة درهم لنوادب يندبنه بعد موته فى منى فى موسم الحج لمدة عشر سنين.

هذا بالاضافة إلى حثهم الشديد و الاكيد على اقامة مجالس العزاء و البكاء على الحسين عليه السّلام.

إلى غير ذلك من أساليب تعليمية و إعلامية اختاروها فى مجال دعوتهم إلى اللّه سبحانه، و كلها مشروعة، و مؤثرة.

۳۲- و إذا كان الاهتمام بالابتعاد عن مذهب أهل البيت، و بالجعل و الاختلاق للحديث- قد تجلى فى القرن الأول أكثر منه فى الذى يليه فاننا نلاحظ قلة المأثورات فى الفقه فى القرن الأول، و لم يكن ثمة تحديد واضح لكثير من المسائل و الاحكام فى تلك الفترة، و قد يكون ذلك لأجل تفويت الفرصة على الوضاعين و أعداء الحق. و قد يكون لغير ذلك أيضا. ثم بدأ التركيز على المسائل الفقهية و تحديدها، و تحديد الحق فى غيرها من المسائل العقائدية منها و غيرها- قد

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۳۱

بدأ بعد ذلك القرن، أى من زمن الباقر عليه السّلام.

أو فقل بعد مضى سبع سنين من امامته كما أشارت إليه بعض النصوص.

كما أن إظهار الجانب العقائدى السياسى و التدبيرى قد كان فى عهد الامام على أمير المؤمنين عليه السّلام اكثر منه فى عهد سائر الائمة من ولده.

۳۳- كما لا بد من دراسة مواقفهم عليهم السّلام من الثقافات الوافدة، و المعابير التى رسموها لشيعتهم لقبول ما يمكن قبوله منها، ورد ما يجب ردّه، مع بيان ما قبلوه مطلقا، و ما قبلوه بشرط، و ما لم يقبلوه مطلقا أيضا.

۳۴- و أخيرا .. لا بد من معالجة موضوع الغيبة و فوائدها و آثارها و كيف ربى الائمة شيعتهم على الاستقلال الفكرى، باعطائهم الضوابط و المعايير العامة التى تمكنهم- لو روعيت- من اتخاذ الموقف الصحيح فى مختلف الحالات و الظروف، و على مر الزمان.

كما لا بد من دراسة الزلزال الكبير الذى احدثته الغيبة رغم الاعداد لها بامامة الجواد و الهادى و هما صغيران، و باحتجاب العسكريين عن الناس أيضا تمهيدا لذلك، و غير ذلك مما يجده الباحث المتتبع.

جعفر مرتضى العاملى

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۳۳

[مقدمة المؤلف]

«بسم اللّه الرحمن الرحيم» قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِى الْقُرْبى «۱» «اهل البيت عليهم السّلام» لقد تعرّضنا فى كتابنا هذا الى البحث عن المحاولات الفكرية و السياسية لأئمة الشيعة عليهم السّلام ... الأئمة الذين هم المصداق لأهل البيت عليهم السّلام و الابناء لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و أمير المؤمنين عليه السّلام. و ما هو مهمّ التعرّض إليه هنا هو الاجابة عن السبب الذى جعلنا نعتمد كلّ هذا الاعتماد على اهل البيت، فلما ذا يعتمد الشيعة على أهل البيت كلّ هذا الاعتماد؟ و لما ذا قبلوهم ائمة لهم و اعتبروا ولايتهم هى الولاية الاصيلة فقط؟.

الحقيقة إنّ اهل السنّة غير الناصبيين يحبّون اهل البيت أيضا و يحترمونهم أعظم الاحترام. غير أن الامر المهمّ فى المسألة هو الاساس الذى بنى عليه هذا

---

(۱) الشورى: ۲۳.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۳۴

«الحب» و «الاحترام» الواجب ابرازهما.

فهل اننا لو بنينا على الاكتفاء بابراز المودّة و المحبّة لهم، و حصرها فى حدود الاحترامات الظاهرية نكون قد التزمنا بهذا الواجب و امتثلنا الأمر بمحبّتهم؟ و هل أنّ ما بلغنا من روايات عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى فضيلة أهل البيت عليهم السّلام على كثرتها «۱»، و أمره صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بمحبتهم ينحصر فى هذا البعد الظاهرى من المحبة، و نظم أبيات من الشعر فى مدحهم؟.

بعيد جدّا أن يجيب عقل منطقىّ على هذه الاسئلة بالاثبات فيقول بأنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم اراد منا أن نحبّ قرابته فقط، و أنّه لم يأخذ فى هذه المحبّة امرا آخر، و أنّه إنّما وجبت علينا محبتهم احتراما للنبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فإنّهم قرابته!.

لا ريب انّ الانعطاف الذى يبديه عامّة المسلمين تجاه اهل البيت عليهم السّلام منشؤه هو التوصيات الصادرة عن رسول اللّه صلّى اللّه

عليه و آله و سلّم عند اهل السنّة التى تتحدث عن أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم جعل اهل البيت عليهم السّلام، ركنا للدين بعد القرآن لذا فمن غير الممكن لاحد أن يتجاهل اهل البيت عليهم السّلام حيث بلغ عدد الكتب المؤلفة باللغة العربية من قبل اهل السنّة و حدهم حوالى ۷۰۰ كتاب عن اهل البيت «۲».

لكن كيف انحرف هذا العدد العظيم من الناس رغم وجود هذا القدر من الفضائل الصحيحة بحيث آل الأمر «۳» فى نهاية المطاف و إثر اصرار جمع من

---

(۱) راجع كتاب «فضائل الخمسة فى صحاح الستة» لمؤلّفه آية اللّه الفيروزآبادى.

(۲) راجع مجلّة «تراثنا» مقالة «اهل البيت فى المكتبة العربية» لكاتبها السيد عبد العزيز الطباطبائى، و قد كان ما ألّف من الكتب لحد ذلك الحين يبلغ «۳۴۰» مذكورة بالترتيب حسب الحروف الهجائية و استنادا الى ما قاله الكاتب فى مقالته فإنّ عدد الكتب بلغ اخيرا ما يقرب من ۷۰۰ كتاب.

(۳) ينبغى الالتفات الى أنّ احمد بن حنبل وحده الذى ثبّت عليّا عليه السّلام خليفة رابعا فإلى زمانه لم يكن

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۳۵

المحدّثين و الفقهاء امثال محمّد بن ادريس الشافعى الى أن يقف عند حدّ المحبّة حيث قال:

يا أهل بيت رسول اللّه حبّكمفرض من اللّه فى القرآن انزله

كفاكم من عظيم الشأن انّكممن لم يصلّ عليكم لا صلاة له «۱» و يسهل الجواب عن هذا السؤال لدى ملاحظة الوقائع التى جرت فى عصر النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و بعد وفاته حتى اواسط القرن الثانى الهجرى. فهناك رواية تحكى عن مدى ما كانت قريش تضمره من العداء و النفرة لقرابة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى حياته.

فقد روى أنّ العبّاس عمّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال له يوما: «إنّ قريشا تلقى بعضها بعضا بوجه منبسط، فاذا رأتنا لقيتنا بغير الوجوه التى نعرفها». فغضب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و قال: «و الذى نفس محمد بيده لا يدخل قلب رجل الايمان حتى يحبّكم للّه و لرسوله» «۲».

فهذه الرواية تدلّ على أنّ قريشا كانت ساخطة جدّا على قرابة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى اواخر ايّامه. و قد جاء فى المثل أربعة لا تكون فى أربعة السخاء فى الزبيرىّ، و التواضع فى المخزومى، و صحة النسب فى الشامى، و حبّ آل محمّد فى القرشىّ «۳».

العثمانية- الذين اخذوا يحملون اسم السنة مع اختلاف يزيد و ينقص- يعتقدون بهذا الأمر راجع كتاب طبقات الحنابلة ج ۱، ص ۴۵.

(۱) راجع: كتاب القدر ج ۳ ص ۱۷۳، و الصواعق المحرقة ص ۸۷، و شرح المواهب ج ۷ ص ۷ و مشارق الانوار ص ۸۸، و الاتحاف ص ۲۹ و الاسعاف ص ۱۱۹.

(۲) المعرفة و التاريخ للفسوى ج ۱ ص ۲۹۵، ۴۹۷، ۴۹۹ و البداية و النهاية لابن كثير ج ۲ ص ۲۵۷.

(۳) ربيع الابرار للزمخشرى ج ۳ ص ۴۲۳.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۳۶

فالمستظهر من هذه الروايات انه كانت لقرابة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم منافسات و عداوات. اضافة الى ذلك فانّ ما حصل من مبايعة أبى بكر فى السقيفة التى تمّت بدوافع متعدّدة منها منافسة الانصار، و طلب عمر الشديد من جميع المخالفين البيعة، و تهديده عليا عليه السّلام و الزبير و آخرين بحرق دورهم عليهم اذا لم يبايعوا «۱»، كان من الطبيعى أن يعقبه موقف جدىّ من أهل

البيت عليهم السّلام هذا الموقف الذى ازداد اتساعا بمخالفة الإمام لبيعة أبى بكر التى دامت ستة أشهر و ظهور الغضب و السخط فى وجه فاطمة عليها السّلام من الخليفة «۲» و هو ما ادّى الى أول نوع من الانقسام بين المسلمين ... الانقسام الذى كانت ثمرته مظلوميّة أهل البيت عليهم السّلام مظلومية بلغت أوجها فى كربلاء.

هذا و النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أوصى بهم مرارا على مسمع و مرأى من الناس، و طلب منهم معاملة عترته بالحسنى فضلا عن الكلمات الكثيرة التى قالها فى فضلهم عامّة و فضل كلّ واحد منهم على وجه الخصوص.

فقد روى «ابن شيبة» عن «عبد الرحمن بن عوف» فى حديث مسند أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم عمد الى الطائف بعد فتح مكّة، و حاصرها ثمانية عشر او تسعة عشر يوما فلم تفتح، و فى أحد الايام او احدى الليالى مشى قليلا ثم وقف و قال:

«أيّها الناس إنى فرط لكم فأوصيكم بعترتى خيرا. و إن موعدكم الحوض. و الذى نفسى بيده ليقيمنّ الصلاة و ليؤتنّ الزكاة، أو لأبعثنّ إليهم رجلا منّى او كنفسى فليضربنّ أعناق مقاتلتهم، و ليسبينّ ذراريهم» قال:

---

(۱) الامامة و السياسة لابن قتيبة ج ۱ ص ۱۱، ۱۳، و ابن أبى الحديد ج ۲ ص ۸، ۱۹.

(۲) راجع كتاب فضائل الخمسة ج ۳ ص ۱۵۶.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۳۷

فرأى الناس أنّه أبو بكر أو عمر، فأخذ بيد علىّ فقال: هذا» «۱».

و جاء فى رواية أخرى أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال بعد أن ذكر كتاب اللّه و وجوب التمسّك به: «و أهل بيتى، اذكركم اللّه فى أهل بيتى» كرّرها ثلاث مرّات «۲».

و رغم هذه الوصايا، و تأكيد القرآن على تطهير اهل البيت، و فرض سهم ذوى القربى، و الصلاة على النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم التى فسّرها رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم نفسه بأنّها الصلاة على محمد و آله، و اعتباره أجره من الناس المودّة فى القربى فانّ التعامل الفظّ لساسة المجتمع فى صدر الاسلام ادّى الى اعتزال الناس لأهل البيت حتى قال أمير المؤمنين عن ذلك: «إنّ الناس نسونا لفرط ما فعلوه بنا» «۳».

و لقد اخذ «أبو ذرّ» صديق رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم الحميم، الذى اطلق نداء التوحيد عند الكعبة فى أوج ظلم أبى سفيان، بمقابض الكعبة- وفقا لما رواه أهل السنة فى جوامعهم الحديثية- و صاح: «أيّها الناس، من عرفنى فقد عرفنى، و من من لم يعرفنى فأنا ابو ذرّ الغفارىّ. لا أحدّثكم الّا ما سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يقول، سمعته و هو يقول:

«أيّها الناس إنّى قد تركت فيكم الثقلين كتاب اللّه و عترتى اهل بيتى، و احدهما افضل من الآخر، و لن يفترقا حتى يردا علىّ الحوض، و إنمّا مثلهما

---

(۱) ابن ابى شيبة ج ۱۴ ص ۵۰۸، ابن عساكر، تاريخ دمشق ج ۲، الحديث ۸۷۵ نقلا عن حاشية ابن ابى شيبة، المعرفة و التاريخ ج ۱ ص ۲۸۲، ۲۸۳.

(۲) المعرفة و التاريخ ج ۱ ص ۵۳۶.

(۳) شرح نهج البلاغة لابن ابى الحديد ج ۹، ص ۲۸، ۲۹ و ج ۲۰، ص ۲۹۹.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۳۸

كمثل سفينة نوح، من ركبها نجا، و من تركها غرق» «۱».

هذه هى روايتا الثّقلين و السفينة المشهورتان اللتان توكدان المكانة العليا لأهل البيت و لياقتهم فى قيادة المسلمين، و هذا هو ابو ذر

الذى قال عنه الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: «ما اظلّت السماء و لا اقلّت الارض اصدق لهجة منه»، يدعو الناس لاهل البيت بهذه الطريقة التى احيا بها خاطرات صدر الاسلام فى مكّة.

و كما آذاه المشركون حين اطلق تلك الصرخة نفاه الآخرون حين اطلق صرخته هذه المرة!.

و هكذا فانّ احدا ما كان ليمكنه أن يبيّن مكانة اهل البيت على حقيقتها الّا فى المدّة القصيرة التى تولّى فيها الامام علىّ الخلافة. فأحيا فى رحبة مسجد الكوفة حديث الغدير، و عدّد فضائل و مناقب اهل البيت، و قد وردت كلماته الرائعة فى مكانة أهل البيت السامية فى كتاب نهج البلاغة و سائر كتب الحديث و الأدب، و قد قمنا بجمع نماذج من خطبه فى موضع آخر «۲».

غير أنّ تسلّط معاوية و بنى سفيان و بنى مروان، و سبّهم العلنىّ لعلىّ و آله من على المنابر- حتى أن عبد اللّه بن الزبير كان لا يصلّى على النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لئلا- يعلو لاهل البيت شأن- ما كان ليؤدى الى نسيان أهل البيت و حسب، بل الى رفضهم من قبل الناس. اذ كيف يتوقع و الحال هذه أن يذكر شىء من مناقبهم التى نطق بها

---

(۱) المعرفة و التاريخ ج ۱، ص ۵۳۸، و الروايتان متواترتان. راجع كتاب عبقات الانوار ج ۲ من المجلد ۱۲ طبعة اصفهان سنة ۱۳۴۱.

(۲) الحق أن اكثر طرق حديث الغدير الذى رواه أهل السنة سببها ذلك العمل الذى قام به الامام فى رحبة مسجد الكوفة، و هذا يدلّ على أنّ الامام لو لم يكن قد فعل ذلك لآل امر هذا الحديث الى النسيان كما آلت إليه كثير من الامور الاخرى.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۳۹

رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بين الناس؟.

فلم يكن ذاكر لعلىّ عليه السّلام غير الكوفة- و هى أيضا لم تخل من بغضه و عداوته- فهى وحدها التى أبقت ذكر علىّ حيّا، و اعتبرت آله احقّ بالخلافة من سائر الناس، و اقرّت لهم بها فى الباطن حتى اقرّ هشام بن عبد الملك بذلك «۱»، و اعترف فى نصوص أخرى بأنّ الناس كانوا على استعداد تامّ لقبولهم فى مقام القيادة «۲» لكنّ بنى العبّاس استغلوا هذه الفرصة فيما بعد، و فرضوا انفسهم باسم اهل البيت على الناس البسطاء.

و غير خفىّ أنّ تناقل مناقب و فضائل أهل البيت خصوصا حديث الغدير بين رواة الحديث و المحدّثين الذين ما كان لهم من الانصاف إلّا القليل دام و استمرّ الى يومنا ممّا جعلنا نملك ميراثا مثل «الغدير».

غير أنّه قد وقع ما كان يخشى وقوعه إذ انحرفت مسيرة المجتمع الاسلامى فغدا ذلك المجتمع الذى كان ينبغى له أن يتغذى من علوم اهل البيت و ينتفع بعلمهم يستند الى اعمال خاطئة و تصرّفات مرفوضة بينما و اصل اهل البيت عليهم السّلام العمل بما تقتضيه وظيفتهم و يملى عليهم واجبهم ضمن مساحة محدودة هم الشيعة الموالون لهم، و إن استفاد اهل السنّة من كلماتهم أحيانا.

---

(۱) الفتوح لابن أعثم ج ۴، ص ۲۳، يدلّ على ذلك صريحا ثورة التوابين و حركة التوّابين، و تفصيل القول فى ذلك تعرّضنا له فى كتابنا تاريخ الاسلام السياسى من العام ۴۰ الى العام ۱۰۰ الهجرى.

(۲) الكامل فى الادب للمبرّد ج ۱، ص حيث يهدّد خالد بن يزيد فى هذه الرواية عبد الملك بن مروان بأنّ زواج الحجّاج من بنت عبد اللّه بن جعفر غير صحيح لأنّ الناس يقولون عن بنى هاشم اشياء! فهذه الزواج ربما صار عاملا لزوال حكم بنى أميّة و تولّى الحجّاج الحكم، و هو ما جعل عبد الملك يجبر الحجّاج على تطليق بنت عبد اللّه بن جعفر خوفا من عقيدة اهل العراق فى بنى هاشم.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۴۰

و استمرّت استقامة الأئمة الاطهار فى الفكر و العمل رغم ما كانوا يعانون منه من ضغط و قمع و كبت، و استطاعوا بما كانوا يتمتّعون به من شخصيّة فذّة من الحفاظ على ميراث الشيعة الذى يستند الى القرآن و العترة. و قد حققت الشيعة عملا ما نادى به ابو ذرّ حيث

واصلوا طريق ائمتهم العظام فى الفقه و التفسير و الاخلاق و السياسة.

و امّا اهل السنّة فقد أشرنا فيما مرّ الى أنهم كانوا يعلنون المودّة لاهل البيت، و يؤلّفون الكتب فى مدحهم و التعرض لمناقبهم، بل قد كتبوا كتبا فى سيرة حياتهم أيضا تعبيرا عن ذلك «۱». لكنّهم لم يكلّفوا انفسهم عناء السؤال و التحقيق عن واقعة الغدير هل كان لاثبات مودّة على فحسب؟

و عن الامامة التى يقول بها الشيعة لأئمتهم هل تفتقر الى اساس متين؟

و هل أنّ حديث «الثقلين» الذى ثبت تواتره لم يكن الّا بصدد الاشارة و الارشاد الى تلك المحبّة السطحيّة لأهل البيت عليهم السّلام؟

و هل أن حديث «السفينة» لا يعبر عن تشبيه بليغ فى وجوب التبعيّة لهم عليهم السّلام؟

و إنّ ما يثير العجب أنّ حديث «الأئمة اثنا عشر»- استنادا لما يذكره السيوطى و آخرون- حديث متواتر و إجماعىّ «۲». لكنّ أهل السنة راحوا يحملونه- خطأ- على بعض الخلفاء و ربّما ذكروا أن اربعة منهم مضوا و سيأتى الباقون.

أ ليس هذا يدلّ على أنّ هذه الرواية تنطبق على أئمة الشيعة فقط؟. و انهم الذين

---

(۱) من هذه الكتب تذكرة الخواصّ، و الاتحاف، و ينابيع المودّة، و الائمة الاثنا عشر لابن طولون و غيرها مما ذكره السيّد الطباطبائى فى فهرسه المتقدّم فى مجلّة «تراثنا».

(۲) تأريخ الخلفاء ص ۱۰- ۱۲ و الصواعق المحرّقة ص ۷- ۱۰.

امتدح الجاحظ الذى عاصر الامام الحسن العسكرىّ عليه السّلام احد عشر إماما منهم حيث وصفهم بأنّهم «العلماء، الزهّاد النسّاك، الشجعان الطهرة» و أنهم اللائقون بمنصب الخلافة «۱»؟

لقد كان للأئمة عليهم السّلام من العظمة أنّه حين ذكر اسم الامام الرضا عليه السّلام عند تنصيبه وليّا للعهد فقيل: «علىّ بن موسى بن جعفر بن محمد بن علىّ بن الحسين بن على بن ابى طالب» قيل: «و اللّه لو انّ هذه الاسماء قرئت على اصمّ أو أبكم لشفى بأذن اللّه» «۲».

و ما كان بين أهل السنّة من يدرك اهميّة هذا البيت الّا عدد قليل منهم، و أما اكثرهم فكانوا يبدون نفرتهم من مقام اهل البيت عليهم السّلام الشامخ. إذ جاء فى رواياتهم أنّه قيل لزائدة- و هو من رواة الحديث-: لما ذا لا- تروى عن جابر الجعفى و ابن ابى ليلى، و الكلبىّ؟ فقال: «... و أمّا الكلبىّ فقد كنت اذهب عنده و اقرأ القرآن فسمعته يوما يقول: لقد مرضت زمانا فنسيت ما كنت حفظته، فذهبت عند آل محمّد فبصق فى فمى فعاد إلىّ كلّ ما كنت نسيته» يقول زائدة: «فلم ارو عنه بعد ذلك أبدا» «۳». و منه يعلم السبب فى مخالفة زائدة للكلبىّ! و قد كان الشهرستانى- و هو من أهل السنّة و الجماعة- يرى لأهل البيت

---

(۱) آثار الجاحظ ص ۲۳۵ نقلا عن حياة الامام الرضا عليه السّلام ص ۱۴۷، و الجاحظ من اكابر الادباء و كتّاب اهل السنّة فى القرن الثالث الهجرى.

(۲) عيون أخبار الرضا عليه السّلام للشيخ الصدوق ج ۲ ص ۴۷، ۱۴۵، و كتاب مقاتل الطالبيين ص ۳۷۵ و مناقب ابن شهرآشوب ج ۲ ص ۳۳۹.

(۳) تاريخ يحيى بن معين ج ۱ ص ۲۸۹.

منزلة خاصّة و مكانة عظيمة و يعتقد أنّ علم القرآن عندهم فقط «۱».

و حقيقة الأمر أنّ أهل البيت عليهم السّلام كانوا الحفظة الحقيقيين لسنة الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و لذا جعلهم النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بموازاة القرآن و قال: «إنهما لا يفترقان».

و قد ذكرنا فى بحوثنا التاريخية عن الحياة الفكرية لأئمة الشيعة مسألة حفظ السنّة تفصيلا. و نذكر هنا امثلة ثلاثة على ذلك ليتّضح بها المعنى المراد.

- قال أمير المؤمنين: «إن كان الدين يدرك بالعقل فباطن القدم اولى بالمسح من ظاهرها لكنّى رأيت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يمسح ظاهر قدميه» «۲».

فهذا إحياء لسنّة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى مقابل تحكيم «الرأى».

- ينقل ابو موسى الاشعرى: «صلّى بنا علىّ يوم الجمل صلاة ذكرناها صلاة رسول اللّه فإمّا نكون نسيناها أو نكون تركناها عمدا» «۳».

- كان الامام السّجاد عليه السّلام إذا اذّن فبلغ «حىّ على الفلاح» ابتعها بلا فصل قوله:

«حىّ على خير العمل»- التى تركها اهل السنّة- و قال: «هو الاذان الاوّل» «۴» و ذلك ليعلم الناس انهم حرّفوا الاذان بحذفهم هذه الجملة.

و هذه التصرّفات و امثالها ممّا يرجع إلى سنّة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كثير عند الأئمة. و اعتماد الشيعة كلّ هذا الاعتماد على أهل البيت عليهم السّلام و استنادهم الى اقوالهم و افعالهم انما هو لتأكيد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم على ذلك من جهة و لسيرتهم فى حفظ

---

(۱) راجع مجلّة «تراثنا» العدد ۱۲ مقالة آذرشب حول تفسير الشهرستانى.

(۲) مصنّف ابن ابى شيبة ج ۱ ص ۱۸۱.

(۳) نفس المصدر السابق ج ۱ ص ۲۴۱.

(۴) نفس المصدر السابق ج ۱ ص ۲۱۵.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۴۳

كيان الدين و قاعدته من جهة اخرى.

و لا بأس باستثمار الفرصة هنا لأقدّم النصيحة لعشّاق الحق و طالبيه من أهل السنّة و ادعوهم للتحقيق و تحرّى الدقة فيما يخصّ أهل البيت عليهم السّلام و التفكير فى حقيقة المناقب و الفضائل المنقولة بحقّهم و التبعات الفكرية لها فربّما هدانا اللّه الى التمسك بهم، و وفّقنا للجواز على الصراط المستقيم «۱».

و بعد تقديم الشكر الجزيل لاستاذى العزيز العلّامة السيّد جعفر مرتضى العاملى الذى كتب مقدّمة ثرّة و معطاءة لهذا الكتاب اقدّم بحثى المختصر هذ حول حياة الائمة عليهم السّلام الى طلّاب طريق الائمة الاطهار.

رسول جعفريان ربيع الاول/ ۱۴۱۰ ه

---

(۱) يمكن ذكر كتابيين هنا: احدهما كتاب (فى مدرسة أهل البيت) و هو من تأليف دار التوحيد. و قد ترجمه الى الفارسية السيد محمد تقى رهبر و طبعت ترجمته منظمة الاعلام الاسلامى. و اما الكتاب الآخر فهو كتاب (اهل البيت او الوجوه المنيرة) من تأليف العلمين المرحوم شهاب الدين الاشراقى و آية اللّه فاضل لنكرانى و قد تمّ نشره من قبل مكتب نشر الثقافة الاسلامية.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۴۵

[اهل البيت عليهم السّلام]

الامام علىّ عليه السّلام

اشارة

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۴۷

قال الحسن البصرى فى وصف الامام علىّ عليه السّلام:

«اراهم السبيل، و اقام لهم الدين إذا اعوجّ» «۱» قد يدّعى البعض منّا أنّه يعرف أمير المؤمنين علىّ بن ابى طالب عليه السّلام أكثر من معرفته بأى شىء آخر، و قد تكون معرفتنا به افضل من سائر الائمة عليهم السّلام. غير أننا و إن كنّا جميعا نعرف عليّا لكنّ معرفتنا الحقيقية بحياة علىّ الواقعيّة ضئيلة جدّا. و الظاهر أنّ سبب ذلك هو قوّة الاشراق وسعة المساحة التى يتمتّع بها علىّ عليه السّلام ممّا يجعل الالمام بحياته و اعطاء خطّ بيانى كلّى عنه امرا مشكلا. و امّا معرفته كواحد فى كثير، و كثير هو فى الحقيقة فى شكل الواحد فلا يمكن أن يبين لنا من خلال عدد من المعلومات المشتّتة. بل لا بدّ من التفكير بسعة و شمولية مع المحافظة على عنصر التركيز و الدقّة فى حركات علىّ و خصاله و صفاته و دوافعه و اقواله و افعاله لنجد بعد كثير من التأمّل و الامعان أنّنا لم نعرف عن تلك الشخصية

---

(۱) مصنّف ابن ابى شيبة ج ۱۲ ص ۸۳.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۴۸

الّا جانبا محدودا من شخصيته و انّا ما زلنا فى منعطف الطريق.

معرفة مختصرة

اسمه علىّ، و اسم ابيه ابو طالب (و إن كان يجب تسميته أبا علىّ)، أمّه فاطمة بنت أسد، مولده الكعبة الشريفة فى مكّة المكرّمة، سنة ولادته العام الرابع و العشرون قبل الهجرة، مكان نشأته بيت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم حيث نشأ و ترعرع فى حضن النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و خديجة.

امضى فترة صباه فى بيت الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم حيث كان أبوه لا يقوى على تحمّل العبء الثقيل لعائلته. فطلب رسول اللّه إليه إعانته بأن يكفل احد ابنائه لقاء الاتعاب التى بذلها ابو طالب بحقّ النبىّ حين كان يتيما، فكان على نصيبه. و هكذا قضت مشيّة اللّه سبحانه أن يكون لعلىّ عليه السّلام هذا الفخر الذى ما شاركه فيه احد غير فاطمة عليها السّلام.

إيمان علىّ عليه السّلام

استنادا الى اصحّ النصوص التاريخية و الحديثية فانّ الامام عليّا عليه السّلام هو أوّل من آمن برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و إن تدخلت يد السياسة بعد ذلك فاثارت أوهاما و شكوكا حول الموضوع. و ما جاء فى كتب الحديث و التاريخ قديمها و حديثها صريح فى هذا الباب بما لا يدع مجالا للشكّ و الشبهة «۱».

---

(۱) راجع كتاب الغدير ج ۳ ص ۲۲۱ و ما بعدها حيث يصرّح الامام نفسه فى عدة مواضع فيقول فى موضع: «أنا أوّل رجل اسلم مع رسول اللّه»، شرح نهج البلاغة لابن ابى الحديد، ج ۳ ص ۲۵۸ طبعة بيروت

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۴۹

و قد سعى بعض ممّن عرف هذه الحقيقة و صدّق بها الى التقليل من أهميّة الموضوع بادّعاء أنّ الإمام كان حينها طفلا لم يبلغ الرشد، لكنّ ثمّة شواهد مقنعة تدلّ بوضوح على نضجه الفكرىّ آنذاك، بل إنّ عمره يدلّ بوضوح على ذلك.

و قد خصّص محمّد بن عبد اللّه الإسكافى فى كتابه القيّم (المعيار و الموازنة) موضوعا للبحث فى هذا الأمر نذكر فيما يلى خلاصته حيث كتب يقول:

«حين نلاحظ النبىّ كيف يدعو عليّا الى الاسلام يمكننا أن ندرك بوضوح أنّه كان حينها بالغا و عاقلا و ان النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كان يرى اعتناقه للاسلام واجبا عليه. و لو كان علىّ عليه السّلام طفلا آنذاك لم يجب عليه حكم خصوصا و الاسلام فى بدايته فى ذلك الحين. كما لم يكن المجتمع مجتمعا اسلاميّا كى يقوم الناس بتعليم اطفالهم لقبول الاسلام. و كان الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى ذلك الوقت محتاجا الى اسلام من يعتنق الاسلام عن علم و بصيرة».

(ثم يضيف فيقول:) «فان قيل: و كيف يكون بالغا و سن البلوغ فى الاسلام هو اكمال السنة الخامسة عشرة من العمر فى الذكر؟ قلنا: إنّ آخر حدّ البلوغ فى الاسلام هو السنّ المذكور، اذ به يحصل البلوغ حتى لاضعف الناس عقلا من الرجال. و لا ريب أن لكل أخير أوّلا و وسطا فيصحّ معه قبول بلوغ إنسان لم يبلغ سنّ الخامسة عشر.

و قد كان لأمير المؤمنين من العمر حين آمن بالاسلام ثلاث عشرة سنة و هو ما يعتبر اوّل مراتب البلوغ.

أو يقول: «أنا أوّل من صلّى مع رسول اللّه»، الاستيعاب ج ۲ ص ۴۵۸، و فى موضع ثالث يقول أيضا:

«اسلمت قبل أن يسلم الناس بسبع سنين» الرياض النضرة ج ۲ ص ۱۵۸.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۵۰

و يستمر الإسكافىّ فى حديثه فينقل رواية عن أهل السنّة مفادها: أنّ عليّا عليه السّلام سأل النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم عند ما رآه يصلى ما ذا يفعل؟ فقال له رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:

هذا دين اللّه يا علىّ.

ثم عرض عليه الاسلام فقال له علىّ بن ابى طالب عليه السّلام: انظرنى حتى اتفكّر فيه ليلة» ثم يقول الاسكافى: «و بعيد عن طفل مثل هذا الجواب» «۱».

و توجد اقوال متضاربة فى السنّ التى آمن معها علىّ عليه السّلام حيث أن المنقول إيمانه ما بين ۸ سنين و ۱۶ سنة. و الذى يبدو من عبارة الاسكافى المتقدمة أنّ الامام عليه السّلام اعتنق الاسلام و عمره ۱۲ سنة «۲».

غير أنه يبدو لى أنّ الزيادة و الانقاص فى عمر الامام عليه السّلام رغم ما يعتريه من عدم الاطلاع الدقيق بذلك، له دوافعه الخاصة التى منها اظهار الامام طفلا غير بالغ عند إيمانه إما بدافع التقليل من شأن هذا الأمر، أو لاثبات أنّ الامام لم يكن له عهد بالجاهلية (و ان كان عمره عند إيمانه بالاسلام ۱۳ سنة) و عكس هذا يأتى بالنسبة الى فرض الزيادة فى عمره.

و اذا كنّا من القائلين بالاخذ باوسط الامور فانّ علينا أن نقبل بقول الاسكافىّ أى أن نقبل بأنه كان لعلىّ عليه السّلام حين اسلامه ثلاث عشرة سنة. خصوصا و أنّ النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم اوكل إليه امر اعداد الطعام فى واقعة الانذار «۳». فلا بدّ أن يكون علىّ فى ذلك الوقت- بعد ثلاث سنين من البعثة الشريفة- فى سنّ يتوقع منه

---

(۱) المعيار و الموازنة، ص ۶۷ و ما بعدها، طبع بيروت تحقيق المحمودى.

(۲) راجع كتاب: ترجمة الامام علىّ بن ابى طالب من تاريخ دمشق ج ۱ ص ۴۱- ۴۶.

(۳) هی حادثة الدعوة التی دعا فیها رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم عشیرته و اهل قرابته الی منزله و دعاهم الی الاسلام إشارة الی الآیة الکریمة: وَ أَنْذِرْ عَشِیرَتَکَ الْأَقْرَبِینَ.

الحیاة الفکریة و السیاسیة لأئمة أهل البیت علیهم السلام ،ج۱،ص:۵۱

صدور مثل هذا العمل منه.

صحبة علیّ لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم

یمکن تقسیم حیاة الامام الی مراحل عدّة:

«المرحلة الاولی:» و تبدأ من زمان النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و تستمرّ الی حین وفاته.

فخلال هذه المدّة الطویلة لم یر علیّ علیه السّلام بعیدا عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم الّا نادرا، و ما من امر حدث الّا کان لعلیّ فیه معلم و اثر. و اذا شئنا أن نقوم بتحلیل واقعیّ عن علاقة الاخوّة التی اوجدها رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم بینه و بین علیّ علیه السّلام فی السنین المتأخرة لکان علینا ان نعتبرها آیة علی صداقة و صحبة طویلة بینهما- کأخوین- تمتدّ الی جمیع مراحل الحیاة.

و قد عبّر الامام عن هذه الصحبة بعبارات مختلفة و ضمّنها قالب تشبیهات جمیلة. و انعکست آثار هذه الصحبة و تمثّلت بانتقال علم رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و عمله إلیه و تجلّی کمالاته فیه، قال علیّ علیه السّلام:

«و لقد کنت اتبعه اتباع الفصیل أثر أمّه» «۱».

و کانت نتیجة هذا الارتباط الوثیق بین الرجلین ما کان من قوله:

«إنی لم اردّ علی اللّه و لا رسوله ساعة قطّ» «۲».

و قد منح هذا القرب الذی بینهما الفرصة للامام علیه السّلام لینهل من بحر علم رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم الذی لا یقف عند حدّ کما قال هو عن ذلک:

---

(۱) نهج البلاغة الخطبة ۱۹۰.

(۲) الخطبة ۱۹۵.

الحیاة الفکریة و السیاسیة لأئمة أهل البیت علیهم السلام ،ج۱،ص:۵۲

«و کان لا یمرّ بی من ذلک شیء الّا سألته عنه و حفظته» «۱».

و طبیعیّ انّ النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم اذا کان مدینة العلم فإنّ علیّا یجب أنّ یکون بابها لانه الوحید الذی کان علی اتصال مباشر بهذا البحر من العلم.

و قد اختاره النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أخا له لتزداد هذه العلاقة وثوقا و متانة و قال فی ذلک: «علیّ منّی» و قال جبرئیل: «و أنا منکما» «۲» و لمّا رای الناس ما لعلیّ من المنزلة فقد جعلوه واسطتهم عند النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و جعلوا یقدّمون اسئلتهم الی رسول اللّه من خلاله «۳».

یقول ابو سعید الخدری فی وصف هذه العلاقة: «کانت لعلیّ درجة لم تکن لاحد من الناس» «۴».

و عند ما یسأل الامام لما ذا تروی من حدیث النبی اکثر مما یرویه سائر الصحابة فیجیب: «لانّی کنت اذا سألته انبأنی، و اذا سکتّ ابتدأنی» «۵».

و من جملة الادلة التی تؤکّد وجود هکذا علاقة لعلیّ بالنبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و آثارها البارزة فی علم الامام معرفته بشأن

نزول الآيات القرآنية و تفسيره الدقيق لها. قال على عليه السّلام: «و اللّه ما نزلت آية الّا و قد علمت فيما نزلت و أين نزلت» «۶».

و كان الامام خلال الفترة التى كان فيها النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم مشغولا بالدعوة الى

---

(۱) الخطبة ۲۰۸ من نهج البلاغة.

(۲) حياة الصحابة ج ۱ ص ۵۵۹.

(۳) التراتيب الادارية ج ۱ ص ۵۸- ۵۹.

(۴) انساب الاشراف ج ۱ ص ۹۸ تحقيق المحمودى، مصنف عبد الرزاق ج ۱۰ ص ۱۴۱.

(۵) نفس المصدر السابق ج ۱ ص ۹۸.

(۶) نفس المصدر السابق ج ۱ ص ۹۹.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۵۳

الاسلام و التبليغ يعد نفسه للدفاع و التضحية من اجله.

و عند ما بلغ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم الأمر باعلان دعوته، و اراد ان يدعو قرابته كان علىّ عليه السّلام نعم العون له، يهيئ الاستعدادات اللازمة للمجلس و يبدى بين القوم وفاءه و اخلاصه.

و حين كان بعض الافراد امثال ابى ذر تائهين فى مكّة بحثا عن بيت النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كان علىّ عليه السّلام الفتى الشجاع يأخذهم الى منزله سرّا مراعيا رغم ذلك اساليب العمل السرى الدقيقة.

و عند ما قاطعت قريش النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم اقتصاديا و اجتماعيا و حاصرته فى شعب ابى طالب كان علىّ من جملة من كانوا يتحمّلون الصعاب و يسلكون الطرق الوعرة لتوفير الموادّ الغذائية للنبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و سائر الصحابة «۱».

و حين كان رسول اللّه يتّجه صوب الطائف و المناطق الواقعة اطراف مكّة ليعمل بواجبه فى تبليغ الرسالة الالهية كان علىّ هو الذى يرافقه لكيلا يبقى النبىّ وحيدا و ليعينه عند تعرضه للمشكلات.

و حين عزم المشركون- الذين وقعوا تحت ضغط دعوة الرسول و تبليغه و رأوا فى استمرارها زوال سلطتهم- على قتله كان ناصر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم المضحى معه يعدّان خطة لمواجهة هذه المؤامرة تحتاج الى تضحية و فداء، و كان فى قلب علىّ عليه السّلام من الحبّ لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ما جعله يرضى من صميم قلبه أن يعرّض نفسه الى خطر الموت لينجو رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من الخطر الذى يتهدّده.

---

(۱) المعيار و الموازنة ص ۸۸.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۵۴

و بعد ما هاجر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم الى المدينة بايام كان علىّ عليه السّلام اقرب الناس إليه يتولى مسئولية حمل عائلة النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم التى كانت عرضة لتهديد المشركين الى المدينة إضافة الى مسئولية ردّ امانات الناس (التى كانت عند النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم الى اهلها). و قد لبث رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم مترقّبا على مقربة من يثرب حتى يعود اخوه على عليه السّلام من السفر ليدخل المدينة معه.

و قد ازدادت هذه العلاقات قوّة و استحكاما بزواج علىّ من فاطمة الزهراء عليها السّلام بنت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و كانت ثمرة الزواج المبارك اولادا كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يحبّهم اعظم الحبّ و يسمّيهم ابناءه «۱» و لم يكن ذلك لاجل فاطمة عليها السّلام وحدها بل لاجل علىّ عليه السّلام أيضا. لأن النبىّ كان يعتبر نفسه و عليا من شجرة و باقى الناس من اشجار

أخر.

و قد سئلت عائشة عن احبّ الناس الى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فقالت: «امّا من الرجال فعليّ و امّا من النساء ففاطمة» «۲».

و كان بيت عليّ عليه السّلام من القرب الى بيت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ما جعل عبد اللّه بن عمر يعتبر ذلك شاهدا على العلاقة الوطيدة بينه و بين النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم «۳» تلك العلاقة التى كان زيد بن ثابت يقبلها رغم كل المعارضة التى كان يبديها لعليّ «۴».

و اما عن اشتراك الامام فى الحروب فى صدر الاسلام فقد قيل فى ذلك الكثير فبدر و أحد و الخندق ثم معركة حنين كلّها ملاحم رائعة سطّر فيها الامام

---

(۱) و هو ما انكره فيما بعد بنو أميّة و بنو العباس- راجع كتاب الحياة السياسية للامام الحسن عليه السّلام.

(۲) تاريخ جرجان ص ۲۱۸، ربيع الابرار ج ۱ ص ۸۲۱.

(۳) انساب الاشراف ج ۲ ص ۱۸۱- ۱۸۲.

(۴) مصنف عبد الرزاق ج ۱۰ ص ۱۴۱، فتوح ابن اعثم ج ۲ ص ۱۶۵.

تضحياته و بطولاته فان نصف قتلى بدر لقوا حتفهم على يديه.

و حينما فرّ اكثر المسلمين من ساحة المعركة فى أحد، ظل هو و عدد قليل منهم الى جوار رسول اللّه يدافع عنه و عن الاسلام. و فى معركة الخندق كان على قد ادّخر من الأجر بقتله عمرو بن عبد ودّ ما يعدل عبادة الثقلين و كان فى اكثر المعارك و الحروب حاملا لواء جيش الاسلام «۱».

إن من يعرف حياة عليّ عليه السّلام و قربه عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يفهم كم بذل من الجهود و تحمّل من المشاق من اجل استقرار الاسلام و انتشاره. اجل لقد كان هو و ابوه ابو طالب و اخوه جعفر اكثر الناس عزما و سعيا من اجل الحفاظ على النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و الاسلام «۲».

و كانت لعليّ من الشجاعة فى الحروب ما جعل بعض العرب يقولون: «كنا كلما هجمت طائفة فيها عليّ عليه السّلام اوصى احدنا الآخر» «۳».

و كان احمد بن حنبل اذا اراد أن يصف عليّا يقول: «ما لأحد من الصحابة من الفضائل بالاسانيد الصحاح مثل ما لعليّ رضى اللّه عنه» «۴».

كما كان اذا دار الحديث فى مجلسه- و هو احد ائمة المذاهب الاربعة- عن على و الخلفاء الثلاثة قال: «إنّ ابن ابى طالب لا يقاس به احد» «۵».

---

(۱) حياة الصحابة ج ۲ ص ۵۱۴، ۵۱۵، انساب الاشراف ج ۲ ص ۹۱، ۹۴.

(۲) شرح نهج البلاغة لابن ابى الحديد ج ۷ ص ۱۷۴.

(۳) ربيع الابرار ج ۳ ص ۳۱۹.

(۴) مناقب احمد بن حنبل لابن الجوزى ص ۱۶۲- ۱۶۳، ابن ابى يعلى، طبقات الحنابلة ج ۱ ص ۳۱۹.

(۵) نفس المصدر السابق ص ۱۶۰- ۱۶۳.

و لا بأس أن ننقل هنا احدى فضائل الامام بتفسير امام الحنابلة فقد روى محمّد بن منصور الطوسى قال: «كنّا عند احمد بن حنبل فسأله شخص: ما ذا تقول فى الحديث المروىّ عن علىّ عليه السّلام انّه قال: انا قسيم النار».

فقال احمد: و لما ذا تنكرونه اما روينا ان النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال لعلىّ عليه السّلام: «لا يحبّك الّا مؤمن و لا يبغضك الّا منافق»؟ فقلنا: بلى. فقال: فاين يكون المؤمن؟ قلنا: فى الجنّة. قال: فالمنافق؟ قلنا: فى النار، قال: فعلىّ قسيم النار» «۱».

و قد منع بنو أميّة من نقل اغلب هذه الفضائل فيما بعد و لم يكن يجرأ على نقلها الّا عدّة معدودة. و كان عبد العزيز ابو (عمر بن عبد العزيز) الذى كان احد خلفاء بنى أميّة يقول لولده: «لو علم هؤلاء الحمير ما نعلمه عن علىّ ما تبعنا اثنان» «۲».

سياسة الامام

اشارة

اذا التفتنا الى طبيعة العلاقات التى كانت تربط امير المؤمنين برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و الدور المشرّف الذى كان الامام يقوم به لنشر الاسلام منذ اوائل ايامه و الى زمان رحيل النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و المعبّر عن الايثار و التضحية من اجل الاسلام فسوف نفهم انّ الامام كان من الشخصيات العظيمة و اصحاب النفوذ فى زمان حياة الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و رغم هذه المكانة الخاصّة التى كان الامام يتمتع بها تمكّن الآخرون- الذين لم تكن لهم هذه المكانة بأدلة ستتضح فى حينها- ان يقيّدوا حركة

---

(۱) طبقات الحنابلة لابن ابى يعلى ج ۱ ص ۳۲۰، حديث لا يحبّك الّا مؤمن، من الاحاديث المتواترة فى فضل امير المؤمنين عليه السّلام راجع كتاب ربيع الابرار ج ۱ ص ۴۸۸.

(۲) ربيع الأبرار للزمخشرى ج ۱ ص ۴۹۹.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۵۷

الامام و يستولوا على السلطة بتنفيذ بعض الحيل السياسية الخاصة، و كان من أهمّ ما عملوه فى هذه الفترة محو المكانة المتميّزة و الفريدة التى كانت لعلىّ عليه السّلام من المجتمع الاسلامى، لذا راحوا يسعون و بما كان فى ايديهم من امكانات الى تضعيف شخصية علىّ عليه السّلام، و تمكنوا من فرض العزلة عليه و هذا الامر اعلنه الامام و غيره بصراحة و وضوح «۱».

و كان الامام الذى يرى حقّه ضاع منه قد قام معترضا فى بداية الامر لكنّه حين رأى المخالفات ثارت من اطراف و انحاء الجزيرة العربية كفّ عن المعارضة من اجل حفظ الاسلام. و ان كان يبدى بين الحين و الآخر احقيته فى الخلافة «۲».

و كان اذا استشاره الخلفاء فى أمر او رجعوا إليه فى قضاء يسدى نصائحه إن رأى فى ذلك فائدة. و ان كان فى بعض الموارد الاخرى يأبى ذلك لعلمه بعدم المصلحة فى الامر. و كان عليه فى مثل هذه الحالات أن يواجه سيلا من التهم و الانتقادات «۳»، و لذا تعرضت علاقاته بالخليفة الثالث لحالات من التشنّج لان الامام كان فى كثير من فتاوى الخليفة يبدى آراء مخالفة «۴».

خلافته

و بمرور الزمان و تفاقم المشكلات و الحوادث و عجز الخليفة و مساعديه السياسيين و العلماء عن حلّها راح الخلفاء يمدّون ايديهم

الى الامام طلبا فى

---

(۱) شرح نهج البلاغة لابن ابى الحديد ج ۹ ص ۲۸، ۲۹، ج ۲۰ ص ۲۹۹، و الجمل للشيخ المفيد ص ۹۲.

(۲) الغارات ج ۱ ص ۳۰۷.

(۳) مسند احمد بن حنبل ج ۱ ص ۱۰۰.

(۴) مسند احمد بن حنبل ج ۱ ص ۱۰۰.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۵۸

المساعدة، و كان هذا سببا فى لفت الانظار الى مكانته العلمية فى المجتمع الاسلامى و جعل الناس. ينظرون إليه على انه خزانة علوم الاسلام و اسراره المنقذة. و من وجهة النظر السياسية فانّ هناك عددا من الواعين ممن كانوا يعتقدون أن السياسات الجارية لا تصبّ فى مصالح الاسلام اختاروه ليكون مرشّحا للخلافة اضافة الى أن عددا من الشيعة الذين كانوا يرون الارضية مناسبة، قد ضاعفوا من نشاطهم للكشف عن وجه الامام الناصع و راحوا يبذلون جهودا حثيثة و مساعى سياسية متواصلة ليتولّى الامام الحكم، كما أن سائر طبقات الشعب أيضا اعرضوا عن الخليفة الثالث لأنهم كانوا يرون مسيرة الحكم لا تتفق مع آمالهم و اهدافهم من وجهة النظر الدينية و السياسية لذا فانهم أظهروا الحبّ و البيعة و الولاء لامير المؤمنين. و قد ادّت هذه العوامل جميعا الى أن يهجم الناس بعد عثمان على بيت على عليه السّلام ليجلسوه على كرسى الخلافة، و هذه هى المرة الاولى التى يبايع الناس فيها شخصا ثم يتولّى امور الخلافة بصورة رسمية خلافا للمرات السابقة التى كان ينصب فيها الخلفاء اوّلا ثم يدعى الناس لمبايعتهم.

المبادئ و الاصول السياسية للإمام طيلة حكمه

اشارة

انّ من اهم ثمرات حكومة الامام امير المؤمنين- التى دامت خمس سنوات فقط- اتخاذه سياسات كان الامام يهدف من خلالها الى تنظيم امور البلاد و تطبيق الوقائع الاجتماعية المهمة عليها، تلك السياسات الاسلامية التى بنيت على اساس من التعاليم الدينية و القيم الانسانية العامّة، و لم يكن الامام مستعدا للعدول ذرّة عنها. نذكر فيما يلى باختصار نماذج منها:

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۵۹

الف: اصلاح نظام الحكم و تقديمه على الفتوحات:

ان من احدى المبادئ السياسية عند الامام بنحو قابل لأن يعطى انطباعا عاما لجميع مساعى الامام عليه السّلام فى ايام حكومته هى مبادرته لاصلاح الفساد السياسى المتفشى بين المسلمين، و تقديمه على الفتوحات الاسلامية و توسعة المناطق التابعة للدولة الاسلامية. فقد كان الإمام يفضّل أن تبقى الدولة الاسلامية منحصرة ضمن مساحة جغرافية محدودة و لا يسود فى داخلها الفساد السياسى و انما يتولّى مسئولية الحكم على الناس فيها عناصر لا شك فى صلاحيتهم الدينية و السياسية، و لذا فانّ الامام حين عرض عليه جماعة أن يصبر على معاوية و امثاله رفض ذلك و قال: «ما وجدت الّا قتال القوم او الكفر بما جاء به محمّد» «۱».

و قال أيضا: «لم يكن اللّه يرانى اتّخذ المضلّين عضدا» «۲».

و لهذا السبب كفّ يده طيلة مدّة امامته عن الاستمرار فى الفتوحات و حاول تنفيذ سياساته، فعند ما خالفه اشخاص مثل الناكثين هاجر الى العراق، و حصل على عون الكوفيين «۳» و اسرع لقتالهم و تمكّن فى الحرب التى نشبت من قتل قادة الناكثين، و القضاء على

حركة راكبة الجمل التى قادت المعركة. و كان الامام يرى نفسه موظّفا لمقاتلة العناصر الداخلية المخلّة بالامن و النظام و كان يقول: «أمرت بقتال الناكثين و القاسطين و المارقين» «۴».

و ما كان يصبر على معاوية و لم يرض ان يكون حاكما على الشام و لو

---

(۱) الانساب ج ۱ ص ۲۳۶ المحمودى، المعيار و الموازنة ص ۱۳۶، ۵۴، و كتاب الفتوح ج ۲ ص ۲۶۶.

(۲) وقعة صفين ص ۵۲، الطبرى ج ۳ ص ۴۶۰.

(۳) اذ إن الاموال و الرجال بالعراق، الاخبار الطوال ص ۱۵۳، الفتوح ج ۲ ص ۲۶۸.

(۴) الانساب ج ۱ ص ۱۳۸.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۶۰

لساعة واحدة. فلذا بذل قصارى جهده لازالة هذه العقبة عن طريق الاسلام، و هو و إن وفّق الى حدّ كبير فى ذلك لكن الضعف الذى ابداه اهل العراق، و اغترارهم بالشعارات الكاذبة التى اطلقها معاوية افقد الامام القدرة على ازالته.

و طبيعى أن تكون نتيجة هذا الضعف الفكرىّ الذى اوصل القدرة القتالية لجيش الكوفة الى درجة الصفر هو تسلط معاوية على العراق بعد استشهاده. لكنّ سنّة الامام فى الحرب مع القاسطين و الظالمين صارت اصلا دينيّا مسلّما عند جميع المسلمين و اسّست قاعدة فى الاحكام الشرعية فيما يخص حرب البغاة.

و فى قتاله المارقين «۱» عند ما وجد الامام ان جماعة قد خدعتهم التأويلات الخاطئة للآيات القرآنية و انهم سيجرون المجتمع الاسلامى نحو الفساد اقدم لتفريق جمعهم فحطّم قدرتهم العسكرية. و إن ساعد الحكم الجائر لبنى اميّة فيما بعد على انتشار افكار الخوارج المنحرفة مرة اخرى و اتسعت دائرة عملهم السياسى لكنهم لم يقووا على الوقوف بوجه على عليه السّلام فقد قمعوا و دمّروا على يديه.

و كان الامام يسير بسيرته هذه فى جماعة من المسلمين ابتلوا بانحراف فى الدين و وقعوا- عن علم و غير علم- فى حبائل الشيطان و صاروا منافقين، يقول الامام فى هذا الصدد:

«و لكنّا إنمّا اصبحنا نقاتل اخواننا فى الاسلام على ما دخل فيه من الزيغ و الاعوجاج و الشبهة و التأويل» «۲».

لكنّه كان يعتبر الحرب واجبا لاصلاح العناصر المفسدة بين المسلمين التى

---

(۱) مرق عن الدين اى خرج عنه.

(۲) الخطبة ۱۲۰ وفقا لتصنيف نهج البلاغة ص ۵۰۱.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۶۱

تريد انتهاز الفرصة للاستيلاء على الحكم و يقول:

«فانّ رأيى قتال المحلّين حتى القى اللّه، لا يزيدنى كثرة الناس حولى عزة، و لا تفرّقهم عنى وحشة» «۱».

طبيعىّ انه لو كان التصالح مع المعارضين ممكنا و اعلنوا فروض الطاعة للامام و توجيهاته ما خاض الامام حربا ضدهم لكنهم اوجدوا ظروفا لم يكن لدى الامام معها خيار سوى الحرب فقد روى طارق بن شهاب عن الامام قوله:

«و اللّه ما وجدت من القتال بدّا» «۲».

ب- الاستفادة من الاسس الاسلامية و الاخلاقية فى اصلاح الانحرافات:

و كان من جملة السياسات الاصولية للامام انه لم يكن يعتمد على الطرق و الاساليب غير الشرعية فى سياسته. و قد اقترح عليه مرارا ان يوفّر شرفاء القوم ليأمن خطر مخالفتهم و يستمدّ العون منهم لكنّ الامام كان يأبى ذلك «۳». إذ لو كان يريد أن يفعل ذلك لسالم معاوية لكنه كان يردّد هذه الجملة دائما و يعتبرها اصلا مهمّا فى حكمه حيث يقول: «أ تأمرونى أن أطلب النصر بالجور؟» «۴».

لقد كان دأب علىّ عليه السّلام على شرح سياساته للناس لذا فانّه كان يبيّن الخطوط العامّة لسياسته فى خطبه المفصّلة التى كان يلقيها فى الناس طيلة مدّة خلافته. و كان يحاول بذلك أن يكون اقدام الناس عن وعى و اختيار. و كان كلما

---

(۱) الخطبة ۲۷۵ وفقا لتصنيف نهج البلاغة ص ۳۸۸.

(۲) التاريخ الكبير للبخارى ج ۲ ص ۶۷.

(۳) الغارات ج ۱ ص ۴۵.

(۴) الغارات ج ۱ ص ۶۷۵، بهج الصباغة ج ۱۲ ص ۱۹۶.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۶۲

خالفوه فى امر سعى لتوضيحه لهم. فاذا وجدهم لم يقبلوه لم يفرض عليهم مراده و يقول: «ليس لى أن احملكم على ما تكرهون» «۱».

و فى مقام آخر قال بعد أن ذكر محاولاته لاصلاح الامر من طرق مختلفة:

«لا يصلحكم الّا السيف و هيهات ان يكون صلاحكم بفسادى» «۲».

لقد كان الامام ملتزما بهذه الضابطة. و لذا فإنّه حين رأى نفسه بين اصلاح الناس و إفساد نفسه باعتباره قائدا صمّم على ترك الاستفادة من الاساليب الجائرة لاصلاح الناس كيلا يفقد صلاحه. فهو لم يكن يريد أن يستعمل الحيلة و المكر لتحقيق اغراضه السياسية و بذلك يقوّى موقعيّته بين الناس فقد كتب فخرى يقول: «و لم يكن الخدع و الحيل من مذهب علىّ».

لكنّ معاوية لم يكن كذلك، و لذلك اتّهم الامام بضعف الرؤية السياسية و عرف معاوية بقوّتها عنده. و قد قال الامام فى الاشارة الى ذلك:

«و اللّه ما معاوية بادهى منّى لكنّه يغدر و يفجر، و لو لا كراهيّة الغدر لكنت من ادهى الناس» «۳».

و لهذا السبب كان ابن عبّاس يقول: «ما رأيت رئيسا يوزن بعلىّ» «۴».

ج- جميع الجهود لحفظ الاسلام:

انّ من جملة المبادئ السياسية عند الامام سعيه لحفظ الاسلام فاذا اقدم

---

(۱) نهج البلاغة الخطبة ۲۰۸.

(۲) الارشاد ص ۱۳۴ طبع المطبعة الاسلامية.

(۳) الخطبة ۱۹۸ وفقا لتصنيف نهج البلاغة ص ۳۷۹، المعيار و الموازنة ص ۲۶۶، الغارات ج ۱ ص ۲۹۶.

(۴) عيون الاخبار ج ۱ ص ۱۱۰.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۶۳

على امر معيّن فانّه يقدم عليه باعتباره مقدّمة لبقاء الاسلام، فحين وقعت حادثة السقيفة كان الامام يشهد ضياع حقّه، لكنّه اختار السكوت لكيلا يتزعزع ايمان سكّان جزيرة العرب الحديث، و يصاب الاسلام العزيز بالضرر، فقد كتب فى رسالته الى محمّد بن ابى بكر يقول:

«فخشيت إن لم انصر الاسلام و اهله أن أرى فيه ثلما او هدما تكون المصيبة به عليّ اعظم من فوت ولايتكم التى إنّما هى متاع أيام قلائل ...» «۱».

هذا فى الوقت الذى لم يمتنع الامام ابدا عن اعلان احقّيته بالخلافة وحده «۲» و كان كثيرا ما يعدّد فضائل اهل بيت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لينبه الناس على تقدّمهم على غيرهم. و فى نهج البلاغة عبارات و كلمات له فى هذا الصدد تصرّح بذلك بوضوح. هذا مضافا الى مساعى الامام الاخرى لتثبيت اسس امامته الالهية بالطرق و الاساليب المختلفة «۳».

مصير السياسة فى حكومة امير المؤمنين عليه السّلام

لقد كان طيلة مدّة حكومة امير المؤمنين تناقض اساسىّ بين جهاز القيادة السالم الصحيح و بين ما اعتاد عليه الناس و عملوا به.

فمن جهة كان الامام يريد أن يصلح امر المجتمع وفقا للمعايير الشرعية و يحكّم الضوابط الدينية فى العلاقات الاجتماعية بين الناس، و يلزم من ذلك أن يستخدم لهذا الغرض اسلوبه الاسلامى و الاخلاقى الخاص، بأن لا يقدم على امر

---

(۱) الغارات ج ۱ ص ۳۰۷، انساب الاشراف ج ۱ ص ۲۸۱ تحقيق المحمودى، و نهج البلاغة الكتاب ۸۱.

(۲) راجع كتاب نهج البلاغة ص ۴۱۹ الى ۴۲۲، ۴۲۶، ۴۲۷. انساب الاشراف ص ۱۷۷.

(۳) راجع كتاب تاريخ الاسلام السياسى حتى العام ۴۰ الهجرى ص ۴۳۰ الى ۴۳۵.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۶۴

خارج عن حدود الدين- كما ذكر- للوصول الى اهدافه.

و من جهة اخرى فانّ الناس خلال سنين طويلة جعلوا لهم معايير أخرى تكوّنت فى ظلّ مجتمع مرفّه متجه الى احياء القيم الجاهلية و كان تطبيق هذه المعايير معلولا لامرين:

۱- استمرار الفتوحات و زيادة الغنائم.

۲- عدم اعتناء الحكّام بتربية الناس تربية اصيلة.

و خلاصة الامر أن الناس كانوا يريدون شيئا، و الامام يريد شيئا آخر، و هو ما جعل تناقضا بين الارادتين. لذا لم يكن إصلاحهم بغير السيف ممكنا، و لم يكن لعلىّ أن يسوقهم الى الاسلام بغيره فما ذا يتوقع لسياسة كهذه من مصير؟

لقد سعى الامام أن يدلّ الناس على الطريق، و ينزلهم عند حكم العقل، و يرشدهم بإيضاح اسس التقوى الى الهدف المقدس الذى ابتعدوا عنه. لكن نشوب الحروب الداخلية زاد من وطأة الضغط الذى يعانى منه الناس اذ انّ هذه الضغوط ليست لا تتلاءم مع نفسية ذلك المجتمع الميّالة نحو الرخاء فحسب، و انما تنافيها أيضا، لانّ المعارك التى كان الناس يخوضونها ضد المشركين كانت تعود عليهم بالغنائم.

و امّا الحروب الداخلية التى خاضها علىّ ضد الناكثين و القاسطين و المارقين فلا تعود عليهم بشىء و هو ما جعل الناس بل كثيرا من الراغبين ظاهرا فى تطبيق الاسلام عاجزين عن الوفاء بتعهّداتهم، فعدلوا عن مواضعهم و اعلنوا مخالفتهم، و تركوا عليّا عليه السّلام وحده، و لم يثبت معه الّا من كان يعرفه و يعرف طريقه معرفة حقّة.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۶۵

و كان الامام امير المؤمنين عليه السّلام يتوقّع مثل هذا اليوم و لذا كان فى أوّل الامر يأبى أن ينصاع لطلب الناس، و يرفض قبول حكومتهم، لأنه يعلم انهم لا يثبتون على تنفيذ سياساته و اجراء برامجه، اذ كان يقول:

«دعونى و التمسوا غيرى فإنّا مستقبلون امرا له وجوه و ألوان لا تقوم له القلوب، و لا تثبت عليه العقول» «۱».

لكنّه قال فى آخر الامر جملة تؤكّد تحقق توقّعه السابق و تثبت صحة رأيه الأول بعد أن اختبر الناس رأيه حيث قال: «اعلموا أنه قد وقع الامر الذى كنت احذركم إيّاه، و أنّ الفتنة كالنار كلّما اسعرت ازدادت، و إنّما سأمسك هذا الأمر ما أتمسّك فاذا لم اجد بدّا فآخر الدواء الكىّ» «۲».

و كانت عاقبة هذا الحكم على خلاف السنن الجارية فى المجتمعات البشريّة حيث صار الحاكم مظلوما و الرعية ظلمة بدلا من أن يكون هو الظالم و هى المظلومة كما هو المتعارف، و غدا الناس امراء له بدلا من أن يكون هو اميرهم.

و واضح ما ذا يكون عليه مصير حكومة كهذه. قال على عليه السّلام:

«لقد اصبحت الامم تخاف ظلم رعاتها، و اصبحت أخاف ظلم رعيّتى» «۳».

و قد ازدادت حركة الامّة و خروجها من الطاعة الى عدم الطاعة خلال الحروب الداخلية الثلاث شيئا فشيئا. فقد بلغ اقبال الناس و هجومهم عليه فى أول الامر حدّا كاد ان يسحق معه ابناه و يهلكا تحت ضغط الجمع الحاشد حتى

---

(۱) نهج البلاغة، لصبحى الصالح ص ۱۳۶.

(۲) الفتوح لابن اعثم ج ۲ ص ۲۷۲.

(۳) الخطبة ۹۵ من نهج البلاغة، وفقا لتصنيف نهج البلاغة ص ۳۸۲.

اضطر فى نهاية المطاف و اثر المزيد من الاصرار أن يقبل الخلافة معلّلا ذلك بقوله عليه السّلام:

«و لكنّى آسى أن يلى امر هذه الامّة سفهاؤها و فجّارها فيتخذوا مال اللّه دولا و عباده خولا و الصالحين حربا و الفاسقين حزبا» «۱».

و لكن لمّا كان أوّل الناس بيعة له قد اعلن مخالفته قبل غيره و الامر ما زال فى أوّله، فان من الطبيعى أن يلحق به آخرون و يزداد عدد مخالفيه بالتدريج، فقد انقاد الناس فى حرب الجمل للامام، و اطاعوا امره و ان عصاه فى الكوفة ابو موسى الاشعرى و دعا الناس الى القعود، فقعد عن القتال معه بعض ظانا انه بذلك حفظ دينه لكنّه لم ينصر الحقّ طبعا و لذلك نرى الامام يصفهم بدقة بهذا الوصف فيقول:

«خذلوا الحقّ و لم ينصروا الباطل» «۲».

و رغم انّ الناس فى حرب صفين كانوا على اطمئنان كامل بصحّة مسيرهم فى أول الأمر لكنّ ضغط الحرب اضعف عقيدتهم، و لان من عزمهم، و ادّى بهم الى التراجع عن التزاماتهم و تعهّداتهم السابقة و سحقها، عند ما رجّحوا قول معاوية على قول علىّ و اعتبروا معاوية مع القرآن و عاملا به دون علىّ.

و فى المرحلة اللاحقة شكّل المخالفون للامام علىّ عليه السّلام صفّا أمامه حيث أنهم إذا كانوا يرفضون قتال معاوية معه فى صفين، فقد خرجوا عليه هذه المرّة ليخرجوا بذلك عن الدين.

و قد قصرت يد الامام فى الأيام الأخيرة عن القيام باى عمل و عجز حتى

---

(۱) الكتاب ۶۱ من نهج البلاغة.

(۲) تصنيف نهج البلاغة ص ۵۷۱.

عن الدفاع ازاء الهجمات التى كان معاوية يشنّها على المناطق الخاضعة لحكومته، كما ضعف ايمان الناس أيضا حتى لم يعودوا

مستعدين لسماع كلام الامام، بل كانوا يرون انفسهم عاجزين عن الدفاع عن بلاد العراق تحت ضغوط هجمات معاوية.

اما الخوارج هؤلاء المتعصبون الجهلة، فقد كان فهمهم للدين يتّسم بالجمود فلم يكونوا يعرفون الدين و لا يفهمون للمتديّن معنى، و هو ما أدى بهم فى نهاية المطاف الى أن يرتكبوا تلك الجريمة البشعة باراقتهم لدم عليّ هذا المثال الانسانى الكامل الذى ستبقى البشرية عاجزة عن الاتيان بمثله، و بذلك كانت الخاتمة للحياة السياسية لامير المؤمنين.

ان مثل هذه النتيجة- و كما توقّعها الامام- كانت هى المآل الطبيعى لمجتمع خرج عن مساره الاوّل، واضحى اشبه ما يكون ببناء دعائمه منهارة و جدرانه متزلزلة بحيث ان المكث فيه يعد بحكم الانتحار. و رغم ان الامام لم يكن قادرا على التخلى عن الساحة عند هجوم الناس على داره لأن ذلك كان بمثابة الاهمال لارادة الناس و عدم الاهتمام بمطاليبهم، الّا أنه فعل ذلك من اجل أن تبقى تلك التجربة، و ليكون من جانب آخر قد ادى واجبه و مسئوليته فى الامامة. و ان اصراره على عدم الاستجابة لارادة الناس هو اهم دليل لدينا على تكوين مثل هذه الرؤية بشأن حياة الامام فى الحكم.

لقد كانت حصيلة هذه الحكومة هى بلورة المبادئ الاسلامية للسياسة التى ينبغى أن تطبق على المجتمعات البشرية فى المستقبل و عند ما تتاح لها الفرصة المناسبة. و قد كانت فيها- بلا شك- تجارب و دروس ضرورية لتسير على ضوئها الاجيال القادمة و تنأى بنفسها عن حب الدنيا و تلتزم طريق الاستقامة و التقوى و تتمسك بتطبيق الاحكام الالهية. فالخطب البليغة فى وصفه للمفسدين الظالمين

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۶۸

و الخوارج و الناكثين و المارقين، و الكلمات القصار التى تنطوى كل واحدة على عالم واسع من المشاعر و الرؤى و تعتبر باجمعها ارثا ثقافيا و دينيا و سياسيا. و قد تكون هى اهم ثمرة انتجتها خلافة امير المؤمنين التى دامت مدة خمس سنوات.

تحرّك الامام لاحياء الدين

حينما بدأت الفتوحات فى اعقاب وفاة النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، تركّزت مساعى الحكام آنذاك على السيطرة على اكبر مساحة ممكنة من الارض، و توسيع رقعة الدولة الاسلامية. و رغم الجهود التى بذلها المسلمون آنذاك فى سبيل مواجهة الكفر و الشرك، الّا انهم- و لاسباب عديدة- لم يتمكنوا و للأسف من التخلص من منحدر الانحرافات الدينية التى كانت شائعة آنذاك عن جهل أو عن قصد أحيانا. و لقد كانت هذه الانحرافات تتسع يوما بعد آخر، و تهجر سنّة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم الى جانب كتاب اللّه، و يحل محلّها الرأى و البدعة التى اصطلح عليها بالبدعة الحسنة! و لقد بدأ اهتمام الناس يتضاءل بهذه المسألة من اجل الحصول على الغنائم و الوصول الى حالة الرفاه، و بدأت اصوات المعارضة ترتفع فقط، حينما شعروا ان الغنائم الحربية الهائلة توزّع على عائلة خليفة المسلمين عثمان فى غيابهم! و كان من بين الناس اشخاص و اعوان أيضا. و قد بدءوا بالتمرد للتخلص من الظلم و الاستبداد الذى لحقهم من ولاة الخليفة فى الولايات و الامصار المختلفة. و قد انضم اصحاب على عليه السّلام الى هذه الحركة أيضا من اجل تحقيق اهدافهم المتمثلة بتطبيق الاسلام الحقيقى.

و لمّا جلس امير المؤمنين على كرسى الامامة و الخلافة، تركّز جلّ اهتمامه- كما اشير الى ذلك فيما سبق- على اصلاح الفساد الداخلى. و لو صرفنا النظر عن

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۶۹

الاصلاحات السياسية التى نتجت عنها الصراعات المشهورة فى عهد الامام عليه السّلام فإنّه عليه السّلام قد بدأ جهودا حثيثة أيضا فى مجال الاصلاحات الدينية.

و لقد كان من ابرز الانحرافات الدينية هو زوال الرؤية الدينية، و اضمحلال مشاعر التدين بين عامة الناس، الامر الذى ادى بهم الى

السعى لا- من أجل تحقيق اهداف الدين المبين، بل لاجل الحصول على اكبر حصّة ممكنة من بيت المال، و تنظيم شكل و ماهية حياتهم ضمن هذا السياق أيضا.

و لقد صعد الامام من وتيرة خطبه العميقة الجامعة من اجل ازالة الدوافع غير الدينية و قد ركّز فى كلامه و خطبه البليغة المثيرة التى كان يلقيها فى صلاة الجمعة او الموارد الاخرى على التقوى، و يحثّ الناس على ضرورة عدم الانغماس فى الدنيا، و يحذّر طلاب الدنيا و يقرّعهم. و لو ان احدا اراد تدوين ثقافة التقوى لوجد أغنى مفاهيمها و كلماتها فى رحاب نهج البلاغة. صحيح ان النصيحة و الدعوة الى التقوى هى من المستلزمات المعروفة لكل خطبة و هى امر عادى أيضا، الا أن كل هذا التأكيد من قبل الامام عليها، و كل هذه الايضاحات التى اوردها بشأنها، انما يدل على أنه كان يهدف بطرحها الى اصلاح مجتمع ملوّث بالدوافع غير الدينية، و لا يحمل شيئا من همّ الدين، بل همّه الاكبر اكتساب المال و جمع الغنائم و قبض اكبر سهم ممكن من بيت المال.

و بالاضافة الى التقوى، يشتمل نهج البلاغة على قضايا كثيرة، و ذات اهمية بالغة لفهم الدين، و تبيان الكثير من جوانبه، و الخطب التى تتناول معرفة اللّه على درجة كبيرة من السعة، و ذات عمق عقلى و علمى، و هى جميلة و جمالها يشكّل تلك الصورة الرائعة الجذّابة لنهج البلاغة.

و قد سعى الامام عليه السّلام فى شتّى الجوانب الدينية لاحياء القرآن و سنّة رسول

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۷۰

اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و لا جهاض السياسات الفكرية الخاصّة التى ادّت الى ظهور البدع و اندثار السنن الالهية. فحينما قلّ التذاكر بالحديث امر الامام بتذاكره و نقله، و لما كان الآخرون يمنعون من تدوين الحديث لأسباب واهية، كان الامام ينادى من على المنبر: «من يشترى علما بدرهم» «۱». فاشترى حارث الاعور رقعة و كتب عليها؛ قال الامام: «يا أهل الكوفة غلبكم نصف رجل» «۲».

و كذلك كان الحسن بن على يوصى ابناءه بكتابة الحديث حتى و ان مزّق الآخرون ما كانوا قد كتبوه.

و سنشير الى هذه القصة المأساوية فى مكان آخر من الكتاب «۳».

و لهذه الأسباب أيضا تم تناقل الحديث الحقيقى لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم- الذى كان على لسان اهل البيت- بصورة مكتوبة، و بهذه الشاكلة بقيت احاديث الشيعة فى مأمن من التحريف الذى طال احاديث اهل السنة. و حينما تغلغلت ثقافة اهل الكتاب الى المجتمع الاسلامى فى قالب الاسرائيليات و اتبع البعض اساليب خاصّة فى نشرها و الترويج لها، ابرز الامام معارضته الصريحة و راح يحذّر الناس من اتباع ثقافة و تراث اهل الكتاب «۴».

كان الامام يشير الى هذه الانحرافات بصراحة، و يرى فى المجتمع الذى عاصره تجربة عصر الجاهلية تتكرر فيه من جديد.

---

(۱) التراتيب الادارية ج ۲ ص ۲۲.

(۲) تقييد العلم ص ۹۰، ربيع الابرار ج ۳ ص ۲۲۶.

(۳) نشرية نور العلم، الاعداد ۹، ۱۱، ۱۲ من الدورة الثانية.

(۴) التراتيب الادارية، ج ۱ ص ۷۶.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۷۱

«ألا و ان بليّتكم قد عادت كهيئتها يوم بعث اللّه نبيّه» «۱».

و قال أيضا فى موضع آخر: «اعلموا انكم بعد أن هاجرتم عدتم الى روحيتكم البدوية، و بعد أن عقدتم اواصر الولاية بينكم اتبعتم سبيل الفرقة ..

ما تتعلقون من الاسلام الّا باسمه، و ما تعرفون من الاسلام الا رسمه .. الا و قد قطعتم قيد الاسلام، و عطّلتم حدوده و أمتّم أحكامه»

«۲».

و هـذه العبارة تعكس رؤية الامام و نظرته الى ذلك المجتمع، و تبرز العلل التى من اجلها سـعى الامام الى احياء الدين، و التى تحدث الامام نفسه عنها قائلا:

«قد ركزت فيكم راية الايمان، و وقفتكم على حدود الحلال و الحرام» «۳».

و حينما كان ابو ذر تلميذ الرسول صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم و على عليه السّـلام المخلص الذى ما اظلّت السـماء و لا اقلّت الخضراء اصدق لهجة منه، يريد وصف الامام بكلام كان يقول:

«علىّ زرّ الدين» «۴» (اى قوامه).

و كان يقول للناس: «ستكون فتنة فإن ادركتموها فعليكم بكتاب اللّه و علىّ عليه السّلام» «۵».

و التلميـذ الآخر لهـذه المدرسـة- الا و هو عمار بن ياسـر- كان يتحـدث عن النهج الذى سـلكه على عليه السّـلام. واصـفا إيّاه بالعبارة الرائعة التالية:

---

(۱) نهج البلاغة- ص ۵۷.

(۲) شرح نهج البلاغة لابن ابى الحديد: ج ۱۳ ص ۱۷۹.

(۳) نفس المصدر السابق ج ۱ ص ۳۷۳.

(۴) الفائق فى غريب الحديث ج ۲ ص ۱۰۸.

(۵) انساب الاشراف- ج ۱- ص ۱۱۸.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۷۲

«لو لم يعمل عملا و لم يصنع شيئا الّا انه أحيا التكبيرتين عند السجود لكان قد اصاب بذلك فضلا عظيما» «۱».

و هذه العبارة تشـير الى ان اهم الاعمال فى رأى على و اصـحابه هى احياء دين النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم حتى ان عملا كالذى ذكره عمّار صار يعدّ من اعظم الانجازات التى حققها الامام.

و لهذا السبب فقد قال عنه عمر و حسب معرفته به: «انّى لأرى أنّه ان ولّى شيئا من امركم سيحملكم على طريق الحق» «۲».

و مما يؤسف له أن الخليفـة نفسه لم يكن يرضـى أن يعـدّ الارضـية التى تمكن الامام من تطبيق آرائه عمليا. و فى مورد آخر لما اراد الحكم بين على و خصم له، فنادى عليا بكنيته و اعترض الامام عليه على مناداته له بكنيته بحضور خصمه و احترامه بشكل لم يفعله مع خصمه قال عمر للامام: «بأبى بكم هدانا اللّه و بكم اخرجنا من الظلمات الى النور» «۳».

لقـد كان الامام شديدا فى امر الدين، و لم يكن الدافع لذلك سوى حفظ الدين فى المجتمع اذ كان يقول: «و اللّه لا ادهنت فى دينى» «۴».

و عند ما كان اصحاب الامام يريدون وصف على بالشعر كان يقولون عنه:

---

(۱) انساب الاشراف- ج ۱ ص ۱۷۹- ۱۸۰، مصنف ابن ابى شيبة ج ۱ ص ۲۴۰.

(۲) انساب الاشراف- ج ۱ ص ۲۱۴؛ ادب المفرد للبخارى ص ۱۴۹.

(۳) الزمخشرى- ربيع الابرار- ج ۳ ص ۵۹۵.

(۴) نهج السعادة- ج ۲ ص ۲۰۲.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۷۳ اوضحت من ديننا ما كان مشتبهاجزاك ربّك عنّا فيه احسانا «۱»

و الحسن البصرى رغم انه لم يكن يحمل نظرة ايجابية عن الامام، الّا انه لما اراد وصف الامام بجملة قال: «أراهم السبيل و اقام لهم الدين اذا اعوج» «۲».

و هذا يظهر أن اهم الطروحات التى كان يرتئيها انما كانت تتمثل فيما يقوم به من أعمال فى سبيل احياء الدين، و كان يرى واجبه يتجسد فى ابلاغ كامل سنّة النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و لذلك فانه كان ينادى بأعلى صوته: «و اللّه ما أسمعكم الرسول شيئا الّا و ها انا ذا مسمعكموه» «۳».

و كان يرى نفسه منفّذا واعيا و مخلصا لسيرة الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و كان يقول عند رؤيته تمرّد بعض الناس: «لو غبت عنكم من يسير فيكم بهذه السيرة؟» «۴».

و لهذا السبب أيضا كان يؤكد على إيضاح سيرة الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم للناس فى مختلف جوانب الحياة، و كان يطبق ذلك بين الناس باسم السنة «۵».

و صلى ابو موسى خلف الامام على عليه السّلام بعد ۲۵ عاما من وفاة النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فقال: «ذكّرنا ابن ابى طالب صلاة النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم» «۶».

و من خلال امعان النظر فى الشواهد السالفة يمكن ان ندرك جيّدا أن احد

---

(۱) كشف الغمة- ص ۲۵.

(۲) مصنف ابن ابى شيبة ج ۱۲ ص ۸۳.

(۳) نهج البلاغة ص ۱۲۲.

(۴) المصنف لعبد الرزاق ج ۱۰ ص ۱۲۴.

(۵) نهج السعادة ج ۲ ص ۱۰۰.

(۶) البخارى، التاريخ الكبير ج ۴ ص ۳۳.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۷۴

اكثر الاعمال اهمية لدى الامام طوال حياته و التى يمكن اعتبارها سياسة و تعاملا منطقيا مع مسائل الحياة هى حفظ اصول و فروع الدين و جعل كتاب اللّه و سنّة رسوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم المحور الوحيد الذى تدور عليه مساعيه و مساعى عامّة الناس.

البعد العلمى للامام على عليه السّلام

سمعنا كثيرا انه لا يوجد كلام بعد القرآن الكريم و حديث النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، مثل كلام امير المؤمنين. و يمكن معرفة مدى صحة هذا الادّعاء من خلال مراجعة كتاب نهج البلاغة الذى لا يضم الّا بعضا من كلام امير المؤمنين.

فالقضايا التى تناولها الامام فى مجالات معرفة اللّه و معرفة الدين و الشؤون الاجتماعية و السياسية و خاصة فى باب علم الاخلاق؛ تعد كل واحدة منها فريدة فى مجالها و لا نظير لها فى جمالها و روعتها، و يمكن الاستفادة منها فى صياغة اطروحة اساسية لبلورة العقائد الدينية، و رسم الخطوط العريضة فى السياسة الاسلامية، و تنظيم قواعد الاخلاق الدينية.

و قد اكّد صحابة النبى على هذه النقطة خلال حياته و طرحت بصور مختلفة، مثل: «على اعلم الناس بالكتاب و السنّة» «۱».

و قد كان النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يعتمد على علىّ الى حد بعيد بحيث كان يأمره أن يعلّم الوضوء و السنّة «۲».

---

(۱) المعيار و الموازنة ص ۱۰۲ و نقل عن عائشة انها قالت: «على اعلم الناس بالسنّة» البخارى، التاريخ الكبير ج ۲ ص ۲۵۵.

(۲) الطبقات الكبرى. ج ۴ ص ۵۲.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۷۵

و لم يكن قد بلغ مرحلة متقدمة من شبابه حتى ارسله النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لتولّى القضاء فى اليمن. و أكّد احد الصحابة هذه القضية بقوله: «كنا نتحدث ان عليا اقضى اهل المدينة» «۱».

و قال ذلك الصحابى أيضا: «اعلم اهل المدينة بالفرائض على بن ابى طالب» «۲».

و قال الامام على عليه السّلام: «نحن اهل البيت اعلم الناس بما قاله اللّه و رسوله» «۳».

قال: «فما نسيت حديثا او شيئا سمعته من رسول اللّه» «۴».

و كان يقول أيضا: «و اللّه ما نزلت آية الّا و قد علمت فيما نزلت و اين نزلت» «۵».

و كان عبد اللّه بن عباس يقول، و هو ذو المنزلة السامية بين المحدّثين: «اذا حدّثنا ثقة عن على بفتيا لم نعدها» «۶».

و كان الامام يرى نفسه فى درجة من العلم بحيث يقول: «سلونى عن كتاب اللّه فانّه ليس آية الّا و قد عرفت أ بليل نزلت أم بنهار، فى سهل او جبل» «۷».

---

(۱) انساب الاشراف- ج ۱ ص ۹۷. و الاستيعاب- ج ۱ ص ۹- الطبقات. ج ۲ ص ۳۳۸. الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ج۱ ۷۵ البعد العلمى للامام على عليه السلام ..... ص : ۷۴

(۲) انساب الاشراف ج ۱ ص ۱۱۲.

(۳) الطبقات الكبرى ج ۶ ص ۲۴۰.

(۴) انساب الاشراف ج ۱ ص ۱۲۱.

(۵) انساب الاشراف- ج ۱ ص ۹۹، حلية الاولياء- ج ۱ ص ۶۷.

(۶) انساب الاشراف- ج ۱ ص ۹۹.

(۷) انساب الاشراف ج ۱ ص ۹۹.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۷۶

و كذلك كان على يقول: «لو أردت أن اوقر على الفاتحة سبعين بعيرا لفعلت» «۱».

و كان مشهورا بين العلماء منذ القديم بأن أحدا لا يقول: «سلونى قبل أن تفقدونى» غير على عليه السّلام «۲».

و لهذا السبب كان من الطبيعى ان يعتبر الخليفة الثانى و طوال فترة خلافته عليا بمثابة مرجعه العلمى، مع انه لم يستفد من الامام كما ينبغى و هو مما يؤسف له طبعا، فقد كان عمر يقول: «لا ابقانى اللّه لمعضلة ليس بها ابو الحسن» «۳».

و نقل بشكل متواتر عن الخليفة الثانى انه قيل لعمر من اين أعتمر فقال:

«ائت عليا فاسأله» «۴».

بالاضافة الى ذلك، فالامام هو واضع علم النحو و هو من اهم الفروع الأدبية، و هو العلم الذى اصبح فيما بعد من اكثر الجوانب ضرورة لصيانة القرآن من التحريفات النحوية.

و الاقوال التى مرّ ذكرها لا تشكل الّا جزء ضيئلا من الاعترافات التى ذكرت بشأن علم الامام عليه السّلام، و نحن طبعا لسنا بصدد تقصى هذه الاقوال و العبارات هنا لكى نأتى على ذكرها باجمعها. و لو لم تكن اى من الاقوال السابقة موجودة لكان قول رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: «انا مدينة العلم و على بابها» وحده كافيا

---

(۱) التراتيب الادارية. ج ۳ ص ۱۸۳.

(۲) جامع بيان العلم ج ۱ ص ۱۳۷.

(۳) الطبقات: ج ۲ ص ۳۳۹؛ أنساب الاشراف: ج ۱ ص ۱۰۰.

(۴) غريب الحديث ج ۳ ص ۴۰۶.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۷۷

و هى رواية متواترة عند السنّة و الشيعة.

نمط حياة الامام عليه السّلام

من المسلم به ان حياة الامام هى افضل انماط الحياة التى جربتها الانسانية على طوال فترة حياتها و لحد الآن، حياة الانسان الكامل الذى يعتبر اكثر افراد البشرية واقعية و إلهيّة و من الافراد النادرين الذين يليق اطلاق كلمة خليفة اللّه فى الارض عليهم. و هى حياة جذّابة الى ابعد الحدود بحيث صعدت بالمحب الى اقصى درجات المحبّة و اوصلت المبغض الى اقصى درجات البغض. و هى الشخصية التى قال عنها النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: «يا علىّ يهلك فيك رجلان، محبّ مفرط، و رجل مفرّط» «۱».

فمن يتشيّع له يتنامى حبّ التشيّع فى قلبه حتى يبلغ حد الترفّض «۲»، و ان غفل عن نفسه اصبح عرضة لميول المغالاة و قلّما شوهد من نسب إليه الالوهية خلال حياته الّا انّ الامام تعرض لمثل هذه النسبة فى مجتمع تكررت فيه التأكيدات الالهية على الطبيعة البشرية لرسول اللّه، رغم تصدّى الامام العنيف لمثل هذه النسب و الشبهات.

و من المثل السامية فى حياة الامام الزهد الذى طغى على كل حياته، الزهد الذى يعنى الاعراض عن كلّ ما فى العالم فى الوقت الذى يكون مالكا له باسره، الزهد الذى يرجّح القناعة، و يجعل الصبر ذلولا خاضعا له امام المشاكل و الصعاب.

---

(۱) المعيار و الموازنة ص ۲۳ و يقول عليه السلام فى نهج البلاغة: هلك فىّ اثنان محب غال و مبغض قال.

(۲) اذا صار الشخص شيعة يزداد حتى يرفض. ركّ: المعيار و الموازنة ص ۳۳.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۷۸

تحدّث جماعة عند عمر بن عبد العزيز عن الزهّاد، و تساءلوا عن ازهد الناس فعدّ بعض الحاضرين اشخاصا من جملتهم ابو ذر، فقال عمر بن عبد العزيز:

«أزهد الناس على بن ابى طالب عليه السّلام» «۱».

كان الامام يجمع الفقراء حوله و يعاملهم برفق و احسان «۲»، و فى كثير من الاحيان كان يأتى الى الصلاة و يخطب بالناس و لا زال رداءه الوحيد يقطر ماء «۳» و هو على بدنه.

و بينما كان هو على رأس السلطة، و الاموال الطائلة المتأتية من الضرائب المختلفة و خراج الاراضى الشاسعة تتدفق على خزائن بيت المال من كل صوب، كان هو يتناول ابسط الاطعمة، حتى قيل له: «أ بالعراق تصنع هذا؟ العراق اكثر خيرا و طعاما».

الا أن ذلك كان يعدّ من المناقب بالنسبة للامام «۴». اذ كان يقول: «انا الذى اهنت الدنيا» «۵».

و عند ما كان يقسم بيت المال على المسلمين لم يكن يأخذ لنفسه شيئا، و كان يعود الى داره خالى اليدين، حتى ان بعض الناس كان يتردّد هل يعتبره ازهد الناس أم انّه «۶» .. فكان حقا خير مصداق لقوله: «خير القول ما صدّقه العمل» «۷».

---

(۱) المعيار و الموازنة ص ۲۴۰.

(۲) نفس المصدر السابق- ص ۲۴۰.

(۳) نفس المصدر السابق ص ۲۴۱.

(۴) نفس المصدر السابق- ص ۲۴۹.

(۵) حياة الصحابة ج ۲- ص ۳۱۰.

(۶) الغارات- ج ۱ ص ۵۵.

(۷) الغارات- ج ۱ ص ۲۴۹.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۷۹

يقول اسود بن قيس: «كان على عليه السّلام يطعم الناس بالكوفة الخبز و اللحم و كان له طعام على حدة. فقال قائل من الناس لو نظرنا الى طعام امير المؤمنين ما هو؟ فأشرفوا عليه فاذا طعامه ثريده بزيت مكللة بالعجوة، و كان ذلك طعامه، و كانت العجوة تحمل إليه من المدينة» «۸».

و يقول عقبة بن علقمة: «دخلت على علىّ عليه السّلام فاذا بين يديه لبن حامض آذتنى حموضته، و كسر يابسة، فقلت: يا امير المؤمنين أ تأكل مثل هذا؟

فقال لى: يا ابا الجنوب رأيت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يأكل أيبس من هذا و يلبس اخشن من هذا، (و اشار الى ثيابه) فان أنا لم آخذ بما اخذ به خفت ان لا الحق به» «۹».

و جاء عن عدى بن ثابت انّه قال: «اتى على عليه السّلام بفالوذج فأبى أن يأكله» «۱۰».

و اورد ابو إسحاق الثقفى صفحات كثيرة من كتاب الغارات خصّصها لذكر الامثلة الدالة على زهد علىّ فى الملبس و المأكل و التعامل مع بيت المال و عدم الاسراف فى القضايا الاقتصادية و رعايته لحدود اللّه بدقّة.

لقد كانت شخصية الامام من السمو و الرفعة حتى ان معاوية كان يثنى عليه أيضا فى مجالسه الخاصّة «۱۱».

---

(۸) انساب الاشراف ج ۲ ص ۱۸۷- ر. ك الغارات ج ۱ ص ۸۵- ۸۷- ۸۸.

(۹) الغارات- ج ۱ ص ۸۵.

(۱۰) الغارات- ج ۱ ص ۸۸.

(۱۱) ابن عدى- الكامل فى ضعفاء الرجال- ج ۵ ص ۲۴- ۱۸.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۸۰

يقول ابو سعيد الخدرى: «حضر الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم جنازة احد الانصار، و قال:

هل عليه دين؟ قالوا: بلى: فرجع الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم. فقال له على عليه السّلام: انا اضمن دينه، فقال له النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: فك اللّه رقبتك كما فككت عن اخيك المسلم» «۱».

أجل هكذا كان علىّ يتصرف فى ماله الخاص، و لم يكن مستعدا لاعطاء اقل مبلغ لاقرب شيعته ما لم يكن له بحق «۲».

---

(۱) الزمخشرى، ربيع الابرار ج ۲ ص ۶۱۹.

(۲) ربيع الابرار ج ۳ ص ۷۷.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۸۱

الامام الحسن عليه السّلام

اشارة

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۸۳

قيل للحسن بن على: «فيك عظمة. قال: لا بل عزة قال اللّه تعالى: وَ لِلَّهِ الْعِزَّةُ وَ لِرَسُولِهِ وَ لِلْمُؤْمِنِينَ» «۱» و يدور الحديث عن مظلوم آخر من اهل بيت النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و هو المظلوم الذى طالما تعرض الى ظلم التاريخ و عدم دقته، اذ بقيت الخطوط العامّة لسياسته فى فترة حكومته القصيرة و استشهاده محاطة بهالة من الغموض و الابهام نتيجة للدعايات المغرضة التى اشاعها الحكام الامويون اعداء الانسانية و الاسلام و دسائس علماء السوء المأجورين او المغفلين.

ففى رواية ان امير المؤمنين عليه السّلام اراد فى يوم ولادة الحسن عليه السّلام ان يسميه (حربا) لكن النبى عارضه و قال: ما شأنه و الحرب؟ هو حسن» «۲».

---

(۱) ربيع الابرار ج ۳ ص ۱۷۷.

(۲) ابن سعد- الطبقات الكبرى، ترجمة الحسن بن على. تراثنا العدد ۱۱ ص ۱۲۸.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۸۴

ان استعمال مثل هذا التعبير قد يعرض شخصية على عليه السّلام للاستفسار من عدّة جوانب و من جملة ذلك انه:

لم يكن مقاتلا شجاعا بل كانت طبيعته ممتزجة بحب الحرب، و كان مبدئيا ذا شخصية ميّالة للعنف و تتّسم بحب المخاطرة (كما نقل هذا الرأى عن الجاحظ).

انه لمن السذاجة حقّا ان نتصور ان الامام كانت له حقيقة مثل هذه الشخصية لأن عطفه و انسانيته التى اعطت لتاريخ البشرية جمالا خاصا لا تنسجم مع مثل هذه الاوصاف السقيمة حيث كان فى ميدان الوغى محاربا شجاعا لكنّه كان شديد التسامح و العفو مع عدوّه المهزوم، و يجلب للارامل و اليتامى الطعام و يشاطرهم الحزن و يحمل همّهم و ... و هذا من عجائب الخلق ان تجتمع فى شخص واحد مثل هذه الصفات المتضادة و لا تتغلب على شخصيته صفة واحدة منها (فالجاحظ) و امثاله لم يتمكنوا من التخلّص من تأثير وجهة النظر التى وضعها بنو أميّة امام انظارهم، و لذلك لم يستطيعوا تقديم وصف صحيح عن شخصية كشخصية امير المؤمنين، خاصة و انهم قالوا انه تمسك بنفس الموقف ازاء تسمية الامام الحسين عليه السّلام.

تربّى الحسن فى حجر رسول عظيم كرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و اب و أم كعلى عليه السّلام و الزهراء عليها السّلام و كان النبى يعتبره و اخاه الحسين كأبنائه و كان يؤكد على ذلك ايما تأكيد، و يتحدث عنه بمنتهى الصراحة بحيث لا يبقى هنالك اىّ مجال امام الدعايات «۱» المضادّة لأهل البيت التى يبثّها و يروّجها ادعياء الخلافة كبنى امية و بنى العباس و لكى لا يتمكن محترفو السياسة هؤلاء من المساس او الاساءة الى

---

(۱) العلّامة السيد جعفر مرتضى العاملى، الحياة السياسية للامام الحسن، ص ۲۷ و ما بعدها.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۸۵

اسمى و اقوى الوشائج الروحية و النسبية التى تربط بين امير المؤمنين عليه السّلام و الحسنين عليهما السّلام برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و لكى لا يتمكن امثال هؤلاء من اخراج محبّة اهل البيت من قلوب الناس. فحضوره و اخوه الحسين فى المباهلة و استعمال كلمة (ابناءنا) «۱» بشأنهما يعتبر وثيقة فخر و اعتزاز اخرى لهما، و شهادة تعكس قداستهما الذاتية.

و نزول آية التطهير بشأنهم- النبى و على و فاطمة و الحسن و الحسين- تأكيدا آخر يثبت نفس تلك الحقيقة و يؤكدها، كما كان

الامام يؤكدها أيضا «۲».

و اما من حيث الشكل فانه كما ذكر انس بن مالك، لم يكن أحد من اهل البيت اشبه منه برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم «۳».

و قد استخدم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم الطف و ارق التعابير فى مدحه، و كان يحبه الى درجة كبيرة حتى ان اعداء اهل البيت كانوا اذا تذكّروا معاملة رسول اللّه له تملّكهم احترام عميق له و بان عليهم الخضوع امامه.

يقول عمير بن إسحاق: «رأيت أبا هريرة التقى بالحسن بن على عليه السّلام فقال له: اكشف لى بطنك حتى أقبّل حيث رأيت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يقبّل منه، قال:

فكشف عن بطنه فقبّله» «۴».

هذا السلوك من ابى هريرة و امثاله لا يعتبر امرا غريبا اذا اخذنا بنظر

---

(۱) آل عمران: ۶۱.

(۲) ابن سعد- الطبقات ص ۱۶۷؛ الاربلى- كشف الغمة ج ۱ ص ۵۳۸.

(۳) تاريخ ابى زرعة الدمشقى، ج ۲ ص ۵۸۷.

(۴) مسند احمد- ج ۲ ص ۴۲۷ و ۴۴۸؛ و الطبرانى فى المعجم الكبير ج ۳ ص ۱۹ رقم ۲۶۹۰.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۸۶

الاعتبار الحب الذى كان يبديه له النبى.

فقد قال عنه النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: «لو كان العقل رجلا لكان الحسن» «۱».

و لم يكن تكريم الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لهذين الأخوين ناتجا عن القرابة النسبية، بل ان احترام النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و مداراته للحسن على اعين الناس من على المنبر و فى وسط الصلاة (عند ما كان الحسن فى دور الطفولة صعد على ظهر النبى اثناء الصلاة و هو فى حالة السجود فصبر النبى حتى نزل من على ظهره من تلقاء ذاته) كان له هدف خاص، هو اثبات احقية الحسن و اهل بيته فى خلافة النبى و قيادة الامة الاسلامية من بعده.

و لما كان الامام الحسن عليه السّلام يخطب من على المنبر بعد استشهاد امير المؤمنين عليه السّلام و كان بحاجة الى محفّز يحثّ الناس على بيعته، قام رجل من قبيلة الازد و صاح: «رأيت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم واضعا الحسن فى حبوته و هو يقول: من أحبّنى فليحبّه و ليبلغ الشاهد منكم الغائب و لو لا عزمة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ما حدّثت احدا شيئا ثم قعد» «۲».

من المؤكد أن هذا الحديث كان احد الدوافع وراء مبايعته الّا ان الناس قد قصّروا فيما بعد فى الدفاع عنه لأسباب سنشير إليها فى محلّها «۳».

و بغض النظر عن محبّة امير المؤمنين عليه السّلام للامام المجتبى باعتباره ولده، فهو

---

(۱) فرائد السمطين- ج ۲ ص ۶۸.

(۲) البخارى- التاريخ الكبير ج ۳ ص ۴۲۸، مسند احمد بن حنبل ج ۵ ص ۳۶۶.

(۳) الروايات الواردة فى فضله كثيرة و لا داعى لذكرها هنا بأجمعها، يمكن مراجعتها لمن يشاء فى مظانّها.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۸۷

كان ينظر إليه و الى اخيه على أن فى بقائهما امتدادا لنسل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، فلم يكن يسمح فى الحروب بأن يتعرضا لظرف يهدد حياتهما بالخطر، فى وقت كان هو يخوض الحرب فى قلب جيش العدو «۱».

المشاركة فى حروب الجمل و صفين و النهروان

من المشاهد المهمّة التى اقترنت بالظهور السياسى للامام فى المجتمع هى مشاركته الفعّالة فى حرب الناكثين. فقد بعثه امير المؤمنين عليه السّلام كممثل عنه الى الكوفة «۲» لكى يعلم الناس هناك بخروج الناكثين على حكومة الحق و يدعوهم للمشاركة الفعّالة فى تصدى امير المؤمنين لاصحاب الجمل. و أوّل ما قام به الامام انه عزل ابا موسى الاشعرى الذى كان يثبط الناس عن قبول دعوة امير المؤمنين عليه السّلام بحجّة حقن الدماء. ثم القى عليه السّلام خطبة مثيرة اجّجت مشاعر الناس فحشد عشرة آلاف رجل من اهالى الكوفة للمشاركة فى الحرب.

و فى صفين كان الامام الحسن عليه السّلام أيضا احد المقاتلين الذين ابدوا نشاطا منقطع النظير فى إثارة الناس ضد القاسطين. فقد خطب مرّة بجيش الكوفة يحثّهم على الحرب و الثبات فيها حيث قال فيها:

«فاحتشدوا فى قتال عدوّكم معاوية و جنوده فانّه قد حضر، و لا تخاذلوا فإن الخذلان يقطّع نياط القلوب» «۳».

و رغم هذه المواقف الصريحة من قبل الامام فى مقابل عثمانيى الجمل و صفّين

---

(۱) ر. ك. ربيع الابرار ج ۳ ص ۵۳۷.

(۲) نصر بن مزاحم-، وقعة صفّين ص ۱۵.

(۳) نصر بن مزاحم- وقعة صفين- ص ۱۱۴.

فان المؤرّخين و المحقّقين الذين سعوا فى جعل الأب و الابن بمواجهة بعضهما الآخر و تشوية موقف احدهما من خلال التشكيك بموقف الآخر، حيث سعوا الى اظهار سياسة الامام و كأنها معارضة للسياسة التى كان ينتهجها الأب، و ذلك لاظهار الابن شخصية ضعيفة من جهة، و الادعاء بأن الأب شخص سفّاح مثير للحروب من جهة اخرى. فزعموا انّه أتهم اباه بالاشتراك فى قتل عثمان «۱»، فى حين أن جميع الشواهد التاريخية تصرح بان الامام الحسن عليه السّلام أخذ الماء الى عثمان بامر من ابيه، و انه قد ذهب برفقة اخيه الحسين عليه السّلام و عدد من ابناء كبار الصحابة لحماية عثمان و الوقوف امام داره لمنع الناس من الهجوم عليها- كما كتبوا ذلك هم انفسهم- و ان أباه عاتبه لعدم تمكنه من منع ازدحام الناس الذى نتج عنه مقتل عثمان.

ان التلاعب فى تاريخ مثل هذه الشخصيات- الناشئ من الثقافة الاموية الجاهلية- قد استغل هنا فى قضية الصلح مع معاوية، اذ حاولوا و من خلال نقل جمل كاذبة و تعمّد الكثير من التحريف و التزوير، و الاستفادة من ذلك فى سياق نفس التحليل الذى مر ذكره.

و سنشير خلال هذا البحث الى ذلك الصلح المفروض و مظلومية الامام فيه.

كما انهم استندوا الى مجموعة من الجمل و الاقوال التى نسبوها الى النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم مثل: «الحسن منى و الحسين من على» «۲» وسعوا من خلالها الى وضع الامام الحسن عليه السّلام الى جانب النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و وضع الحسين عليه السّلام- الذى وقف بوجه حكومة يزيد الاموية و صنع ملحمة كربلاء الخالدة- الى جانب الامام على عليه السّلام الذى واجه مجرما كبيرا فى تاريخ الانسانية، هو معاوية. و بهذا يلوّحون الى ان

---

(۱) ر. ك. البلاذرى، انساب الاشراف ج ۲ ص ۱۲ تحقيق المحمودى، طبعة بيروت.

(۲) ذخائر العقبى ص ۱۳۲.

الخط السياسى للنبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يختلف- بل قد يتعارض- مع الخط السياسى الذى سار عليه على عليه السّلام! و كتبوا أيضا: ان الامام الحسين قال لأخيه: «يا ليت قلبى كان لك و لسانك لى» «۱».

و لا بد أن القارئ الكريم يدرك ان هذه الجملة أيضا تظهر بعدا آخر من النظرة المنحرفة عن الامام الحسن عليه السّلام.

و سنرى من خلال مواصلة البحث بأن الابن كان فى نفس المسار الذى انتهجه الأب، و لكنه اضطر- لنفس الاسباب التى جعلت الأب فى السنة الاخيرة من حكومته يشاهد تجاوزات معاوية على العراق و الحجاز و اليمن و لا يبدى اىّ رد فعل تجاهها- الى الكف عن المطالبة بالحكم و التوجّه الى المدينة وحيدا.

و من جهة اخرى كان من الضرورى اعطاء فرصة لمعاوية الذى حصل على بعض الوجاهة نتيجة الدعاية و الضجة المفتعلة التى اثارها اعداء امير المؤمنين عليه السّلام لكى يتولى زمام الامور كحاكم بلا منازع و ليكشف بعد ذلك القناع عن وجهه الاموىّ الكريه، و يعلم المسلمون مدى خطورة هذا العدو الذى يتباكى على الاسلام و يتظاهر بالحرص على ادارة البلاد و راحة العباد، و انه لا يقل خطورة عن شخصية ابى سفيان الذى كان يشكّل عائقا امام انتشار الاسلام و اقامة دولته، و الاحداث المؤلمة التى احدثها للاسلام و المسلمين مثل بدر و احد و ...

مسئولية الامامة

استشهد امير المؤمنين عليه السّلام فى وقت كانت تمر فيه الكوفة باصعب الظروف.

---

(۱) الاربلى، كشف الغمّة، ج ۲ ص ۲۴۳.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۹۰

فرغم ان اهل الكوفة انتصروا على اهل البصرة بعد منافسة طويلة فيما بينهما، الا انه لم يمض وقت طويل حتى تعرضوا للهزيمة و المهانة فى صفين رغم ما ابدوه من شجاعة فائقة، و لم يكن بينهم و بين النصر آنذاك سوى خطوة واحدة و لكنهم اغتروا بخدعة العدو. فكانت الهزيمة امام اهل الشام و هى البلاد التى بقيت خصما منافسا للكوفة مدة ليست بالقصيرة. فبعد أن كانت الكوفة تحارب الشام و على رأسها معاوية (رمز الجاهلية) من اجل الاسلام الحقيقى و تطبيقه اصبحت بعد مدة تقبل وجودها بل و تتقبل تفوّقها أيضا و ذلك بسبب الضعف الذى اصابها.

و كانت تلك بداية لمرحلة جديدة، فقد ظهرت نتيجة الضغط النفسى و الشعور بالحقارة عند اهل الكوفة فرقة منحرفة و معاندة تدعى بالخوارج، و هم الذين اصروا على الامام بوجوب قبول التحكيم الذى اقترحه معاوية، الا أنهم عند ما رأوا انعكاسات عملهم، جعلوا امير المؤمنين عرضة للانتقادات و الاعتراضات و التهم الغادرة، فكانت النتيجة ان واجه بعضهم بعضا و تقاتلوا بكلّ ما لديهم من اسلحة، و بهذا نزلت ضربة أخرى اخلّت بالانسجام الذى كان يسود الكوفة.

و فى مثل هذه الظروف فقدت الكوفة قدرتها تماما على الاستمرار فى الصراع، و كلما ألحّ عليهم امير المؤمنين عليه السّلام بضرورة التهيؤ لمقاتلة معاوية و اجتثاث هذه الغدّة السرطانية من جسد الاسلام المقدّس، لم تظهر منهم اية رغبة بل لم يكونوا مستعدّين للدفاع حتى عن العراق أيضا. فقد كان ولاة معاوية و قادة جيشه يغيرون على العراق باستمرار، لكن اهل الكوفة لم يكونوا يبدون اى رد فعل بازاء ذلك. فلا نصائح الامام و لا تقريعه اثّر فيهم و أعادهم الى رشدهم، لأن تراخى اهل الكوفة و سذاجتهم هو الذى اوصلهم الى هذه الدرجة من الضعف

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۹۱

و الانهيار النفسى و شلّهم عن القيام بأىّ عمل.

و فى مثل هذه الظروف المريرة فى الكوفة استشهد الامام. و رغم ان مظلومية هذا الاستشهاد قد اثار عاصفة فى المجتمع. الا أن الكوفة و بسبب اختلاف و لا ابالية اهلها لم تتأثر كثيرا بتلك العاصفة. و صار معاوية و جيش الشام كالكابوس الذى سلب من اهل العراق قلوبهم و عقولهم، حتى انّ الجسد الطاهر لأمير المؤمنين عليه السّلام دفن سرا، و ظل مكان دفنه مخفيا عن الجميع الى أن كشف أئمة الشيعة عنه، و دلّوا الناس عليه.

لقد اثارت تلك المظلومية موجة بين اهل الكوفة، فالعراق و ان اصبح فى حالة شديدة من الضعف الّا انه لم يخضع لسلطة الشام بهذه البساطة، و كان يعتبر ذلك عارا عليه لا يمكنه الرضوخ له بسهولة. لذا فانهم اجتمعوا و شكلوا قوّة لفتت الانظار إليها، ثم راح اهل الكوفة يبحثون عن قائد يبايعونه حتى ينفّذ البرامج التى استنّها امير المؤمنين عليه السّلام، و ينتهج نفس السياسة التى كان قد ابتدأها. و لم يكن من احد يمتلك مؤهلات مواصلة هذا الطريق سوى ابن الامام على عليه السّلام، فبايعوه و اشترطوا البيعة له بمواصلة الحرب ضد معاوية. و حيث أن الامام كان قد جرّبهم فى السابق فقد قبل البيعة بشرط ان يعمل بما يرى فيه الصلاح، و ان لا يرفع احد عقيرته بالاعتراض حتى و ان اضطرته الظروف لقبول الصلح مع معاوية.

و فى هذه المرّة أيضا اتخذ اهل العراق قرارهم بحزم و جدّ فى الوهلة الاولى و لكنهم سرعان ما تراجعوا عن قرارهم كما هو شأنهم دائما و تقبلوا و بكل بساطة ذلك العار الذى أبوا قبوله.

و لو تقدّمنا قليلا الى الامام لرأينا أن مبايعة الامام قد تمّت بسبب ما للناس من معرفة به فى قيادة المجتمع، و فضلا عن ذلك فالدافع الاساسى الكامن وراء

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۹۲

تلك البيعة هو التأكيدات المتكررة من قبل الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و الامام على عليه السّلام بشأن امامته و جدارته بالقيادة.

فقد كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال عنه و عن اخيه: «الحسن و الحسين إمامان قاما أو قعدا» «۱».

و امير المؤمنين عليه السّلام عيّنه خليفة له من بعده، كما قال هو فى رسالة بعثها الى معاوية: «فان امير المؤمنين عليه السّلام نزل به الموت و ولانى هذا الأمر من بعده» «۲».

و لما دعا عبد اللّه بن عباس الناس الى مبايعته قال: «هذا ابن بنت نبيّكم و وصى امامكم فبايعوه» «۳».

و استند جماعة من وجهاء الكوفة عند ارادة مبايعته الى كونه وصىّ ابيه و خليفته و قالوا له: «أنت خليفة أبيك و وصيّه، و نحن السامعون المطيعون» «۴».

الاقوال المذكورة فيما سبق هى مجرد أمثلة للشواهد التى تدل على أنّ امامة الحسن انما كانت من قبل ابيه و اعتباره وصيّا له «۵».

و منذ اليوم التالى للبيعة، باشر الامام مهمته الاساسية فى اعداد الناس لمواجهة القاسطين.

---

(۱) الأربلى، كشف الغمة ج ۲ ص ۱۵۹، الشيخ المفيد، الارشاد ص ۲۱۰.

(۲) الاصفهانى مقاتل الطالبيين ص ۵۵. المسعودى مروج الذهب ج ۲ ص ۴۲۲.

(۳) الاصفهانى، مقاتل الطالبيين ص ۳۴، الطبرسى اعلام الورى ص ۲۰۹.

(۴) العلّامة المجلسى، بحار الانوار ج ۴۴ ص ۴۳.

(۵) انظر كتاب (الحياة السياسية للامام الحسن) تاليف السيّد جعفر مرتضى العاملى ص ۴۷ و ما بعدها.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۹۳

رغبة الامام القاطعة فى محاربة معاوية رغم الموقف الضعيف لاهل العراق

كانت اهم قضية بالنسبة للامام و اهل العراق هى الموقف ازاء معاوية و محاربته. فانفصال الاقاليم الاسلامية عن بعضها لم يكن له مفهوم آنذاك، و وحدة الاراضى الاسلامية كان امرا مسلما به فى رأى كل مسلم. فلم يكن بامكان العراق الانفصال عن الشام، و لا الشام عن العراق أو مصر و الحجاز، لذا كان من المحتّم حل مسألة الحاكمية المطلقة على البلدان الاسلامية.

فمن الناحية الدينية، كان معاوية فى نظر الامام و شيعته عنصرا فاسدا تجب ازاحته عن سدّة الحكم، و هو العمل الذى كان يعتبره امير المؤمنين عليه السّلام اهم واجب امامه منذ توليه لزمام امور المسلمين حيث جعله فى رأس قائمة برامجه. فقد كان الامام على عليه السّلام يخيّر المسلمين ما بين محاربة معاوية او الكفر بما انزل اللّه. و لا بد ان تكون هذه السياسة مثالا يحتذى به بالنسبة لابنه و شيعته أيضا، و مثل هذا التكليف انما يجب على الامام انجازه فيما لو كانت لديه القدرة و الظروف المناسبة للقيام به.

و من ناحية الخلافة فان المهاجرين و الانصار- من وجهة العرف السياسى المقبول يومذاك- هم الذين كان عليهم ان يعيّنوا الخليفة. و قد صوّتوا لعلىّ عليه السّلام.

و كان اكثر الانصار و جماعة من المهاجرين قد بايعوا الامام الحسن عليه السّلام الذى كان وقتها فى الكوفة. لذا كان معاوية يعتبر من الناحية العملية باغيا. و اما من ناحية المفاهيم و المعايير السائدة و المقبولة آنذاك لم تكن فى يده أية ورقة رابحة لذا كان ينبغى تحديد مصيره.

اضافة الى ذلك، فان اهل العراق كانوا على علم بان معاوية بصدد الهيمنة على منصب الخلافة و ان الاحوال و الاوضاع السائدة حينها لم تكن فى صالحه،

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۹۴

و كان يحتّم عليه القيام بعدّة خطوات فى هذا المجال. و تصور مثل هذا الأمر كان مرفوضا بشدة من قبل اهل العراق، و لا ريب ان انتصار اهل الشام على الكوفة كان يعد هزيمة بالنسبة لاهل الكوفة، بل و يعنى تعرّضهم للانتقام على يد اهل الشام.

و مثل هذه الامور ادّت الى ان تنعقد حكومة الامام الحسن عليه السّلام و منذ يومها الأول على موضوع الحرب لا سيما و ان بعض الذين بايعوه كانوا من الخوارج و كانوا يصرّون بشدة على الحرب، و يقولون بوجود علاقة لا تقبل الانفصام بين الحكومة و الحرب.

و رغم أن الامور كانت تسير على ما ينبغى حسب الظاهر، الّا أن باطن المجتمع- و للاسف- كان يعانى من متاعب خاصة ترافقها ميول انحرافية فى الأبعاد الفكرية و الاجتماعية. و لهذا السبب لم يكن يمتلك القدرة الكافية لاتّخاذ قرار حاسم بشأن الحرب. فقد كان هذا الظاهر و الباطن المتناقض يسير فى اتّجاه معاكس لبعضه الآخر اذ بنفس السرعة التى بويع فيها الامام الحسن عليه السّلام تمت مبايعة معاوية أيضا بسرعة اكبر و على نطاق أوسع.

و منذ الوهلة الاولى لمباشرة الامام الحسن عليه السّلام لمهام حكومته، و رغم معرفته التامة لطبيعة و ماهية معاوية، الّا انه بدأ يتعامل مع الامور بما يتطابق و سياسته الدينية فابتدأه بدعوته إياه للكفّ عن التجاوز و العدوان و اعلان الطاعة لحكومته الشرعية.

و اشار الامام فى نفس تلك الرسالة الى اختلاف الامّة حول مسألة الامامة بعد رحلة النبى الكريم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و انه هو و شيعته يعتبرون الحكومات السابقة غير شرعية و ان مثل هذا المنصب حق محصور باهل بيت النبى، و انهم انما سكتوا عن

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۹۵

هذا الامر فلمصالح خاصّة، و ان عمل معاوية هذا لا يعدو ان يكون تجاوزا على الحق البديهى لاهل البيت و بعد اظهار العجب من هذا التجاوز طلب إليه اعلان البيعة و هدّده ان هو لم يبايع و لم يدخل فى الطاعة فانه سيتوجه إليه و يقاتله بكل ما لديه من امكانيات.

و كتب معاوية ردا على رسالة الإمام، و استند فى رسالته الى آرائه الجاهلية و تعلل فيها بكبر سنّه و انه ادق رؤية من الامام الحسن فى

المسائل السياسية و دعاه الى بيعته و اضاف فى ختام رسالته: «إنّ امرى و امرك شبيه بامر ابى بكر و أمركم بعد وفاة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم» «۱».

و كان من الطبيعى أن لا ينتهى مثل هذا الاختلاف المتجذّر بمثل هذا الاسلوب بل كان لا بد من مواجهة حاسمة تتقرر على ضوئها الامور فى ساحة الوغى. لذلك باشر الامام الحسن عليه السّلام بعزم راسخ باستجماع و تحشيد قواه لمواجهة القاسطين. و كتب معاوية الى عمّاله فى الولايات و طلب فيها منهم تزويده بالمقاتلين لكى يستغل الاوضاع المضطربة فى العراق و يهجم على الكوفة و يسيطر عليها و يسقط حكومة الامام الحسن عليه السّلام. و كان لدى معاوية فئة كبيرة و منظمة من العيون و الجواسيس موزّعة فى جميع ارجاء البلاد الاسلامية، و كان يحصل من خلال هذه الشبكة قطعا على المعلومات و الاخبار الدقيقة عن اوضاع العراق.

حركة اهل العراق البطيئة المحاربة القاسطين:

انّ اهل الكوفة و ان بايعوا الامام الحسن عليه السّلام بعيد استشهاد الامام على عليه السّلام

---

(۱) البلاذرى، انساب الاشراف ج ۲ ص ۳۱ طبعة المحمودى.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۹۶

و اضطراب الاوضاع فى تلك الأيام خوفا من هجوم جيش الشام، لكنهم صنعوا به ما صنعوه من قبل بالامام على عليه السّلام حيث التزموا الجلوس فى بيوتهم رغم تحذيراته المتكررة و تقريعه المتوالى لهم، و لم يبدر منهم اى رد فعل مناسب. فعند ما دعاهم الامام الحسن عليه السّلام للاستعداد لمحاربة معاوية لم يلبّ احد نداءه «۱» حتى توجّه عدى ابن حاتم الى المعسكر بمفرده فاضطرت جماعة من قبيلة طى، و القبائل الاخرى الى اللحاق به.

ثم بعد العملية الاعلامية الواسعة و الخطب المتكررة التى اوردها الامام، و بعد ذهابه الى النخيلة و رؤيته تقاعس اهل الكوفة، و بعد عودته الى الكوفة اجتمع إليه ما يقارب ۱۲ ألف رجل فى معسكر النخيلة فقط «۲».

و قد كتب بعض المؤرخين: «بعد استشهاد امير المؤمنين عليه السّلام بايعه اربعون الف رجل على محاربة معاوية، فاشتبه البعض الآخر عند ما تصوّر ان هذا الرقم يمثل عدد المقاتلين الذين احتشدوا فى معسكر النخيلة» «۳».

و الواقع هو ان هذا النقل مبالغ فيه و لا يمتاز بكثير من الصحة و الدقّة.

يكفينا هنا القاء نظرة سريعة على كلمات الامام عليه السّلام و تقريعه المتكرر لاهل الكوفة و تأكيده على وجوب التحشد من جديد، و الهجوم على الشام لانهاء فتنة معاوية. لنرى كيف أنهم واجهوا هذه القضية المصيرية بعدم الاكتراث، و تجنّبوا تلبية نداء الامام، و لم يبدوا اى موقف ايجابى ملموس. و اذا افترضنا صحّة ذلك

---

(۱) ابو الفرج الاصفهانى- مقاتل الطالبيين- ص ۳۹.

(۲) اليعقوبى- تاريخ ج ۲ ص ۲۱۴. الاصفهانى- مقاتل الطالبيين ص ۴۰. ابن عساكر- تاريخ دمشق ص ۱۷۶.

(۳) الطبرى- تاريخ- ج ۲ ص ۹۴. ابن الاثير ج ۲ ص ۶۱.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۹۷

أيضا فلا يوجد دليل على حضور مثل هذا العدد الى جانب الامام المجتبى، لا سيما و ان المؤرخين قد اشاروا الى أن ۱۲ ألف رجل حضروا هناك.

و اختار الامام عبيد اللّه بن عباس لقيادة الجيش، و قيس بن سعد بن عبادة كمعاون له و ارسله لمقاتلة ما يربو على ۶۰ ألف مقاتل من

جيش الشام، و اقام هو فى المدائن ليحشد اعدادا اخرى من المقاتلين.

و بما ان الامام و جيشه كانوا فى معزل عن بعضهما؛ فقد تمكن معاوية من بث الاشاعات المضلّلة فى كل منهما و جعل احدهما يسىء الظن بالآخر. فقد اشيع بين جيش الامام ان الامام قد تصالح، و فى خضم احتدام مثل هذه الاقاويل و الاشاعات دعا معاوية قادة جيش الامام للالتحاق به و استلام جائزة قدرها الف درهم «۱».

فاضطرب جيش الامام لهذه الاشاعة و لا سيما مع وجود الظروف النفسية السيئة التى كان يعانى منها، و انعدام الدوافع المحفزّة على القتال لديه، فانحدر صوب معاوية. و بقى فقط اربعة آلاف رجل الى جانب قيس بن سعد و ثبتوا فى وجه معاوية.

و فى هذه المرّة حاول معاوية خداعه، لكن قيسا كان اكثر وعيا من ان يخدع بمثل هذه الاشاعات أو ينهار امام مثل هذه الاغراءات التى عرضها عليه معاوية.

و إضافة الى التأثير الكبير الذى تركه هروب جيش الامام صوب معاوية فان رسله الذين تشرفوا بمقابلة الامام فى المدائن و طلبوا منه الاستجابة للصلح و واجههم بالرفض قد اشاعوا- فى طريق عودتهم- بين الناس بأن الامام قد قبل

---

(۱) الشيخ المفيد- الارشاد ص ۱۷۰. ابن ابى الحديد شرح نهج البلاغة ج ۱۶ ص ۴۲.

بالصلح، و قد جعلت هذه الاشاعة الكاذبة «۱» الناس فى حيرة من امرهم و جعلتهم فى اتم الاستعداد لتقبّل معاوية.

و فى هذه الاثناء دارت على الألسن اشاعة «۲» تفيد بقبول قيس بن سعد للصلح و هو قوّة المقاومة الوحيدة المتبقّية فى مقابل معاوية، و كانت هذه بمثابة الضربة القاضية وجّهت الى الوضع النفسىّ المنهار فى الكوفة، و قضت على رمق المقاومة النهائى لديه.

و فى مقابل هذه الاجواء و فى مثل هذه المواقف الخيانية لاهل العراق لم يجد الامام بدّا من اعتزال الحكومة. فهو لم يعد قادرا على القيام بأى عمل مؤثر فى الوقت الذى لم يكن من يصرّ من الاصحاب على محاربة القاسطين سوى عدد ضئيل فقط. و لذلك عند ما تقدّم معاوية الى الامام بطلب الصلح عدّة مرّات، اضطر الامام الى قبول ذلك.

الصلح المفروض من قبل معاوية و تحليل أسبابه

ان سلوك اهل العراق مع الامام على عليه السّلام فى أواخر فترة حكمه، يعكس روحيتهم الضعيفة و عدم مقاومتهم و صمودهم فى حرب طويلة الامد، و خاصة فى حرب لا- غنائم فيها، و تدور حولها شبهات و تأولات منحرفة كان يثيرها اعداء امير المؤمنين عليه السّلام بين الناس و تكررت نفس تلك السلوكية مع الامام الحسن عليه السّلام أيضا فى فترة حكومته. فقد اظهر اهل الكوفة انهم لا يريدون قتال معاوية، و كان

---

(۱) تاريخ اليعقوبى ج ۲ ص ۲۱۵.

(۲) ابن كثير، البداية و النهاية، ج ۲ ص ۱۴.

التحاق القبائل «۱» بمعاوية الواحدة تلو الاخرى قد اثبت ان ليس بامكان الامام الاتكال عليها، و القيام بعمل عسكرى ضد معاوية.

و من الواضح أنّ اى شعب يتعرض لحالة كهذه من الضعف لا يمكن لقائد ذلك الشعب القيام باى عمل فاعل. و سنحاول هنا نقل اسباب و دوافع هذا الصلح المفروض استنادا الى رأى الامام الحسن عليه السّلام نفسه. فقد تطرق الامام الحسن ذات مرة الى سلوك اهل الكوفة مع ابيه و قصة مبايعته هو شخصيا فقال:

«سمعت اليوم ان اشرافكم ذهبوا الى معاوية و بايعوه و هذا يكفينى.

فأنتم الذين اكرهتم ابى يوم صفين على الحكمين» «۲».

و قال فى موضع آخر: «و اللّه لو قاتلت معاوية لأخذوا بعنقى حتى يدفعونى إليه سلما» «۳».

و للامام أيضا تعابير أخرى يشير فيها الى اهل العراق واصفا ايّاهم بالناس الذين لا يمكن الوثوق بهم و يشير فيها أيضا الى تجارب ابيه المريرة مع الكوفة «۴».

و قد قام الامام المجتبى بدوره بحملة اعلامية شاملة لحثّ الناس على قتال العدو لكن نفوذه و تأثيره على الناس (على العكس مما قاله بعض المؤرخين) كان اضعف من ابيه. فاذا كان الامام على عليه السّلام غير قادر على اثارة الناس و تحفيزهم

---

(۱) ابن الاعثم- الفتوح- ج ۴ ص ۱۵۷ طبعة الهند. ابن ابى الحديد ج ۱۶ ص ۴۳. البلاذرى- الانساب ج ۲ ص ۲۹

(۲) نفس المصدر السابق.

(۳) الطبرسى، الاحتجاج ج ۲ ص ۹۰، العلّامة المجلسى، البحار، ج ۴۴ ص ۲۰، البحرانى، عوالم العلوم ج ۱۶ ص ۱۷۵.

(۴) ابن الاثير- الكامل فى التاريخ ج ۳ ص ۴۰۵.

على الحرب، فكيف يمكن للامام الحسن القيام بهذا العمل؟ و هل كان يجوز للامام اللجوء الى اساليب الخداع و الحيلة لاعداد الناس لمحاربة القاسطين؟

لقد اشرنا قبل هذا «۱» خلال شرحنا لخصائص امير المؤمنين عليه السّلام انه ما كان يريد احراز النصر عن طريق الجور. فلو اراد هذان الرجلان العظيمان حشد الناس للحرب من خلال اساليب الاستبداد و القهر و التهديد فقد كان بميسورهما، و لكنّهما لم يريدا فعل ذلك.

فالحرب قضية تقوم على دعامتين: اجازة القائد، و موافقة الناس. و لذا نجد النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم رغم ما كان يتمتع به من قبول اجتماعى قد ترك قرار الحرب فى معركتى «بدر» و «احد» «۲» الى رأى الناس و مشورتهم. و عند ما رأى الامام المجتبى ان الناس لا يميلون الى الحرب حتى ان ثلثى الناس الذين كانوا يدّعون الصمود الى آخر لحظة التحقوا بمعاوية ليلا اختار الصلح. اذ ما الذى يمكن للامام ان يفعله إذا كان الناس لا يريدون الحرب و لا يبدون اى حماس بشأنها؟

لقد كان الامام نفسه راغبا فى الحرب، الا ان ثقل الحرب ينبغى ان تحمله اكتاف الناس. و لما لم يكن الناس راغبين فى الحرب، و لا قادرين على ادراك فلسفتها و مبانيها الفكرية فى تلك الظروف المسمومة التى اوجدها معاوية و طبوله الدعائية الاموية، فلا يمكن للقائد طبعا القيام بأى عمل. و للامام المجتبى عليه السّلام كلام جميل و بليغ فى هذا المجال يحلل فيه ذلك الموضوع افضل تحليل فقد قال:

«انا و اللّه لا يثنينا عن اهل الشام شك و لا ندم، و انما كنا نقاتل اهل الشام

---

(۱) ر. ك. الحياة الفكرية للامام على ع فى الصفحات السابقة.

(۲) العلّامة السيد جعفر مرتضى العاملى، الصحيح من السيرة ج ۳ ص ۱۴۵.

بالسلامة و الصبر، فشيبت السلامة بالعداوة، و الصبر بالجزع، و كنتم فى مسيركم الى صفين دينكم امام دنياكم و اصبحتم اليوم و دنياكم امام دينكم. الا و قد اصبحتم بين قتيلين قتيل بصفين تبكون له، و قتيل بالنهروان تطلبون بثأره. و اما الباقى فخاذل و اما الباكى

فثائر. الا و ان معاوية دعانا لأمر ليس فيه عز و لا نصفة. فان اردتم الموت رددناه عليه و حاكمناه الى اللّه عز و جل بظبى السيوف، و ان اردتم الحياة قبلناه و اخذنا لكم الرضى، فناداه الناس من كل جانب البقية البقية و امضى الصلح» «۱».

يتضح من الكلام السالف ذكره بأن الامام كان يؤكد على وجوب الحرب و لم تكن قضية حقن الدماء مطروحة باى شكل من الاشكال الّا اذا افترضنا ان اراقة الدماء فى مثل هذه الظروف لا تنطوى على النتيجة المطلوبة. و الامر المسلم به هو ان المانع من نشوب الحرب و الدافع نحو قبول الصلح كان ارادة الناس التى كانت تمنع الامام من القيام باى عمل عسكرى ضد القاسطين.

و قد اشار الامام الى هذا الموضوع ضمن تحليله لقضية الصلح فقال: «انى رأيت هوى عظم الناس فى الصلح، و كرهوا الحرب فلم احب أن احملهم على ما يكرهون» «۲».

و هذا تعبير آخر عن نفس ذلك الامر الذى اشار إليه امير المؤمنين عليه السّلام

---

(۱) ابن الاثير ج ۳ ص ۴۰۶، ابن عساكر نفس المصدر ص ۱۷۸. ابن الاثير، اسد الغابة ج ۲ ص ۱۴، ابن الجوزى، تذكرة الخواص ص ۱۹۹. المجلسى البحار ج ۴۴ ص ۲۱. البحرانى عوالم العلوم ج ۱۶ ص ۱۷۹.

(۲) الدينورى، الاخبار الطوال، ص ۲۲۰.

مرّات و مرّات «۱» و هو مبدأ اساس و ثابت فى التعامل السياسى للقائد مع جماهير الامّة، و يقول أيضا فى موضع آخر: «و اللّه إنّى سلّمت الأمر لأنى لم اجد انصارا و لو وجدت انصارا لقاتلته ليلى و نهارى حتى يحكم اللّه بيننا و بينكم» «۲».

و وردت أيضا فى اقوال الامام التى يدافع فيها عن موقفه ازاء المعترضين عليه، نقطة أخرى تلفت الاهتمام الا و هى ان هذا الصلح إنمّا قبل من أجل المحافظة على بقايا الشيعة، فخواص شيعة امير المؤمنين عليه السّلام استشهد أغلبهم فى معارك الجمل و صفين و النهروان و بقيت منهم ثلة قليلة فقط. و ان وقعت حرب جديدة- و مع الاخذ بنظر الاعتبار ضعف اهل العراق- فستلحق بالامام الحسن و شيعته خسائر لا تعوّض. لأنّ معاوية و الحال هذه سيبالغ فى قمعهم. اما الصلح فبامكانه الابقاء عليهم الى أن تتهيأ ظروف افضل فى مستقبل، و اذا تقرر فى يوم ما اراقة دمائهم فينبغى ان يعطى ذلك مردودات ذات فائدة و يؤدى الى خلق تيار مؤثر فى حركة التاريخ.

لنتأمل هنا كلام الامام عليه السّلام الذى واجه به اعتراضات بعض اصحابه: «ما اردت بمصالحتى معاوية الّا أن ادفع عنكم القتل عند ما رأيت تباطؤ اصحابى عن الحرب و نكولهم عن القتال» «۳».

و تطرق فى حديث آخر الى هذا الموضوع فاشار فيه الى ضرورة الصلح فى ظل وجود بعض الظروف، فذكر صلح الحديبية كشاهد على كلامه فقال: «و لو لا

---

(۱) ابن ابى الحديد- شرح نهج البلاغة ج ۱۱ ص ۲۹.

(۲) العلّامة المجلسى- بحار الانوار ج ۴۴ ص ۱۴۷.

(۳) الدينورى- الاخبار الطوال ص ۲۲۱.

ما اتيت لما ترك من شيعتنا على وجه الارض احد» «۱».

و قال فى مقابل اعتراض مالك بن حمزة: «يا مالك لا تقل ذلك، لما رأيت الناس تركوا ذلك الا اهله خشيت أن تجتثوا عن وجه الارض فاردت أن يكون للدين فى الارض ناع».

فلو وقعت للامام الحسن فى مثل هذه الظروف حرب فانها ستنتهى قطعا بضرره و ضرر خاصة اصحابه، و حتى الامام امير المؤمنين

نفسه اصغى مستعدا للكف عن الحرب مع معاوية عند ما تعرض لمثل هذه الظروف.

نورد فيما يلى مقطعا من كلامه الموجّه الى فئة من المطالبين بمواصلة الحرب:

«يا قوم قد ترون خلاف اصحابكم و انتم قليل فى كثير و لئن عدتم الى الحرب ليكوننّ اشدّ عليكم من اهل الشام، فاذا اجتمعوا و اهل الشام عليكم افنوكم. و اللّه ما رضيته و لا هويته و لكنّى ملت الى الجمهور منكم خوفا عليكم» «۲».

و كما تلاحظون فان امير المؤمنين عليه السّلام نفسه قد اشار فى مثل هكذا ظروف الى موضوع الحفاظ على الشيعة، و ذكر أنّ احد الاسباب فى قبول التحكيم المفروض هو ازالة التهديد عن اصحابه المقرّبين.

و على الرغم من المحاولات التى قام بها بعض رواة الاخبار التاريخية لدس اشاعة معارضة الامام الحسين عليه السّلام لاخيه فى صفحات التاريخ، فانه على العكس

---

(۱) البحرانى- عوالم العلوم- ج ۳۱ ص ۱۷۴.

(۲) البلاذرى- انساب الاشراف- ج ۱ ص ۳۳۸ ط المحمودى. محمد باقر المحمودى- نهج السعادة ج ۲ ص ۲۶۸.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۰۴

كان يعتقد بصحة و استقامة الطريق الذى سلكه اخوه. و اشار فى مواضع متعددة الى أن اى عمل آخر سوى ما قام به اخوه لن يثمر عن شىء، و كلام الامام الحسين عليه السّلام مع الذين طلبوا إليه القيام بعمل ما ملائمة جدا لتأييد الموضوع الذى نبحثه:

«صدق ابو محمد فليكن كل رجل منكم حلسا من احلاس بيته ما دام هذا الانسان حيّا» «۱».

«و أما أنا فليس رأيى اليوم ذلك فالصقوا رحمكم اللّه بالارض و اكمنوا البيوت و احترسوا من الظنة ما دام معاوية حيّا» «۲».

فهذه الكلمات و غيرها تؤيّد وجهة نظر الامام الحسن عليه السّلام بعدم جدوى التحرك العسكرى فى مواجهة معاوية.

الصلح المفروض و بنوده

و لو فرضنا ان الامام الحسن عليه السّلام قد غيّر رأيه فى مواصلة الحرب بسبب الضعف الذى رآه على اهل العراق. فان ارسال معاوية المبعوثين الى المدائن و تعرّض الامام لذلك فى كلماته- التى تقدم ذكر بعضها- يشير الى ان معاوية كان راغبا فى انهاء النزاع من غير اللجوء الى الحرب و اراقة الدماء. فقد اظهر للناس من خلال ذلك و بشكل ذكى انه رجل حليم و هادئ و انه يريد الاستيلاء على العراق بغير الحرب و الصراع.

---

(۱) الدينورى- الاخبار الطوال ص ۲۲۱.

(۲) الدينورى- الاخبار الطوال ص ۲۲۲.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۰۵

و هذا الاسلوب يمنع طبعا من قيام اى تحرّك مضاد من قبل اهل العراق.

بالاضافة الى ذلك، فانه استطاع اضفاء صبغة قانونية على عمله و احياء هذا التصور فى الاذهان و هو «انه ليس هو الذى يريد الاستيلاء على الخلافة الاسلامية بالقوّة، بل ان الناس انفسهم و على رأسهم الامام الحسن عليه السّلام هم الذين اوصلوا الامر الى هذه الحال».

و مع كل ذلك فانه لعدم التزامه بالتعهدات التى اتفق عليها الطرفان فى كتاب الصلح يكون قد كشف عن وجهه القبيح المخادع. إلا أنّ التاريخ فى نقله لبعض البنود- التى ادّعى كتّاب التاريخ بأن الطرفين قد اتفقا عليها- قد ظلم الامام الحسن ايما ظلم. اذ بالتمعن الدقيق فى الموضوع ندرك بسهولة مدى ما احدثه بعض من الرواة و المؤرخين الذين لم يتحرروا من ميولهم المذهبية خلال تدوينهم

للوقائع التاريخية من تلفيق و تزييف للاخبار و الحقائق لصالح السياسة الاموية ضد الشيعة و تحريف الكثير من وقائع التاريخ.

و كان القصد الكامن من وراء هذه الجريمة هو اثبات النقاط التالية:

١- ان الامام الحسن عليه السّلام هو الذى تقدّم بطلب المصالحة من موقف الضعف و العجز.

٢- ان الامام بادر الى القيام بهذا العمل من اجل بلوغ اهدافه المادية و الحصول على الدينار و الدرهم.

٣- انه كان يفكّر بنفسه فقط تاركا الناس لمعاوية.

و كان الزهرىّ- و هو احد المرتبطين ببلاط هشام بن عبد الملك و من انصارهم المخلصين- احد مصادر هذا التحريف فقد ذكر أن اساس عقد المصالحة

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۰۶

لا ينطوى سوى على شروط مالية و قبض خراج (الاهواز) و (دارابجرد) «۱».

و نحن فى هذا البحث المختصر لا نجد الفرصة مواتية لتناول جميع النصوص التاريخية بشأن بنود معاهدة الصلح. لذا فاننا نكتفى بذكر رواية تناقلتها المصادر القديمة باعتبارها نصا كاملا و نعطى بعض الايضاحات بشأنها. و قد نقل هذا النص من قبل مؤرخين قديمين تختلف اسناد كل منهما عن سند الآخر تماما. و هذا التماثل الموجود بين النقلين بخصوص نص معاهدة الصلح هو من الدلائل على صحّتها. فقد ورد فى تلك الراوية ما يلى:

انفذ الامام عبد اللّه بن نوفل الى معاوية فتوثّق منه لتأكيد الحجة بأن يكون الناس فى أمان على انفسهم و اموالهم و سيكون مستعدا لقبول مشروع المصالحة.

الا أن عبد اللّه بن نوفل طرح على معاوية شروطا غيرها و هى:

١- تسلّم الخلافة بعد معاوية الى الامام الحسن عليه السّلام.

٢- دفع مبلغ ۵۵ ألف درهم سنويا بالاضافة الى خراج دارابجرد. و قد قبل معاوية بهذه الشروط.

و لما رجع عبد اللّه بن نوفل الى الامام و اعلمه بشروطه التى طرحها لم يوافق عليها الامام و قال: لست طالب خلافة، و الاموال التى تعهد معاوية بدفعها لى انما هى من بيت المال و لا يحق له التصرّف ببيت مال المسلمين. ثم دعا كاتبه و امره بكتابة ما يلى:

«هذا ما تصالح عليه الحسن بن على و معاوية بن ابى سفيان صالحه

---

(۱) ر. ك. تاريخ الطبرى ج ۴ ص ۱۲۵. و ابن سعد. الطبقات ص ۱۶۸.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۰۷

على أن يسلّم إليه الأمر على أن يعمل فيها بكتاب اللّه و سنة نبيّه و سيرة الخلفاء الصالحين، و على انه ليس لمعاوية أن يعهد لأحد من بعده، و ان يكون الامر شورى و الناس آمنون حيث كانوا على انفسهم و اموالهم و ذراريهم، و على أن لا يبغى للحسن بن على غائلة سرا و لا علانية، و على أن لا يخلف احدا من اصحابه» «۱».

و يبدو ان الشروط الاخرى التى نقلت بشكل مفصل او مختصر هى اشارة الى هذه النقطة و انها كانت من تعابير المحدّثين، مع ما يحتمل أيضا من استعمال المؤرخين لعبارات متساهلة فى نفس هذا النص.

اما الشرط المالى الذى اورده بعض المؤرخين فى معاهدة الصلح فقد كذّبه الامام شخصيا إلّا أنّه قد ورد فى رواية أخرى ان هذا الشرط كان من اجل توفير ارزاق عوائل شهداء الجمل و صفين «۲»، و فى مثل هذه الحالة يحتمل ان يكون هذا الشرط خارج نص معاهدة الصلح المتفق عليها. و على كل الاحتمالات فمن البديهى أن الامام- و مع جميع ما ورد فى التاريخ بشأن كرمه وجوده- لا يطرح مثل هذا الشرط لمصالحه الشخصية، رغم ما لأهل البيت عليهم السّلام من حق وافر فى بيت مال المسلمين.

و يحتمل كذلك ان تكون اشاعة الشرط المالى التى اتخذت طابع الخبر التاريخى قد افرزتها الرسالة التى بعثها معاوية الى الامام الحسن يحثّه فيها على قبول الصلح و يعلن فيها استعداده لوضع مبلغ قدره مليون درهم سنويا تحت

---

(۱) ابن الاعثم، الفتوح، ج ۴ ص ۱۵۸، البلاذرى. انساب الاشراف ج ۲ ص ۴۲، ابن شهرآشوب:

المناقب ج ۴ ص ۳۳.

(۲) العلّامة المجلسى: بحار الانوار ج ۴۴ ص ۳۰. عوالم العلوم ج ۱۶ ص ۱۸۲ و ۱۸۷ و ۱۸۸.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۰۸

تصرفه بالاضافة الى خراج «دارابجرد» و «فسا» «۱». و من ثم نقلها المؤرخون المغرضون او الجهلة، فيما بعد على انها أحد بنود معاهدة الصلح.

و امّا موضوع تعيين الامام الحسن عليه السّلام كخليفة بعد معاوية و الذى جاء فى الرواية التى نقلناها فانّه لم يرد فى نصّ المعاهدة، و قد كذّبه الامام أيضا.

لكن مع كثرة الاخبار التاريخية الواردة فى هذا الصدد يستبعد أن يكون مصدرها جميعا رسالة معاوية تلك التى قال فيها ضمن تعهّداته بانه سيسلّم الخلافة من بعده الى الامام الحسن عليه السّلام.

و قد اشار الامام فى معاهدة الصلح الى أنّه: لا يحق لمعاوية تعيين الخليفة من بعده بل ينبغى ان يتم ذلك عن طريق شورى المؤمنين، و هذا لا يعنى اضفاء طابع الشرعية او الرسمية من قبل الامام على «شورى تعيين الخليفة» نظير الشورى التى شكّلها عمر او اى شكل آخر لها، بل ان الهدف من ذلك هو القبول الشعبى للحاكم و هذا لا يتنافى و معتقدات الشيعة، لان الحاكم و فى جميع الاحوال و إن كان الامام المعصوم، بحاجة الى قبول الشعب له لكى يتمكن من امساك زمام امور الحكم، و كذلك الحال بالنسبة الى اللّه سبحانه و تعالى، تكون له صفة الحاكمية التشريعية فى حال قبول الناس له و لدينه، رغم ان له الولاية التكوينية المطلقة على الكون شاء الناس ذلك أم أبوا.

لقد بادر الامام الحسن عليه السّلام الى مثل هذا العمل من اجل انقاذ الخلافة من نظام الوراثة الذى يتوقع ان يقوم به معاوية هذا من جهة، و من جهة اخرى فان الناس فى ذلك الوقت كانوا يعتبرون الخلافة مساوية للبيعة الاختيارية لاهل الحل

---

(۱) البلاذرى- انساب الاشراف- ص ۴۲.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۰۹

و العقد، و انه من خلال احيائه لهذا المبدأ يكون قد اوقع معاوية فى دائرة مخالفة الناس فيما لو تجاوز ذلك، و رغم ان معاوية كان اذكى من ان يقع فى دائرة الخلاف مع اولئك الناس غير الواعين، و لكن ذلك كان اقصى ما يمكن اتخاذه من تدبير وقائىّ على يد الامام فى تلك الظروف العصيبة، لكى يفضح للناس شخصية معاوية المنافقة، و يكشف للأجيال القادمة دوره الخبيث فى التاريخ.

و النقاط المهمة الواردة فى معاهدة الصلح نستعرضها فيما يلى و بشكل مختصر:

۱- توفير الأمان للجميع و خاصة شيعة امير المؤمنين عليه السّلام الذين شاركوا بشكل او آخر فى معركتى الجمل و صفين ضد العثمانية.

۲- عدم وراثية الخلافة بعد معاوية.

۳- توفير الأمان لأهل بيت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و على رأسهم الحسنان عليهما السّلام.

لكن معاوية لم يلتزم باى من النقاط الواردة اعلاه، و هنا يجب على اولئك الذين لا زالوا يوالون معاوية أن يذكروا لنا السبب فى أنه

لم يلتزم بابسط تلك البنود، و لم يعمل بها رغم انه قبلها و وقّع عليها. و الاكثر اثارة من ذلك هو ان معاوية و بعد موافقته على بنود المعاهدة و توقيعه عليها، دخل الكوفة و قال ضمن كلمته التى القاها على مسامع الجمهور و بقيت الانظار مشدوهة لسماعها:

«انى كنت شرطت شروطا و وعدت عدة ارادة لاطفاء نار الحرب، و مداراة لقطع هذه الفتنة، فامّا اذا جمع اللّه لنا الكلمة و الالفة، و أمنّا من الفرقة، فانّ ذلك

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۱۰

تحت قدمىّ «۱». انّى و اللّه ما قاتلتكم لتصوموا و لا لتصلوا و لا لتحجّوا و لا لتزكّوا انكم لتفعلون ذلك، و انما قاتلتكم لأتأمّر عليكم و قد اعطانى اللّه ذلك و انتم كارهون» «۲».

يقول ابو ساسان الحصين بن منذر: لم يلتزم معاوية بايّ من التعهّدات التى قطعها للامام الحسن عليه السّلام اذ قتل حجرا و اصحابه و لم يعهد بانتخاب الخليفة الى شورى المؤمنين و اختار ابنه يزيد لولاية العهد من بعده، و سمّ الامام الحسن عليه السّلام «۳».

خطبة الامام عليه السّلام بعد دخول معاوية الى الكوفة

لما دخل معاوية الكوفة اصدر بيانا يهدّد فيه الناس أنّ من لم يبايع الى ثلاثة ايّام فلا أمان له. و عند ما اجتمع الناس فى مسجد الكوفة الجامع اراد معاوية الاستهانة بالامام الحسن و الحصول على تأييد ضمنى منه امام الملأ العام فدعاه الى القاء خطبة من على المنبر، و قد نقل المؤرخون روايات متضاربة فى هذا الصدد متضاربة، و اوردت كل رواية منها مقطعا مختلفا من خطبة الامام. فقد ورد فى احدى الروايات انه قال عليه السّلام:

«انما الخليفة من سار بكتاب اللّه و سنّة نبيّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و ليس الخليفة من سار بالجور ذلك ملك ملك ملكا يتمتع به قليلا ثم تنقطع لذّته و تبقى تبعته (و ان

---

(۱) البلاذرى- انساب الاشراف، ج ۲ ص ۴۶. و ر. ك. ابن الاعثم ج ۴ ص ۱۶۳.

(۲) الاصفهانى- مقاتل الطالبيين ص ۴۴ طبعة النجف.

(۳) البلاذرى- انساب الاشراف. ج ۲ ص ۴۸.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۱۱

ادرى لعلّه فتنة لكم و متاع الى حين) «۱».

فالامام عليه السّلام يعرض معاوية للناس عن طريق الكناية بصورة ملك جائر، و جاء فى رواية اخرى أنه عليه السّلام اشار الى انه و اخاه الحسين عليه السّلام الشخصان الوحيدان على الارض اللذان جدّهم نبى الاسلام صلّى اللّه عليه و آله و سلّم اذ قال:

«ان اللّه قد هداكم بأوّلنا محمد، و أنّ معاوية نازعنى حقّا هو لى فتركته لصلاح الامّة و حقن دمائها».

نعم فبعد ان دامت خلافة الامام مدّة سبعة اشهر و سبعة أيّام أكره على التنازل عن الخلافة لمعاوية و الذهاب الى المدينة. و خلال هذه المدّة كان اهتمامه منصبا على الحرب، و كان من الصلاح من وجهة النظر الحكومية ابقاء عمّال ابيه استنادا الى ما ذكره ابن الخيّاط. و قد اصدر المغيرة بن شعبة كتابا مزيّفا لنفسه باسم الامام و كان ذلك من النقاط المهمة فى حياة بعض الصحابة الذين يعتبرهم اهل السنّة عدولا بأجمعهم و فعلهم حجّة شرعية.

الامام و معاوية و محاربة الخوارج

حينما كان الامام متوجّها الى المدينة اضطرم تمرّد الخوارج ثانية فى انحاء مختلفة من العراق. و كان امير المؤمنين قد قال سابقا بهذا الصدد: «لا تقاتلوا الخوارج بعدى» و هو ما يقتضى عدم مساعدة الشيعة للامويين فى قمع الخوارج.

و كان فى نية معاوية استغلال الشيعة لتحقيق هذا الغرض. فارسل الى الامام

---

(۱) الاصفهانى- مقاتل الطالبيين ص ۴۷. ر. ك. ذخائر العقبى ص ۴۰. نظم درر السمطين ص ۲۰۰- ۲۰۱.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۱۲

الحسن عليه السّلام- الذى كان فى حينها قد وصل الى القادسية- كتابا يطلب منه العون لمحاربة الخوارج، و كان الامام على وعى تام باهداف هذه الخطّة فردّ إليه الجواب بهذا المضمون: «تركت قتالك و هو لى حلال لصلاح الامّة و الفتهم، أ فترانى اقاتل معك» «۱».

و ورد فى نصوص أخرى بأن الامام قال: «لو آثرت أن أقاتل احدا من اهل القبلة لبدأت بقتالك» «۲».

و هذا دليل آخر أيضا على رأى الامام القاطع بشأن محاربة القاسطين.

و كان معاوية فى كل مرة يسعى للقضاء على بنى هاشم باسلوب معين، فقال فى احدى المرات: «اذا رأيتم هاشميا غير كريم و أمويّا غير حليم و عواميّا غير شجاع فأعلموا انهم لا يشبهون آباءهم».

و لما سمع الامام المجتبى هذه المقولة، قال:

«و اللّه ما اراد بها النصيحة، و لكن اراد أن يفنى بنو هاشم ما فى ايديهم فيحتاجون إليه، و أراد الحلم لبنى أميّة حتى يحبّهم الناس، و اراد للزبيريين الشجاعة حتى يعرّضوا انفسهم للقتل» «۳».

---

(۱) البلاذرى- انساب الاشراف: ج ۲ ص ۴۶.

(۲) ابن الاثير ج ۲ ص ۴۲. المبرد، الكامل فى التاريخ ج ۳ ص ۱۳۳. ابن ابى الحديد ج ۵ ص ۹۸.

(۳) ربيع الابرار ج ۳ ص ۴۲۲.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۱۳

خصائص الامام الحسن عليه السّلام

يعتبر الامام الحسن المجتبى عليه السّلام احد النماذج الانسانية المتميزة، و شخصيته الفريدة و الاجتماعية يمكن ان تكون معلما بارزا للسائرين على طريق الانسانية.

و ليس بالامكان هنا تناول جميع الروايات فى هذا المجال بشكل مفصل، لذا نقتصر على ذكر عدد من النقاط فيما يلى:

ففى الجانب العبادى تعتبر ملامحه الوضاءة تاجا يزيّن تاريخ البشرية فقد جاء فى رواية ان الامام الحسن المجتبى قال: «انّى لأستحى من ربّى أن القاه و لم امش الى بيته».

فمشى عشرين مرّة من المدينة على رجليه «۱». و نقل أيضا: لقد حجّ الحسن خمسا و عشرين حجّة ماشيا «۲».

و من الميّزات الاخرى التى تمتاز بها شخصيته هى العفو و التسامح و الاستفادة المشروعة من النعم الالهية و هذا ما تناقلته السن المؤرخين «۳».

ففى رواية: «ان رجلا جاء إليه طالبا حاجة فقال: ليكتب حاجته و يأت بها، فلما حضر الرجل دفع إليه الامام ضعف ما طلب» «۴».

و جاء فى رواية أخرى: «ان الحسن عليه السّلام قاسم اللّه ماله ثلاث مرّات حتى انه

---

(۱) ابو نعيم الاصفهانى- اخبار اصفهان ج ۱ ص ۴۴.

(۲) السيوطى- تاريخ الخلفاء ص ۷۲.

(۳) ربيع الابرار ج ۱ ص ۶۱۷.

(۴) البيهقى، المحاسن ص ۵۵.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۱۴

كان يعطى نعلا و يمسك نعلا و يعطى خفّا و يمسك خفّا» «۱».

و من الصفات الجميلة الاخرى التى تميّز بها امامنا هذا هى الحلم و الصبر و التحمل و تجنّب الرياء و التنسّك. و قد وردت روايات متعددة فى هذا الصدد نورد احداها:

قال رجل من اهل الشام: «رأيت فى احد الايام رجلا حسن الهيئة، و سيما، يرتدى ثيابا فاخرة، و هو راكبا بغلة زيّنت بشكل يلفت النظر، فسألت عنه فقيل لى: هو الحسن بن علىّ بن ابى طالب، فملئت غيضا منه و حسدت ابن ابى طالب على مثل هذا الولد. فلما دنوت منه سألته أنت ابن ابى طالب؟ فقال ابن ابنه. فانبريت له بالسبّ و الشتم، فلما فرغت قال: هل أنت غريب؟ قلت نعم.

قال: هلمّ معى. ان كنت مشردا اويناك، و ان كنت محتاجا اعطيناك، و ان كنت جائعا اطعمناك، فو اللّه ما فارقته و على الارض احد احبّ إلىّ منه».

و إضافة الى دوره فى الامامة و كونه حلقة وصل فى نقل آثار رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و ما نقله اهل السنة عنه أيضا من روايات فى الفقه «۲»، فإن اهمّ دور ادّاه فى المجال الدينى هو حثّ الناس على كتابة الحديث. و هو امر فى غاية الاهمية اذ ادّى نهى الخلفاء عنه الى بقاء الاحاديث لدى الشيعة من جهة، و من جهة اخرى واجه اهل السنة مشكلة ضياع و فقدان الاحاديث بسبب عدم تدوينهم لها فى بداية الامر.

و قد روى عنه انه اوصى اولاده و أولاد اخيه فقال لهم:

---

(۱) السيوطى، تاريخ الخلفاء ص ۷۳.

(۲) ابن عدى- الكامل فى ضعفاء الرجال ج ۳ ص ۱۱۸۷.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۱۵

«يا بنىّ انّكم صغار قوم فتوشكون ان تكونوا كبارا، فتعلّموا العلم فمن لم يستطع ان يحفظه او يرويه فليكتبه و يضعه فى بيته» «۱».

و كان الامام احيانا مرجعا لحل بعض المعضلات التى يطرحها بعض الناس على معاوية «۲».

استشهاد الامام عليه السّلام

انّ إحدى الجرائم البشعة التى ارتكبها معاوية خلال فترة حكمه هى قتله ريحانة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم الامام الحسن المجتبى عليه السّلام، و آثار هذه الجريمة المروّعة مسطورة علنا على صفحات التاريخ. و قد تمّت تلك الجريمة بهذا الشكل الرهيب الذى دبّره معاوية بالاتفاق مع عنصر خبيث و فاسد مثل بنت الاشعث بن قيس (زوجة الامام) التى دسّت له السم فمات شهيدا. لقد كشف معاوية عن وجهه المنافق المرائى و فضح شخصيته الشيطانية و نقضه للعهود و المواثيق مرّات و مرّات خلال فترة حياته السياسية. و كانت هذه الجريمة اوضح من غيرها فى انظار الناس.

و قد اثبت التاريخ هذه الحقيقة «۳». فقد نقل الطبرى عن (أم بكر بنت المسوّر) أنها قالت: سقى السم للامام المجتبى عدة مرات، و كان ينجو منه فى كل مرّة الى أن مات فى المرّة الاخيرة «۴» و مع هذا فنحن نجد اشخاصا متعصّبين يدافعون عن بنى

(۱) البخارى- التاريخ الكبير، ج ۵ ص ۴۰۷.

(۲) الزمخشرى- ربيع الابرار، ج ۱ ص ۷۲۲.

(۳) المسعودى- مروج الذهب ج ۲ ص ۵۰. ابن عبد البر- الاستيعاب ج ۱ ص ۳۸۹. و ...

(۴) الطبرى- المنتخب من ذيل المذيل ص ۵۱۴ طبعة دار المعارف فى مصر.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۱۶

أميّة بايّ شكل من الاشكال من امثال ابن خلدون الذى اشار الى أن هذه القضية لا اساس لها و هى ضعيفة و قال:

«انّ ما ذكر بشأن سم الحسن بن على على يد معاوية فهى رواية لفّقها الشيعة و حاشا لمعاوية ذلك» «۱».

و لا ريب أنّ هذا ناتج عن الميول المذهبية الخاصة عند ابن خلدون الذى يرغب فى تغيير شهادة تاريخ الاسلام دفاعا عن شخصية مشبوهة و كريهة مثل معاوية.

و ان مأساة الامام و مظلوميته فى دفنه كانت اكثر أساة و ايلاما، فعند ما اراد اهل البيت دفنه الى جوار قبر النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم طبقا لوصيّته، انبرت لهم زمرة من بنى أميّة مع احدى زوجات رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم (عائشة) «۲»، و هى زمرة طالما وقفت فى الظروف الحساسة و المصيرية بوجه اهل البيت من اجل تغيير مسار الاحداث لصالح الافكار المنافقة و المراكز الخفية المعادية للاسلام. فقد رفع مروان بن الحكم عقيرته من بين هذه الزمرة المشاغبة و صاح: أ يدفن عثمان فى اقصى اطراف البقيع بدفن الحسن بن على فى بيت رسول اللّه؟! و كانت المرأة التى تقود ذلك الشغب راكبة على بغل و تسير امام ذلك الجمع و تدّعى ملكية دار النبى عن طريق الارث، و تمانع بكل قوّة و اصرار من دفن الامام فى مقبرة رسول اللّه، مع انها ممن رووا: «انا معاشر الأنبياء لا نورث»! و بعد هذا النزاع المؤسف و الجدال المرير دفن الشهيد المظلوم فى البقيع.

(۱) ابن خلدون- العبر- ج ۲ ق ۲ ص ۱۸۷.

(۲) الاصفهانى- مقاتل الطالبيين ص ۴۹. ابن شهرآشوب- المناقب ج ۲ ص ۱۷۵.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۱۷

و يحتمل ان استشهاد الامام كان بين سنتى ۴۹ و ۵۰ للهجرة. و قد اقيمت فى المدينة المنورة مآتم الحزن على ريحانة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و عطّل اهل المدينة- و كان اكثرهم من ابناء الانصار- اسواقهم و اقاموا مجالس الحداد على هذه الفاجعة الكبرى «۱».

و طبقا لما ذكره الطبرى فان نساء بنى هاشم اقمن مجلس نياحة لمدّة شهر باكمله و امتنعن عن الزينة عاما بتمامه. و استنادا الى ما نقله الطبرى أيضا عن الامام الباقر عليه السّلام: ان الناس بكوا على الحسن بن على سبعة أيّام و لم يفتحوا فيها اسواقهم «۲». و ذكر أيضا ان جمعا عظيما من الناس شارك فى دفن الامام المجتبى فى البقيع و كان الزحام شديدا الى درجة لم يبق معها محل لسقوط الابرة.

و يقول عمر بن بشير الهمدانى: قلت لأبى اسحاق: متى ذلّ الناس؟ قال حين مات الحسن، و ادّعى زياد، و قتل حجر بن عدى «۳».

(۱) الحاكم النيسابورى- المستدرك ج ۳ ص ۱۷۳.

(۲) المنتخب من ذيل المذيل ص ۵۱۴.

(۳) الاصفهانى- مقاتل الطالبيين ص ۵۰.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۱۹

الامام الحسين عليه السّلام

اشارة

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۲۱

قال الامام الحسين عليه السّلام: «إنّا اهل بيت النبوّة و معدن الرسالة و مختلف الملائكة و محط الرحمة و بنا فتح اللّه و بنا ختم» «۱».

الامام الحسين عليه السّلام هو ثالث أئمة الشيعة و قد ترك تأثيرا عميقا فى نفوسهم بسبب استشهاده. كما هو حال اخيه عليه السّلام محبوب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و هو من ابرز مصاديق: (اهل البيت، ذو القربى، سيد شباب اهل الجنّة، اصحاب الكساء و ...)

و قال فيه الرسول الكريم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم اجمل كلام له فى الثناء «حسين منى و انا من حسين». و هنالك مصادر كثيرة جمعت و دوّنت الروايات التى تتحدث عن فضائله «۲».

و علاوة على مشاركة الامام الحسين عليه السّلام فى حروب الجمل و صفين

---

(۱) الفتوح ج ۵ ص ۱۷.

(۲) ر. ك. الفيروزآبادى فضائل الخمسة فى صحاح السّتة.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۲۲

و النهروان، فانّه قد وقف بثبات خلف امامة ابيه، و وقف أيضا الى جانب أخيه، و دافع عن موقفه عند ما صمم على الحرب، و عند ما صمم على الصلح.

و قد خصصنا فصلا من كتاب التاريخ السياسى للاسلام ل «رأى الامام الحسين عليه السّلام بشأن الصلح» «۱» و اثبتنا فيه عدم صحة ما اورده بعض المعاندين من معارضة رأى الحسين عليه السّلام لموقف أخيه. و استنادا الى النصوص التاريخية الصريحة فانّه لم يكن مماثلا لأخيه فى الرأى من باب التابعية فقط، بل حتى من حيث التحليل فانه كان يعتقد بنفس تحليل أخيه للأوضاع أيضا «۲». و من المواقف الاخرى للامام هو تصدّيه لمعاوية بسبب قتله لحجر بن عدى و اصحابه. و كتب له كتابا مطوّلا يذكر فيه: انه لا يريد حربه و لا الخلاف عليه، لكنه يخشى ان لا يرضى عنه اللّه فى قعوده عن حرب معاوية. ثم اشار الى استشهاد حجر و وصفه بالشخص العابد الذى ينكر الظلم، و يخالف البدع و لم يكن يخشى شيئا، و قرّع معاوية على قتله ايّاه، و كذلك طرح له الامام جملة من اخطائه منها ادعاؤه ان زيادا أخوه و شرح له جرائم زياد بحقّ المسلمين فى العراق. و فى الختام هدده الامام بالقيامة و الحساب و الكتاب و انه لن ينجو من العذاب بسبب ايذائه للناس و حبسهم و تعذيبهم، و استقبح الامام فعله فى اخذ البيعة ليزيد شارب الخمر اللاعب بالكلاب «۳».

و فى الحقيقة ان اكثر الاحداث اهمية فى حياة الامام الحسين عليه السّلام هى واقعة

---

(۱) التاريخ السياسى للاسلام من سنة اربعين الى نهاية القرن الاول للهجرة.

(۲) الدينورى- الاخبار الطوال ص ۲۲۱، الامامة و السياسة ج ۱ ص ۱۵۱، الارشاد ص ۲۰۶.

(۳) انساب الاشراف ترجمة معاوية ج ۲ ص ۷۴۴ حديث ۳۰۳، الاخبار الطوال ص ۲۲۴، الامامة و السياسة ج ۱ ص ۱۸۰، رجال الكشى ص ۴۸، دعائم الاسلام ج ۲ ص ۱۲۱.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۲۳

كربلاء التى كان لها اعمق الاثر فى حياة الشيعة و خاصة فى الجوانب الروحية و التاريخية لذا فاننا لا نطيل المكوث فى هذه المقدمة و ننطلق منها مباشرة لتبيان واقعة كربلاء.

الامام الحسين عليه السّلام و مبايعة يزيد

بعد هلاك معاوية فى شهر رجب من العام ۶۰ الهجرى تربّع يزيد- الذى فرضت خلافته على المسلمين مسبقا بالاكراه- مكان ابيه فى السلطة و صرف كل همّه الى اخذ البيعة من خصومه و معارضيه البارزين فى المدينة، لأنهم كانوا يعتبرون خطرا كامنا يهدّد حكومته «۱».

و لم يكن خبر موت معاوية قد بلغ اسماع اهل المدينة بعد، حتى كتب الى الوليد بن عتبة بن ابى سفيان واليه على المدينة يأمره بأخذ البيعة من الحسين بن على عليه السّلام و عبد اللّه بن الزبير و يشدد عليهما تشديدا لا رخصة فيه. و لما وصله الكتاب استشار مروان فاشار عليه باحضارهما فى نفس تلك الليلة و اخذ البيعة منهما و الا فيضرب اعناقهما قبل أن يعلن الخبر فيثب كل واحد منهما إلى ناحية و يظهر الخلاف «۲».

و بعد أن جاءه الخبر، جمع الحسين نفرا من مواليه و غلمانه ثم مشى نحو دار الامارة و امر فتيانه ان يجلسوا بالباب فان سمعوا صوته اقتحموا الدار.

و هناك اقرأه الوليد الكتاب فقال الحسين عليه السّلام: ان مثلى لا يبايع سرّا، فاذا

---

(۱) الدينورى الاخبار الطوال ص ۲۲۷.

(۲) ابن الاعثم ج ۵ ص ۱۱.

جمعت الناس لذلك حضرت و كنت واحدا منهم.

فاقتنع الوليد بكلامه، الّا ان مروان حثّه على حبس الامام حتى يبايع.

و اشتد الكلام بين الحسين و مروان، و لما همّ الحسين بمغادرة دار الوليد قال له: «إنّا اهل بيت النبوّة، و معدن الرسالة، و مختلف الملائكة، و محط الرحمة، و بنا فتح اللّه و بنا ختم، و يزيد رجل فاسق شارب الخمر، و قاتل النفس المحرّمة، معلن بالفسق، و مثلى لا يبايع مثله» «۱».

و فى هذا المجلس صرّح الامام بأولويّة اهل البيت عليهم السّلام بالخلافة استنادا الى آية التطهير «۲».

و فى اليوم التالى كان ابن الزبير قد خرج من المدينة «۳»، و فى الليلة التالية (فى الثالث من شعبان عام ۶۰ للهجرة) مضى الحسين عليه السّلام أيضا نحو مكة و معه عامّة من كان بالمدينة من اهل بيته الّا اخاه محمد بن الحنفية فانّه أقام «۴».

و كانت مكّة اكبر قاعدة دينية فى الاسلام و كانت دائما محل تجمع الشخصيات الاسلامية الكبيرة. و اتّصل الامام هناك بالشخصيات المختلفة و اوضح لهم اسباب عدم مبايعته ليزيد.

ابتهج اهل الكوفة كثيرا عند سماع هذا الخبر، لأنهم كانوا يعدّون اللحظات انتظارا لهذا اليوم، و لهذا فقد اجتمع جماعة من رؤسائهم و من ضمنهم سليمان بن

---

(۱) ابن الاعثم ج ۵ ص ۱۷.

(۲) ابن الاعثم ج ۵ ص ۲۵.

(۳) الدينورى الاخبار الطوال ص ۲۲۸.

(۴) ابن الاعثم ج ۵ ص ۳۷.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۲۵

صرد و ... فتحدثوا فى هذا الاجتماع و طرحوا موضوع دعوة الامام الى العراق و لاجل حصول الاطمئنان الكامل و التوثق من هذه القضية اخذ سليمان بن صرد من الحاضرين عهدا بعدم نقض ما اتفقوا عليه «۱» ثم ارسلوا إليه كتابا و فيه تواقيع عدد من رؤساء الشيعة من امثال: سليمان و المسيّب بن نجبة و حبيب بن مظاهر و رفاعة بن شدّاد و عبد اللّه بن وال يدعونه فيه للقدوم الى الكوفة.

و لم يردّ الامام على هذه الكتب و ما زالت تأتيه الكتب الواحد تلو الآخر، حتى جاءه قيس بن مسهر الصيداوى و عبد اللّه بن وال نيابة عن الناس لمقابلته و دعوته الى الكوفة و التباحث معه حول هذا الموضوع. و ظلت كتب اهل الكوفة تأتيه بشكل متواصل حتى اتخذت القضية طابعا لم يعد بالامكان السكوت حياله او تجاهله و عدم الاهتمام به «۲».

و فى هذه الاثناء التقى بالامام فى مكة هانئ بن هانى و هو احد شخصيات الكوفة. و فى هذا اللقاء عرض على الامام استعداد اهل الكوفة و حتى اشرافها لاستقباله و كان ذلك بمثابة التأكيد على محتوى الكتب التى وصلته.

و كان اول عمل قام به الامام هو ارسال مسلم، و لمّا تأهب مسلم للرحيل قال له: «إن رأيت الناس مجتمعين على بيعتى فعجّل لى بالخبر حتى اعمل على حسب ذلك» «۳».

و ورد اول كتاب من مسلم بعد وصوله و هو يؤكد على ايجابية الموقف،

---

(۱) الطبرى ج ۵ ص ۲۶۱. ابن الاعثم ج ۵ ص ۴۶.

(۲) ابن الاعثم ج ۵ ص ۴۹.

(۳) ابن الاعثم ج ۵ ص ۵۳.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۲۶

و جاء فيه: «بايعك اكثر من ۲۰ الفا من اهل الكوفة، عند ما يصلك كتابى عجّل بالمسير» «۱».

ان كتب اهل الكوفة و كلام مبعوثيهم و كتاب مسلم عن الموقف فى الكوفة تشير باجمعها الى ان حركة قوية ضد السلطة الاموية على و شك الاندلاع. و فى الثامن من ذى الحجّة و فى غمرة مناسك الحج عجل الامام بالمسير نحو الكوفة، لأنّه كان يرى ان لحظة واحدة من التأخير يمكن أن تؤدّى الى قلب اوضاع الكوفة لصالح بنى أمية.

و فى الطريق لحق الامام بعير مقبلة من اليمن و فيها هدايا مرسلة الى يزيد فى الشام فأخذها و ما عليها و قال لاصحاب الأبل من اراد منكم فليأت معنا الى العراق و من اراد ان يفارقنا فليرحل «۲».

ثم واصل مسيره نحو الكوفة فالتقاه الفرزدق الشاعر مقبلا من العراق يريد مكّة، فسأله عن الوضع فى الكوفة فقال: «قلوب الناس معك و سيوفهم عليك».

و مضى الحسين عليه السّلام حتى اذا صار «ببطن الرمّة» كتب الى اهل الكوفة يعلمهم بقرب وصوله «۳» ثم بعث بالكتاب مع قيس بن مسهر الصيداوى، و قبل وصوله الى الكوفة اخذه حصين بن نمير و بعث به الى ابن زياد. و لكى لا يقع الكتاب بيد ولاة الامويين عمد الرجل الى قضم الكتاب و بلعه. و بعدها بعدّة ايام استشهد فى الكوفة.

---

(۱) ابن الاعثم، ج ۵ ص ۱۵۰.

(۲) البلاذرى، انساب الاشراف ج ۲ ص ۱۶۴، تصحيح المحمودى. الدينورى الاخبار الطوال ص ۲۴۵.

(۳) الدينورى الاخبار الطوال ص ۲۴۷.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۲۷

استمر الامام فى طريقه حتى وصل منطقة زورد و لقى فيها زهير بن القين الذى كان الى حد تلك اللحظة عثمانى الرأى، و طلب منه النصرة. فتأثر بكلام الحسين، و تشجيع زوجته فقبل الدعوة و التحق بتلك القافلة المتوجهة الى كربلاء.

و لما وصل الامام الى مكان يقال له ذات عرق لقيه شخص من بنى اسد و اخبره باستشهاد هانئ و مسلم «۱».

و قد ورد فى احدى الروايات التاريخية ان الامام قرر الرجوع فى تلك اللحظة الا أن اخوة مسلم منعوه، و لكن يستبعد أن تكون هذه الرواية صحيحة.

ذلك لأن الامام و جميع من برفقته لا زالوا حتى ذلك الحين يحسبون للكوفة حسابها و يعلقون عليها املا كبيرا، و كان التصوّر السائد لديهم هو: «و اللّه ما أنت بمسلم بن عقيل و لو قدمت الكوفة لكان الناس إليك اسرع» «۲».

و فى منطقة زبالة وصلت الى الامام رسالة مسلم التى كان قد طلب فى آخر لحظات حياته من عمر بن سعد ارسالها الى الامام. و فى هذه الرسالة اوضح مسلم للامام بأن الكوفة قد اضحت بمثابة فخ ينتظر قدومه فعليه ان لا يقترب منها. و لم يمض طويل وقت حتى بلغه خبر استشهاد قيس بن مسهر «۳» و عبد اللّه بن يقطر «۴» اخو الامام من الرضاعة. و كان مجموع هذه المعلومات يشير الى أن كفّة الظروف و الموقف السياسى فى الكوفة تميل لصالح الأمويين. و بناء على هذه المستجدّات، اشار الامام خلال اجتماع احتشد فيه عدد كبير ممن رافقه، الى هذه الاوضاع و قال

---

(۱) ابن الاعثم ج ۵ ص ۱۲۰.

(۲) ابن الاعثم ج ۵ ص ۱۲۰.

(۳) الدينورى- الاخبار الطوال ص ۲۴۸.

(۴) ضبط فى بعض كتب التاريخ نفس المهموم قيس بن مسهر و عبد اللّه بن بقطر.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۲۸

لهم:

«أيّها الناس قد خذلنا شيعتنا فمن اراد منكم الانصراف فلينصرف» «۱».

و عند سماع الناس هذا الكلام انصرف عدد كبير من الناس ممن كانوا قد تبعوا الامام لاغراض ماديّة. و بقى معه نفر من اهل بيته و خاصة انصاره الذين رافقوه من المدينة او مكّة «۲».

و بالنظر لطبيعة الظروف السياسية الخاصة فى تلك الايّام تيقّن الامام ان حركته المعارضة هذه ستمنى بالفشل العسكرى. و لكن من الواضح ان هذه الحرب غير المتكافئة بين الحسين بن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و الامويين كانت لها اسباب و دوافع معنوية أخرى لا يمكن فهمها او تحليلها بالمنظار السياسى المتعارف.

و استمر الامام فى مسيره نحو الكوفة حتى بلغ منطقة شراة، فامضى فيها ليلته و واصل فى اليوم التالى مسيره، و عند منتصف النهار لاحت له طلائع جيش الكوفة بقيادة الحر بن يزيد الرياحى. كان الحر قائدا عسكريا، و كان فى مهمّته هذه يؤدى واجبه العسكرى الموكل إليه فقط، و لا ينظر مطلقا الى الجانب السياسى من الموضوع. و لهذا السبب فانّه وقف و جميع من معه خلف الامام مؤتمين به لصلاة الظهر. و كانت مهمة الحر هى اخذ الامام الى الكوفة و منعه من العودة.

و لما انتهى الحسين عليه السّلام من صلاته حوّل وجهه الى القوم ثم قال:

«انّى لم آتكم حتى أتتنى كتبكم، و قدمت علىّ رسلكم، فان اعطيتمونى ما

(۱) البلاذرى- انساب الاشراف ص ۱۶۹.

(۲) ر. ک الدينورى، الاخبار الطوال ص ۲۴۸. البلاذرى- انساب الاشراف ص ۱۶۹. الطبرى ج ۴ ص ۳۰۰.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۲۹

اطمئنّ إليه من عهودكم و مواثيقكم دخلنا معكم مصركم، و ان تكن الاخرى انصرف من حيث أتيت» «۱».

و ادّعى الحرّ انه لا يعلم بهذه الكتب. و رفض الامام الذهاب الى الكوفة و سلك طريق الحجاز «۲». فاصطف الحر و فرسانه معترضا طريقه. و بعد أخذ و ردّ اتفقا على سلوك طريق وسط لا تؤدى الى الكوفة و لا الى الحجاز، فالتزما طريقا تؤدى الى العذيب» «۳».

و هنا عرض الطرماح بن عدى على الامام ان يسير نحو جبال طى لكنه ردّ عليه هذا الاقتراح بسبب ما توافق عليه مع الحر «۴». و حاول الامام فى مسيره التباعد عن الكوفة جهد المستطاع، لكن الحر كان يمنعه من ذلك حتى بلغوا قصر بنى مقاتل، ثم توجّهوا منها الى نينوى «۵». و فى نينوى وصل الى الحر كتاب من ابن زياد يأمره فيه أن يجعجع بالامام، و لا يحلّه الا بالعراء على غير خمر و لا ماء «۶».

و هنا جاء عدد من شيعة الكوفة، و رغم معارضة الحر لهم فانهم قد دخلوا فى عسكر الحسين «۷». و كتب البلاذرى ما يلى: طلب الامام من الحر السماح له

(۱) الدينورى، الاخبار الطوال ص ۲۴۹، البلاذرى- انساب الاشراف ج ۲ ص ۱۷۰، ابن الاعثم ج ۵ ص ۱۳۵.

(۲) الدينورى، الاخبار الطوال ص ۲۵۰.

(۳) نفس المصدر ص ۲۵۰، ابن الاعثم ج ۵ ص ۱۴۱، البلاذرى- انساب الاشراف ج ۲ ص ۱۷۰.

(۴) الطبرى ج ۴ ص ۳۰۷، البلاذرى- انساب الاشراف ج ۲ ص ۱۷۳.

(۵) الدينورى- الاخبار الطوال ص ۲۵۱.

(۶) البلاذرى- المصدر السابق ج ۲ ص ۱۷۶، الدينورى المصدر نفسه.

(۷) نفس المصدر السابق.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۳۰

بالذهاب الى الشام ليضع يده بيد يزيد «۱».

لكن اكثر المؤرخين ضعّفوا هذه الرواية، مضافا الى ان كل الذى جرى و يجرى الى تلك اللحظة انما كان بسبب عدم مبايعة الامام ليزيد، فلو كان عليه السّلام مستعدّا للبيعة لما وقعت تلك الحرب و لما أريقت كل تلك الدماء.

و بينما كان الحر يساير الامام، عرض زهير بن القين على الامام قتال هؤلاء القوم فهم قلة و قتالهم أيسر، لكن الامام رفض هذا الاقتراح قائلا: «إنّى اكره أن ابدأهم بالقتال» «۲».

و أكره الامام على النزول هناك، فامر بحط اثقاله فى كربلاء و كان ذلك يوم الاربعاء فى الاول من المحرم او يوم الخميس الثانى منه. و قال الدينورى انه كان يوم الاربعاء «۳».

و فى اليوم التالى بدأ جيش ابن زياد يتحشد فى ذلك المكان تدريجيا. و كان ابن زياد يؤكد على وجوب ان تتلطخ أيدى جميع القبائل بدم سبط النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ليحول بذلك دون قيامها فى المستقبل باىّ تحرّك محتمل بدافع الانتقام لدم الحسين عليه السّلام. و بناء على رواية ابن اعثم فقد سار من الكوفة ما يقارب ۲۲ ألف رجل. لكن رواية البلاذرى «۴» و الدينورى «۵» تشير الى أن الكثير منهم تخلّفوا فى منتصف الطريق و فرّوا من جيش ابن زياد، لأن اكثرية اهل الكوفة لم تكن راغبة

(۱) نفس المصدر السابق.

(۲) الدينورى- الاخبار الطوال ص ۲۵۳.

(۳) نفس المصدر ص ۲۵۳.

(۴) البلاذرى- انساب الاشراف ج ۲ ص ۱۷۹.

(۵) الدينورى، الاخبار الطوال ص ۲۵۴.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۳۱

فى قتال سبط الرسول، لذلك اصدر ابن زياد بيانا جاء فيه:

«أيّما رجل وجدناه بعد يومنا هذا متخلّفا عن العسكر برئت منه الذمة» «۱». و تحت تأثير مثل هذا التهديد توجّهت هذه الجموع الى كربلاء.

و حتى عمر بن سعد بن ابى وقّاص الذى كان متأهبا للرحيل الى بلاد فارس كوال جديد على الرى لقتال الديالمة المشركين، و رغم كراهيته الشديدة هو و بنى زهرة «۲» للمشاركة فى دم الحسين عليه السّلام فقد جاءه امر ابن زياد بالقضاء اوّلا على الحسين و من ثم الذهاب الى الرى و تسلّم منصب الولاية عليها. و لذا عين قائدا لجيش الكوفة. و مرّ الرجل بحالة من الصراع النفسى الداخلى المرير حول هذا الموضوع انتهت به الى اختيار ولاية الرى فى مقابل اراقة دم سبط رسول اللّه «۳».

و كان اوّل عمل قام به ابن سعد بعد وصوله الى كربلاء هو ارسال مبعوث من قبله الى الامام ليستفسر منه عن سبب قدومه. فعرض عليه الامام جميع الرسائل التى وصلته من اهل الكوفة و قال:

«ان كان اهل هذا المصر غير راغبين فى استقبالى فانى راجع من حيث اتيت».

و كان ابن سعد يبحث عن طريق للتخلّص من هذا المأزق فبعث بكتاب الى ابن زياد جاء فيه: «قطع لى الحسين عهدا بالرجوع الى الحجاز او الذهاب الى أحد

---

(۱) البلاذرى- انساب الاشراف ج ۲ ص ۱۷۸.

(۲) ابن سعد، مجلّة تراثنا العدد العاشر ص ۱۷۸.

(۳) ابن الاعثم ج ۵ ص ۱۷۳.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۳۲

الثغور الاسلامية و العيش فيها كإنسان عادى. و فى هذا لك رضا و للامة صلاح» «۱».

و ابدى ابن زياد رغبة فى قبول رأى ابن سعد لكن الشمر جعله يعدل عن رأيه فكتب الى عمر بن سعد ما يلى: «لم ابعثك الى الحسين لتطاوله الايّام، فان نزل الحسين و اصحابه على الحكم فابعث بهم إلىّ سلما، و ان ابوا فازحف إليهم حتى تقتلهم و تمثّل بهم فانهم مستحقون لذلك» «۲».

فارسل عمر بن سعد بكتاب ابن زياد الى الحسين، فقال الحسين للرسول:

«لا أجيب ابن زياد الى ذلك ابدا فهل هو الّا الموت فمرحبا به» «۳».

و ورد كتاب ابن زياد الى عمر بن سعد: «ان امنع الحسين و اصحابه من الماء فلا يذوقوا منه قطرة كما صنع بالتقى الزكى عثمان» «۴».

و كتب له كتابا آخر جاء فيه: «بلغنى ان الحسين و اصحابه حفروا الآبار و هم يشربون منها فاذا وصلك كتابى هذا امنعهم من ذلك و شدد عليهم فى الماء جهد المستطاع» «۵».

و فى الأيام الاخيرة التقى الامام بابن سعد عدّة مرّات، و جهد فى اقناعه بالتخلى عن تنفيذ الجريمة التى امر بها، لكن هاجس ولاية

الرى- و كما تشير الروايات التاريخية- كان قد افقده صوابه.

---

(۱) المفيد، الارشاد ص ۳۳۹ طبعة بصيرتى- قم.

(۲) ابن الاعثم ج ۵ ص ۱۶۶، البلاذرى- انساب الاشراف ج ۲ ص ۱۸۳.

(۳) الدينورى. الاخبار الطوال ص ۲۵۴.

(۴) ر. ك. الدينورى ص ۲۵۵، البلاذرى ج ۲ ص ۱۸۰، فيما يخص تهمة ابن زياد بشأن عثمان راجع كتاب التاريخ السياسى للاسلام الى سنة اربعين للهجرة ص ۳۷۷.

(۵) ابن الاعثم ج ۵ ص ۱۶۲، الطبرى ج ۴ ص ۳۱۱.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۳۳

و فى عصر التاسع من المحرم ابتدأ جيش الكوفة القتال، فسألهم الامام تأخير الحرب الى غد، فأجابوه. و فى الليل خاطب الامام انصاره و كل من تبعه قائلا لهم:

«إنّى قد اذنت لكم جميعا فانطلقوا فى حلّ ليس عليكم منّى ذمام، هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملا و ليأخذ كل منكم بيد رجل من اهل بيتى». فاعلن اصحابه استعدادهم للتضحية و الفداء «۱».

و فى تلك الليلة امر الحسين اصحابه ان يحفروا وراء البيوت اخدودا لئلا يأتوا من ادبار البيوت فيدخلوها. و انقضت ليلة العاشر من المحرم. و فى الصباح الباكر كان الجيشان قد اصطفا فى مقابل بعضهما استعدادا للقتال.

و عبأ الحسين عليه السّلام انصاره و هم خمسون رجلا ممن كانت لديهم القدرة على الحرب و اما العشرون الآخرون- كما ذكر ابن سعد «۲»- فهم الذين انضمّوا إليه من جيش الكوفة. ثم وجه الحسين عليه السّلام خطابه الى جيش الكوفة قائلا:

«قد أتتنى كتبكم و رسلكم ببيعتكم و انكم لا تسلمونى و لا تخذلونى، فان تممتم علىّ بيعتكم تصيبوا رشدكم، و انا الحسين بن على بن فاطمة بنت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم نفسى مع انفسكم و اهلى مع اهلكم فلكم فىّ أسوة، و ان لم تفعلوا و نقضتم عهدى و نقضتم بيعتى فلعمرى ما هى لكم بنكير. لقد فعلتموها بأبى و اخى و ابن عمّى مسلم بن عقيل. عودوا الى رشدكم و انسبونى و انظروا هل يحق لكم قتلى و انا سبط النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و ابن ابن عمه و هو اول

---

(۱) ابن سعد، مجلة تراثنا- العدد العاشر ص ۱۷۸، ابن الاثير- الكامل فى التاريخ ج ۴ ص ۵۸.

(۲) ابن سعد- تراثنا ص ۱۷۸.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۳۴

القوم اسلاما و اعمامى جعفر و الحمزة و العباس. أ لم تسمعوا رسول اللّه يقول عنى و عن اخى: «الحسن و الحسين سيّدا شباب اهل الجنة»، و ان لم تصدقوا فاسألوا جابر بن عبد اللّه الانصارى و ابا سعيد الخدرى و زيد بن ارقم، فهم احياء» «۱».

و لم يكن الحر بن يزيد يتصور حتى ذلك الوقت ان هذه التحركات ستنتهى الى حرب جدّية مع سبط رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم. و لكنّه لما رأى ان القضية اضحت جادّة جاء الى ابن سعد و سأله: أ لم يقنعك كلام الحسين؟ فاجابه ابن سعد: «لو كان بيدى لما قتلته».

و بعد هذه الاحداث انحاز الحر بن يزيد الى الحسين و اعتذر له عما كان منه و اختار طريق الشهادة، و كان اول شهيد من انصار الامام الأوفياء «۲».

و كان نهج امير المؤمنين عليه السّلام فى جميع الوقائع العسكرية و المعارك أن لا يكون البادئ بالحرب، و ها هو ذا ابنه الحسين عليه

السّلام يتأسى بنهج ابيه فلا يبادر بالحرب. و كان عمر بن سعد هو الذى اطلق اول سهم على جيش الحسين و قال للقوم: «اشهدوا لى عند الامير بأنى اوّل من رمى سهما على جيش الحسين» «۳».

و شبّت الحرب، و كانت فى أولها على شكل مبارزة فردية فكانت خسائر العدوّ اكثر بكثير من شهداء الحسين. فارعب هذا المشهد عمرو بن الحجّاج فصاح:

---

(۱) ابن سعد- مجلة تراثنا، العدد العاشر ص ۱۸۱، ر. ك. ابن الاثير ج ۴ ص ۶۱.

(۲) ابن الاثير ج ۴ ص ۶۴.

(۳) الطبرى ج ۴ ص ۳۲۶، ابن الاعثم ج ۵ ص ۱۸۳.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۳۵

«إنكم تقاتلون شجعان العرب و لو لم ترموهم بالحجارة ليقتلونكم» «۱».

فحمل جيش الكوفة حملة واحدة على الامام و اصحابه، و استشهد خلال عدّة معارك جميع انصار الحسين حتى لم يبق معه غير اهل بيته و ثم استشهد جميع اهل بيته، و انتهت المعركة باستشهاد الامام مع ۷۰ رجلا من اصحابه.

دور الانحراف الدينى فى واقعة كربلاء

لقد حصلت فى المجتمع الاسلامى خلال الفترة الممتدة من وفاة النبى الاكرم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و حتى واقعة كربلاء تغييرات و انحرافات ثقافية جسيمة. و بالرغم من ان نمو و انتشار هذه الانحرافات اتخذ طابعا متدرّجا، لكن الكثير من العلماء يعتقدون ان قواعدها الاولى قد أرسيت فى السنوات الاولى التى تلت رحلة النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

و الانحرافات التى تهمّنا فى هذا الصدد هى تلك الانحرافات التى استغلها الحكّام لاستغفال الناس و تبرير جورهم و استبدادهم.

و كان لبنى أميّة دور فاعل فى ايجاد و نشر هذه الانحرافات، و كانوا يستغلّونها دائما للتغطية على تصرفاتهم المعادية و المخالفة للاسلام، لانهم لم يكونوا قادرين على صياغة شخصياتهم الجاهلية المتفرعنة، و اخراجها بشكل ينسجم مع الاسلام. و استخلاف يزيد هو احد الاحداث التاريخية التى اثبتت ان بنى أمية لا يقيمون للاسلام اى وزن، و ان تظاهرهم به انما هو لمجرّد التغطية على وجههم القبيح، و تبرير تسلطهم على رقاب الناس و اكراه الناس على قبولهم.

---

(۱) الطبرى ج ۴ ص ۳۳۱، ابن الاثير ج ۴ ص ۶۷.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۳۶

و قد وصف الامام الحسين عليه السّلام بنى أميّة بقوله: «إنّ هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان و تركوا طاعة الرحمن و اظهروا الفساد و عطّلوا الحدود و استأثروا بالفيء» «۱».

و من اجل تنفيذ مخططاتهم الشيطانية الفاسدة، عمدوا الى تحريف المفاهيم الاسلامية الاصيلة و جعلوا يستغلونها فى موارد غير مشروعة. و سنورد فيما يلى امثلة و نماذج لتلك المفاهيم التى امتدت ايديهم إليها بالتحريف، و كان لها دور مؤثر فى وقوع حادثه كربلاء المأساوية مع اسناد ذلك بالشواهد التاريخية.

طاعة الائمة، و وجوب حفظ الجماعة، و حرمة نقض البيعة

تعتبر العبارات الثلاث هذه هى من اكثر الاصطلاحات تداولا على السنة الكثير من الخلفاء، و ربّما يمكن القول بانها كانت تقيم دعائم خلافتهم و تضمن بقاءها و استمرارها. و المصطلحات الثلاثة المارّة الذكر صحيحة باجمعها و تشتمل على مفاهيم اسلامية أساسية دينية و سياسية. و حتى من الناحية العقلية أيضا فان استمرار المجتمع و حفظ الحياة الاجتماعية من الانهيار يقوم على هذه المبادئ الثلاثة المهمّة.

صحيح ان طاعة الامام تحظى بأهمية بالغة، لأن طاعة الامام تعنى اتباع النظام الحاكم، و لكن هل يجوز اطاعة اى امام و لو كان جائرا؟ امان الامام يجب أن يتمتع بجملة من الشروط و الصفات و من ضمنها العدالة و التنفيذ الصحيح و الدقيق للاحكام الاسلامية؟

---

(۱) البلاذرى- ج ۲ ص ۱۷۱، ابن الاعثم ج ۵ ص ۱۴۴، الطبرى ج ۴ ص ۳۰۴.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۳۷

و مما يؤسف له ان عدم وجوب العدالة اصبح امرا مقبولا من الناحية العملية، بل من الناحية النظرية أيضا ارتضاه عدد كبير من الناس.

و المحافظة على الجماعة تعنى عدم اثارة الاضطرابات و الفتن و عدم القيام بما من شأنه تفريق وحدة الصف، و زعزعة المجتمع، و لكن هل يمكن الصمت ازاء التسلط الاستبدادى و الحاكم الفاسق؟ و اذا ارتفع صوت بالاحتجاج ضد مثل هذه الحكومة، هل يجب اعتباره اخلالا بالنظام الاجتماعى و تفريقا لوحدة الجماعة؟! اما عدم نقض البيعة فقد اثنى عليه الاسلام كثيرا باعتباره تمسكا بالعهد، و بالغ فى مذمّة نقض العهد و البيعة، و لكن اذا كان المبايع مثل يزيد او البيعة المنقوضة مثل بيعته فهل يخلّ ذلك بالجماعة؟ بل و يتوسع فى هذا المبدأ بحيث يدان المعترض و يستنكر فعله أم يجب استثناء مثل هذه الموارد من المبدأ المذكور؟

و كما سبقت الاشارة فان خلفاء بنى أميّة و من بعدهم خلفاء بنى العباس استغلوا هذه المفاهيم بشكلها المحرف- اى بمعنى الاستفادة من هذه المبادئ الثلاثة محذوفا منها الشروط و الضوابط التى وضعها الاسلام لها- و بهذا الشكل كانوا يدفعون الناس الى القبول بحكمهم.

فعند ما اراد معاوية اخذ البيعة ليزيد ذهب الى المدينة لكى يكره المعارضين فيها على المبايعة أيضا، و كانت عائشة من جملة المعارضين، لأن اخاها محمد بن ابى بكر قد قتل على يد معاوية، و لما عرض عليها موضوع البيعة خاطبها قائلا:

«اننى قد اخذت البيعة ليزيد من جميع المسلمين، فهل تجيزين لى نقضها.

فاعتبر تلك البيعة التى ثبتت كأنها فى حكم العدم و ان يخلع الناس عهودهم»؟

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۳۸

فقالت له عائشة: «انى لا ارى ذلك و لكن عليك بالرفق و التأنى» «۱».

و هذه الحالة تبيّن لنا كيف ان عائشة قد لانت و تساهلت فى مبدأ نقض البيعة و تركت معاوية لحاله. لأن مبدأ عدم نقض البيعة و بالشكل الذى استغلّه معاوية هو من نتاج افكار عائشة و امثالها.

يقول ابن إسحاق: كنا نصلى (ظاهرا فى المسجد الحرام) و كان شمر بن ذى الجوشن يصلى معنا أيضا. و بعد الصلاة رفع يديه الى السماء و قال: اللهم انك تعلم انى رجل شريف فاعف عنّى. فقلت له: و كيف يعفو عنك و أنت ممن اشترك فى قتل سبط الرسول؟ فقال: و ما عسانا ان نفعل؟ لقد امرنا أمراؤنا بفعل ذلك، و كان ينبغى علينا فعل ما أمروا به و ان لا نعصى لهم امرا، لأننا لو عصينا، لكنّا شرّا من هذه الحمير السقاعات «۲».

و قال ابن زياد لمسلم بن عقيل بعد القبض عليه:

«يا شاقّ خرجت على امامك و شققت عصا المسلمين؟» «۳».

و قال شرطة عمرو بن سعيد بن العاص (و الى مكة) للامام الحسين عليه السّلام اثناء خروجه منها: «الا تتقى اللّه تخرج عن الجماعة و

تفرّق بين هذه الامّة» «۴».

و يعلل عمرو بن الحجّاج احد قادة جيش الكوفة تلك الجريمة و يقول مفتخرا:

---

(۱) ابن الاعثم- ج ۴ ص ۲۳۷، ابن قتيبة. المصدر السابق ج ۱ ص ۱۳۸.

(۲) ابن سعد تراثنا، العدد العاشر ص ۱۹۷، ابن حجر، لسان الميزان ج ۳ ص ۱۵۲ الحمير السقاعات.

(۳) ابن الاعثم ج ۵ ص ۹۸.

(۴) الطبرى ج ۴ ص ۲۸۹.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۳۹

«إننا لم نعص امامنا و لم نفارق الجماعة» «۱».

و عند ما كان يحثّ جيش الكوفة على القتال كان يقول لهم:

«الزموا طاعتكم و جماعتكم و لا ترتابوا فى قتل من مرق عن الدين و خالف الامام» «۲».

و كان رجل مثل عبد اللّه بن عمر- و هو من جملة فقهاء اهل السنّة و محدّثيهم- يعتقد لو ان الناس بايعوا رجلا فاسقا و غير كفؤ مثل يزيد، يجب عليه انه يقبل البيعة. و لهذا فقد قال لمعاوية بشأن بيعة يزيد:

«فاذا اجتمع الناس على ابنك يزيد لم أخالف» «۳».

و كتب أناس من امثال عمرة بنت عبد الرحمن بن عوف الى الامام الحسين عليه السّلام ما يلى: «التزم الطاعة و تمسّك بالجماعة و اعتبرها واجبة عليك» «۴».

الاعتقاد بالجبر

ان أحد المواضيع التى كان لها دور منحرف فى تاريخ الاسلام خاصة فى واقعة كربلاء هو الاعتقاد بالجبر، يقول ابو هلال العسكرى: «ان معاوية كان هو المبتكر له» «۵».

---

(۱) نفس المصدر ص ۲۷۵.

(۲) الطبرى- ج ۴ ص ۳۲۱.

(۳) ابن سعد- مجلة تراثنا- العدد العاشر ص ۱۶۷.

(۴) نفس المصدر السابق.

(۵) ابو هلال العسكرى- الاوائل. ج ۲ ص ۱۲۵.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۴۰

فقد قال عن بيعة يزيد:

و ان أمر يزيد قضاء من القضاء و ليس للقضاء الخيرة من امرهم» «۱».

و قال عبيد اللّه بن زياد للامام السّجاد: «أو لم يقتل اللّه عليا؟».

فقال له الامام: «كان لى أخ يقال له على، اكبر منّى قتله الناس؟» «۲».

و لمّا تعرّض عمر بن سعد للانتقاد و المذمّة لمشاركته فى قتل الامام الحسين عليه السّلام قال: «كان ذلك قدرا من اللّه مقدّرا» «۳».

و كان كعب الاحبار اليهودى المتظاهر بالاسلام يتملّق لبنى أميّة و يقول رجما بالغيب: «ان الخلافة لن تصير الى بنى هاشم».

رغم ان الخلافة و الحكومة صارت فيما بعد بيد العباسيين و العلويين و كلاهما من بنى هاشم و نقلت نفس هذه النبوءة أيضا عن عبد اللّه بن عمر انه قال:

«فاذا رأيت الهاشمى قد ملك فقد ذهب الزمان» «۴».

و بناء على هذه التحريفات لم يعتبر الكثير من المؤرخين و الباحثين السنّة ثورة الامام الحسين عليه السّلام ثورة ضد الفساد، و وصفوها بانّها تمرّد غير شرعى لا أكثر «۵».

---

(۱) ابن قتيبة- المصدر السابق ج ۱ ص ۱۸۷ و ص ۱۸۳.

(۲) ابن سعد- مجلة تراثنا- العدد العاشر ت ص ۱۸۸.

(۳) ابن سعد ت الطبقات الكبرى ج ۵ ص ۱۴۸ ط بيروت.

(۴) ابن عساكر- ترجمة الامام الحسين من تاريخ دمشق ص ۱۹۳.

(۵) تاريخ الاسلام- جامعة كامبردج ج ۱ ص ۸۱ النص الانجليزى. و راجع كتاب الشبراوى الاتحاف بحب الاشراف، ترجمة الحسين عليه السّلام.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۴۱

موقف أهل الكوفة من واقعة كربلاء

ورد فى كتب التاريخ كما شاع بين الناس بما يشبه المثل ان اهل الكوفة اهل غدر و خيانة و قلّما تجد لهم وفاء بالعهد، و قد اشرنا سابقا الى نفسية اهل الكوفة و قلنا انهم كانوا عجولين و انهم يتعجّلون دوما فى اتخاذ قراراتهم و غالبا ما كان ينتهى ذلك بضررهم و ضرر حكامهم. فقد كانوا سريعى الغضب و سريعى الرضى يسارعون الى الاستسلام كما يسارعون الى التمرّد، و هذه الصفات الى جانب بعضها كانت النفسية السائدة عند اولئك القوم. و سنتحدث فيما يلى عن موقفهم عن حادثة كربلاء.

كان اهل الكوفة يتألفون من مجموعة من القبائل المختلفة التى كانت تركيبتها عرضة للتغيير و التبديل اثناء الادوار المختلفة للحكّام. و كانت تلك التغييرات فى تقسيمات القبائل تتم بما يتناسب و مصالح الحكّام. و فى نفس الوقت كان الحكّام يراعون رؤساء القبائل و اشرافها لعلمهم بأن نفوذهم و سيطرتهم فى كثير من الحالات اكثر و اقوى من سيطرة و نفوذ الحكام و الولاة.

و كان الشيعة يؤلّفون جزء من سكان هذه المدينة. و رغم ان بعض القبائل اشتهر بالتشيع الا أنه لا يمكن القول ان القبيلة الفلانية كان جميع افرادها شيعة.

و هكذا فان الشيعة كانوا ينتشرون فى القبائل و لم يكن فيما بينهم انسجام كامل، و كانت تحكمهم النزعات القبلية الخاصّة إضافة الى تلك النفسية الكوفية التى تهيمن عليهم.

و لم يكن عدد الشيعة آنذاك كبيرا جدا، اذ ذكر ان حجر بن عدى عند ما وقف فى مسجد الكوفة بوجه زياد انضمّ إليه نصف او ثلث الحاضرين فى المسجد. الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ج۱ ۱۴۲ موقف أهل الكوفة من واقعة كربلاء ..... ص : ۱۴۱

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۴۲

لكن الكثير منهم كانوا يشايعون أولاد على فى المسائل السياسية فحسب فيصدق على هؤلاء الاشخاص كلمة التشيّع السياسى اكثر من كلمة التشيّع العقائدى.

و بناء على هذا لم يكن شيعة امير المؤمنين عليه السّلام الحقيقيّون كثيرى العدد و العدّة.

لا شک ان اهل الکوفة استدعوا الامام الحسین علیه السّلام و لم ینصروه، بل قد کان لهم دور مباشر فی قتله. لکن علینا أن نری من هم أولئک الناس؟ و من الذین کتبوا الکتب و لما ذا لم ینصروه؟ و ...

لا بـد من الاشارة اولا الی ان نمط التفکیر الشـیعی فی الکوفة قد احرز تقدما ملفتا للنظر، فان اهل الکوفة لم یعارضوا الامویین فحسـب بـل و عارضوا بنی العباس أیضا لأنهم غصـبوا حق آل علی فی الحکم. و لهـذا السـبب نجـد المؤرخین و المحـدّثین المرتبطین بالبلاط الاموی کانوا شدیـدی الکراهیـة لاهل الکوفـة و کـذلک الحال بالنسـبة للعلماء المرتبطین بالسـلطات العباسـیة فانهم کانوا ینظرون الی الکوفـة بنفس تلک النظرة الحاقـدة. و الظلم الـذی تعرضت له الشـیعة لم یکن منحصـرا بالظلم السیاسـی فحسب بل تعـدّاه الی الناحیة الفکریـة و العقائدیـة اذ کـان الشـیعة یتّهمون دومـا بـالکفر و الانـحراف عن الاسـلام من قبل العلماء المأجورین. و هـذا أمر لا بـد من ملاحظته و الامعان فیه عنـد مطالعة و نقل الاحداث التاریخیة، فان المؤرخین کانوا ینظرون الی الوقائع التاریخیة من منظار معاد للتشـیّع و حاقـد علی الشـیعة. و من خلال الالتفات الی هـذه النقطـة یتحقق لـدینا ان مثل هؤلاء المؤرخین یحاولون دائما وصف الشـیعة بعـدم الوفاء، و یلقون بجریمـة عـدم دفاع الکوفة عن الحسـین علیه السّـلام فی رقاب الشـیعة. فی الوقت الذی سـیظهر علی ضوء الملاحظات التالیـة ان أهل الکوفـة کانوا لا یقوون علی الدفاع عن الامام الحسـین علیه السّـلام لعدم توفّر المعنویات الکافیة لذلک، فلو أنهم عزموا علی التضحیة الی حد الایثار لکان

الحیاة الفکریة و السیاسیة لأئمة أهل البیت علیهم السلام ،ج۱،ص:۱۴۳

بإمکانهم تغییر الاوضاع الی حدّ ما. هذه خلاصة رأینا فی هذا الصدد و سنستعرض فیما یلی مجموعة من الشواهد التی تثبت ذلک:

لقد کان بامکان اهل الشام ان یتحمّلوا یزیدا بکل یسـر و سهولة، لکن هذا الامر کان فی منتهی الصعوبة بالنسبة لاهل الکوفة، لذا فعند ما اسـتخلف یزیـد شـرع اهل الکوفـة برفع لواء المعارضة، و نظرا لأن الکثیر من اهل الکوفة لم یکن لدیهم البدیل المناسب لیزید، فقد توجّهوا صوب الحسـین بن علی علیه السّـلام. و فی هذا السـیاق نلاحظ انه عند ما وجّهت الدعوة من قبل الشـیعة فانها قد حظیت لیس فقط بـدعم الناس العادیین ذوی القلوب الطیّبة و النوایا الصافیة- و هذا ما تتصف به الطبقة العامة من کلّ شـعب- بل و حظیت کذلک بـدعم رؤساء القبائل و الجماعات الـذین وجدوا مناصـبهم مهددة بالخطر او الذین تأثروا بالاجواء الروحیة و المعنویة التی سادت عامّة الناس فاظهروا تعاطفهم مع الثورة و دعمهم لها. فکان نتیجـة ذلک ان ساد الکوفـة جو کاذب من الـدعم و التأییـد للامام، و قـد ساعد علی اشاعة هذا الجو وضـعیة والی الکوفة آنذاک النعمان بن بشیر اذ کان رجلا هادئا یؤثر العافیة و استمر هذا الجو فی الانتشار بسرعة و علی نطاق واسع الی حین تسلّم ابن زیاد ولایة الکوفة.

لکنّا لو أمعنّا النظر فی خطبة الامام الحسین علیه السّلام التی قال فیها:

«و ما کانت کتبکم إلیّ الا مکیـدة لی و تقربا الی ابن معاویـة» «۱» لظهر امامنا احتمال آخر أیضا بشأن الدعوة التی وجهها إلیه اشـراف الکوفة، و هو أنهم أثاروا مثل هذه الجو عن قصد، لکی یجرّوا الامام الی العراق حتی یقتل بتلک الصورة

---

(۱) البلاذری، ج ۲ ص ۱۸۵، ابن الاعثم ج ۵ ص ۱۶۹.

الحیاة الفکریة و السیاسیة لأئمة أهل البیت علیهم السلام ،ج۱،ص:۱۴۴

المأساویة.

و علی ایّ حال فقد کان القسم الاعظم من ذلک الجو ایجابیا، حتی ان مسلم حمل نفس الانطباع أیضا بعد مشاهدته لأوضاع الکوفة و کتب الی الامام یستدعیه إلیها علی اساس ذلک الانطباع.

ضغط ابن زیاد علی اهل الکوفة

قلّما تجد أناسا يجرءون على اعلان معارضتهم لأية سلطة او يبدون مقاومة لها فيما اذا كان على رأس تلك السلطة طاغوتا متجبّرا جائرا.

ففى عهد حكومة النعمان بن بشير الذى كان رجلا متساهلا و لا يتدخّل كثيرا فى امور الناس، كان اهل العراق يعبّرون عن آرائهم و معتقداتهم بحرية و من جملة ذلك ميولهم نحو آل بيت النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و على هذا الاساس اعلنوا مساندتهم لمسلم عند دخوله الكوفة. الّا أن مجيء ابن زياد و جلوسه محل النعمان قد غيّر الاوضاع فى الكوفة رأسا على عقب.

لقد ارعبت قسوة ابن زياد نسبة كبيرة من اهالى الكوفة، حيث رأى اولئك الملولون المتأرجحون الذين يتعجّلون فى قراراتهم و لا يثبتون على امر انفسهم، مهدّدين من قبل ابن زياد و لم يقف الامر عند هذا الحد، بل انهم انهاروا تماما فى ظل الشائعات التى تشير الى قرب وصول جيش الشام.

و قد اتّسع نطاق هذا التراجع و التخاذل عند ما تأكّد اشراف الكوفة من ثبات و استقرار حكم بنى أمية فانضموا الى ابن زياد و لم تكن عامّة الناس يرون من مصلحتهم معارضة رؤساء قبائلهم كما حصل عند هجوم مسلم على دار ابن

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۴۵

زياد، اذ ان الاشراف هم الذين اوصلوا انصار مسلم الى اقل عدد ممكن عن طريق الترغيب و الترهيب، و اثبتوا بذلك مدى قدرتهم على التأثير فى الناس «۱».

بل لو ان احد رؤساء القبائل اعلن معارضته فان افراد قبيلته ما كانوا يجرءون على مساندته فى مقابل استبداد ابن زياد. و اذا كان هذا وضع المساندة و الحماية القبلية الذى كان يعتبر الاكثر اهمية و تأثيرا فى المجتمع العربى آنذاك، فما ذا سيكون عليه حال مساندة الامام الحسين عليه السّلام دينيا. فان هانى بن عروة، رئيس قبيلة بنى مراد، كما ينقل عنه المؤرخون كان اذا اراد الخروج للحرب سار معه اربعة آلاف فارس، و ثمانية آلاف راجل. و لو اضفنا إليهم قسمان بنى مراد من كندة لبلغ جيش هانى الثلاثين الفا. و رغم كل هذا فلما قبض عليه و سحبوه فى سوق الكوفة- كما امر ابن زياد- ظل يستغيث و يندب قبيلته لكن احدا لم يغثه و لم يلبّ نداءه «۲». و من ثم قتل بعد ذلك و لم يتجرأ احد على الاعتراض.

و عند ما أجبر الامام الحسين عليه السّلام على النزول فى كربلاء خطب ابن زياد بالناس و كلمهم بلغة الترغيب و الترهيب و حثّهم على المشاركة فى قتل الامام قائلا:

«فأيما رجل وجدناه بعد يومنا هذا متخلّفا برئت منه الذمّة» «۳».

و هذا يعنى انه هدد المتخلفين بالقتل.

و فى هذا السياق امر ابن زياد القعقاع بن سويد بملاحقة المتخلفين و تقديمهم

---

(۱) الطبرى ج ۴ ص ۲۷۷.

(۲) المسعودى- مروج الذهب ج ۳ ص ۵۹.

(۳) البلاذرى- المصدر السابق ج ۲ ص ۱۷۸، الدينورى- الاخبار الطول ص ۲۵۵.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۴۶

إليه. فقبض هذا على رجل من قبيلة همدان كان قد جاء الى الكوفة فى طلب ارث ابيه، و قدمه إليه على انه متخلّف فضربوا عنقه كما امر ابن زياد. و منذ ذلك الحين، كما يذكر بعض المؤرخين، «لم يبق محتلم بالكوفة الّا خرج الى العسكر بالنخيلة» «۱».

و بدأت السيوف تتأهب لقتل الحسين عليه السّلام بينما يمكن القول و بكل اطمئنان و ثقة ان الخيار لو ترك للناس لما فعلوا هذه الفعلة، عندها يمكننا ان ندرك بشكل افضل معنى مقولة الفرزدق فى وصفه لأهل الكوفة: «قلوبهم معك و سيوفهم عليك» «۲».

او كما ورد فى رواية أخرى انّه قال:

«أنت احب الى الناس، و القضاء فى السماء، و السيوف مع بنى أميّة» «۳».

و لم يكن بميسور النـاس فى ظل تلك الظروف عـدم التوجه الى كربلاء لأن عـدم الـذهاب كان يعنى القتل. و لم يكن امام الشـيعة او غيرهم ممن لم يكونوا راغبين فى الذهاب سوى طريقين لا ثالث لهما: اما الانضمام الى الامام او الابتعاد عن دائرة الصراع.

و لا ريب ان ما ذكرناه لا يعنى اعذار الناس من جهة التكليف الدينى.

---

(۱) نفس المصدر السابق، ص ۱۷۹.

(۲) الطبرى ج ۴ ص ۲۹۰، ابن الاعثم ج ۵ ص ۱۲۴- ۱۴۰، الدينورى- الاخبار الطوال ص ۲۴۵.

(۳) ابن سعد- مجلة تراثنا- العدد العاشر ص ۱۷۱، ترجمة الحسين من تاريخ دمشق ص ۲۰۶.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۴۷

فرار الناس و انحيازهم الى معسكر الحسين

تفيد بعض الروايات القديمة جدا بأن اهل الكوفة كانوا يرسـلون بالتهديد و الاكراه لمحاربة الامام الحسـين عليه السّلام، و لهذا السبب فقد فرّ الكثير منهم فى وسط الطريق و التحقوا بمعسكر الامام الحسين.

فان الارقام المنقولـة عن عـدد جيش ابن زياد فى كربلاء هى عادة الارقام المنقولة فى اثناء تعبئة الجيش فى النخلية، فى حين ان الذين حضـروا كربلاء من مجموع الجيش المرسل من الكوفة- و كما سـيتضّح فيما بعد- لا يتجاوز العشـرة آلاف رجل بل ربما كان اقل من ذلك.

و لا يشـكّل هذا الرقم سوى عدد ضـئيل من سـكان الكوفة الذين ينقل بعض المؤرخين انه كان يحضر فى مسجدها وحده اربعون الفا «۱».

و الـذى يظهر لنا من مجموع النقاط السابقـة ان الكثير من الناس كانوا قـد اخفوا انفسـهم فى الكوفة، او هربوا من الجيش فى منتصـف الطريق.

كتب البلاـذرى بهـذا الصـدد: «و كـان الرجـل يبعث فى الف فلا يصل الّا فى ثلاثمائـة او اربعمائـة و اقلّ من ذلك كراهـة منهم لهـذا الوجه» «۲».

و كتب الـدينورى أيضا: «ان ابن زياد كان اذا بعث قائدا و ارسل معه عددا كبيرا من الجنود الى كربلاء فانهم يصـلون الى كربلاء و لم يبق منهم الا القليل كانوا يكرهون قتال الحسين فيرتدعون فيتخلّفون» «۳».

---

(۱) التشيع فى مسار التاريخ ص ۱۶۰ «النص باللغة الانجليزية».

(۲) البلاذرى انسان الاشراف ج ۲ ص ۱۷۹.

(۳) الدينورى- الاخبار الطوال ص ۲۵۴.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۴۸

و كان أيضا من اهل الكوفة من يحاول الانضـمام الى الامام، فرغم أنّ الامام لم يمض على وصوله الى كربلاء حتى استشهاده اكثر من ثمانيـة أيّام و ان الكثير من الناس لم يكن يتصوّر ان القضـية جادّة الى هذا الحد. فهذا الحر بن يزيد مع منصـبه العسـكرى لم يدرك و خامة الاوضاع حتى صـباح العاشـر من المحرّم فانحاز الى الامام. و لهذا السبب فان اكثر الشيعة و ان كانوا قد عقدوا العزم على مساندة

الامام فانهم لم يتعجلوا فى الأمر، و لم يكن احد منهم يفكّر فى الانضمام الى الامام سوى ثلّة قليلة من الرجال من جملتهم نافع بن هلال المرادى، و عمر بن خالد الصيداوى، و سعد من موالى عمر بن خالد، و مجمع بن عبد اللّه العائذى و هم من قبيلة مذحج و قد التحقوا بالامام «۱». و رغم كل ذلك فقد استطاع الانضمام إليه أيضا قبيل حلول اليوم العاشر كل من مسلم بن عوسجة و حبيب بن مظاهر. و كما التحق به- استنادا الى رواية ابن سعد- ۲۰ رجلا صبيحة عاشوراء «۲». و ذكر ابن قتيبة انهم كانوا ۳۰ رجلا «۳».

يقول ابن سعد و هو من اقدم رواة التاريخ: «جعل الرجل و الرجلان و الثلاثة يتسللون الى الحسين من الكوفة».

و عمليات الهروب هذه هى التى دفعت ابن زياد الى البحث عن حلّ لها.

فامر عمرو بن حريث بحثّ الناس للاجتماع فى النخيلة و هو معسكر الكوفة الشهير، و السيطرة على الجسر الذى يمر من خلاله طريق الكوفة الى كربلاء، و منع

---

(۱) البلاذرى- انساب الاشراف ج ۲ ص ۷۲.

(۲) ابن سعد، تراثنا- العدد العاشر ص ۱۷۸.

(۳) ابن قتيبة، الامامة و السياسية ج ۲ ص ۷.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۴۹

الاشخاص الذين يحاولون التوجّه الى معسكر الحسين عليه السّلام «۱». كما امر الحصين بن نمير بمراقبة المنطقة الممتدة من القادسية و حتى قطقطانة، فلا يسمح بالمرور الّا لمن يتأكد انه متّجه الى مكة، و يمنع اولئك الذين يريدون الوصول الى الحسين عليه السّلام عن طريق الحجاز «۲».

كما كتب الى واليه فى البصرة ان ينصب الكمائن و يراقب جميع الطرق و يعتقل ممن يريد الذهاب من هذه الطرق نحو الحسين عليه السّلام و امر كذلك بمراقبة جميع الطرق بين واقصة فى طريق الشام و حتى طريق البصرة، و لا يدعون احدا يلج و لا أحدا يخرج منها» «۳».

لقد تمّت مراقبة الطرق و السيطرة على مراكز المواصلات بشكل دقيق، حتى ان سبعين رجلا من قبيلة بنى اسد كانوا يقيمون على مقربة من كربلاء، و كانوا قد عزموا على الانضام الى معسكر الحسين بتشجيع من حبيب بن مظاهر، فتم ابعادهم من تلك المنطقة على يد أرصاد ابن زياد «۴». و كان لهذه السيطرة اثرها الفاعل فى عدم مساندة اهل الكوفة للامام. و بالاضافة الى هذا العامل كانت هناك أيضا عوامل اخرى منها:

۱- كانت عدّة شخصيات متنفّذة من اهل الكوفة حبيسة سجون ابن زياد من ضمنهم المختار بن ابى عبيدة.

۲- لقد مورس التهديد بوحشية و قسوة بالغة طالت حتى غير الموالين لأىّ

---

(۱) ابن سعد، تراثنا، العدد العاشر ص ۱۷۸.

(۲) الدينورى، الاخبار الطوال ص ۲۴۳.

(۳) البلاذرى- انساب الاشراف، ج ۲ ص ۱۷۳، الطبرى ج ۴ ص ۲۹۵.

(۴) البلاذرى- المصدر السابق- ج ۲ ص ۱۸۰، ابن الاعثم ج ۵ ص ۱۶۰.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۵۰

الفريقين فشملهم القتل و التعذيب فما بالك بمن يريد الانضمام الى جانب الحسين عليه السّلام.

۳- و كان الترغيب عاملا آخر ذا اهمية بالغة أيضا، فقد خطب ابن زياد يوما بأهل الكوفة فقال: «ان يزيد بعث باربعة آلاف دينار و

مائتى درهم لأقسمها بينكم ثم اوجّهكم الى كربلاء لمقاتلة عدوّه «۱».

تعلّق الناس بالعطاء

لما رأى الامام تصميم اهل الكوفة على قتله سألهم فى خطاب له:

«يا هؤلاء اسمعوا يرحمكم اللّه ما لنا و لكم، ما هذا بكم يا اهل الكوفة؟

قالوا: خفنا العطاء. قال: ما عند اللّه من العطاء خير لكم» «۲».

لكن احدا منهم لم يلتفت الى كلامه. فقد ظهر لنا من مجموع هذه الشواهد ان بعض الناس- و منهم الاشراف و المرتبطون بهم- كانوا من الاجرام و سوء الخلق ما يمكن معه نعتهم باقبح الاوصاف و النعوت البذيئة. و رغم كل ذلك فقد كان فى الكوفة- مع ما كان يسودها من اجواء الاستبداد و الطغيان- اشخاص كثيرون يودّون الالتحاق بالامام فلا يستطيعون.

و من الملفت للنظر هنا ان البلاذرى قال: «كان سعد بن عبيدة يقول:

الكثير من شيوخنا من اهل الكوفة كانوا يرفعون ايديهم فوق التلال بالدعاء و يقولون: اللهم انزل عليه نصرك. فقيل لهم: يا اعداء اللّه الا تنزلون

---

(۱) ابن الاعثم ج ۵ ص ۱۵۷.

(۲) ابن سعد. تراثنا- العدد العاشر ص ۱۷۸.

فتنصرونه» «۱».

تقويم سفر الامام الحسين عليه السّلام الى العراق

نحاول فيما يلى و بغض النظر عن البعد الغيبى لحادثة كربلاء و هو ما سنأتى على شرحه فى فصل آخر وضع تقييم سياسى ملخّص لسفر الامام الحسين عليه السّلام الى العراق. فهل كان للامام طريق آخر سوى الذهاب الى العراق أم لا؟ و هل كان من المحتمل ايجاد مركز للمعارضة ضد حكومة آل أميّة، و بلورة ثورة تطيح بعرش يزيد؟

فنحن نواجه فى كتب التاريخ سلسلة من الاعتراضات التى طرحت من قبل شخصيات متعددة تركز بأجمعها على نقطة واحدة، هى ان سفر الامام عليه السّلام الى العراق لن يحقق ايّة فائدة و لا ينطوى على مصلحة. ففى اعقاب معارضة الامام لموضوع البيعة و توجهه نحو مكّة، كان احتمال السفر الى العراق مطروحا. فهناك بعض الروايات تشير الى أن عبد اللّه بن مطيع حذّر الامام من الذهاب الى الكوفة و هو لا زال فى منتصف الطريق بين المدينة و مكّة «۲».

و لما دخل الامام مكة كان عدد المعترضين يتزايد بشكل ملحوظ. و نشير فيما يلى الى عدد من الشخصيات التى كانت تعارض ذهاب الامام الى الكوفة.

۱- عبد اللّه بن عبّاس؛ حيث اقترح على الامام صرف رأيه عن الذهاب الى العراق، و التوجّه بدلا من ذلك نحو جبال اليمن لأن هناك منطقة جبلية مناسبة للكر و الفر هذا من جهة، و من جهة اخرى فإن عدد شيعة ابيه كبير جدا هناك.

---

(۱) البلاذرى ج ۲ ص ۲۲۶.

(۲) ابن الاعثم- ج ۵ ص ۳۷، الدينورى، الاخبار الطوال ص ۲۸۸.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۵۲

لذلك فان المكان الوحيد الذى يضمن سلامة الامام هو ذلك المكان «۱».

۲- محمد بن الحنفيّة؛ و قد عرض نفس هذا الاقتراح حسب رواية ابن الاعثم «۲».

۳- عمرو بن عبد الرحمن بن هشام حيث قال: «الناس عبيد الدينار و الدرهم و هما اليوم بيد الحكّام، فاياك أن تذهب الى العراق» «۳».

۴- عبد اللّه بن عمر فقد كان يضع امام الحسين عليه السّلام و بمنتهى الرعب و الخوف موضوع اراقة الدماء بين الامة «۴».

۵- عبد اللّه بن جعفر حيث كان يشير الى مقتل الامام فى العراق و يقول:

«إنّى اخاف ان يطفأ نور اللّه و أنت روح الهدى و امير المؤمنين، فلا تعجل الى العراق فانى اخذ لك الامان من يزيد» «۵».

۶- ابو سعيد الخدرى، إذ يحتمل انه قال له: «لا تخرج على امامك» «۶».

۷- مسوّر بن مخرمة؛ كتب للامام: لا تغتر باهل العراق «۷».

---

(۱) الدينورى- الاخبار الطوال ص ۲۲۴. ابن الاعثم ج ۵ ص ۱۱۳، الطبرى ج ۴ ص ۲۸۷.

(۲) ابن الاعثم ج ۵ ص ۳۲.

(۳) البلاذرى- المصدر السابق، ج ۲ ص ۱۶۱، ابن الاعثم ج ۵ ص ۱۱۰، الطبرى ج ۴ ص ۲۸۷.

(۴) ر. ك. البلاذرى ج ۲ ص ۱۶۳، ابن الاعثم ج ۵ ص ۳۹، ابن سعد، تراثنا العدد العاشر ص ۱۶۶.

(۵) ابن الاعثم ج ۵ ص ۱۱۶، الطبرى ج ۴ ص ۲۹۱.

(۶) نفس المصدر السابق.

(۷) نفس المصدر السابق.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۵۳

۸- ابو واقد الليثى، و قد قال للامام ما قاله مسوّر بن مخرمة «۱».

۹- الفرزدق، حيث قال للامام فى منتصف الطريق بين مكّة و الكوفة:

«قلوب الناس معك و سيوفهم عليك» «۲».

و يلاحظ فى كتب التاريخ الكثير من هذه الاعتراضات او النصائح المشفقة، و يحتمل أيضا ان يكون الكثير من الرواة المغرضين هم الذين انتحلوا مثل هذه القائمة الطويلة لغرض تخطئة موقف الامام عليه السّلام.

الجواب على الاعتراضات

و قبل أن نذكر استدلال الامام نفسه بخصوص سفره الى العراق يجب اولا استعراض مقدمة توضّح لنا الارضية التى يقوم عليها ذلك الاستدلال.

ان تاريخ السياسة فى الماضى و الحاضر يعكس لنا حقيقة واضحة هى إنّ كل شخص يسعى لتحقيق اهداف سياسية معينة لا يحققها غالبا من غير ان يواجه اية موانع او عراقيل. فمن يسع لاستلام السلطة او اى هدف آخر سلبيا كان او ايجابيا يتعامل دوما مع الاحتمالات. ففى عالم السياسة يتعرض حتى اكثر الناس نجاحا و شعبية الى مخاطر مثل الاغتيال و ... لذلك يجب أن لا نفكّر تفكيرا مثاليا و نتصوّر انه يجوز لنا التحرك فقط فى الظرف الذى نرى فيه الوصول الى الهدف بات قطعيا و لا يوجد هناك اىّ احتمال

للخسارة او الفشل، فان مثل هذا التصوّر لا تؤيده الحقائق التاريخية مطلقا، بل انها تعكس لنا سذاجة من يحمل مثل هذه

---

(۱) نفس المصدر السابق ص ۱۶۶.

(۲) البلاذرى- انساب الاشراف ج ۲ ص ۱۶۵.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۵۴

الرؤى السياسية.

و لا ـ يختلف الامر هنا أيضا فيجب أن لا نتصوّر ان الامام كان مطمئن البال بشأن نجاحه فى هذا السفر و لم يكن يتوقع ادنى احتمال للفشل. فمن لا يقبل سفر الامام اساسا لا ينبغ له ان يذكر شاهدا تاريخيا بأن احتمال الفشل كان قائما، و من يقبل بسفر الامام لا ينبغ له ان يتوهم بأن احتمال الفشل لم يكن قائما مطلقا. لان اهل الكوفة قد اختبروا قبل هذا أيضا.

و مع اخذ هذا الامر بنظر الاعتبار، يجب اولا ان ندرس وضع الامام فى تلك الظروف ثم ندخل فى حساباتنا الشواهد التاريخية و الاجراءات التى اتخذها الامام و نقيّم على اساسها مسألة هجرته الى العراق.

لقد كان الامام يأبى مصالحة يزيد و الاقرار بحكومته، و ان أدّى ذلك الى استشهاده. و كان يسعى فى نفس الوقت- فيما لو امكن- الى اشعال فتيل الثورة ضد يزيد و انقاذ حكومة المجتمع الاسلامى من مخالب بنى أميّة.

كانت هذه هى الحدود التى تحدد ملامح التفكير السياسى لدى الامام، و كان على الامام اختيار طريقه ضمن هذا الاطار، ليطرح على ضوء ذلك آراءه و ردود فعله تجاه الاقتراحات و الاعتراضات و حيث كان هذا الاطار لا يقبل التغيير ابدا.

لذا فان اى اقتراح لا ينسجم معه بشكل من الاشكال يعتبر اقتراحا مدانا و مرفوضا من قبل الامام.

و من جهة أخرى فان عالم السياسة آنذاك له اطاره الخاص أيضا و تشكل الاحتمالات جزء منه، اذ كان يفترض على الامام أيضا مطابقة نفسه معها، بحيث لا يتعرض اطاره الخاص الى الانحراف و التغيير اثناء العمل، و لا يسير فى اتجاه

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۵۵

معاكس للحقائق الموجودة آنذاك.

و وفقا للمتطلبات السياسية السائدة فى ذلك العصر، لم يكن يزيد ليسمح لرجل كالامام الحسين عليه السّلام بعدم مبايعته و يتركه على قيد الحياة، لأن الحسين عليه السّلام لم يكن بالشخص الذى لا يبالى بأمر يزيد، و يحيا حياته العادية كرجل غير مسئول. لذا فان الخيار الوحيد امام يزيد هو قتل الامام فى حالة عدم مبايعته.

و من ناحية أخرى فانه لم يكن لدى الشام بل و لا المدينة و مكة أو الحجاز و اليمن و ... المقومات و الظروف الملائمة للمقاومة و الدفاع امام يزيد، و مساندة و دعم الحسين عليه السّلام و الحيلولة دون قتله. و ليس غير الكوفة منطقة تتوفر فيها امكانية الدفاع او المقاومة. و مع ان سوابق الكوفة و سلوك اهلها مع امير المؤمنين عليه السّلام و الامام الحسن عليه السّلام فى مواجهة الاعداء كان يضعف هذا الاحتمال، لكن تلهّف اهل الكوفة لقدوم الامام إليهم، و الوعود التى قطعوها بالتصدى لبنى أميّة، و مساندة الامام، و الرسائل و الكتب التى انهالت على الامام من سادة الكوفة و اشرافها و عامّة اهلها كان يقضى على هذا الضعف. و كلما كان اصرار الناس على دعم الامام يزداد كلما ازدادت معه نسبة احتمال نجاح الامام فى مقابل العدو، لكن احتمال الخطر و الفشل لم يكن قد زال مائة بالمائة.

فلو لم يبادر الامام الى انتخاب هذا الطريق، ما الذى كان ينبغى له ان يفعله؟ هل كان يزيد بالشخص الذى يرضى ببقاء الامام حيّا لو لم يبايع؟ و هل كان الامام بالشخص الذى يبايع يزيد و لا يبالى بالاوضاع الالحادية و المعادية للاسلام التى تجتاح المجتمع و الامة الاسلامية و يقف ازاءها موقف المتفرّج و يعيش كشخص غير مسئول لا يفكر سوى فى حياته و معيشته و مصالحه؟

و لو ان الامام لم يذهب الى الكوفة و بقى فى مكّة حتى قتل فيها. أ لم يكن

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۵۶

هؤلاء الاشخاص يقولون لما ذا تجاهل الحسين كل هذه الكتب التى وردته من الكوفة و لم يستجب لاصرارهم و لم يلبّ دعوتهم و يذهب الى هناك لكى يأمن المخاطر فى ظل فرسان الكوفة، و ليحقق اهدافه السياسية بنجاح باهر؟

و امّا اعتراض المعترضين فقد كان يدور غالبا على عدم خروج الامام عليه السّلام و هو ما كان يعنى قبول حكومة يزيد من قبله، و هو امر لا يستسيغه الامام قطعا.

بل إنّ الامان الذى كان عبد اللّه بن جعفر يريد اخذه له من يزيد، كان يوحى بهذا المعنى أيضا. لأن أمان يزيد كان سيكون مشروطا طبعا بعدم خروج الامام، فى حين ان الامام ما كان ليخضع مطلقا لبيعة يزيد.

لنر الآن كيف يعلل الامام نفسه هذه المسألة و كيف تثبت الشواهد التاريخية ذلك.

إنّ من جملة النقاط التى اشار إليها الامام مرّات متعددة هى ان يزيد و عمّاله لم يكونوا يسمحون للامام بمواصلة حياته فى مكة، و انّه سيقتل على ايّة حال.

و نشير فيما يلى الى عدّة موارد:

۱- قال الامام الحسين عليه السّلام ردّا على اعتراض ابن عباس: «لئن أقتل خارجا منها بشبرين احبّ إلىّ من أن أقتل خارجا منها بشبر» «۱».

۲- و قال ردا على اعتراض ابن عمر: «ان القوم لا يتركونى .. فلا يزالون حتى أبايع و انى كاره فيقتلوننى».

۳- و قال ردا على اعتراض آخر ما يلى: «لو كنت فى حجر هامة من هوام

---

(۱) البلاذرى- انساب الاشراف ج ۲ ص ۱۶۴، ابن الاعثم، ج ۵ ص ۱۱۳.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۵۷

الارض لاستخرجونى و قتلونى» «۱».

۴- و قال فى موضع آخر لما سئل عن سبب تعجيله: «لو لم أعجّل لاخذت» «۲».

۵- و قال فى موضع آخر أيضا: «ان بنى أمية اخذوا مالى فصبرت، و شتموا عرضى فصبرت، و طلبوا دمى فهربت» «۳». هكذا كان الامام عليه السّلام يدرك الامر، و لا يوجد شاهد واحد يدل على ان الامام ان لم يبايع يزيد بقى حيّا.

و اما الجانب الآخر من القضية و هو موضوع سفر الامام الى العراق، فانه حين قرر الخروج من مكّة هل كان بامكانه اختيار غير الكوفة؟ و ما هو المكان الذى كان عليه انتخابه من الدولة الاسلامية؟ لقد بلغت الامام رسائل كثيرة من اهل العراق خلال الفترة التى اقامها فى مكّة. و كانت تلك الرسائل من الكثرة و القاطعية بحيث اصبحت فيما بعد سببا رئيسا بالنسبة للامام للذهاب الى العراق.

و كان الامام يقول عند ما يسأل فى مواضع متعددة عن سبب ذهابه الى الكوفة: ان رسائل اهل العراق هى السبب «۴». فانه لدى اجابته على سؤال الحرّ و عمر بن سعد «۵» و بحير بن شدّاد «۶»، و عبد اللّه بن عمر «۷»، بل فى خطابه امام جيش

---

(۱) ابن الاعثم ج ۵ ص ۱۱۶.

(۲) الطبرى- ج ۴ ص ۲۹۰.

(۳) ابن الاعثم ج ۵ ص ۱۲۴.

(۴) البلاذرى- انساب الاشراف، ج ۲ ص ۱۶۳- ۱۶۵.

(۵) البلاذرى- انساب العرب ج ۲ ص ۱۷۷، ابن الاعثم ج ۵ ص ۱۳۸.

(۶) ابن سعد، مجلة تراثنا، العدد العاشر ص ۱۷۳.

(۷) نفس المصدر السابق ص ۱۸۱.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۵۸

الكوفة صبيحة العاشر من المحرّم «۱» كان يعلل مجيئه الى الكوفة بالكتب التى وردته من اهلها، و كان يقول دائما فى ردّه على اسئلة السائلين عن سبب ذهابه الى العراق: «خلفى مملوءة بالكتب» «۲».

و عقب استلامه لكتاب مسلم الذى يدعوه فيه الى الحركة الفورية صوب الكوفة، عجّل الامام بالخروج من مكّة و قطع المسافة الفاصلة بين مكة و الكوفة باسرع ما يمكن. و لكن عند ما بلغه خبر استشهاد مسلم «۳» طرأ تغيير واضح على سرعة حركة القافلة، و كلما انقضى عليه زمن قلّت سرعة القافلة اكثر. و مع ذلك لم يثن ذلك الامام و انصاره مطلقا عن مواصلة المسير صوب الكوفة. فرغم ان خبر استشهاد مسلم و هانى كان يقلل بالتدريج من تفاؤل الامام و ثقته باهل الكوفة، لكن احتمال الانتصار فى الكوفة لم يكن قد زال مائة بالمائة. و بعبارة أخرى ان قافلة الامام و ان تزعزع املها بالنصر العسكرى كلّما اقتربت من الكوفة، لكن تقييم الامام للاوضاع و مشاوراته مع اصحابه بشأن الكوفة و مواصلة الحركة نحوها كان يشير الى امكانية بلوغ النصر.

اذ كانوا يقولون له: «ما أنت بمسلم بن عقيل، و لو قدمت الكوفة لكان الناس إليك اسرع». و كانوا يقصدون من هذا الكلام ان عدم شهرة مسلم و ... ربما هى السبب فى عدم استقطابه للناس كما ينبغى، الّا ان شخصيتك لها جاذبية أخرى، و هذا الكلام لم يكن مستبعدا طبعا بالنسبة لمنزلة الامام. و اذا ما اخذنا بالحسبان كتب و دعوات اهل الكوفة له خلال عشر سنوات. و لهذا السبب واصل

---

(۱) ابن عساكر المصدر السابق ص ۱۹۲.

(۲) نفس المصدر السابق ص ۲۰۹.

(۳) الطبرى ج ۴ ص ۳۰.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۵۹

الامام طريقه من خلال تقييم واحد. كما يستفاد أيضا من رواية الفتوح بان كتاب الامام الى اهل الكوفة الذى ارسله مع قيس بن مسهر الصيداوى حول وجوب الالتزام بعهودهم انما كان بعد وصول خبر استشهاد مسلم بن عقيل.

و مع ان ارضية الشك بشأن الكوفة بدأت تتسع بصورة تدريجية فى نظر جيش الامام الا أن اثرها فى قرار العودة لم يتضح الّا بعد التقاء الامام بجيش الحر.

فقدوم الحر على رأس جيش لمواجهة الامام و بلوغ نبأ تحشد اربعة آلاف رجل من جيش العدو فى القادسية، اضافة الى المعلومات السابقة الواصلة عن الكوفة، و منها وصول آخر رسالة شفوية من مسلم بواسطة عمر بن سعد تؤكد على ضرورة انصراف الامام و عدم دخول الكوفة، كل هذه العوامل جعلت الامام يتيقن انه لم يعد هناك اى امل فى الكوفة، و لن يجنى من ذهابه إليها الّا الهزيمة العسكرية و الاستشهاد.

و فى هذه الحالة اتخذ الامام قراره بالعودة «۱». لكن الحر اعلن له انه مكلف من قبل والى الكوفة باخذ الامام و جيشه الى هناك و منعه من العودة، و منذ ذلك الحين اخذ الامام يكرر دائما فى لقاءاته بقادة جيش العدو «۲» و مبعوثيهم و حتى فى خطابه الذى القاه على جيش الكوفة «۳» قراره بالعودة فيقول:

«يا أيّها الناس اذا كرهتمونى فدعونى انصرف عنكم الى مأمن من

---

(۱) البلاذری، انساب الاشراف، ج ۲ ص ۱۷۰، ابن الاعثم، ج ۵ ص ۱۲۵، الدینوری، الاخبار الطوال، ص ۲۵۰.

(۲) ر. ک. الطبری ج ۴ ص ۳۱۱، ابن الاعثم ج ۵ ص ۱۵۵.

(۳) الطبری ج ۴ ص ۳۲۳.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۶۰

الارض» «۱».

و قد ذكر عدد من المؤرخين ان الامام و بعد ان اصبح محاصرا من قبل جيش الكوفة طلب من عمر بن سعد القبول باحدى النقاط الثلاث التالية:

«دعونى ارجع الى الحجاز، او اذهب الى الشام واضع يدى بيد يزيد او ان اذهب الى ثغور الدولة».

لكن هذه المعلومات عارية عن الصحة و انما اراد المؤرخون من خلالها سحق شخصية الامام الحسين عليه السّلام المتميزة و الانتقاص منه خدمة لاسيادهم و اولياء نعمهم من الامويين و الادلة على زيف هذه الرواية تتلخص فيما يلى:

۱- الرواية المذكورة اعلاه و كذلك التصريحات الاخرى تؤكد ان الامام لم يطرح موضوع السفر الى الشام، بل انه طرح فقط موضوع العودة الى الحجاز (مكة و المدينة).

۲- ينقل البلاذرى رواية تؤكد بصراحة: انه عرض على عمر بن سعد موضوع العودة الى المدينة فقط «۲».

۳- كما نقل بشكل موثق عن عقبة بن سمعان انه قال: رافقت الامام الحسين عليه السّلام فى جميع المراحل، و لم افارقه لحظة واحدة، فلم اشاهد منه و لا فى اشارة واحدة انه طرح ما هو شائع بين الناس «دعونى اذهب الى الشام واضع يدى بيد يزيد» بل انه قال فقط: «دعونى ارجع الى المكان الذى اقبلت منه، او دعونى اذهب فى هذه

---

(۱) الطبری ج ۴ ص ۳۲۳.

(۲) البلاذری، انساب الاشراف ج ۲ ص ۱۸۲.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۶۱

الارض العريضة حتى ننظر ما يصير إليه امر الناس» «۱».

۴- لو ان الامام كان مستعدا للمبايعة فان مشكلة يزيد التى اثيرت بسببها كل هذه الضجّة ستنحل و سيصبح بمقدور الحسين عليه السّلام مواصلة حياته كشخص عادى.

عنصر الغيب فى حادثة كربلاء

إنّ من جملة الامور التى كان لها نصيب لا يستهان به فى البعد التاريخى لواقعة كربلاء هو عنصر الغيب، الامر الذى ادّى الى بروز اختلافات فى تحليل و دراسة هذه الواقعة، و جعلها تطرح على شكل مقابلة بين امر عقائدى و قضية تاريخية.

و الواقع هو أنّ علماءنا قد بحثوا هذا الموضوع بشكل كاف مع الاخذ بنظر الاعتبار شمولية علم الامام. اما شرح و تبيان هذه القضية من الوجهة التاريخية فهو لا يحتاج الى طرح هذه الادلة العقائدية لأن مثل هذا العمل لا يخرج المسألة من اطارها التاريخى فحسب، بل و سيهيء الارضية للاتهام بادخال الآراء و العقائد فى كتابة التاريخ.

و نحن فيما يلى نبحث القضية خارج اطارها التاريخى، و نعتبره خاتمة لبحثنا هذا زيادة فى الاطلاع، و نستعرض خلاله الروايات الدالّة بصراحة على وعى الامام المسبق بهذه الحادثة قبل وقوعها. فقد نقل عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بعض الروايات يتفق عليها الكثير من الرواة و المحدّثين من اهل السنة و الشيعة.

(۱) ابن الاثير ج ۴ ص ۵۴.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۶۲

فقد ضم كتاب «سيرتنا و سنّتنا» الذى ألّفه العلامة الامينى رحمه اللّه بين طيّاته الكثير من امثال هذه الروايات التى تبين وصف رسول اللّه لهذه الحادثة، و استشهاد سبطه الحسين هناك و ذلك قبل سنوات من وقوعها و التأثّر الشديد لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم عند ذكره لها و بكائه و حزنه عليها. و قد نقل العلامة الامينى هذه الروايات غالبا من كتب التاريخ و الحديث لاهل السنة.

و إليك فيما يلى عددا من هذه الروايات:

۱- جاء فى رواية ان الحسين رأى فى المنام انه شاهد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و جماعة من الملائكة، فاحتضنه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و قال له:

«يا حسين كأنّى عن قريب اراك مقتولا مذبوحا بأرض كربلاء من عصابة من أمتى، و أنت فى ذلك عطشان لا تسقى، يا حسين ان اباك و أمّك قد قدموا علىّ و هم إليك مشتاقون و ان لك فى الجنّة درجات لن تنالها الّا بالشهادة» «۱».

۲- قال الحسين عليه السّلام فى مكّة: «انى رأيت جدى فى منامى و قد امرنى بامر و انا ماض لأمره» «۲».

۳- لما وصل عليه السّلام الى كربلاء و سأل عن اسم المنطقة و قيل له اسمها «كربلاء» قال: «لقد مرّ ابى بهذا المكان عند مسيره الى صفين و أنا معه، فوقف و سأل عنه فاخبر باسمه، فقال: هاهنا محط ركابهم، و هاهنا مهراق دمائهم، فسئل عن ذلك فقال: ثقل لآل بيت محمد ينزلون هاهنا» «۳».

(۱) ابن الاعثم ج ۵ ص ۸.

(۲) نفس المصدر السابق ج ۵ ص ۵۱.

(۳) الدينورى- الاخبار الطوال ص ۲۵۳.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۶۳

۴- و فى صبيحة عاشوراء قال لاخته زينب: «يا اختاه انى رأيت جدّى فى المنام و ابى عليا و فاطمة أمى و اخى الحسن فقالوا انك رائح إلينا عن قريب، و قد و اللّه يا أختاه دنا الامر ما فى ذلك لا شك» «۱».

كانت هذه نماذج من الروايات الدالة على علم الامام بواقعة كربلاء قبل استشهاده و من الطبيعى ان الامام الحسين عليه السّلام ليس هو الشخص الوحيد الذى لا يلجأ الى الغيب، بل ان النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لم يكن يلجأ إليه أيضا فى حياته السياسية العادية سوى فى حالات اثبات النبوّة. و انهم كانوا فى بقية المواقف يمارسون حياة عادية وفقا لما تقتضيه الاحكام و الاخلاق الاسلامية. و ان اعتبار النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و الائمة عليهم السّلام أسوة انما يقوم على الوضع الموجود و التقييم الظاهرى لا على اساس الغيب. لأن الاستناد الى الغيب ليس بالشىء الذى يقدر عليه الآخرون.

دور واقعة كربلاء فى تكوين الشيعة

من المسلّم به ان واقعة كربلاء هى من الحوادث المصيرية و اهم عامل فى تكوين الشيعة على مدى التاريخ. و قد سبقت منّا الاشارة الى أن الاسس الفكرية للتشيّع و خاصّة اهم مسألة فيه (الامامة)، يمكن ملاحظتها فى القرآن و السنّة بشكل واضح. لكن انفصال تاريخ الشيعة عن بقية الفرق الاسلامية اتخذ طابعا تدريجيا، و حصل بمرور الزمن، فحاكمية امير المؤمنين و سنّته و اسلوب تعامله مع القضايا و الافكار الالهية و المعارف التى خلفها قد اوجدت انسجاما فكريا بين الشيعة الى حد ما. و كان لدعم الامويين للنظام الفكرى و

اسلوب الفهم عند الفرق الاسلامية الاخرى اثره فى تعميق الفاصل الموجود بين الشيعة و بقية الفرق

---

(۱) ابن الاعثم- ج ۵ ص ۱۷۵.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۶۴

الاسلامية.

فحيل معاوية و اساليبه الشيطانية لم تتح للمسلمين الفرصة لكى يفهموا ان بنى أميّة يخفون تحت ستار الاسلام نفس تلك الشخصيات الجاهلية المعادية للانسانية، و انهم كانوا مولعين بالحياة الجاهلية و الدفاع عن ثقافتها، و مع ذلك فانّ المفكّرين و العلماء فى ذلك الوقت كانوا يدركون هذه القضية، لكن ابنه يزيد لم يكن يمتلك نفس تلك المهارة، فهو كان يطرح و بشكل صريح، فى اشعاره و احاديثه اليومية، من هو و ما ذا يريد؟ و لهذا نراه و منذ بداية مجيئه الى السلطة و تسلّمه للخلافة تسبب فى حدوث واقعة كربلاء التى استشهد فيها الحسين بن على عليه السّلام مع مجموعة من اهل بيته و انصاره. و صار انفصال تاريخ الشيعة عن سائر الفرق الاسلامية التى انضوت تحت غطاء الاسلام الاموى امرا قطعيا، و منذ ذلك الحين اعلن المذهب الشيعى عن وجوده باعتباره فئة تتبع سنّة و سيرة على عليه السّلام و الائمة من بعده.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۶۵

الامام السجّاد عليه السّلام

اشارة

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۶۷

يقول شمس الدين الذهبى: «و كان لعلى بن الحسين جلالة عجيبة و حقّ له و اللّه ذلك فقد كان اهلا للامامة العظمى لشرفه و سؤدده و علمه و تألّهه و كمال عقله» «۱».

على بن الحسين بن على بن ابى طالب عليه السّلام المعروف بالسّجاد هو رابع ائمة الشيعة، و كانت ولادته عام ۳۸ للهجرة على اشهر الاقوال، و استشهد عام ۹۴ بعد ما دسّ له الوليد بن عبد الملك السم «۲».

و بما ان ولادة الامام كانت سنة ۳۸ للهجرة فمن الواضح انه قد ادرك قسما من عهد الامام المجتبى و كذلك عهد ابيه، و هذا يعنى انه شهد بامّ عينه السياسة التى اتّبعها معاوية فى قمع الشيعة فى العراق و المناطق الاخرى.

---

(۱) سيرة اعلام النبلاء: ج ۴ ص ۳۹۸.

(۲) الشبراوى، الاتحاف بحب الاشراف ص ۱۴۳.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۶۸

الا أنّ بعض الكتّاب يعتقد ان ولادته حصلت فى غير التاريخ المذكور و ذلك استنادا الى روايات منقولة عن واقعة الطف، يظهر منها انه ولد عام ۴۸ للهجرة.

تشير هذه الروايات الى ان عددا من جنود جيش الكوفة هجموا على الامام السجّاد- بعد انتهاء معركه عاشوراء الدامية، و سيطرة الجيش على خيام الحسين و البقية المتبقية من اهل بيته- ليقتله- و كان وقتها طريح فراش المرض- الّا ان البعض الآخر منهم منعهم من قتله، لأنه لا زال صغيرا و لم يبلغ الحلم.

و استنادا الى رواية الطبرى، فقد وصف حميد بن مسلم- الذى حضر فى كربلاء شخصيا- هذه الحادثة المؤسفة بالصورة التالية:

«جاء شمر بن ذى الجوشن فى رجال معه، و ارادوا قتل على بن الحسين، فمنعته منهم و قلت لهم انه لا زال صبيا، حتى دفعتهم عنه».

و روى كذلك:

«ان عبيد اللّه بن زياد لمّا نظر الى على بن الحسين قال لشرطى: انظر هل ادرك هذا ما يدرك الرجال؟ فكشف عنه فقال نعم. قال: انطلقوا به فاضربوا عنقه. فقال له علىّ: ان كان بينك و بين هؤلاء النسوة قرابة فابعث معهن رجلا يحافظ عليهن، فقال له ابن زياد: تعال أنت فبعثه معهن.

و استنادا الى رواية أخرى، فان زينب عليها السّلام هى التى منعت من قتل على بن الحسين، اذ قالت لعبيد اللّه بن زياد: «ان قتلته فاقتلنى معه» «۱».

و أشار الجاحظ أيضا الى هذه القضية ضمن اشارته الى ممارسات الامويين

---

(۱) الطبرى ج ۵ ص ۲۳۱.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۶۹

الاجرامية فقال: «إنهم انتهكوا حرمته لما ارادوا تفحّص علائم البلوغ لديه» «۱».

فان صحّت هذه الاخبار «۲». فلا بد أن يكون عمر الامام اصغر من المشهور المتعارف لأن نهاية حد البلوغ هو ۱۵ سنة بالتمام، و بناء على هذه الاخبار فلا بد ان الظروف كانت بالشكل الذى يقتضى سنا بهذه الحدود.

و رغم كون هذه الروايات مذكورة فى مصادر متعددة الّا ان هناك ادلّة تطعن فى مصداقيتها. و الادلة هى كما يلى:

۱- المشهور عند المؤرخين و كتّاب السيرة ان ولادته كانت فى سنة ۳۸ للهجرة و معنى هذا ان عمره فى كربلاء كان ۲۳ عاما. و قد نقل الطبرى نفس هذا السن فى كتابه (ذيل المذيل). كما ان تصريح بعض المؤرخين بانه عاش ۵۸ عاما يثبت نفس هذه النقطة «۳». و اما الرواية التى تشير الى انه ولد عام ۳۳ «۴»- و خلافا للمشهور اى عام ۳۸- فهى دليل آخر على ولادة الامام فى حياة امير المؤمنين عليه السّلام.

۲- ان مثل هذه الروايات لم تكن بعيدة عن انظار المؤرخين، بل انهم ادركوا وجودها منذ بداية عصر تدوين التاريخ الاسلامى و تعارفوا على نقل المشهور منها، كما انهم عرّضوها للنقد و التمحيص أيضا من اجل ازالة التضاد و التناقض الموجود فيما بينها. فمحمد بن عمر الواقدى و هو من ابرز رواة التاريخ لدى اهل السنّة، ينقل حديثا عن الامام الصادق عليه السّلام يشير الى ان الامام

---

(۱) ابن ابى الحديد، شرح نهج البلاغة ج ۱۵ ص ۲۳۱.

(۲) ر. ك. شهيدى على بن الحسين ص ۳۲.

(۳) المنتخب من ذيل المذيل. ص ۶۳۰.

(۴) ابن حبان- الثقات، ج ۵ ص ۱۶۰.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۷۰

السّجاد عليه السّلام فارق الحياة و له من العمر ۵۸ عاما. ثم يستنتج منه ما يلى:

«يدل هذا الحديث على ان على بن الحسين عليه السّلام كان حاضرا مع ابيه فى كربلاء و كان يبلغ من العمر ۲۳ او ۲۴ عاما، و لهذا فان الذين ذكروا انه كان صغيرا و غير بالغ اثناء واقعة كربلاء قد جانبوا الحقيقة. و كان سبب عدم مشاركته فى المعركة هو المرض الذى انتابه فى تلك الأيام، و ليس صغر سنّة و عدم قدرته على الحرب. فكيف يمكن القبول بعدم بلوغه فى كربلاء بينما ابنه محمد بن على

المعروف بالباقر عليه السّلام كان قد ولد فى تلك الاثناء. و بما ان أبا جعفر الباقر عليه السّلام قد ادرك جابر بن عبد اللّه الانصارى الذى توفى عام ۷۸ للهجرة «۱» فمعنى هذا ان ابا جعفر حين التقى جابرا كان فى سن يؤهله لسماع حديث رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم منه و نقله عنه فيما بعد» «۲».

و يقول ابن عنبة أيضا:

«كان على بن الحسين مريضا فى كربلاء و لهذا لم يشترك فى المعركة و ليس صحيحا ما تصوره البعض من انه كان صغيرا».

و قال الزبير بن بكار أيضا: «كان عمر على بن الحسين فى كربلاء ۲۳ عاما» «۳».

۳- يتّضح من خلال كلام الامام السجاد مع عبيد اللّه بن زياد و حتى يزيد

---

(۱) الفسوى- المعرفة و التاريخ ج ۲ ص ۳۱۰، تاريخ دمشق ج ۵ ص ۲۵۱ ب مخطوطة نقلا عن هامش المعرفة و التاريخ.

(۲) ابن سعد- الطبقات الكبرى ج ۵ ص ۲۲۲، الاربلى كشف الغمة ج ۲ ص ۱۹۱ ط تبريز.

(۳) ابن عنبة، عمدة الطالب فى انساب آل ابى طالب ص ۱۹۳.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۷۱

بن معاوية ان عمره لا بد و ان يكون فوق أن يشكّ فى بلوغه. و ليس ذلك مما يتخلص منه نتيجة القول بإمامته، إذ لا توجد عندنا مشكلة بهذا الصدد. و إنّما المشكلة هى فى ان الظروف و الاوضاع التى دفعت يزيد للسماح له بالتحدث من على المنبر تنمّ بذاتها عن سن معقول لمثل هذا السماح. لأن من يشكّ فى بلوغه لا يمكن ان تتاح له مثل هذه الوضعية التى اتاحها له يزيد.

۴- لقد وردت فى التاريخ روايات كثيرة عن ولادة الامام الباقر عليه السّلام، يستشف منها جميعا بانه حضر كربلاء و كان عمره آنذاك ۴ سنوات و لم يشك احد فى صحة تلك الروايات و لا ريب ان قبول هذه الروايات يستدعى قبول الرأى المشهور فى ولادة الامام السجّاد بفارق لا يتجاوز السنتين او الثلاث سنوات.

أم الامام السجاد عليه السّلام

إنّ من جملة المسائل المختلف عليها و التى لا يخلو البحث فيها من فائدة هى الاسم و النسب الدقيق لأمّ الامام السجاد، و على الرغم من الجهود الحثيثة التى بذلها بعض الكتّاب فى هذا المجال، الّا انّه و للاسف لم يطرح لحد الآن رأى دقيق و مقبول بهذا الشأن. اما القصّة التى تشير الى ان أمه هى بنت يزدجرد الثالث آخر ملوك ايران من سلسلة الساسانيين، فقد تعرضت فى الآونة الاخيرة للكثير من النقد و التحقيق، و الاسباب الكامنة وراء ذلك متعددة منها الخشية من ان يعوّل عليها اعداء الشيعة و يختلقون دوافع عاطفية وراء انتشار التشيّع فى ايران و يجعلون ذلك ناشئا من العلاقة السببية بين ائمة الشيعة و العائلة المالكة فى ايران آنذاك.

و قد جمع احد المحققين جميع- او معظم- الروايات الواردة فى هذا الصدد و تناولها بالدراسة و التحميص. هذا و قد اورد فى موضوعه روايات معدودة تشير

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۷۲

الى أن امّه أمّ ولد. و رغم الاختلافات الموجودة فى مفاد هذه الروايات و عدم انسجام بعضها مع روايات الفتوحات و غيرها، الا أن هناك امرا مسلّما به هو ان لهذا الموضوع شهرته الواسعة و تداوله فى أقدم نصوص الشيعة من امثال (واقعة صفين، ص ۱۳) و (تاريخ اليعقوبى) و (بصائر الدرجات) التى ألّفت باجمعها فى القرن الثالث. و قد بحثنا فى مقالة مستقلة- رغم اعترافنا بوجود الشكوك و الغموض فى اصل الموضوع- علاقة هذا الموضوع بانتشار التشيّع فى ايران. و نقدنا التوهّم القائل بوجود علاقة بينهما و بشكل مناسب و مقنع.

امامة السّجاد عليه السّلام

استنادا الى النصوص التى رواها كبار محدثى الشيعة فى جوامع حديثهم فان الامام السجاد عليه السّلام هو وصى ابيه الامام الحسين عليه السّلام و خليفته من بعده، و قد نقل هذه النصوص الكلينى و غيره من اساطين الشيعة و الروايات المنقولة عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بخصوص اسماء الائمة الاثنى عشر للشيعة تثبت هذا الموضوع.

و بغضّ النظر عن ذلك، فانّ قبول المجتمع الشيعى للامام السجاد كإمام رابع و وصى للحسين بن على عليه السّلام، و مقبوليته العلمية من قبل الشيعة على مر التاريخ، يعتبر بذاته دليلا ناصعا على صدق هذه الوصاية، و ليس من شبهة فى امامته سوى ما اعترى فى ذلك المقطع الزمنى بعض محبّى اهل البيت من الشيعة نتيجة لتسمية محمد بن الحنفية بالامامة و هو ما ادّى الى حصول انحراف بين اوساط الشيعة فيما بعد. و سنشير الى هذا الموضوع باختصار فى الفصول اللاحقة. و بما ان نصوص الشيعة تشير الى لزوم وجود بعض الاشياء لدى الائمة مثل سيف و درع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فان وجودها لدى الامام السجاد عليه السّلام قد ذكر بصراحة، حتى فى مصادر

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۷۳

اهل السنّة أيضا «۱».

الشخصية العلمية و الاخلاقية للامام السّجاد عليه السّلام

اصبحت القيم الدينية فى عهد الامام السجاد عليه السّلام عرضة للتغيير و التحريف على يد الامويين. فقد بلغ تطاول بنى أميّة على اصول الحقوق الاجتماعية حدّا الزم فيه سكان مركز من مراكز الاسلام الاولى و المهمة هو المدينة- المدينة التى ترعرعت فى احضانها رسالة النبى، و ازدهرت و اينعت فى ظلالها الوارفة ... المدينة التى دافع اهلها عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم دفاعا بطوليا و ناصروه ضد طاغوت الكفر و العصيان- بمبايعة يزيد و قائد جيشه مسلم بن عقبة على انهم عبيد له، واضحت احكام الاسلام ألعوبة بيد اشخاص مثل ابن زياد و الحجاج و عبد الملك بن مروان.

فقد خالف الحجاج- الذى كان يعتبر مقام عبد الملك افضل و ارفع من مقام رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم- ابسط قواعد الحقوق الاجتماعية فى الاسلام و فرض الجزية على المسلمين و كان يسلم الناس لجلّاديه على ادنى سوء ظن.

فعند ما يكون وضع الحكومة على هذه الشاكلة، يصبح من الواضح الى اى مدى سيتدنّى مستوى التربية الدينية للناس و تنبعث القيم الجاهلية من جديد، فقد رفعت الجاهلية رأسها شامخة بعد أن قبرت بمذلّة لتسود الساحة و تقضى على الثقافة الاسلامية الوليدة.

و فى ظل هكذا ظروف اجتماعية مريرة، شرع الامام السجاد عليه السّلام بأهم عمل يهيّئ الارضية لارتباط الناس باللّه بواسطة الدعاء، فملأ بعمله هذا فراغ الشخصية

---

(۱) ابن سعد- الطبقات الكبرى. ج ۱ ص ۴۸۶.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۷۴

لدى الناس، و وضع بلسم الشفاء على الجراح العميقة التى احدثها آل أمية و جلاوزتهم فى كرامتهم و شخصيتهم، و وضع فى متناول أيدى الناس خطا و منهاجا يسيرون عليه باتجاه القيم المعنوية، استطاعوا فى ظله العثور على دوافع قوّية للحياة و البقاء و ابعاد كابوس اليأس و الكآبة القاتل الذى يستولى على الناس عادة عند ازياد الضغط و الارهاب الاجتماعى و استعادة ذلك الشوق و الحماس

المفقود الذى يشكل العامل الاساس للحركة فى الحياة. و بهذا الشكل بات الناس متأثرين بالمعنويات الرفيعة السامية للامام السّجاد عليه السّلام و ازداد تعلقهم باسلوبه و منهاجه و انخرط الكثير من طلبة العلم فى سلك رواة حديثه فارتووا من زلال علمه المنبثق عن علوم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و امير المؤمنين عليه السّلام.

يقول محمد بن سعد و هو من كبار المؤرخين فى وصف الامام:

«كان على بن الحسين ثقة مأمونا كثير الحديث عاليا رفيعا ورعا» «۱».

و كتب الشافعى رسالة بشأن حجية الخبر الواحد قال فيها:

«وجدت على بن الحسين و هو افقه اهل المدينة يعوّل على الخبر الواحد» «۲».

فابن شهاب الزهرى على الرغم من ارتباطه بالامويين و الحقد الذى اوجد شرخا عميقا بين الامويين و الشيعة، كان من جملة العلماء المعاصرين الذين تلقوا العلم بولع شديد و كان يثنى على الامام دائما بعبارات التجليل و الاحترام. و قد

---

(۱) ابن ابى الحديد ج ۱۵ ص ۲۷۴.

(۲) ابن سعد ج ۵ ص ۲۲۲.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۷۵

كتب له الامام فى احدى المرّات رسالة نصحه فيها بضرورة اعادة النظر فى «۱» وضعه الحالى كآلة بيد السلطة الاموية. و حتى ان الامام وبّخه لاستخفافه فى احد المرات بشخصية امير المؤمنين على بن ابى طالب عليه السّلام «۲».

إلّا انه مع ذلك كان روايا لعلوم الامام السجّاد، كما يشاهد من نقله عنه فى الكتب المختلفة «۳» و لقد كان شديد الاعجاب باخلاق الامام السّجاد و كثرة عبادته اذ نقل انه: «كان الزهرى اذا ذكر على بن الحسين يبكى و يقول: زين العابدين» «۴».

كما حكى عنه أيضا انه كان يقول: «لم أدرك احدا من اهل هذا البيت افضل من على بن الحسين» «۵».

«على بن الحسين اعظم الناس منّة علىّ» «۶».

«ما رأيت احدا أفقه من على بن الحسين» «۷».

كما روى عن يحيى بن سعيد قوله: «على بن الحسين افضل هاشمى رأيته بالمدينة» «۸».

---

(۱) تحف العقول ص ۲۰۰.

(۲) ابن ابى الحديد ج ۴ ص ۱۰۲.

(۳) ر. ك. ابن سعد ج ۸ ص ۱۷۲، ابو نعيم، حلية الاولياء ج ۳ ص ۱۴۱، كشف الغمة ج ۲ ص ۸۶.

(۴) ابو نعيم، حليلة الاولياء ج ۳ ص ۱۳۵.

(۵) ابن الصبّاغ المالكى، الفصول المهمة ص ۲۰۳، الاربلى، كشف الغمة ج ۲ ص ۸۶.

(۶) ابن سعد- ج ۵ ص ۲۱۴.

(۷) سير اعلام النبلاء، ج ۴ ص ۳۸۹، ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ۱۲ ص ۱۹ ب، سيد الاهل زين العابدين، ص ۴۳.

(۸) الرازى، الجرح و التعديل ج ۶ ص ۲۷۸، البخارى التاريخ الكبير ج ۶ ص ۲۶۶.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۷۶

و من المحدّثين، كان ابو حازم يقول: «ما رأيت هاشميا افضل من على بن الحسين و لا افقه منه» «۱».

و كفى بقول ابن ابى شيبة فى فضل و منزلة الامام السجاد عليه السّلام عند اهل السنّة بأن افضل سند هو «الزهرى عن على بن الحسين

عن ابيه عن على عليه السّلام» «۲»، و ان كان الزهرى موضع كلام.

و نقل عن الجاحظ انّه كان يقول: «الشيعى و المعتزلى و الخارجى و العامّة و الخاصة ينظرون الى شخصية على بن الحسين نظرة واحدة و لا يشك احد فى منزلته و فضله على الآخرين» «۳».

و سيأتى منّا فيما بعد أن اهم سبب فى شهرة الامام و حبّ الناس الشديد له هى عباراته و جمله الجذابة التى صاغها بقالب الدعاء الذى ينير القلوب و يعيد إليها النشاط و الحيوية و يعمرها بالقيم المعنوية يقول سعيد بن المسيّب و هو من مشاهير المحدّثين، فى وصف شخصية الامام:

«ما رأيت اورع من على بن الحسين» «۴».

و اشتهر الامام فى عصره بالقاب: على الخير، على الاغر، على العابد، و ...

و يقول مالك بن انس: «لم يكن فى اهل بيت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم مثل على بن

---

(۱) سبط بن الجوزى، تذكرة الخواص ص ۱۸۶، الاربلى ج ۲ ص ۸۰، العجلى تاريخ الثقات ص ۳۴۵.

(۲) الذهبى، سير اعلام النبلاء- ج ۴ ص ۳۹۱، تهذيب التهذيب ج ۷ ص ۳۰۵.

(۳) ابن عنبة، عمدة الطالب ص ۱۹۳.

(۴) ابو نعيم، حلية الاولياء ج ۳ ص ۱۴۱، الاربلى، ج ۲ ص ۸۰، ابن حجر، تهذيب التهذيب ج ۷ ص ۳۰۵، الذهبى، سير اعلام النبلاء، ج ۴ ص ۳۹۱، فى هامشه عن تاريخ دمشق ج ۲ ص ۱۹ ب.

الحسين» «۱».

و يصفه ابن ابى الحديد بقوله: «كان على بن الحسين غاية فى العبادة» «۲».

و كان يكثر من الخضوع و الخشوع بين يدى اللّه، و يمرّغ جبهته فى التراب، و يطيل فى سجوده، فكانت آثار السجود ظاهرة على جبهته، و بسببها كان يسمى ب «ذى الثفنات» «۳».

و اورد ابن حبّان بشأنه «و كان من افاضل بنى هاشم من فقهاء المدينة و عبّادهم، يقال على بن الحسين سيد العابدين فى ذلك الزمان» «۴».

و كتب ابو زهرة قائلا: «فعلىّ زين العابدين كان امام المدينة نبلا و علما» «۵».

و كان القاصى و الدانى يتحدث عن زهده و عبادته فقد روى: «أنه اذا اراد الوضوء اصفرّ لونه، و لما سئل عن ذلك قال: أ تدرون بين يدى من أريد ان اقوم» «۶».

يقول مالك: «احرم على بن الحسين، و لمّا لبّى اغمى عليه و سقط من فوق الجمل».

---

(۱) ابن ابى الحديد- ج ۱۵ ص ۲۷۳.

(۲) ابن ابى الحديد ج ۱ ص ۲۷.

(۳) ر. ك. معجم الادباء، ج ۱۱ ص ۱۰۳.

(۴) ابن حبّان- الثقات ج ۵ ص ۱۶۰.

(۵) الامام الصادق، ص ۲۲.

(۶) ابن الجوزى، صفوة الصفوة، ج ۲ ص ۵۵، الشبلنجى، نور الابصار ص ۱۲۷، ابن سعد ج ۵ ص ۲۱۶.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۷۸

و يقول أيضا: «بلغنى انه كان يصلى حتى وفاته فى اليوم و الليلة الف ركعة، و سمّى زين العابدين لكثرة عبادته» «۱».

و لما طلب الى خادمته وصفه قالت: «لم اجلب له طعاما فى نهار قط و لم ابسط له فراشا فى ليل قط» «۲».

و بينما هو يصلى فى احد الايام اذ ظهرت له افعى، فواصل الامام صلاته من غير ان يلتفت لها. و مرّت من بين رجليه و لم يتحرك من مكانه «۳».

و لم يكن اسوة فى العبادة فقط، بل و فى التفكّر الذى تعدل ساعة منه عبادة سبعين سنة من عبادة الجن و الانس.

نقل الزمخشرى ان على بن الحسين همّ بالوضوء فوضع يده فى الماء ثم رفع رأسه فنظر الى السماء و القمر و الكواكب ثم جعل يفكّر فى خلقها حتى اصبح و اذّن المؤذّن و يده فى الاناء» «۴».

و اصبح كذلك مثلا يحتذى به فى التصدّق و الاهتمام بالمساكين، و بعد شهادته عرف ان مائة عائلة كانت تعيش من صدقاته و نفقاته «۵». و كانت آثار حمل الطعام الى الفقراء واضحة على ظهره اثناء تغسيله «۶».

---

(۱) الذهبى، سير اعلام النبلاء ج ۴ ص ۳۹۲، ابن عساكر ۱۲/ ۲۱.

(۲) محمد على دخيل، ائمتنا ج ۱ ص ۲۶۵ عن المناقب ج ۲ ص ۲۵۵.

(۳) ابن ابى الحديد ج ۱۰ ص ۱۵۹.

(۴) ربيع الابرار ج ۱ ص ۱۲۸.

(۵) ابو نعيم، حلية الاولياء، ج ۳ ص ۱۳۶، الاربلى، كشف الغمة، ج ۲ ص ۷۸، سير اعلام النبلاء، ج ۴ ص ۳۹۳.

(۶) ربيع الابرار ج ۳ ص ۱۶۰ و ص ۱۶۳.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۷۹

و كان الناس أيضا يكنّون له وافر الود و المحبّة فقد روى ان قرّاء المدينة كانوا لا ينطلقون نحو مكّة لاداء مناسك الحج ما لم يغادر الامام المدينة اولا، و كان عند ما يتحرك ينطلق وراءه الف راكب «۱». و فى السفر كان يخفى نسبه عمّن يرافقه و يقول: «اكره أن آخذ برسول اللّه ما لا أعطى مثله» «۲».

و كما روى جويرية بن اسماء قال: «ما أكل على بن الحسين من قرابته من رسول اللّه درهما» «۳» كانت هذه نبذة من فضائل الامام السجاد اللامتناهية.

الامام السجاد عليه السّلام و الشيعة

بعد واقعة كربلاء مرّ التشيع بأسوإ ظروفه من ناحية الكم و الكيف فى بعده السياسى و العقائدى، و تحولت الكوفة من مركز مهم للميول الشيعية الى مركز خطير لقمع الشيعة. و قد استشهد فى كربلاء كبار الشيعة المخلصين الذين جاءوا مع الامام الحسين عليه السّلام من المدينة و مكّة او الذين التحقوا به من الكوفة.

و رغم ان عددا كبيرا من الشيعة كان لا يزال فى الكوفة، الّا انهم لم يتجرّءوا على الاعلان عن وجودهم فى ظل الظروف القاسية التى اوجدها ابن زياد هناك.

و تعتبر حادثة كربلاء من الناحية النفسية هزيمة كبيرة و احباطا نفسيا مريرا و ساد المجتمع تصوّر بأن الشيعة قد ابيدوا، و لن يتاح لهم الظهور على الساحة السياسية كقوة مؤثرة. فقد استشهد فى كربلاء عدد من اهل البيت و على رأسهم الامام

(۱) الطوسى، اختيار معرفة الرجال. ص ۱۱۷. طبعة مشهد.

(۲) الزمخشرى- ربيع الابرار- ج ۳ ص ۶۹.

(۳) الذهبى- سير اعلام النبلاء- ج ۴ ص ۳۹۱.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۸۰

الحسين عليه السّلام، و لم يبق من ابناء الحسين عليه السّلام إلّا واحد، و لم يكن له فى تلك الظروف منزلة اجتماعية مهمة لا سيما و ان الابن الاكبر للامام الحسين عليه السّلام اى علىّ الاكبر قد استشهد مع ابيه.

و بعد تخلصه من قيود الاسر فى المدينة و ابتعاده عن العراق سلبت من حياة على بن الحسين فرصة الاعلان عن وجوده، و يقول الاستاذ السيد جعفر مرتضى العاملى:

«تصور بنو أميّة من وجهة نظرهم السياسية بأنهم قد وضعوا نقطة الختام للحياة السياسية و الاجتماعية لاهل بيت رسول اللّه حملة الاسلام الاصيل. فرغم انّهم كانوا يتعاملون مع الامور بدقّة سياسية و شيطنة خاصّة مستغلين الضعف الروحى و العقائدى للناس و كانوا غالبا ما يخرجون منها منتصرين، الّا انهم غفلوا عن نقطة مهمّة و حسّاسة هى وجود الامام السّجاد. فهو و ان كان يبدو شابا يافعا من ناحية السن و كان من السابق لأوانه لشاب مثله أن يخوض فى النشاط السياسى و لم يكن له من الشهرة و النفوذ الاجتماعى ما يخشى منه، و لكنه من الناحية الروحية و الشخصية كان ذا ابعاد سامية و رفيعة. فهو خلافا لتوقعات المجتمع آنذاك شرع بنشاطه السياسى- الثقافى فى المدينة. و كان عليه طبعا الشروع من نقطة الصفر بسبب وضع الشيعة فى تلك البرهة الزمنية و استقطاب الناس نحو اهل البيت، ذلك الينبوع الصافى الذى تنبثق عنه المعارف الاسلامية، و قد نجح فى مسعاه هذا ايّما نجاح» «۱».

و لقد اثبت التاريخ مدى النجاح الذى حققه الامام السّجاد فهو قد اضفى

---

(۱) دراسات و بحوث فى التاريخ و الاسلام- ج ۱ ص ۶۰ الطبعة الاولى.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۸۱

على الشيعة حياة جديدة، و هيأ مستلزمات النشاطات اللاحقة للائمة من بعده كالامام الباقر عليه السّلام و الامام الصادق عليه السّلام. و يشهد التاريخ على ان الامام استطاع- و من خلال حركته و نشاطه المتواصل لمدة ۳۴ عاما- ان يجتاز بالشيعة واحدة من احلك الفترات التى مرّوا بها، و هى الفترة التى امتازت بالقمع المتواصل للشيعة على يد الامويين و الزبيريين، و كان من اوضح معالم هذه الفترة هى ولاية الحجاج على العراق لمدّة ۲۰ عاما و تسلط عبد الملك بن مروان على جميع العالم الاسلامى و التى لا تميزها عن غيرها سوى قمع الشيعة، او قمع معارضى الامويين فى اماكن أخرى كالخوارج او حركة عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث. فقد كان سماع كلمة كافر اهون على الحجاج من سماع كلمة شيعى.

العلاقة بين الامام و التوابين

فى تلك الأيام قامت فى العراق حركتان شيعيتان و انتهت كلتاهما الى الفشل، و بقى الشيعة لسنوات طويلة عرضة لتهديد الامويين بالقتل و الحبس و التعذيب.

كانت احداهما حركة التوابين بقيادة سليمان بن صرد الخزاعى و عدد آخر من وجوه الشيعة فى الكوفة. و قد ادعى ان زعيم التوابين اعترف بامامة على بن الحسين عليه السّلام «۱»، و لكن لم يعثر على دليل هذا الادعاء فى المصادر الاوليّة. و المهم فى هذا الامر هو أن التوابين كانوا عازمين على تسليم قيادة المجتمع الى اهل البيت- فيما لو نجحوا فى مسعاهم طبعا- و لم يكن احد من نسل فاطمة أليق بهذا الأمر من على بن الحسين عليه السّلام.

فمن جملة القضايا التى دعا التوابون الناس إليها هى قضية الدعوة العامة

---

(۱) جعفرى، تشيع در مسير تاريخ ص ۲۸۶. دفتر نشر فرهنك اسلامى.

لاهل البيت. و بعبارة اخرى انهم جعلوا الدعوة الى اهل البيت على رأس برامجهم و اهتماماتهم.

فكان عبيد اللّه بن عبد اللّه يحثّ الناس على الثورة فيقول لهم: «أنا ادعوكم الى كتاب اللّه و سنّة نبيّه و الطلب بدماء اهل بيته و الى جهاد المحلّين و المارقين فان قتلنا فما عند اللّه خير للابرار و ان ظهرنا رددنا هذا الامر الى اهل بيت نبيّنا» «۱».

و لما اصطفّوا لمقاتلة جيش الشام. اوضحوا اسباب ثورتهم بما يلى: «اننا لو انتصرنا فسنرد الامر الى اهل بيت نبيّنا الذين آتانا اللّه من قبلهم بالنعمة و الكرامة» «۲».

بدأت حركة التوابين تنشط بشكل سرّى بعد حادثة كربلاء الأليمة، و وصلت اوجها خلال السنتين ۶۴ و ۶۵ للهجرة، واضحت تشكّل تهديدا خطيرا لابن زياد و اعوانه فى واقعة كربلاء.

و قيادة هذه الحركة، و كما اشرنا سابقا، كانت بيد احد صحابة رسول اللّه الذى اصبح فيما بعد من صحابة امير المؤمنين عليه السّلام المقرّبين أيضا، و هو سليمان بن صرد الخزاعى فقد اتفق هو و جماعة من اصحاب امير المؤمنين عليه السّلام من وجهاء الشيعة و زعمائها على دعوة الشيعة فى الكوفة الى الثورة على ابن زياد و قتلة الحسين عليه السّلام من اجل التكفير عن موقفهم المتخاذل فى مناصرة الامام الحسين عليه السّلام

---

(۱) الطبرى ج ۴ ص ۴۳۳. و راجع كتاب ابن مسكويه، تجارب الامم ج ۲ ص ۹۷.

(۲) الطبرى ج ۴ ص ۴۶۴، البلاذرى ج ۵ ص ۲۱۰، ابن الاعثم ج ۶ ص ۸۲، ابن مسكويه تجارب الامم، ج ۲ ص ۱۰۹.

و عدم مساندته و الذود عنه فى ثورته على الامويين.

و قد كانت الكوفة آنذاك قد سقطت بيد الزبيريين الذين يكنّون فى باطنهم عداء خفيا لاهل بيت الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و خاصّة الامام على عليه السّلام، و لكنّهم كانوا ينظرون الى الموضوع من جانب آخر اذ كانوا يعتقدون ان كلّا من التوابين و ابن زياد عدوّ لدود لهم، و ان الصراع العسكرى فيما بينهما سيؤدى الى اضعاف كلا الجانبين و انهاك قواهما و لذلك لم يخلقوا أية عقبة تحول دون ثورة التوابين، بل دفعوهم أيضا نحو الاصطدام مع ابن زياد. و كان الدافع الاصلى لحركة التوابين منبثقا من شعور عاطفى شديد منشؤه واقعة كربلاء الفجيعة، و ما تثيره لديهم من تأنيب الضمير و الشعور بالذلّة و العار الناتج عن التقصير فى مناصرة الامام الحسين عليه السّلام و كانوا يعتقدون ان ذلك العار لا يزول الّا بمحاربة قتلة سبط النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

فقرروا ان يضحّوا بأنفسهم فى هذا السبيل ليتمكنوا من خلال سحقهم للحياة الدنيا من سلوك الطريق المؤدية الى الحياة الابدية بنفس مطمئنة و رأس مرفوع و ساحة مبرّأة من العيوب و منزّه عن الذنوب، و لهذا كانوا ينادون عند تركهم الكوفة: «إنا لا نطلب الدنيا و ليس لها خروجنا» «۱».

و كان عددهم اربعة آلاف رجل. و ان كان الذين بايعوا سليمان ضعفى او ثلاثة اضعاف هذا العدد الا أن عدم مشاركتهم يعود الى الموقف السلبى للمختار ابن ابى عبيدة تجاه سليمان اذ كان المختار يرى انه لا يمتلك الكفاءة و التجربة العسكرية الكافية و انه قد وضع اتباعه على حافّة الفناء.

---

(۱) الطبرى- ج ۳ ص ۴۵۵.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۸۴

و لهذا تخلّف الكثير من الشيعة الذين بايعوا سليمان و عاهدوه على المقاتلة طلبا لثأر الامام الحسين، و امتنعوا عن المشاركة فى جيشه.

و كيفما كان فقد واجهوا العدوّ و شبّت بين الجانبين حرب طاحنة ادت الى هزيمة جيش سليمان، فقتلت الغالبية العظمى من جيشه، و كان من بين القتلى سليمان و عدد من قادة جيشه، و لم يرجع الى الكوفة الّا عدد ضئيل منهم.

و كان من المقرر فى بداية هذه الثورة ان يشارك فيها أيضا شيعة البصرة و المدائن الى جانب سليمان، الا انهم لم يتمكنوا- وفقا للروايات الصحيحة- من المشاركة فيها.

و يبدو ان سليمان و اتباعه لم يكونوا يدركون الجوانب السياسية لهذه القضية كما كان يدركها المختار الثقفى او انهم كانوا تحت تأثير المشاعر العاطفية الجيّاشة التى لم تسمح لهم بالالتفات الى هذه الجوانب. و لهذا فانهم قاتلوا بكل شجاعة و اخلاص من اجل الوصول الى هدفهم فى سحق عدوّهم، لكن ذلك ادى بهم الى الهزيمة.

و هذا يشبه الى حد بعيد ما واجهه المختار الثقفى فى الكوفة بعد ذلك بفترة يسيرة، لكن امره انتهى به الى الفشل لأسباب اخرى من اهمّها الضغط الخارجى.

و بصورة عامة فان ثورة التوابين قامت على اداء كفّارة الذنب الذى ظلّ يعذّبهم بشدة و كان هذا الشعور مستوليا عليهم الى درجة كبيرة بحيث ترك تأثيره حتى على الجوانب السياسية للقضية و هذا الوضع النفسى لم يكن ليسمح لهم بالحصول على تقييم صحيح و دقيق للجانب السياسى للثورة.

و يمكن ادراك هذه الحالة من خلال الاراجيز التى كان يرددها جيش سليمان

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۸۵

اثناء القتال. فقد كان احدهم يردد فى ميدان الحرب:

إليك ربّى تبت عن ذنوبىو قد علانى فى الورى مشيبى «۱» و آخر كان يقول:

ارحم الهى عبدك التوّاباو لا تؤاخذه و قد أنابا «۲»

علاقة الامام بالمختار

تضمنت ثورة المختار و علاقته بالامام السجاد بعض المشاكل لا على الصعيد السياسى فقط، بل على الصعيد العقائدى أيضا. فقد نقل عن المختار و بعد ان احرز بعض النجاح فى استقطاب بعض الشيعة فى الكوفة، انه استعان بالامام على بن الحسين عليه السّلام لمساعدته فى مواصلة نشاطه، لكن هذه الاستعانة لم تلق ترحيبا و استقبالا من الامام «۳». و كان موقف الامام يتناسب الى حد بعيد مع تجارب الامام منذ زمن امير المؤمنين عليه السّلام الى زمن ابيه و الى حركة التوابين فى الكوفة، اذ كان من غير المنطقى فى نظره، و فى ظل تلك الظروف الاستثنائية التى افقدته أية ثقة بالكوفة ان يعمد الى القيام بعمل يؤدى الى فناء الشيعة الكامل هذه المرّة. اضف الى ذلك ان ماهية حركة الامام فى فترة امامته تعكس بوضوح ان مهمته الاساسية لا ترتبط بالسياسة بل كان فى الكثير من المواقف يضع نفسه خارج اطار السياسة حتى انه كان يتحاشى و يحتاط كاملا من اى عمل قد

---

(۱) ابن الاعثم ج ۶ ص ۸۳.

(۲) نفس المصدر السابق.

(۳) الطوسى- اختيار معرفة الرجال ص ۱۲۶.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۸۶

يتذرّعون به ضده، لكى يتمكن وارث سلالة الاسلام المحمدية من اداء رسالته فى سياق الزمن.

و اما الاشكال على الصعيد العقائدى فى القضية فقد نشأ عند ما طلب المختار الاسناد و التأييد من محمد بن الحنفية. و قد لبّى ابن الحنفية طلب المختار- و لو بصورة غير رسمية- و اشيع منذ ذلك الوقت بان امامة محمد بن الحنفية مقبولة بين شيعة العراق. و رغم ان هذه القضية غير يقينية، الّا ان فرقة اشتهرت فيما بعد اسما او رسما بالكيسانية و قد ابتدأت قصّتها فى زمن المختار.

و كان مردّ رسوخ بعض الاسس الفكرية للغلاة لدى جماعة من شيعة الكوفة هو المختار نفسه، اذ اشيع انه كان له الدور الفاعل فى ظهور الغلاة فيما بعد، و هناك اسباب أخرى متعددة لا يسع المجال لذكرها تعرّضنا لها فى مواضع أخرى و مع ان حول جميع هذه القضايا و من بينها وجود فرقة باسم الكيسانية تعتقد بامامة او مهدوية محمد بن الحنفية يكتنفها الشك و تحيط بها هالة من الغموض و الابهام، الّا أن هناك ادلّة تشير الى أن الامام السجاد قد اتخذ موقفا من الغلاة، و هذا ينمّ عن وجود انحراف لدى شيعة العراق كان يمنع الامام من مساندتهم او اقامة اية علاقة مباشرة معهم.

فقد قال الامام السّجاد فى احدى المرّات مخاطبا جماعة من اهل العراق:

«أحبّونا حبّ الاسلام و لا ترفعونا فوق حدّنا» «۱».

و يقول ابو خالد الكابلى أيضا سمعنا الامام السجاد يقول: «ان قوما من

---

(۱) ابو نعيم حلية الاولياء، ج ۳ ص ۱۳۶، و راجع كتاب، سير اعلام النبلاء ج ۴ ص ۳۹۰، ابن سعد ج ۵ ص ۳۱۴.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۸۷

شيعتنا سيحبّونا حتى يقولوا فينا ما قالت اليهود فى عزير و ما قالت النصارى فى عيسى بن مريم فلا هم منّا و لا نحن منهم» «۱».

و تفيد مصادر الشيعة انّ محمد بن الحنفية لم يكن منحرفا عن الاصول الاعتقادية للشيعة و انه كان يؤمن بعلى بن الحسين عليه السّلام كامام و حجّة بينه و بين اللّه.

اذا اعتقدنا بهذا اصبح من العسير جدا اثبات ان محمد بن الحنفية قد ادعى لنفسه امامة شيعة الكوفة. و لو فرض ثبوت ادعائه ذلك فانه لا بد من افتراض عدد من الافتراضات تقوم على انه اتخذ من نفسه وقاء و غطاء للامام السجاد عليه السّلام لصيانته من الاخطار المحتملة من قبل بنى اميّة. مع ان مثل هذا الافتراض لا يستند الى اى دليل سوى اعتقاده الجازم باهل البيت.

اما بالنسبة للمختار فقد نسبت إليه الكثير من التهم الباطلة الكاذبة، و لا يمكن التصديق بسهولة ان الامام السجاد اتهمه بالكذب اذ ينقل عنه انه قال:

«المختار يكذب على اللّه و رسوله» «۲»، بل ان الثابت لنا عكس ذلك، فعند ما ارسل له المختار رأس عبيد اللّه بن زياد المجرم الاصلى و المسبب الاساس لمذبحة كربلاء الفجيعة، دعا له الامام و قال: «جزى اللّه المختار خيرا» «۳».

و ورد فى ذلك انه: «لم يبق من بنى هاشم احد الّا قام بخطبة فى الثناء على المختار و جميل القول فيه «۴».

و روى أيضا عن الامام الباقر عليه السّلام انه قال: «لا تسبّوا المختار فانّه قتل

---

(۱) الطوسى- اختيار معرفة الرجال.

(۲) ابن سعد ج ۵ ص ۲۱۳.

(۳) الطوسى- اختيار معرفة الرجال ص ۱۲۷.

(۴) ابن سعد ج ۵ ص ۲۸۵.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۸۸

قتلتنا، و طلب ثارنا، و زوّج ارملنا، و قسّم فينا المال على العسرة» «۱».

و لما سأله ابنه عن موقفه ازاء المختار اظهر له ايجابية الموقف «۲».

و على ايّة حال لم تدم ثورة المختار طويلا اذ سرعان ما أخمدت عام ۶۷ للهجرة على يد الزبيريين.

اما الحصيلة النهائية التى يمكن ان تستخلص من مجموع الدراسة التى تمّت حول شخصية المختار و اتجاهه السياسى فيمكن القول: رغم أن المختار كان من وجهة النظر الاعتقادية و المشاعر المذهبية شخصية مهذّبة و بريئة من التهم التى نسبت إليها و الاكاذيب التى لفّقت ضدها، الّا أنه كان يميل الى التعامل السياسى فى سلوكه الاجتماعى. فقد كان يتصور انه لو تمكن من اقناع احدى شخصيات اهل البيت لتزعّم حركة الثورة، فانه سيكون فى مأمن من المؤامرات التى كان من المحتمل ان يدبّرها ضدّه اعداؤه خاصة الزبيريين، و رغم ذلك فقد تسبب استناده و اعتماده على شخصية محمد بن الحنفية فى حصول مشاكل كثيرة له و يمكن القول ان سلوكه السياسى قد تغلّب على الجانب الدينى من سلوكه.

و مع ان المختار احرز انتصارات سياسية باهرة لكن اعداءه خارج الكوفة و داخلها ممن قمعهم، اوجدوا فى طريقه العديد من المعوّقات التى ادت اخيرا الى اسقاط ثورته التى صنعها و قادها بنفسه.

و من ابرز خصائص حركته السياسية هو اعتماده المفرط على الموالى فى

---

(۱) الطوسى- اختيار معرفة الرجال ص ۱۲۵

(۲) نفس المصدر السابق ص ۱۲۶.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۸۹

الكوفة، و الذين يشكل الايرانيون الغالبية العظمى منهم، بحيث ان الثقل الاكبر فى تحرك المختار ضد مجرمى كربلاء وقع على اكتافهم، و كان من الواضح انّه سيواجه مصاعب جمّة من جرّاء اتباعه لهذا النظام، و نتيجة لوجود التعصب الشديد بين العرب المنبثق من الايحاءات الشيطانية التى كان يقوم بها الامويون و بعض الحكّام و الخلفاء الذين جعلوا رؤية المسلمين العرب و فهمهم و تقييمهم و سلوكهم تصبّ جميعا فى قالب توجّهاتهم الفكرية الخاصة. و ان الاتكاء على الموالى قد اتاح لهم الفرصة أيضا لادانته من وجهة نظر الطبقة العربية فى المجتمع الاسلامى و التى كانت تشكل آنذاك اقوى فئة فى المجتمع الاسلامى. و رغم كلّ هذه الظروف فقد استطاع و بالاعتماد على هؤلاء الاشخاص الاستمرار لمدّة اكثر من عام (۶۶- ۶۷).

الامام السّجاد عليه السّلام و اصحابه

ان الانحراف الذى اشرنا إليه، و كذلك شبهة الامامة التى ظهرت و اشيعت بين اهل الكوفة حول محمد بن الحنفية خلافا لرغبته، قد جعل البعض منهم حائرا فى معرفة الوصى الذى عيّنه الحسين بن على عليه السّلام. فقد اقرّ القاسم بن عوف و هو احد اصحاب السجاد عليه السّلام بانه كان مترددا فى بداية الامر بين على بن الحسين عليه السّلام و محمد بن الحنفية «۱».

و منهم كما يقول الكشى: ابو حمزة الثمالى و فرات بن الاحنف «۲».

و هناك اختلاف حول سعيد بن المسيّب، فقد اعتبره البعض من اصحاب الامام السّجاد عليه السّلام و لكنه ظاهرا كان يحكم وفقا لفتاوى العامة. و ورد فى كتاب

---

(۱) الطوسى- اختيار معرفة الرجال ص ۱۲۴ ط. مشهد.

(۲) نفس المصدر السابق.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۹۰

رجال الكشى ان موقف ابن المسيّب انما كان بهدف التخلص من مخالب الجور و القتل الاموى.

و على كلّ حال فانه كان يكنّ للامام احتراما لا ينكر. و كان ينهل منه العلم و الاخلاق، الّا انه لم يشارك فى تشييع جنازة الامام، و اعترض عليه الناس بشدة «۱».

و اما ما عدا هؤلاء فقد كانوا يعتبرون- و طبقا لمصادر الشيعة- من اخلص الناس و اكثرهم استقامة. فقد ورد فى رواية ان اشخاصا معدودين وقفوا الى جانب على بن الحسين فى الايّام الاولى لامامته هم: سعيد بن جبير و سعيد بن المسيّب و محمد بن جبير بن مطعم و يحيى بن أم طويل و ابو خالد الكابلى «۲».

و كما ذكرنا سابقا، فقد تعرض المجتمع الشيعى بعد واقعة كربلاء الدامية الى ضعف و تشتت شديد، و لم يكن احتمال سقوطه و انقراضه التاريخى بعيدا لا سيما و ان البقية المتبقية من المجتمع الشيعى آنذاك تعرّضت للانشقاق و الفرقة و اصيبت نتيجة ذلك بالانحراف و الضياع. و فى مثل هذه الظروف العصيبة المضطربة بدأ الامام السجاد ممارسة مهمته. فشرع اوّلا بالاستناد الى احاديث رسول اللّه المروية عنه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بواسطة امير المؤمنين و الحسنين عليهم السّلام و التى تألّفت منها و من الاحاديث الاخرى المنقولة عن سائر ائمة الشيعة، سنّة النبى الموثقة المعتمدة من وجهة النظر الشيعية، بتجديد المنهاج الفقهى لدى الشيعة، و بلورة أسسه و نشر و اشاعة نمط التفكير الشيعى لصيانتها من التمزق و الانحراف و رفدها بحياة جديدة.

---

(۱) نفس المصدر السابق ص ۱۱۶.

(۲) نفس المصدر السابق ص ۱۱۵.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۹۱

و رغم جهود الامام المتواصلة التى ادّت طبعا الى بقاء الشيعة الّا أنّ المدينة و بسبب الانحرافات الفكرية التى سادتها منذ صدر الاسلام، و ما نتج عنها من اجواء متشائمة من الخط الفكرى الشيعى، لم تكن مناخا مناسبا لتنامى الشيعة كما قال السجاد عليه السّلام: «ما بمكّة و المدينة عشرون رجلا يحبّنا» «۱».

موقف الامام من الامويين

كان اول موقف للامام مع ولاة بنى أميّة بعد واقعة كربلاء هو موقفه من عبيد اللّه بن زياد فى دار الامارة بالكوفة، اذ سأله ابن زياد فى هذا اللقاء عن اسمه فاجابه الامام ان اسمه على. فقال له ابن زياد: أ لم يقتل اللّه علىّ بن الحسين فى كربلاء؟ فأجابه عليه السّلام: كان لى اخ يدعى عليا قتله الناس. فقال ابن زياد: بل قتله اللّه. فقال الامام: اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِها «۲» كناية عن ان اللّه هو الذى يقبض ارواح الناس عند انتهاء آجالهم، لكن اهل الكوفة هم الذين قتلوه.

و اراد ابن زياد قتله، لكن زينب ابنة امير المؤمنين تدخلت فى الموضوع و حالت بينه و بين قتله «۳».

و تحدّث معه يزيد أيضا فى الشام و وجه له اللوم و التقريع «۴». ثم أتيحت للامام فرصة مؤاتية لارتقاء المنبر فاورد خطبة غرّاء عرّف بها الناس بنفسه و نسبه، و كان الامويون قد ضلّلوا اهل الشام بدعاياتهم و لم يتيحوا لهم معرفة اهل

---

(۱) ابن ابى الحديد ج ۴ ص ۱۰۴، و راجع كتاب البحار ج ۴۶، الغارات ص ۵۷۳.

(۲) الزمر/ ۴۲.

(۳) الطبرى- ج ۵ ص ۲۳۱ ط غز الدين، المنتخب من ذيل المذيل ص ۶۳۰.

(۴) ابن عبد ربّه- العقد الفريد ج ۵ ص ۱۳۱.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۹۲

بيت النبى كما ينبغى، فاطلعوا من خلال خطبة الامام على بعض الحقائق و لهذا السبب منعه يزيد من مواصلة الخطبة و انزله من على المنبر. ثم سعى يزيد الى حفظ ماء وجهه فالقى بالذنب فى قتل سيد الشهداء على ابن زياد، و ارسل على بن الحسين و بقية اسرى كربلاء الى المدينة بكل احترام.

و بعد واقعة كربلاء ثار اهل المدينة ضد الامويين و مهّدوا الامور لواقعة الحرّة و كانت تلك الثورة بقيادة عبد اللّه بن حنظلة المعروف بغسيل الملائكة، و كان الدافع من ورائها هو حياة اللعب و الفسق و الفجور التى كان يحياها يزيد و كانت تلك الثورة ذات طابع معاد للامويين.

و قد اتخذ الامام فى هذا الامر موقفا محايدا و خرج من المدينة بصحبة عدد من افراد عائلته و لم يشارك فى تلك الثورة بصفته زعيما للشيعة، لأن اى تعاون له مع القائمين بالثورة كان سيجلب على الشيعة اشد الويلات و المخاطر، لان تلك الحركة كانت غير محسوبة النتائج و لم يكن لها موقف سياسى متين و واضح.

و علاوة على هذا، فعند ما طرد الناس الامويين من المدينة فى بداية اندلاع الثورة، تقدم مروان بن الحكم الى الامام و طلب منه ايواء زوجته فاستجاب الامام لطلبه بمقتضى رجولته و عطفه الذى لا يبخل به حتى على الدّ اعدائه فآوى زوجة مروان و جعلها فى مأمن من اذى الثوار.

و قد فسر الطبرى فعل الامام هذا بوجود صداقة قديمة تربطه بمروان «۱». بينما يشير الاختلاف الفاحش فى السن بينهما و كذا السلوكية العدوانية للامويين ازاء أب الامام و جدّه و كل بنى هاشم، الى ان رأى الطبرى هذا ليس سوى تهمة لا

---

(۱) الطبرى ج ۵ ص ۲۴۵.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۹۳

اساس لها من الصحّة.

و لما قمع مسلم بن عقبة المعروف بالمسرف ثورة اهل المدينة و ارتكب اكثر الجرائم وحشية و دموية فى العصر الاموى، عامل على بن الحسين عليه السّلام معاملة خاصة تتسم بالاحترام و اللين و ذلك بسبب عدم مشاركته فى ثورة المدينة لكنّ المسرف كان يعزو احترامه و سلوكه هذا لتوصية شخصية من يزيد بشأن الامام فهو عند ما طلب من اهل المدينة البيعة ليزيد على انهم عبيد له، اكتفى من الامام السجاد بتلك البيعة المتعارفة «۱».

و ينبغى للتعرف الدقيق على الموقف السياسى و الاجتماعى لكل واحد من الائمة من الاخذ بنظر الاعتبار الظروف الخاصة بكل عصر و واجب كل امام فى تلك الفترة علاوة على الوضع السياسى العام السائد فى المجتمع المعاصر لذلك الامام و مدى امكان المواجهة العسكرية و الفرصة لاعداد الصفوف المقاتلة. و فوق ذلك فى الاهمية ضرورة المحافظة على الاسلام الاصيل فى مختلف الظروف و ملاحظة عنصر الغيب، لأن مثل هذه الظروف و هى التى تحدد الخطوط الاساسية لسياسة و نمط حركة كل امام فى مجتمعه.

و من الطبيعى ان كل ظرف يقتضى عملا خاصا، و كل عاقل يدرك عدم امكانية اتباع سياق عمل واحد فى الظروف المختلفة.

و فيما يخص الامام السجاد عليه السّلام فانه- كما اشرنا سابقا- وجد نفسه فى اجواء سياسية و اجتماعية أملت عليه صبّ كل اهتمامه على صياغة شكل جديد للمذهب الشيعى الذى لم يكن فى ذلك الوقت على هيئة فئة معيّنة فى المجتمع، و نشره

---

(۱) ابن ابى الحديد ج ۳ ص ۲۵۹، ابن سعد ج ۵، الاربلى كشف الغمة ج ۲ ص ۱۰۷.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۹۴

و المحافظة عليه.

و فى ذلك الوقت كان الامام موضع سوء ظن من قبل الامويين، و كانت ادنى حركة منه ستجلب له أسوأ العواقب. و فى ظل هذه الظروف يكون طبيعيا من الامام ان يعتبر اية حركة لا تساوى تحمّل مثل هذه العواقب الوخيمة.

و كان من أهم المبادئ الدينية التى ساعدت الامام على المحافظة على نفسه و شيعته و اتباعه من الاجراءات القمعية لاعدائه هو مبدأ التقية. فالتقية كانت بمثابة الدرع الذى صان وجود و استمرارية حياة الشيعة على مر التاريخ، و قد كان ائمة الشيعة يؤكّدون على اتباعهم دوما بضرورة رعايته و الالتزام به بدقة. كما كان طبيعيا أن تنكر بعض الجماعات- التى لم تتعرض لاى ضغط سياسى، فكانت تعمل بحرية مطلقة بل كانت تحظى بدعم السلطات الحاكمة أيضا فلم تكن بحاجة الى النشاط الخفى (التقية)- مبدأ التقية بهدف اضعاف الشيعة، رغم الوجود الصريح لهذا المبدأ فى القرآن و السنّة.

فقد ورد فى رواية عن الامام السجاد عليه السّلام انه قال: «من ترك الامر بالمعروف و النهى عن المنكر كمن ترك القرآن و جفاه الّا من كان فى تقيّة. فقيل له: و ما التقية؟ قال: يخاف جبارا عنيدا يخاف ان يفرط عليه أو يطغى» «۱».

و مبدأ التقية هذا و ان كانت جذوره موجودة فى القرآن. الّا انّ أئمة اهل البيت كانوا كثيرا ما يؤكّدون على ضرورة مراعاته من الناحية الفقهية، و كانوا اكثر الناس تقيّدا به. و كان الامام السجاد يعيش حقيقة فى ظروف مضطربة تفرض عليه انتهاج سبيل التقية، اذ لم يكن امامه سوى اختيار ذلك الطريق.

---

(۱) ابن سعد- ج ۵ ص ۲۱۴، ابو نعيم نفس المصدر ج ۲ ص ۱۴۰.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۹۵

ورد فى رواية ان رجلا دخل على الامام السجاد و سأله: «يا ابن رسول اللّه كيف أنتم؟ فقال له: أ و ما آن لكم أن تعلموا كيف نحن؟ إنمّا مثلنا فى هذه الامة مثل بنى اسرائيل كان يذبح ابناؤهم و تستحيا نساؤهم، الا و ان هؤلاء يذبّحون ابناءنا و يستحيون نساءنا. زعمت العرب ان لهم فضلا على العجم.

فقالت العجم؛ و بما ذلك؟ قالوا: كان محمد منا عربيا. قالوا لهم صدقتم، و زعمت قريش الفضل على غيرها من العرب و قالت كان محمد منا. فان كان القوم صدقوا فلنا فضل على الناس لأنا ذرية محمد و اهل بيته و خاصّته و عترته لا يشاركنا فى ذلك غيرنا. الا أنهم ظلمونا و لم يعطونا حقنا، فان كنت لا تعلم فهكذا نحن».

يقول الراوى كان الامام يتحدث و كأنه يريد أن يسمع من حوله «۱».

و فى العبارة اعلاه شبّه وضع اهل البيت فى آل أمية بوضع بنى اسرائيل فى آل فرعون. و هذا خير توضيح للأوضاع المزرية التى تعرض لها هو و اهل بيته و انصاره. و الذى يسترعى الانتباه هنا هو ان الامام و فى مثل هذه الظروف العصيبة اتخذ نفس نمط الاستدلال الذى اتّبعه امير المؤمنين عليه السّلام فى مواجهة قريش حيث يشير هناك الى ان قريش غلبت خصومها بالاستدلال بقرابتها من رسول اللّه و اخذت الخلافة لنفسها، و بناء على هذا الاستدلال فينبغى ان يكون امير المؤمنين على عليه السّلام احق الناس باستلام زمام امور الدولة الاسلامية الواسعة. و هكذا كان الامام يسعى الى اثبات احقّية اهل البيت بمقام الخلافة و انه لا يغض النظر عن هذا الحق فى احلك الظروف.

---

(۱) ابن سعد- ج ۵ ص ۲۱۸، الطبرى- المنتخب من ذيل المذيل ص ۶۳۱، و قد نسبت الرواية اعلاه فى أمالى الشيخ الطوسى ص ۹۴

البحار ج ۴۶ ص ۲۶۰ الى الامام الباقر عليه السّلام.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۹۶

و لما حدثت واقعة الحرة و قتل فيها عدد كبير من صحابة رسول اللّه و ابنائهم، و هو جمت الكعبة و اضرمت فيها النيران على يد مسلم بن عقبة و خليفته من بعده الحصين بن نمير، و لم يكن خلالها من يجرأ على الاعتراض على هذه الاعمال المعادية للاسلام. و فيما اصبح سبّ امير المؤمنين عليه السّلام من فوق المنابر سنّة جارية، اذا تركها الخطيب رفع الناس اصواتهم بالاعتراض ... فى ظل تلك الاوضاع لم يكن لدى الامام سوى عدد معدود من الصحابة المقرّبين، كما لم يكن بامكانه القيام بعمل فاعل و رادع، و لذا فانه راى انّ الوضع يحتم عليه تجميع الشيعة من جديد بعد تعرّضهم للتشتت و تربية جماعة من الصحابة على الاسلام الاصيل و تزويدهم بالعلوم و المعارف الاسلامية الاصيلة و الحقيقية، و تجديد بناء المجتمع الشيعى فى الفرصة المناسبة لكى ينقذ بعمله هذا الاسلام الاصيل من النسيان فى خضم الاحداث التاريخية، و لهذا فقد كان ينصح الانصار الذين يأتون إليه من اقاصى البلاد بالصبر، و يوصيهم بالتحمل، و ينهاهم عن اشهار السلاح الذى لم يكن يثمر شيئا سوى الموت «۱».

استفادته من سلاح الدعاء

عند ما أصيب المجتمع الاسلامى بالانحراف و غلب عليه حب الرفاه و الميل الى الدنيا و طغت عليه مظاهر الفساد السياسى و الاخلاقى و الاجتماعى، و استولت عليه حالة من الكبت و سرت فى اوصاله سريان السرطان فلم يبق للمجتمع منفذا للتنفّس، استفاد الامام السجاد عليه السّلام من الدعاء لطرح بعض المعتقدات و المبانى الثقافية الاسلامية فأوجد لدى الناس مرة أخرى اندفاعا و حركة نحو

---

(۱) ابن سعد ج ۵ ص ۲۱۶. پ

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۹۷

العبادة و التوجّه الى اللّه. و مع ان الهدف الرئيس من تلك الادعية هو العبادة، الا أن التمعن فى العبارات الواردة بين طيّاتها يمكن ان تدلنا على المفاهيم السياسية التى يقصدها الامام.

فالصحيفة السجادية التى تشتمل على اكثر من خمسين دعاء، لا تشكل فى الحقيقة الا بعضا من ادعية الامام السجاد عليه السّلام. فهناك مجاميع أخرى من الادعية اعدّت بصورة كتب بلغ تعدادها مع الصحيفة المشهورة ستة كتب يحتوى بعضها على اكثر من ۱۸۰ دعاء «۱».

و هذه الادعية غير موجودة لدى الشيعة فقط بل هى متداولة أيضا على ألسنة اهل السنّة «۲». و هذا ما يشير الى ان ادعية الامام السجاد عليه السّلام قد نفذت حينذاك الى اعماق ذلك المجتمع و قد استفاد منها كلا الفريقين باعتبارها طريقا يؤدّى الى اللّه و حلقة وصل بين المخلوق و الخالق.

و هنالك تعبير غالبا ما يتكرر وجوده بين تلك الادعية و قلّما تجد دعاء يخلو منه هو «الصلاة على محمد و آل محمد» و قد استخدمت هذه العبارة فى وقت اصبحت تسمية الاشخاص باسم على امرا مستهجنا من قبل حكّام بنى أمية، و جريمة يعاقب عليها. و تعرّض الناس تحت هذه الذريعة للتهديد و الملاحقة، و كأن الامر ما كان ليستقيم لسلاطين آل أمية الّا بسب على امير المؤمنين عليه السّلام «۳»، و هنا تتضح قيمة هذه العبارة و الهدف من تكرارها. و هناك تعابير مثل: محمد و آله الطيبين الطاهرين الاخيار الانجبين، و هى من الامثلة التى تكررت مرّات

---

(۱) آقا بزرگ طهرانى- الذريعة ج ۱۵ ص ۲۰.

(۲) ابن ابى الحديد ج ۱۱ ص ۱۶۲ و ج ۶ ص ۱۸۶ و ج ۵ ص ۱۱۳.

(۳) ابن ابى الحديد ج ۱۳ ص ۲۲۰، البلاذرى- انساب الاشراف ج ۱ ص ۱۸۴.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۹۸

متعددة فى تلك الادعية.

ان تأكيد الامام على قضية محمد و آله امر فرضه اللّه فى الصلاة عليهم، و يحظى باهميّة بالغة فى تبيان عقائد الشيعة. و قبل التطرق الى نقل مضامين من ادعية الامام الواردة فى الصحيفة السجادية، نرى من المناسب هنا ايراد حديث عنه فى تحكيم آصرة محمد و آله، فقد ورد عنه انه قال: «ان اللّه فرض على العالم الصلاة على رسول اللّه و قرننا به، فمن صلّى على رسول اللّه و لم يصلّ علينا لقى اللّه تعالى و قد بتر الصلاة عليه و ترك اوامره» «۱».

و من جملة المضامين السياسية- الدينية التى وردت فى الصحيفة هى مسألة الامامة التى طرحت على شكل مفهوم اسلامى يشتمل بالاضافة الى احقية و اولوية اهل البيت فى تولّى قيادة المجتمع الاسلامى على جوانب إلهية من قبيل العصمة و الاستفادة من علوم الأنبياء و خاصة النبى الاعظم. و نورد فيما يلى مقاطع منها:

«ربّ صلّ على اطائب اهل بيته الذين اخترتهم لأمرك و جعلتهم خزنة علمك و حفظة دينك، و خلفاءك فى ارضك و حججك على عبادك و طهّرتهم من الرجس و الدنس تطهيرا بارادتك و جعلتهم الوسيلة إليك و المسلك الى جنّتك» «۲».

و ورد فى ادعية أخرى. «اللّهم ان هذا المقام لخلفائك و اصفيائك، و مواضع امنائك فى الدرجة الرفيعة التى اختصصتهم بها قد ابتزّوها حتى عاد

---

(۱) تاريخ جرجان ص ۱۸۸.

(۲) نفس المصدر الدعاء ۴۷ الفقرة ۵۶.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۱۹۹

صفوتك و خلفاؤك مغلوبين مقهورين مبتزّين. اللهم العن اعداءهم من الأولين و الآخرين، و من رضى بفعالهم و اشياعهم و اتباعهم» «۱».

«و صلّ اللهم على خيرتك من خلقك محمد و عترته الصفوة من بريتك الطاهرين و اجعلنا لهم سامعين و مطيعين كما امرت» «۲».

«اللهم انك أيّدت دينك فى كلّ أوان بامام اقمته علما لعبادك و منارا فى بلادك بعد أن اوصلت حبله بحبلك و جعلته الذريعة الى رضوانك و افترضت طاعته و حذرت معصيته و امرت بامتثال اوامره و الانتهاء عند نهيه و لا يتقدمه متقدّم و لا يتأخر عنه متأخر فهو عصمة اللائذين و كهف المؤمنين و عروة المتمسّكين و بهاء العالمين و اقم به كتابك و حدودك و شرائعك و سنن رسولك صلوات اللّه عليه و آله و احى به ما اماته الظالمون من معالم دينك و اجل به صداء الجور عن طريقتك و ابن به الضّراء من سبيلك و ازل به الناكبين عن صراطك و امحق به بغاة قصدك عوجا و اجعلنا له سامعين مطيعين و فى رضاه ساعين» «۳».

يتضح جليّا من خلال العبارات السالفة ان الامام كان يبذل جهودا حثيثة لنشر مبدأ الاعتقاد بالامامة بمفهومه الشيعى على اعتباره اهم مسألة فى المسائل الاعتقادية الاسلامية و نظير هذا الثناء على اهل البيت يلاحظ بكثرة فى نهج البلاغة أيضا.

---

(۱) نفس المصدر السابق- الدعاء ۴۸ الفقرة ۹.

(۲) الصحيفة السجادية، الدعاء ۳۴ الفقرة ۵.

(۳) الصحيفة السجادية- الدعاء ۴۷.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۰۰

و هنا ينبغى الاشارة الى ان احدى الوظائف العظيمة الاهمية بالنسبة للائمة الاطهار هى تقديم انفسهم للناس بصفتهم ائمة منصبين من قبل اللّه. و هى الوظيفة التى ادّاها امير المؤمنين عليه السّلام و بيّنها فى رحبة مسجد الكوفة من خلال طرحه لحديث الغدير و فى قالب كلمة اهل البيت كما اشير الى ذلك سابقا. و بالاضافة الى ذلك فان الظلم الذى نزل بحق اهل البيت عليهم السّلام و غمرهم بين الناس كان يقتضى تقديم اهل بيت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم الحقيقيين الى الناس، حتى لا يتكرر ما حصل فى الشام و فى المناطق الاخرى من العالم الاسلامى حينما قال اهل الشام للسفّاح انهم لا يعلمون اهل بيت لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم سوى بنى أميّة. فعندها اخذ الامام السجاد عليه السّلام الى الشام، يبيّن للناس ما ينبغى لهم معرفته فى هذا الصدد سواء فى الخطبة- كما هو معروف- او من خلال احاديثه المباشرة مع الناس.

فها هو ابن الاعثم راوى هذا الحديث ينقله لنا كما يلى: «۱» «ادخلوا حرم رسول اللّه الى دمشق من الباب المسمى ب «التوماء» و وضعوهم فى المكان الذى يوضع فيه الاسرى قريبا من باب المسجد و عندها اقترب منهم شيخ و قال: الحمد اللّه الذى قتلكم و أراح الناس منكم و سلّط امير المؤمنين عليكم.

فقال له الامام السجاد: يا شيخ هل قرأت القرآن؟

قال: نعم قرأته.

قال: هل قرأت هذه الآية: قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِى الْقُرْبى؟

قال: نعم قرأتها.

---

(۱) ابن الاعثم- ج ۵ ص ۲۴۲.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۰۱

قال: يا شيخ نحن القربى. يا شيخ و هل قرأت آية وَ آتِ ذَا الْقُرْبى حَقَّهُ فى سورة بنى اسرائيل؟

قال: نعم قرأتها.

قال: يا شيخ فنحن ذوو القربى. و هل قرأت: وَ اعْلَمُوا أَنَّما غَنِمْتُمْ مِنْ شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَ لِلرَّسُولِ وَ لِذِى الْقُرْبى؟

قال: نعم قرأتها.

قال: يا شيخ فنحن ذوو القربى، و هل قرأت هذه الآية: إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً.

قال: نعم قرأتها.

قال: يا شيخ فنحن اهل البيت الذين خصّهم اللّه بآية التطهير.

فسكت الشيخ ساعة و ظلّ نادما و قال: اللهم انى اعوذ بك مما قلت و ما سبق منّى من بغضهم، اللهم انى ابرأ إليك من اعداء محمد و آل محمد».

و بالاضافة الى ما طرحه الامام فى هذه الادعية من مواضيع سياسية، فانه قد حاول فيها أيضا تبيان العقائد الاسلامية الصحيحة فى قالب هذه الادعية مثل باب التوحيد و ما شابه ذلك. فحينما تناهى الى سمعه ان جماعة يشبّهون اللّه بالمخلوقات، جاء الى قبر النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم غاضبا و قرأ دعاء بيّن فيه المفهوم الاصيل للتوحيد و ردّ عقيدة التشبيه «۱».

ففى المجتمع الذى عمل بنو أميّة على انحطاطه، و جعلوا من الاسلام العزيز

---

(۱) الاربلى- كشف الغمة- ج ۲ ص ۸۹ ط تبريز.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۰۲

ألعوبة فى ايديهم و وسيلة لتحقيق اغراضهم الخبيثة و تمشية اهوائهم الدنيئة، اضحى ترنّم الامام السجاد بتلك الادعية و بكاؤه المتواصل درسا تربويا و هزّة عنيفة للناس المخدوعة و المستغفلة فى ذلك العصر. و كما كان الامام كثير الحزن و البكاء على واقعة كربلاء و ما تثيره ذكراها لديه من لواعج و شجون و كان يقول:

«لقد بكى يعقوب على يوسف و هو لا يعلم أ حيّ هو أم ميت حتى ابيضت عيناه، فكيف لا ابكى و قد رأيت اجساد ۱۶ من خيرة آل بيت الرسول تقطع اوصالهم» «۱».

الامام السجاد عليه السّلام و استقطاب الموالى

من جملة المساعى ذات الطابع الدينى- السياسى التى بذلها السجاد فى تلك الايام هى الالتفات الى طبقة تعرضت و منذ عهد الخليفة الثانى فصاعدا الى اقسى الضغوط الاجتماعية و خاصة فى العصر الاموى، اذ كانت من اشد الطبقات التى عانت الحرمان فى القرون الاولى من انبثاق المجتمع الاسلامى فقد كان العبيد بما فى ذلك الرجال و النساء الايرانيون منهم و الروميون و المصريون و السودانيون يتحملون اشد صنوف العمل قسوة و يتلقون من اسيادهم اقبح انواع الاهانة و الاحتقار «۲».

فكان الامام السجاد كجدّه امير المؤمنين- الذى استقطب بسلوكه الاسلامى بعضا من موالى العراق- يسعى لرفع المنزلة الاجتماعية لهذه الطبقة المسحوقة و عند ما اعتق الامام احد إمائه و عقد عليها عابه عبد الملك بن مروان على ذلك

---

(۱) ر. ك- الطبرى- ج ۵ ص ۲۱۲ ط عز الدين بيروت.

(۲) ذكرنا هذا الموضوع فى كتاب «التاريخ السياسى للاسلام الى سنة اربعين للهجرة».

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۰۳

و قال له: ما الذى دفعك لمثل هذا العمل؟ فاجابه الامام السجاد محتجا بالآية الشريفة: لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ «۱» و هو يشير بذلك الى زواج النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من صفية و يتبّه الى ما فعله النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم حيث عقد لابنة عمته زينب على زيد بن حارثة الذى كان عبدا «۲» و بهذا يكون الامام قد احيا من جديد السيرة الحسنة التى كانت على عهد رسول اللّه و اندرست فى العهد الاموى نتيجة للاحتقار الذى لحق بالعبيد.

كتب سيد الاهل يقول:

«كان الامام السجاد يشترى العبيد من غير حاجة له فيهم و انما كان يشتريهم ليعتقهم و قد قيل انه اعتق ما يقارب المائة الف عبد. و كان العبيد الذين يعلمون ذلك يجعلون انفسهم دائما امام ناظريه ليشتريهم و يعتقهم. و كان الامام السجاد عليه السّلام يعتقهم فى اليوم و الشهر من السنة. و سرعان ما امتلأت المدينة بجماعات كبيرة من الموالى المعتوقين من الرجال و النساء و كانوا باجمعهم من مواليه» «۳».

و كتب العلامة السيد محسن الأمين:

«كان الامام السجاد يعتق فى نهاية كل شهر رمضان عشرين منهم، و لم يحتفظ باىّ منهم على حالة الرق اكثر من عام، و كان يضع الاموال فى ايديهم بعد عتقهم حتى لا يحتاجوا الى الناس» «۴».

---

(۱) سورة الاحزاب: ۲۱.

(۲) ابن سعد- ج ۵ ص ۲۴، ابن عبد ربه، العقد الفريد ج ۷ ص ۱۴۰.

(۳) سيد الاهل. زين العابدين ص ۴۷.

(۴) اعيان الشيعة- ج ۴ ص ۴۶۸.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۰۴

و خلال فترة السنة التى يقضيها هؤلاء كخدم فى داره يطّلعون عن كثب على شخصيته العلمية و الاخلاقية و يتعرّفون على تقواه. و كان من الطبيعى ان تتعلق قلوب الكثير منهم بشخصيته و نمط تفكيره و سلوكه.

و فى احد الايام كان الامام السجاد عليه السّلام خارجا من المسجد فسبّه رجل، فهجم عليه الموالى لتأديبه، فمنعهم الامام عن ذلك و قال: «ما خفى عليه من سرنا فوق ما يقول». فاستحى الرجل و صار فيما بعد ممن شمله عطف الامام «۱».

و روى الطبرى عن عبد اللّه بن محمد بن عمر: «كان هشام بن اسماعيل (والى المدينة) يسىء جوارنا، و لقى منه على بن الحسين عليه السّلام اذى شديدا. فلما عزل امر به الوليد ان يوقف للناس، فقال ما اخاف الّا من على بن الحسين. فمرّ به على بن الحسين و قد اوقف عند دار مروان فسلّم عليه. و كان على بن الحسين قد تقدّم الى خاصّته ان لا يعرض له احد بكلمة. فلما مرّ ناداه هشام: اللّه اعلم حيث يجعل رسالته».

ان سلوكية الامام السجاد هذه هى التى غرست عظمته و جلاله فى قلوب الناس و جعلتهم يحترمونه الى حد الخضوع حتى امام الخلفاء الذين اوجدوا لهم أبّهة كاذبة بين الناس.

فقد روى ان هشام بن عبد الملك عند ما حج اجتهد ان يستلم الحجر فلم يقدر فجاء على بن الحسين فوقف له الناس و تنحّوا حتى استلمه فقال اهل الشام لهشام: من هذا؟ فقال: لا اعرفه، فقال الفرزدق: و لكنى اعرفه؟ هذا على بن الحسين، و ارتجل قصيدة فى مدحه قال فيها:

---

(۱) الشبراوى، الاتحاف ص ۱۳۷، الاربلى، كشف الغمة ج ۲ ص ۱۰۲.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۰۵ يا سائلى اين حلّ الجود و الكرمعندى بيان اذا طلابه قدموا

هذا الذى تعرف البطحاء وطأتهو البيت يعرفه و الحل و الحرم

هذا ابن خير عباد اللّه كلّهمهذا التقى النقى الطاهر العلم

هذا الذى احمد المختار والدهصلى عليه إلهى ما جرى قلم

لو يعلم الركن من قد جاء يلثمهلخرّ يلثم منه ما وطا القدم

هذا علىّ رسول اللّه والدهامست بنور هداه تهتدى الامم

هذا الذى عمّه الطيار جعفر و المقتول حمزة ليث حبّه قسم

هذا ابن سيّدة النسوان فاطمةو ابن الوصى الذى فى سيفه نقم

اذا رأته قريش قال قائلهاالى مكارم هذا ينتهى الكرم

يكاد يمسكه عرفان راحتهركن الحطيم اذا ما جاء يستلم

و ليس قولك من هذا بضائرهالعرب تعرف من انكرت و العجم

ينما الى ذروة العز التى قصرتعن نيلها عرب الاسلام و العجم

يغضى حياء و يغضى من مهابتهفلا يكلّم الا حين يبتسم

يشق ثوب الدجى عن نور غرتهكالشمس تنجاب عن اشراقها الظلم

ما قال «لا» قط الّا فى تشهّدهلو لا التشهد كانت «لاؤه» نعم

مشتقة من رسول اللّه نبعتهطابت عناصره و الخيم و الشيم

حمال اثقال اقوام اذا فدحواحلو الشمائل تحلو عنده نعم

هذا ابن فاطمة ان كنت جاهلهبجدّه انبياء اللّه قد ختموا

اللّه فضّله قدما و شرّفهجرى بذاك له فى لوحه القلم

من جدّه دان فضل الأنبياء لهو فضل أمته دانت له الامم

عمّ البرية بالاحسان فانقشعتعنها العماية و الاملاق و الظلم

كلتا يديه غياث عمّ نفعهمايستوكفان و لا يعروهما عدم

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۰۶ سهل الخليقة لا تخشى بوادرهيزيده الخصلتان الحلم و الكرم

لا يخلف الوعد ميمونا نقيبتهرحب الفناء أريب حين يعترم

من معشر حبّهم دين و بغضهم كفر و قربهم منجى و معتصم

يستدفع السوء و البلوى بحبّهمو يستزاد به الاحسان و النعم

مقدّم بعد ذكر اللّه ذكرهمفى كل فرض و مختوم به الكلم

ان عدّ اهل التقى كانوا ائمتهماو قيل من خير اهل الارض؟ قيل هم

لا يستطيع جواد بعد غايتهمو لا يداينهم قوم و ان كرموا

هم الغيوث اذا ما ازمة ازمتو الأسد اسد الشرى و البأس محتدم

يابى لهم ان يحل الذمّ ساحتهمخيم كريم و ايد بالندى هضم

لا يقبض العسر بسطا من اكفهمسيّان ذلك ان آثروا و ان عدموا

اى القبائل ليست فى رقابهملأوّلية هذا او له نعم

من يعرف اللّه يعرف اولية ذافالدين من بيت هذا نالت الامم

بيوتهم فى قريش يستضاء بهافى النائبات و عند الحكم اذ حكموا

فجدّه فى قريش فى ارومتهامحمد و علىّ بعده علم

بدر له شاهد و الشعب من احدو الخندقان و يوم الفتح قد علموا

و خيبر و حنين يشهدان لهو فى قريظة يوم صيلم قتم

مواطن قد علت فى كلّ نائبةعلى الصحابة لم اكتم كما كتموا

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۰۷

الامام الباقر عليه السّلام

اشارة

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۰۹

محمد بن المنكدر: «ما رأيت احدا يفضل على على بن الحسين حتى رأيت ابنه محمدا اردت يوما ان اعظه فوعظنى» «۱».

الامام الخامس للشيعة هو محمد بن على بن الحسين عليه السّلام المعروف بالباقر.

ولد سنة ۵۸ للهجرة «۲». فقد روى عنه اليعقوبى انه قال: «قتل جدّى الحسين و لى اربع سنين و انى لاذكر مقتله و ما نالنا فى ذلك

الوقت» «۳».

ذكر اليعقوبى سنهٔ شهادته انها كانت فى عام ۱۱۷ للهجرهٔ الّا ان اكثر الروايات تشير الى انها كانت عام ۱۱۴ «۴». سمّه ابراهيم بن الوليد بن عبد الملك

---

(۱) تهذيب التهذيب، ج ۹ ص ۳۵۲.

(۲) كشف الغمهٔ ج ۲ ص ۱۱۸ طبعهٔ تبريز و راجع كتاب بحار الانوار ج ۴۶ ص ۲۱۷.

(۳) اليعقوبى- ج ۲ ص ۳۲۰.

(۴) الفسوى، المعرفهٔ و التاريخ ج ۳ ص ۳۴۶، تاريخ ابى زرعهٔ الدمشقى ج ۱ ص ۲۹۵.

الحياهٔ الفكريهٔ و السياسيهٔ لأئمهٔ أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۱۰

فاستشهد و دفن فى البقيع «۱» فى المدينهٔ المنوّرهٔ.

ذكرت الادلـهٔ على امامته مفصّلا فى كتب الشـيعهٔ «۲». و كـان نقش خـاتمه الـذى يعبر عادهٔ عن شـعار الائمـهٔ فى مواجهتهم لمشاكل عصرهم: «العزهٔ للّه جميعا» «۳».

اشتهر خامس ائمهٔ الشيعهٔ بلقب «الباقر» و قد فسره جابر بن يزيد الجعفى بقوله: «لانه بقر العلم بقرا أى شقه و اظهره اظهارا».

و يقول اليعقوبى: «كان سمى الباقر لأنّه بقر العلم» «۴».

و يقول محمـد بن مكرّم أيضا فى معنى كلمـهٔ الباقر ما يلى: «التبقّر التوسع فى العلم و المال و كان يقال محمد بن على بن الحسين بن على الباقر رضوان اللّه عليهم لأنه بقر العلم و عرف اصله و استنبط فرعه» «۵».

و روى جابر بن عبد اللّه الانصارى روايهٔ فى فضل الامام الباقر عليه السّلام، يقول عنها ابن شهرآشوب ان جميع فقهاء المدينهٔ و العراق نقلوها «۶». يقول جابر فى هذه الروايهٔ:

«قال لى رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم: انّك سـتبقى حتى ترى رجلا من ولدى اشـبه الناس بى اسـمه على اسمى اذا رأيته لم يخل عليك فاقرأه منّى السلام».

---

(۱) الفصول المهمهٔ، ص ۲۲۱.

(۲) اثبات الهداهٔ، ج ۵ ص ۲۶۳، اثبات الوصيهٔ ص ۱۴۲، بحار الانوار ج ۴۶، الكافى ج ۱ ص ۳۰۵.

(۳) الكافى ج ۲ ص ۴۷۳، حليهٔ الاولياء ج ۳ ص ۱۸۶، تاريخ جرجان ص ۴۱۹ «القوهٔ للّه جميعا».

(۴) علل الشرائع ج ۱ ص ۲۳۳.

(۵) لسان العرب، آخر كلمهٔ باقر.

(۶) ر. ك- بحار الانوار ج ۴۶، ص ۲۹۴.

الحياهٔ الفكريهٔ و السياسيهٔ لأئمهٔ أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۱۱

و فى تاريـخ اليعقوبى جاءت بقيهٔ هذه الروايهٔ كما يلى: الحياهٔ الفكريهٔ و السياسـيهٔ لأئمهٔ أهل البيت عليهم السـلام ج۱ ۲۱۱ الامام الباقر عليه السلام ..... ص : ۲۰۷

فلما كبر سن جابر و خاف الموت جعل يقول: يا باقر يا باقر اين أنت حتى رآه فوقع عليه يقبل يـديه و رجليه و يقول: بابى و أمى شبيه ابيه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم انّ أباك يقرؤك السلام» «۱».

و نقلت هذه الروايهٔ أيضا عن الامام الصادق عليه السّلام و اشار فيها الى ان كلمهٔ الباقر فضيلهٔ اختصت بأبيه «۲».

و قد ادّى نقل هذه الرواية عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم الى شهرة الامام الباقر عليه السّلام بهذا اللقب ثم كشفت هذه الكلمة عن وجهها العملى حينما اضحى مجلس الامام موطئا لاجتماع و استفادة عدد كبير من المحدّثين و الرواة من اهل السنّة.

و لما كان زيد بن على عند هشام وصف هشام الباقر «بالبقرة» استهزاء و تنكيلا بزيد، فرد عليه زيد قائلا: «سماه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم باقر العلم و أنت تسمّيه البقرة لقد اختلفتما اذن» «۳».

المكانة العلمية للامام الباقر عليه السّلام

لا شك ان الكثير من علماء السنّة يعتقدون ان الامام الباقر عليه السّلام قد حاز على شهرة عالمية فى زمانه، و كان مجلسه يغصّ دوما بالوافدين من مختلف ارجاء و اصقاع الارض الاسلامية. و كانت مكانته العلمية بصفته رجلا عالما و فقيها

---

(۱) اليعقوبى ج ۲ ص ۳۲۰، و ر. ك. الطبرى، المنتخب من ذيل المذيل ص ۴۲.

(۲) الاختصاص ص ۶۲.

(۳)- ابن قتيبة، عيون الاخبار ج ۲ ص ۲۱۲.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۱۲

و خاصّة باعتباره حاملا لعلوم اهل البيت، تستهوى الكثيرين للاستفادة من مجلسه و الاستعانة به لحل المعضلات العلمية و الفقهية التى تواجههم. و قد فتن بشخصيته فى ذلك الوقت اهل العراق الذين كان يشكل الشيعة نسبة كبيرة منهم «۱».

و كان الوافدون عليه يبدون خضوعا و اجلالا كبيرا لشخصيته العلمية بحيث كان عبد اللّه بن عطاء المكّى يقول: «ما رأيت العلماء عند احد قط اصغر منهم عند ابى جعفر و لقد رأيت الحكم بن عيينة مع جلالته فى القوم بين يديه كأنّه صبىّ بين يدى معلّمه» «۲».

و من المؤكد ان شهرة الامام العلمية على حد وصف ابن عنبة له بقوله: «كان واسع العلم و وافر الحلم» هى اكبر من أن يتحدث عنها احد «۳».

و لم تكن تلك الشهرة مقتصرة فى زمنه على الحجاز كما يعبّر عنها ابن ابى الحديد: «كان سيّد فقهاء الحجاز» «۴»، بل انها امتدت و انتشرت على نطاق واسع فى العراق و خراسان أيضا، كما يقول الراوى: «رأيت ابا جعفر عليه السّلام و حوله اهل خراسان يسألونه عن مناسك الحج» «۵».

و يقول الذهبى عن الامام الباقر عليه السّلام: «كان احد من جمع بين العلم و العمل

---

(۱) الشيخ المفيد الارشاد ص ۲۸۲، بحار الانوار ج ۴۶، كشف الغمة، ج ۲ ص ۱۲۶.

(۲) المفيد، الارشاد ص ۲۸۰، حلية الاولياء ج ۳ ص ۱۸۰، كشف الغمة ج ۲ ص ۱۱۷.

(۳) ابن عنبة عمدة الطالب ص ۱۹۵.

(۴) ابن ابى الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ۱۵ ص ۷۷.

(۵) الكلينى الكافى، ج ۶ ص ۲۶۶، بحار الانوار ج ۴۶ ص ۳۵۷.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۱۳

و السؤدد و الشرف و الثقة و الرزانة و كان اهلا للخلافة» «۱».

و كتب الاستاذ ابو زهرة عن المرجعية العامّة للامام ما يلى: «كان محمد الباقر عليه السّلام وريثة الامام السجاد فى امامة اهله و نيل الهداية و لذا كان مقصد العلماء من كلّ البلاد الاسلامية و ما زار احد المدينة الّا عرج على بيت محمد الباقر يأخذ منه».

و كتب أيضا: «كان يقصده من ائمة الفقه و الحديث كثيرون» «۲».

و نقل أيضا عن عيون الاخبار: «قد أخذ عنه اهل الفقه ظاهر الحلال و الحرام» «۳».

كان شأنه أيضا شأن ابيه السجاد عليه السّلام الذى كان يتمتع بشهرة علمية عظيمة بين الناس و يحظى باحترام الخاص و العام. يقول محمد بن المنكدر و هو من اعلام محدّثى اهل السنّة عن عظمة الامام الباقر عليه السّلام: «ما رأيت احدا يفضل على بن الحسين حتى رأيت ابنه محمدا» «۴».

اثنى عليه الكثير من علماء الاسلام الكبار، و امتدحوا مقامه العلمى و مكانته الفقهية بكلمات و عبارات جميلة، و قد جمعها الاستاذ اسد حيدر فى كتابه «۵».

---

(۱) الذهبى، سير اعلام النبلاء، ج ۴ ص ۴۰۲.

(۲) ابو زهرة، الامام الصادق ص ۲۲ دار الفكر العربى- بيروت.

(۳) حياة الامام الباقر عليه السّلام- ج ۱ ص ۱۳۹.

(۴) الشبراوى، الاتحاف ص ۱۴۵.

(۵) اسد حيدر، الامام الصادق و المذاهب الاربعة، ج ۲ ص ۴۳۵.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۱۴

و قد أدّت كثرة رواياته فى الفقه و العقائد و العلوم الاسلامية الاخرى الى أن يروى عنه عدا رواة الشيعة الكثير من محدّثى اهل السنّة، من اشهرهم ابو حنيفة الذى لم يكن يقبل اكثر الاحاديث الواردة عن طريق اهل السنّة، لذلك فقد روى الكثير من الروايات المنقولة عن اهل البيت و خاصة عن الامام الباقر «۱».

و كما ذكر الذهبى فقد نقل عنه الاحاديث سوى ابى حنيفة، عمر بن دينار و الاعمش و الاوزاعى و ابن جريج و قرّة بن خالد «۲».

و لما رآه ابو اسحاق و راى مكانته الرفيعة قال واصفا إيّاه: «لم أر مثله قط» «۳».

و قال عنه ابو زرعة كذلك: «ان ابا جعفر اكبر العلماء» «۴».

و يمكن القول بكل جرأة ان سند اغلب روايات الشيعة ينتهى بعد أمير المؤمنين عليه السّلام بالامامين الباقر و الصادق عليهما السّلام. و سبب ذلك يعود الى الظرف السياسى الخاص للمجتمع آنذاك و الذى اتاح لهذين الامامين اكثر من غيرهما فرصة نشر علوم آل محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

و لذلك فان محافل احاديث الشيعة تنقل اكثر رواياتها عن هذين الامامين.

و لذلك قيل: «لم يظهر من ولد الحسن و الحسين من العلوم ما ظهر منه

---

(۱) الذهبى، تذكرة الحفّاظ، ج ۱ ص ۱۲۷. راجع كتاب جامع مسانيد الامام الاعظم ابو حنيفة.

(۲) الذهبى، تذكرة الحفّاظ ج ۱ ص ۱۲۴.

(۳) اسد حيدر الامام الصادق و المذاهب الاربعة ج ۲ ص ۴۴۵ اعيان الشيعة ج ۴ قسم ۲ ص ۲۰.

(۴) ابن شهرآشوب، مناقب آل ابى طالب ج ۳ ص ۲۷.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۱۵

فى التفسير و الكلام و الاحكام و الحلال و الحرام» «۱».

و هذا هو السبب فى شهرتهم الواسعة فى مجتمع ذلك العصر و العصور اللاحقة بصفتهم علماء فقه و رواة حديث رسول اللّه صلّى اللّه

علیه و آله و سلّم. و کان ابو زهرة من جملة الشخصیات الکثیرة التی کانت تتردد علی مجلسه و تأخذ عنه العلوم و المعارف، و قد ذکر ان سفیان الثوری و سفیان بن عیینة (محدّث مکّة) و ابا حنیفة کانوا یحضرون مجلسه أیضا «۲».

سأل الابرش الکلبی هشام بن عبد الملک: «من هذا الذی احتوشه اهل العراق یسألونه؟ قال: هذا نبی الکوفة و هو یزعم انّه ابن رسول اللّه و باقر العلم و مفسر القرآن» «۳».

و جاء فی موضع آخر ان هشاما وصفه ب «المفتون به اهل العراق» «۴».

و مع کل هذا الثناء و التمجید الذی قاله العلماء بحقّه کم یکون غیر منصف من یقول: «لیس یروی عن الباقر من یحتجّ به» «۵».

ان الدافع من وراء کل هذه التصریحات الباطلة بشأن الائمة الاطهار، هو انقباض الکثیر من المحدّثین غیر الشیعة اذ یعتبرون کل من یبدی ای اهتمام بأهل البیت و علومهم قد فقد صلاحیته العلمیة فی رأیهم و ان لم یکن شیعیا. و لا ندری کیف یعتبر ابن سعد کل اولئک المحدثین من اهل السنة الذین رووا فی کتبهم

---

(۱) نفس المصدر السابق ص ۳۲۷ بحار الانوار ج ۴۶ ص ۲۹۴.

(۲) ابو زهرة الامام الصادق ص ۲۲.

(۳) الکافی ج ۸ ص ۱۲۰، بحار الانوار ج ۴۶ ص ۳۵۵.

(۴) الشبلنجی، نور الابصار ص ۱۴۳، سیر اعلام النبلاء ج ۴ ص ۴۰۵.

(۵) ابن سعد، الطبقات الکبری، ج ۵ ص ۳۲۴.

الحیاة الفکریة و السیاسیة لأئمة أهل البیت علیهم السلام ،ج۱،ص:۲۱۶

الروایات و الاحادیث عن الامام الباقر، من الذین لا یحتجّ بهم. فکان علیه أن یستثنی منهم علی اقل تقدیر الاوزاعی «۱» أو الآخرین الذین ذکرهم ابن حجر فی کتاب (تهذیب التهذیب).

الامام و الاختلافات الفقهیة بین الفرق الاسلامیة

کانت الفترة الممتدة بین عام (۹۴- ۱۱۴) هی الفترة التی بدأت و اتسعت فیها المشارب الفقهیة، و بلغت فیها روایة الحدیث المتعلّقة بالتفسیر ذروتها. فنشط فی هذه الفترة من علماء اهل السنّة مثلا الزهری و مکحول و قتادة و هشام بن عروة فی مجال نقل الاحادیث و تقدیم الفتاوی. و کان ارتباط بعض العلماء من امثال:

الزهری و ابراهیم النخعی و ابی الزناد و رجاء بن حیاة بالسلطات الاموية الحاکمة، یستدعی احیاء السنة الحقیقیة لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم بعیدا عن شوائب التحریف العمدی للخلفاء و العلماء المرتبطین بهم. فقد کتب الامام الباقر علیه السّلام کتابا الی سعد الخیر یشکو له فیه من علماء السوء و جاء فیه: «فاعرف اشباه الأحبار و الرهبان الذین ساروا بکتمان الکتاب و تحریفه فما ربحت تجارتهم و ما کانوا مهتدین» «۲».

و لو امعنا النظر فی کثرة الاحادیث المنقولة فی هذه الفترة، و اشتهار علم الفقه بین المحدّثین فی ذلک العصر، لأمکننا القول بأن علم الفقه لدی اهل السنّة قد دخل اساسا فی مرحلة التدوین منذ هذه المرحلة فصاعدا فقد انکمشت التحولات السیاسیة بعد واقعة کربلاء، و انکسار شوکة ابن الزبیر و القضاء علیه، و بعد استتباب الامور لحکم بنی أمیّة، مما حدا بالکثیر من العلماء الی هجر الساحة

---

(۱) راجع کتاب ابن حبان الثقات. نهایة اسم محمد بن علی الباقر علیه السّلام.

(۲) الکلینی، الروضة ص ۷۷ طبعة الاسلامی.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۱۷

السياسية و الانخراط فى حلقات الدرس و الحديث، و ايجاد حل للاختلاف الموجود بين الروايات و تقديم الفتاوى الفقهية للناس.

ففى عام ۱۰۰ للهجرة اصدر عمر بن عبد العزيز لاوّل مرّة امرا الى ابى بكر بن حزم يوصيه فيه بتدوين الاحاديث «۱».

و هذا خير شاهد على ان الحركة الثقافية عند اهل السنة قد بدأت فى القرن الثانى بينما بدأت عند الشيعة على عهد الامام الباقر عليه السّلام. و ذلك ما كان يتطلب اتخاذ المواقف الحازمة لغرض نشر الآراء الفقهية لاهل البيت فى مقابل الانحرافات التى انغرست و لأسباب مختلفة فى احاديث اهل السنّة. و مع ان ملامح الفقه الشيعى كانت الى ذلك العهد قد توضحت فى نطاق محدود و ضمن اطار الاذان و التقية و صلاة الميّت، الّا انه قد تقدم خطوات مهمّة فى ظل وجود الامام الباقر، و نشطت بين الشيعة حركة ثقافية تلفت الانتباه، و فى تلك المرحلة بالذات بدأ الشيعة تدوين ثقافتهم بما فيها الفقه و التفسير و الاخلاق.

لم يكن الفقه و الحديث قبل ذلك يلقى اية رعاية او اهتمام فى المجتمع الاسلامى. فالصراعات السياسية و نمط التفكير المادى الجامح الذى استحوذ على جهاز الحكم افضى الى اغفال اساس الدين بين الناس و خاصة الفقه. و قد كان المنع من تدوين الحديث بأمر الخليفتين الاول و الثانى من العوامل الاساسية فى انزواء الفقه الذى كان يستند ۸۰٪ منه على اقل تقدير على الاحاديث المروية عن النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم. ينقل الذهبى عن ابى بكر انه قال:

«فلا تحدّثوا عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم شيئا فمن سألكم فقولوا: بيننا و بينكم

---

(۱) عبد الرزاق، المصنف ج ۹ ص ۳۳۷، الدارمى، السنن ج ۱ ص ۱۲۶، البغدادى، تقييد العلم، ص ۱۰۵

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۱۸

كتاب اللّه فاستحلوا حلاله و حرّموا حرامه» «۱».

و قال عمر أيضا فى هذا الصدد: «اقلّوا الرواية عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و انا شريككم» «۲».

و حكى عن معاوية أيضا قوله:

«عليكم من الحديث بما كان فى عهد عمر فإنّه كان قد اخاف الناس فى الحديث عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم «۳».

و قد بلغ جهل الناس ذروته عند بدء الفتوحات الاسلامية فانشغال الولاة و الناس و انهماكهم فى قضايا الفتوحات و المسائل العسكرية و الشؤون المالية. كان قد منعهم من الاهتمام بالنشاطات العلمية و التربية الدينية. فعند ما قال ابن عباس فى آخر شهر رمضان بالبصرة التى كانت احد المراكز الاصلية للفتوحات، و هو يخطب على المنبر: «اخرجوا صدقة صومكم» لم يفهم الناس معنى كلامه. لذا قال ابن عباس: «من كان من اهل المدينة حاضرا فليقم و يوضّح لهم معنى صدقة الصوم فانّهم لا يعلمون من زكاة الفطرة الواجبة شيئا» «۴».

و فى زمن بنى أميّة ازداد ذلك الجهل شدّة، كما ذكر الدكتور على حسن:

«فى اثناء عصر بنى أميّة الذين كانوا لا يهتمون كثيرا بامور الدين كان الشعب فى الواقع قليل الفهم و المعرفة للفقه و مسائل الدين و لم يكن يعرف من هذه

---

(۱) الذهبى، تذكرة الحفاظ ج ۱ ص ۲.

(۲) الذهبى، تذكرة الحفّاظ، ج ۱ ص ۷.

(۳) الذهبى تذكرة الحفاظ ج ۱ ص ۷.

(۴) ابن حزم، الاحكام فى اصول الاحكام، ج ۲ ص ۱۳۱.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۱۹

الشؤون الّا اهل المدينة وحدهم» «۱».

و ورد فى مصادر اخرى أيضا ان الناس لم يكونوا يعرفون كيفية الصلاة و الحج طوال فترة النصف الثانى من القرن الهجرى الاوّل «۲».

و كان انس بن مالك يتأمل فى زمانه و يقول: «ما أعرف شيئا مما كان على عهد رسول اللّه؟ قيل الصلاة. قال: أ ليس صنعتم ما صنعتم فيها؟» «۳».

و كل هذا يدل على نسيان الفقه بين عامّة الناس، و هو من اهم الاسباب التى دفعت الإمامين الباقر و الصادق عليهما السّلام الى الاهتمام بالفقه، بهدف احيائه بين الناس، و صيانته من التحريف الذى كان يحصل بالتأكيد فى تدوينه و اعادة كتابته.

و كان الامام الباقر عليه السّلام هو الممثل عن مذهب اهل البيت و من اوائل الواضعين لاسس الفقه و التفسير من وجهة نظر المذهب الشيعى. اذ يعتبر هذا المذهب ان السبيل الوحيد لنيل العلوم الاسلامية الأصيلة يتم فقط عن طريق اهل البيت الذين هم باب علم رسول اللّه، و لذا قال حضرته لسلمة بن كهيل، و الحكم بن عيينة: «شرّقا او غرّبا فلا تجدان علما صحيحا الا شيئا خرج من عندنا» «۴».

و كان يقول أيضا: «فليذهب الحسن- يعنى البصرى- يمينا و شمالا، فو اللّه ما يوجد العلم الا هاهنا» «۵».

---

(۱) نظرة عامّة فى تاريخ الفقه الاسلامى، ص ۱۱۰.

(۲) كشف القناع فى حجيّة الاجماع، ص ۵۶.

(۳) ضحى الاسلام، ج ۱ ص ۳۸۶، نقلا عن البخارى و الترمذى.

(۴) الكشى ص ۲۱۰/ الكافى، ج ۱ ص ۳۹۹/ الصفّار، بصائر الدرجات ص ۹.

(۵) الكافى، ج ۱ ص ۵۱، وسائل الشيعة ج ۱۸ ص ۴۲.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۲۰

و كان يقول كذلك: «فليذهب الناس حيث شاءوا فو اللّه ليس الامر الّا هاهنا- و اشار الى بيته- «۱».

و بصفته ممثلا عن اهل البيت فانّه كان يسعى خلال مناقشاته الى نشر الآراء الفقهية لأهل البيت و تحديد مواضع الانحراف عند اهل السنّة و كشفها للناس. و كان الامام معروفا بانه الميزان لتحديد الصحيح من السقيم حتى بين اكابر علماء عصره، و لهذا نجدهم كثيرا ما كانوا يعرضون عليه معتقداتهم ليتأكدوا من صحّتها او سقمها. فها هو ابو زهرة ينقل احدى المناقشات بين ابى حنيفة و الامام، و يكتب بعدها: «و من هذا الخبر تتبيّن امامة الباقر للعلماء يحضرون إليه و يحاسبهم على ما يبلغه عنهم او يبدر منهم و كأنّه الرئيس يحاكم مرءوسيه ليحملهم على الجادّة و هم يقبلون طائعين تلك الرئاسة» «۲».

و فى احد المرات جاء عبد اللّه بن معمر (عمير) الليثى الى الامام الباقر عليه السّلام و سأله: «أ صحيح ما يقال عنك انّك تقول بحليّة المتعة؟ فقال له الامام: «أحلّها اللّه فى كتابه و سنّها رسول اللّه و عمل بها اصحابه».

فقال له عبد اللّه: لكن عمر نهى عنها. فأجابه الامام: فأنت على قول صاحبك و انا على قول رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم» «۳».

و كما لا حظنا فالامام يستدل وفقا لكتاب اللّه و سنّة نبيّه و ينبرى لمواجهة من يستدلّون بغيرهما. و الرواية الآتية تعكس لنا هذا المسار الذى سار عليه

---

(۱) الكافى ج ۱ ص ۳۹۹/ الصفّار، بصائر الدرجات ص ۱۲.

(۲) ابو زهرة، الامام الصادق، ص ۲۴.

(۳) كشف الغمّة، ج ۲ ص ۳۶۲/ بحار الانوار، ج ۴۶ ص ۳۵۶/ راجع كتاب الميزان ج ۳ ص ۳۸۹.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۲۱

الامام:

يروى محجول بن ابراهيم عن قيس بن الربيع قال: «سألت ابا اسحاق عن المسح على الخفّين قال: كنت ارى الناس يمسحون على الخفين حتى رأيت رجلا من بنى هاشم و كان محمد بن على بن الحسين و سألته عن المسح على الخفّين فقال:

«لم يكن امير المؤمنين عليه السّلام يمسح عليهما (و كان يقول): سبق الكتاب المسح على الخفّين «۱». ثم يواصل ابو إسحاق كلامه: منذ ان نهانى الامام لم امسح بعدها على الخفين».

يقول قيس بن الربيع: «و انا أيضا منذ سمعت هذه المسألة من ابى إسحاق، لم امسح بعدها على الخفّين».

إنّ قوّة استدلال الامام بالكتاب و السنّة لم تقنع ابا إسحاق وحده بل و أقنعت معه أيضا قيس بن الربيع.

و عند ما حرّف نافع مولى عمر حديثا و رواه بشكل خاطئ لغرض الاستدلال على حكم ما، كشف الامام عن ذلك التحريف و روى الحديث بشكله الصحيح «۲».

كما وقف اصحاب الامام الباقر عليه السّلام أيضا فى مقابل الاستدلالات الواهية لأبى حنيفة فيما يخص القضايا الفقهية و أدانوه من الناحية الفقهية «۳».

---

(۱) اسد حيدر، الامام الصادق و المذاهب الاربعة ج ۲ ص ۴۵۲.

(۲) دعائم الاسلام، ج ۲ ص ۲۶۰/ مستدرك الوسائل، ج ۱۵ ص ۲۸۶.

(۳) دعائم الاسلام، ج ۱ ص ۹۵/ مستدرك الوسائل، ج ۱۵ ص ۲۸۷.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۲۲

و عارض الامام الباقر عليه السّلام بشدّة استدلال اصحاب القياس «۱»، و تصدّى لهم بشدّة من بعده ولده الامام الصادق عليه السّلام. و اتخذ الباقر عليه السّلام مواقف حازمة ضد سائر الفرق الاسلامية المنحرفة، و كان يسعى خلال هذه المواجهة الى تحديد و عزل المعتقدات الصحيحة لاهل البيت فى المجالات المختلفة عن بقيّة الفرق. و كان موقف الامام ازاء فرقة المرجئة حسّاسا و حازما. إذ كانت هذه الفرقة تعتقد ان الايمان اعتقاد باطنىّ ليس الّا و لا يؤثر فيه العمل خيرا كان او شرّا، و كانوا يزيلون بالتدريج قيمة العمل الصالح من اذهان الناس. و قد قال الامام عنهم مرة:

«اللهم العن المرجئة فانّهم اعداؤنا فى الدنيا و الآخرة» «۲».

و كان للامام موقفه من الخوارج الذين كانت لهم تلك الأيام صولات، حيث وصفهم بالمتنسّكين الجهلة و اصحاب الديانة القشرية و المتعصبين فى معتقداتهم و قال عنهم: «ان الخوارج ضيّقوا على أنفسهم بجهالتهم ان الدين اوسع من ذلك» «۳».

تصدّيه للافكار اليهودية

ان من جملة الجماعات الخطيرة التى تغلغلت فى المجتمع الاسلامى آنذاك، و كانت تخلّف آثارا عميقة فى ثقافته هم اليهود. فبعض احبار اليهود ممن اعتنقوا الاسلام ظاهرا و غيرهم ممن بقوا على دينهم كانوا منتشرين فى ارجاء مختلفة من الوطن الاسلامى، و كان ترجع إليهم و تأخذ من علومهم جماعة من السذّج

---

(۱) المفيد، المجالس، ص ۳۹. طبعة النجف/ وسائل الشيعة، ج ۱۸، ص ۳۶.

(۲) الكلينى، الكافى، ج ۸ ص ۲۷۶/ بحار الانوار ج ۴۶ ص ۲۹۱.

(۳) الطوسى، التهذيب، ج ۱ ص ۲۴۱/ من لا يحضره الفقيه ج ۱ ص ۸۳.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۲۳

و المغفّلين. و قد ظهرت تأثيرات هؤلاء على الثقافة الاسلامية بصورة أحاديث موضوعة تسمّى بالاسرائيليات، يختص القسم الاعظم منها بالتفسير و سرد تاريخ الأنبياء السابقين. و كان من جملة العلماء المسلمين الذين ادخلوا هذه الاحاديث الموضوعة فى مؤلفاتهم هو الطبرى المفسر المعروف الذى حصل على اكثر رواياته بشأن تفسير القرآن عن هذا الطريق.

و قد تركت المساعى العلمية اليهودية فى داخل المجتمع الاسلامى تأثيرات مقلقة فى المسائل الفقهية و الكلامية أيضا، و هذه القضية على درجة من الوضوح فى التاريخ بحيث لا يبقى معها ابهام او ترديد «۱».

و كانت قضية مواجهة اليهود و السموم التى ينفثونها فى الثقافة الاسلامية، قضية تستأثر بقسم مهم من برنامج عمل الأئمة الأطهار عليهم السّلام. و تفنيد الأحاديث الموضوعة و الملفّقة من قبل اليهود الخونة بشأن الأنبياء الربانيين و المواضيع التى تخدش الصورة الملائكية لانبياء اللّه، هو من جملة الاهتمامات التى تلاحظ بوضوح فى سلوك الأئمة الأطهار، نشير فيما يأتى الى مثالين منها:

۱- جاء رجلان الى النبى داود عليه السّلام يختصمان فى قضية و طلبا منه الفصل فيها اشارت إليه الآيتان ۲۳ و ۲۴ من سورة (ص)، حيث تشير الآيتان المذكورتان الى أن احد الرجلين كانت له ۹۹ نعجة و للآخر نعجة واحدة. فاشتكى ذو النعجة الواحدة من ذى التسعة و تسعين نعجة بأنه كان ينوى غصب نعجته. فحكم بينهما داود عليه السّلام بدون الاستماع الى اقوال الشخص الآخر اذ قال: (لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه).

---

(۱) السيد الروحانى، بحوث مع اهل السنّة و السلفية، ص ۵۰.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۲۴

و فى هذا الصدد وضع اليهود احاديث و نشروها بين المسلمين تشير الى ان هذه القصة كناية عن زواج داود بزوجة «اوريا». اذ يستفاد من تلك الاحاديث الموضوعة ان النبى داود كان على سطح الدار يتابع حمامة، فأطل من هناك على دار «اوريا» و رأى زوجته فتعلّق بها قلبه. و لكى يحقق النبى داود غرضه فقد جعل «اوريا» فى خط المواجهة من المعركة فقتل و تزوّج داود امرأته، و ان اللّه تعالى قد اشار من خلال هذه الآيات الى تلك القصة بصورة رمزية.

فكم تسىء هذه الروايات الموضوعة الى النبى داود بصفته نبيّا من انبياء اللّه. ان هذه الاحاديث التى نشرت فى العصر الاسلامى الاوّل على يد اشخاص امثال: (كعب الاحبار) و (عبد اللّه بن سلام) قد جوبهت من قبل الامام على بن ابى طالب عليه السّلام اذ قال:

«لا اوتى برجل يزعم ان داود تزوّج امرأة أوريا الّا جلدته حدّين حدّا للنبوّة و حدا للاسلام» «۱».

و واجه الامام الرضا عليه السّلام أيضا الاحاديث المسماة بالاسرائيليات و اشكل عليها «۲».

۲- كان اليهود الذين عاشوا فى المجتمع الاسلامى- سواء منهم من اسلموا فى الظاهر و من بقوا على دينهم- يسعون الى اقناع المسلمين بأفضلية بيت المقدس- الذى كان قبلة لليهود- على الكعبة. فوضعوا فى هذا الصدد احاديث و نشروها بين المسلمين على نطاق واسع. و من جملة ذلك ما نقله زرارة فيما يلى:

---

(۱) الطبرسى، مجمع البيان، ج ۸، ص ۴۷۲.

(۲) تفسير الصافى، ج ۴ ص ۲۹۵.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۲۵

«كنت قاعدا الى جنب ابى جعفر عليه السّلام و هو مستقبل الكعبة. فقال: اما ان النظر إليها عبادة. فجاءه رجل من بجيلة يقال له عاصم

بن عمر فقال له: ان كعب الاحبار يقول ان الكعبة تسجد لبيت المقدس فى كل غداة. فقال له ابو جعفر عليه السّلام: فما تقول فيما قال كعب؟ قال الرجل: صدق كعب. فقال له الباقر عليه السّلام كذبت و كذب كعب الاحبار معك ثم قال و هو غاضب:

«ما خلق اللّه عز و جل بقعة فى الأرض احب إليه منها» «۱».

و سار أئمة الشيعة الآخرون على نفس المنوال أيضا فيما بعد و اطلقوا بعض العبارات مثل: «لا تشبّهوا باليهود» «۲» من اجل قطع تلك الصلة الثقافية التى ظهرت الى الوجود بين المسلمين و اليهود و التى كادت ان تؤدى الى حرف الثقافة الاسلامية الأصيلة و الغنيّة، هذا فى الوقت الذى كان فيه رواة الفرق الاسلامية الاخرى يستقبلون تلك الأحاديث بكل سذاجة و يصنّفونها فى الابواب المختلفة لكتبهم و يلوّثون بها ثقافتهم. لكن التابعين لاهل البيت تمسكوا بتوصياتهم، و كانوا على حذر من تلك الأفكار الضالّة فابتعدوا عنها و بقوا فى مأمن منها.

التراث الثقافى للامام الباقر

ان نظرة عابرة على اسانيد الفقه و التفسير لدى الشيعة تجعلنا ندرك ان جزء كبيرا من الروايات فى مجال الفقه و الاخلاق و التفسير عند الشيعة قد نقلت عن الامام الباقر عليه السّلام. فكتاب وسائل الشيعة و كتب التفسير مثل البرهان للعلّامة البحرانى، و الصافى للمحقق فيض الكاشانى تشتمل على كثير من الروايات المبيّنة

---

(۱) الكلينى، الكافى، ج ۴ ص ۲۳۹/ بحار الانوار، ج ۴۶، ص ۳۵۴.

(۲) وسائل الشيعة- ج ۳ ص ۵۷۱.

للمسائل الفقهية و الموضّحة للآيات القرآنية و اسباب نزولها قد نقلت عنه عليه السّلام بكثرة.

و بالاضافة الى ما ذكر سابقا فهناك الكثير من الأخبار التاريخية بشأن امير المؤمنين عليه السّلام و حرب صفّين نقلت عنه أيضا «۱». و رويت عنه كذلك احاديث و حكم باهرة و ذات معان عميقة فى مجال الاخلاق. و له أيضا جمل قصار فى منتهى الجمال و الروعة منبثقة عن روح العصمة و الكمال الباطنى للامام عليه السّلام. و عن هذه الابعاد كتب ابو زهرة ما يلى: «و كان رضى اللّه عنه مفسّرا للقرآن و مفسّرا للفقه الاسلامى مدركا حكمة الأوامر و النواهى فاهما كل الفهم لمراميها» «۲».

و كتب عن الأفكار و الجمل الأخلاقية للامام عليه السّلام ما يلى: «و لكمال نفسه و نور قلبه و قوّة مداركه انطقه اللّه تعالى بالحكم الرائعة و رويت عنه عبارات فى الاخلاق الشخصية و الاجتماعية ما لو نظم فى سلوك لتكوّن منه مذهب خلق سام» «۳».

و من الامثلة على الدروس الاخلاقية العملية للامام هى معارضته للتنسّك و التحجّر، فهو كان يعارض بالممارسة العملية رأى تلك الفئة التى تتصور ان الورع فى الاسلام يتمثل بترك جميع النعم الدنيوية. يقول الحكم بن عيينة:

«دخلت على ابى جعفر و هو فى بيت منجّد و عليه قميص رطب و ملحفة مصبوغة قد أثّر الصبغ على عاتقه فجعلت انظر الى البيت و أنظر فى هيئته. فقال

---

(۱) راجع كتاب ابن ابى الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ۲ ص ۲۱۲- ۲۲۹- ۲۳۴- ۲۸۶ و ج ۳ ص ۳۲۴.

(۲) ابو زهرة، الامام الصادق، ص ۲۴.

(۳) ابو زهرة، الامام الصادق، ص ۲۴.

لى: يا حكم ما تقول فى هذا؟ فقلت: ما عسيت ان اقول و انا أراه عليك فأمّا عندنا فانّما يفعله الشباب المرهق».

فقال لى: «يا حكم (من حرّم زينة اللّه التى اخرج لعباده و الطيّبات من الرزق) و هذا مما اخرج اللّه لعباده. فأمّا هذا البيت الذى ترى فهو بيت المرأة و انا قريب العهد بالعرس و بيتى البيت الذى تعرف» «۱».

و كان البعض يتصور ان السعى من اجل المعيشة و الذى يتجسّد فى النشاط من اجل حياة افضل امر غير صحيح. فان محمد بن المنكدر و هو احد حفّاظ القرآن الكريم فى عصر الإمام الباقر عليه السّلام كان يثنى على الامام فيقول:

«اردت ان اعظه فوعظنى. سألوه: و كيف؟ قال: خرجت يوما من المدينة الى الصحراء فى ساعة حارّة فلقينى ابو جعفر محمد بن على و كان رجلا بادنا ثقيلا و هو متكئ على غلامين اسودين او موليين فقلت فى نفسى: سبحان اللّه شيخ من اشياخ قريش فى هذه الساعة على هذه الحال فى طلب الدنيا أما لاعظنّه فدنوت منه فسلّمت عليه فردّ علىّ السلام بنهر و هو يتصبب عرقا.

فقلت له: اصلحك اللّه شيخ من اشياخ قريش فى هذه الساعة على هذه الحالة فى طلب الدنيا أ رأيت لو جاء اجلك و أنت على هذه الحالة ما كنت تصنع؟ فقال:

لو جاءنى الموت و انا على هذه الحالة جاءنى و انا فى طاعة اللّه عز و جل اكف بها نفسى و عيالى عنك و عن الناس، و انما كنت اخاف لو جاءنى الموت و انا على معصية من معاصى اللّه. فقلت: صدقت يرحمك اللّه اردت أن اعظك فوعظتنى».

---

(۱) الكافى، ج ۶ ص ۴۴۶/ بحار الانوار ج ۴۶ ص ۲۹۲.

و اما فى مجال التفسير خاصة فللامام الباقر عليه السّلام شهرة واسعة بين اهل السنة أيضا لما نقلوه عنه من روايات كثيرة فى هذا الشأن، و لهذا السبب قالوا عن شخصيته العلمية:

«لم يظهر على احد من ولد الحسن و الحسين من العلوم ما ظهر منه فى التفسير و الكلام و الفتيا و الاحكام و الحلال و الحرام» «۱».

و مدح مالك بن أعين الجهنى الامام الباقر عليه السّلام بالابيات الشعرية الآتية:

اذا طلب الناس علم القرآن كانت قريش عليه عيالا

و ان فاه فيه ابن بنت النبى تلقّت يداه فروعا طوالا «۲» اما فيما يخص المسائل الكلامية فقد نقل الامام الباقر عليه السّلام أيضا الكثير من خطب امير المؤمنين عليه السّلام فى توحيد اللّه و صفاته «۳». و كان له دور كذلك فى تبيان الكثير من المسائل الكلامية الدقيقة التى يختلف بشأنها الشيعة و اهل السنة و تلاحظ مثل هذه الروايات فى كتاب اصول الكافى بكثرة.

و نسب ابن النديم فى (الفهرست) الى الامام الباقر عليه السّلام كتابا فى التفسير و قال هذا الكتاب نقله ابو الجارود زياد بن منذر عن الامام «۴».

---

(۱) ابن شهرآشوب ج ۳ ص ۳۲۷/ بحار الانوار ج ۴۶ ص ۲۹۴.

(۲) الاتحاف بحب الاشراف، ص ۱۴۴/ كشف الغمة، ج ۲ ص ۱۲۳/ ابن عنبة عمدة الطالب، ص ۱۹۵/ الفصول المهمة ص ۲۱۰/ سير اعلام النبلاء، ج ۴۰۴/ الشبلنجى، نور الابصار ص ۱۴۳.

(۳) راجع كتاب: القرشى، الامام الباقر ج ۱ ص ۱۹۰.

(۴) راجع كتاب: تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام ص ۳۲۷/ ورد تفسير ابى الجارود فى تفسير القمى، و طبعا كانت طرق تفسير ابى الجارود موضع اشكال بالنسبة للمحققين/ راجع كتاب الذريعة فى آخر اسم تفسير ابى الجارود.

و قد ادّت الجهود الحثيثة التى بذلها الامام الباقر عليه السّلام و من بعده الامام الصادق عليه السّلام الى ان يدخل الفقه الشيعى القائم على احاديث رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و الالهام الغيبى الملقى على قلوب الائمة الاطهار عليهم السّلام الى مرحلة التدوين قبل اهل السنّة، و هذا ما حدا بمصطفى عبد الرزاق الى القول:

«و من المعقول ان يكون الشروع الى تدوين الفقه كان اسرع الى الشيعة لانّ اعتقادهم العصمة فى أئمتهم او ما يشبه العصمة كان حريا الى تدوين أقضيتهم و فتاويهم» «۱».

فهذا هو التراث الفقهى للنبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قد وصلنا عن طريق اهل بيت العصمة بشكل مستقل. و اهل السنة عند ما ينقلون الاحاديث عن الامام الباقر عليه السّلام يوصلون سندها عادة الى أبيه الى آبائه الى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم. لكن الشيعة و بسبب اعتقادهم بعصمة هذا الامام و الائمة الآخرين فهم لا يحتاجون فى مثل هذه الحالة الى ذكر سند الحديث. سئل الامام الباقر عليه السّلام عن الاحاديث التى ينقلها عن النبى بلا سند قال:

«إذا حدّثت بالحديث و لم أسنده فسندى فيه الى زين العابدين عن ابيه الحسين الشهيد عن ابيه على بن ابى طالب عن رسول اللّه عن جبرائيل عن اللّه تعالى» «۲».

و قد بذل الامام الباقر عليه السّلام أيضا- شأنه فى ذلك شأن بقية ائمة الشيعة- جهودا كبيرة لبيان اهمية و مكانة اهل البيت من الوجهة الدينية، و قد ورد فى

---

(۱) تمهيد تاريخ الفقه الاسلامى ص ۲۰۳.

(۲) الشيخ المفيد، الامالى، ص ۴۲/ الطبرسى اعلام الورى ص ۲۶۴.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۳۰

رواية نقلت عنه فى هذا الجانب انّه قال: «آل محمد ابواب اللّه و سبيله و الدعاة الى الجنّة و القادة إليها» «۱».

و روى عنه أيضا انه قال: «كل شىء لم يخرج من هذا البيت فهو وبال» «۲».

و فى الحقيقة انه كان يروى علوم النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم التى وردت عن طريق على عليه السّلام الى الناس و ذلك فى زمن كان فيه اشخاص مثل مكحول «۳» يمتلئ رعبا عند ما يروى حديثا عن امير المؤمنين عليه السّلام و لا يتجرّأ على ذكر اسمه بل يكنيه بأبى زينب.

و لهذا فالشيعة هم الوارث الوحيد لاحاديث رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و الدليل على ذلك هو ان هذا الارث يستند باجمعه الى القرآن و هذا هو ما اشار إليه الامام الباقر عليه السّلام بقوله: «اذا حدّثتكم بشىء فاسألونى عن كتاب اللّه» «۴».

فتراث الامام الباقر عليه السّلام هو الذى ادّى الى حفظ و صيانة الشيعة من التحريفات التى استهدف منها حرف الدين و القضاء عليه بسبب عدم تدوين الحديث و غيره من الدوافع الاخرى، فالامام الباقر هو الذى استدلّ بحديث «علىّ اقضاكم» و الذى نقل عن النبى بطرق متعددة لاقناع احد علماء اهل السنّة بقبول احكام قضاء الامام على عليه السّلام و ابطال عقيدة ذلك العالم القائمة على جواز العمل بالاحكام القضائية للآخرين «۵». و كذلك اعلن حضرته فى بعض المواقف عن بطلان

---

(۱) تفسير العياشى ج ۱ ص ۸۶/ وسائل الشيعة ج ۱۸ ص ۹.

(۲) الاختصاص ص ۳۱.

(۳) عده ابن ابى الحديد من مبغضى امير المؤمنين عليه السّلام فى حاشية ص ۱۲۸ من الاختصاص.

(۴) الميزان، ج ۳ ص ۱۷۶، نقلا عن الكافى.

(۵) الطوسى، التهذيب، ج ۶ ص ۲۲۰/ الكلينى، فروع الكافى ج ۷ ص ۴۰۸/ وسائل الشيعة ج ۱۸ ص ۸- ۹.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۳۱

العلوم التى نقلت عن طريق بعض الصحابة، بحيث قال فى احدى المرّات بعد تقسيمه الاحكام الى احكام اسلامية و أخرى جاهلية: «اشهدكم على زيد بن ثابت لقد حكم فى الفرائض باحكام الجاهلية» «۱».

اوضاع و مكانة الشيعة وفقا لرأى الامام

تزامن عهد الامام الباقر عليه السّلام مع الضغوط المتواصلة لخلفاء بنى أميّة و ولاتهم على الشيعة فى العراق حيث كان العراق هو المركز الاصلى للشيعة و لذلك قيل عن الامام الباقر عليه السّلام: المفتون به اهل العراق «۲» و امام اهل العراق «۳» او من هذا الذى احتوشه اهل العراق يسألونه «۴».

و كان الشيعة يتصلون بالامام فى كلّ عام اثناء موسم الحج. و كانت تلك الاتصالات تتم عادة فى مكة او عند عودة الحجّاج من بيت اللّه الحرام و مرورهم بالمدينة. و عن هذا يقول الامام الرضا عليه السّلام: ۲ «مع ما فيه (الحج) من التفقّه و نقل اخبار الائمة عليهم السّلام» «۵».

و هناك مسألة واجهت الامام و شيعته فى تلك الأيّام هى مشكلة الغلاة الذين كان عددهم يتزايد يوما بعد يوم. فقد كان هؤلاء يستغلون روايات الامام و ينسبون إليه احاديث اخرى موضوعة و غرضهم من ذلك هو اكتساب الصبغة

---

(۱) الكلينى، ج ۷ ص ۴۰۷/ التهذيب ج ۶ ص ۲۱۷.

(۲) الارشاد. ص ۲۸۲.

(۳) اعيان الشيعة ج ۴ قسم ۲ ص ۴۳.

(۴) الكافى ج ۸ ص ۱۲۰.

(۵) وسائل الشيعة، ج ۸ ص ۸.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۳۲

و الهوية الشيعية و جر الشيعة وراءهم بهدف تحقيق غاياتهم. و قد ازداد نشاط هؤلاء الانتهازيين عند ما كان الامام فى المدينة على وجه الخصوص، و لما طردهم الامام و ابعدهم عن محيطه بادر اصحاب الامام الى طردهم أيضا. و كفّروا كلا من المغيرة بن سعيد و بيان بن سمعان اللذين كانا من مشاهير الغلاة و قادتهم. و قد نظم ابو هريرة العجلى شعرا بهذا الصدد يقول فيه:

أبا جعفر أنت الامام نحبّهو نرضى الذى ترضى به و نتابع

أتتنا رجال يحملون عليكمأحاديث قد ضاقت بهن الاضالع

أحاديث أفشاها المغيرة عنكمو شر الامور المحدثات البدائع «۱» هذه الاشعار تعكس جهود الغلاة فى نشر الاحاديث الملفّقة باسم الائمة لغرض استقطاب شيعة العراق. فهؤلاء كانوا يعتقدون ان التمسك بطاعة الامام يعفيهم من اداء واجباتهم الاسلامية، و ان معرفة الامام تكفى وحدها لبلوغ الفلاح و تحقيق المقاصد الاسلامية المقدّسة و فى المقابل كان الامام الباقر عليه السّلام يؤكد مرارا و تكرارا على وجوب الاتكاء على العمل الصالح.

و كانت احاديث الامام التى سنوردها فيما يلى بمثابة الاجراء المضاد لمواقف الغلاة و معتقداتهم التافهة، و ربما يكون الدافع وراء طرح مثل هذه الاحاديث هو ابطال مفعول افكار الغلاة بين الشيعة: «ان شيعتنا من اطاع اللّه» «۲».

«شيعتنا اهل الورع و الاجتهاد و اهل الوفاء و الامانة و اهل الزهد و العبادة و اصحاب الاحدى و خمسين ركعة فى اليوم و الليلة

القائمون بالليل

---

(۱) وسائل الشيعة، ج ۸ ص ۸.

(۲) الفصول المهمة ص ۲۱۳.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۳۳

و الصائمون بالنهار يزكّون اموالهم و يحجّون البيت و يجتنبون كل محرّم» «۱».

و تشير الروايات الاخرى الواردة فى هذا الصدد الى تآمر بعض الغلاة مما اضطر الامام الباقر هنا الى التصدى لهم بشدّة. يقول على بن محمد النوفلى:

«جاء المغيرة بن سعد الى الامام الباقر عليه السّلام و قال له: اخبر الناس انى اعلم الغيب و انا أطعمك العراق. فزجره ابو جعفر زجرا شديدا و اسمعه ما كره فانصرف عنه. فاتى ابا هاشم بن محمد بن الحنفية رحمه اللّه فقال له مثل ذلك، فوثب عليه فضربه ضربا شديدا اشرف به على الموت» «۲».

المشكلة الاخرى التى بقيت ملازمة لاهل العراق هى عدم امكانية وثوق الامام بمعتقدهم و مدى اخلاصهم. فرغم جميع ما كانوا يبدونه من حبّ و موالاة و ما كان يبدو عليهم من رغبة عميقة فى استقبال احاديث اهل البيت و نشرها، الّا ان اعلان الوفاء ذلك لم يكن من اليسير الاطمينان إليه لأسباب متعددة يتعلق بعضها بالسوابق التاريخية لاهل الكوفة و العراق. فقد نقل عن بريد العجلى أنّه قال للامام: «يقال إن لاصحابنا بالكوفة جماعة كثيرة فلو امرتهم لاطاعوك و اتّبعوك.

فقال له الامام: يجىء احدكم إلى كيس أخيه فيأخذ منه حاجته؟

قلت. لا.

قال الامام: بدمائهم ابخل» «۳».

---

(۱) صفات الشيعة ص ۱۶۳.

(۲) ابن ابى الحديد، ج ۸ ص ۱۲۱.

(۳) وسائل الشيعة، ج ۳ ص ۴۲۵.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۳۴

و من جهة أخرى كانت المصلحة تفرض على الامام التزام التقية رغم الضغط الشديد و الكبت القاتل الذى كان يفرض على الشيعة فى العراق و ما كانوا ينتظرونه من قدوم الامام الى العراق و اعلان الثورة و لهذا السبب اعتراهم بعض الشك فى امامته، كما ان عدم حصولهم على المعلومات الكافية عن امامته، جعلهم فى حالة شك بينه و بين اخيه زيد، و هذا ما افضى الى حصول انشقاقات بين الشيعة. و مع ان الامام توفى قبل سبع سنوات من ثورة اخيه زيد فى الكوفة الّا أن جذور الميل الى زيد كانت قد نمت فى ذلك العهد بين عدد من الشيعة. و على الرغم من جميع هذه المصاعب، الّا أن الاختلافات الداخلية نادرا ما كانت تهددهم و كان السر فى ذلك هو توجّهاتهم و مسارهم المعاكس لمصالح بنى أميّة.

و قد كان تخفيف الضغط السياسى الموجّه ضدّهم يتناسب طرديا مع اتساع نشاط الغلاة بحيث تجذّرت فى زمن الامام الصادق عليه السّلام حتى عادت هى القضيّة الرئيسة لدى الشيعة، و لم تخفّ وطأة الضغوط التى كانت تمارس ضد الشيعة طوال فترة الخلافة الاموية الّا فى عهد حكومة عمر بن عبد العزيز التى استمرت لمدة عامين.

و الحديث التالى: «من بلى من شيعتنا ببلاء فصبر كتب اللّه له اجر الف شهيد». يعكس مدى الضغوط التى كانت تمارس ضد الشيعة،

و مدى الجهود التى كان الامام يبذلها لاقناعهم بالتحمل و التزام الصبر. و قد نقلت عن الامام الباقر عليه السّلام رواية يحلل فيها الاوضاع السياسية للشيعة و انواع الضغوط التى كان الخلفاء يمارسونها ضدّهم من بداية الخلافة الى عهده. نورد فيما يلى نص تلك الرواية على امل ان تتكون لدينا فكرة عن رأى الامام بهذا الصدد:

«ما لقينا من ظلم قريش ايّانا و تظاهرهم علينا و ما لقى شيعتنا

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۳۵

و محبّونا من الناس، ان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قبض و قد اخبر أنّا اولى الناس بالناس فتمالأت قريش حتى اخرجت الامر عن معدنه و احتجّت على الانصار بحقّنا و حجّتنا ثم تداولتها قريش واحد بعد واحد حتى رجعت إلينا فنكثت بيعتنا و نصبت الحرب لنا و لم يزل صاحب الامر فى صعود و كئود حتى قتل فبويع الحسن عليه السّلام ابنه و عوهد ثم غدر به .. ثم بايع الحسين من اهل العراق عشرون الفا ثم غدروا به، ثم لم نزل اهل البيت نستذل و نستضام و نقصى و نمتهن و نحرم و نقتل و نخاف و لا نأمن على دمائنا و دماء اوليائنا و وجد الكاذبون الجاحدون لكذبهم و جحودهم موضعا يتقربون به الى اوليائهم و قضاة السوء و عمال السوء فى كلّ بلدة فحدثوهم بالاحاديث الموضوعة المكذوبة و رووا عنا ما لم نقله و لم نفعله ليبغضونا الى الناس و كان عظم ذلك و كبر فى زمن معاوية بعد موت الحسن فقتلت شيعتنا فى كل بلدة و قطعت الايدى و الارجل على الظنّة و كان من يذكر بحبّنا و الانقطاع إلينا سجن و نهب ماله او هدمت داره ثم لم يزل البلاء يشتد و يزداد الى زمان عبيد اللّه بن زياد قاتل الحسين عليه السّلام ثم جاء الحجّاج فقتلهم كل قتلة و اخذهم بكل ظنّة و تهمة حتى أن الرجل ليقال له زنديق او كافر احب إليه أن يقال له شيعة على حتى صار الرجل يذكر بالخير و لعلّه يكون ورعا صدوقا يحدث باحاديث عظيمة عجيبة من تفضيل بعض من قد سلف من الولاة و لم يخلق اللّه تعالى شيئا منها و لا كانت و لا وقعت و هو يحسب انها حقّ لكثرة من رواها ممن لم يعرف بكذب و لا بقلّة ورع» «۱».

تظهر الرواية السالفة اسلوب تحليل ائمة الشيعة للاوضاع السياسية فى تلك

---

(۱) ابن ابى الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ۱۱ ص ۴۴/ ابو زهرة الامام الصادق، ص ۱۱۱.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۳۶

الحقبة الزمنية و تتضمن أيضا اشارة الى تشدد الخلفاء الامويين ضد الشيعة الذين كانوا يكثرون فى العراق بالخصوص. بديهى أنّ الشيعة كان لهم وجود فى مكّة و المدينة أيضا الّا انهم كانوا اقل بكثير من شيعة العراق. و كان من جملتهم ابن ميمون الذى سأله الامام يوما: كم انتم بمكّة؟

قال: نحن اربعة. فقال له: انكم نور فى ظلمات الارض «۱». (يحتمل ان هذا العدد كان يمثل الشيعة المخلصين).

و لم يكن الكثير من الشيعة قد بلغ درجات عالية فى التشيّع بل كان عدد منهم يرغب فى الاستفادة من علوم اهل البيت الى جانب احاديث اهل السنّة.

و لذا اعتبروا فى كتب الرجال جزء من اصحاب الامام الباقر عليه السّلام. و أمّا ما ورد فى رجال الطوسى بشأن اصحاب الامام و ان عددهم كان ۴۶۷ رجلا، فلم يكن ذلك يمثل الّا الاشخاص الذين كانت علاقتهم به اقوى، و الّا فقد ورد فى كتب السنّة اشخاص كثيرون جدا نقلوا الاحاديث عن الامام الباقر عليه السّلام لكنّهم لا يعدّون من اصحابه. و كان عدد الشيعة السياسيين- و هم الذين كانوا يوالون و يناصرون اهل البيت لا بسبب ايمانهم بامامة ائمة الشيعة، بل بسبب افضلية الشخصية الانسانية و السياسية لاهل البيت- كثيرا جدا فى العراق، الّا ان احدا لم يكن يعتمد عليهم او يثق بهم فى مجال تفجير حركة سياسية او ثورة مع ادنى احتمال فى النصر. و ما كلام بريد العجلى مع الامام، و الذى مرّ ذكره فى الصفحات السابقة الّا تعبيرا عن هذه الحقيقة.

و قد اشتهر من بين اصحاب الامام عدد يسير منهم و نقلت عن طريقهم اكثر

(۱) رجال الكشى، ص ۳۴۶.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۳۷

من نصف احاديثه الموجودة حاليا فى جوامع احاديث الشيعة.

فزرارة بن اعين، و معروف بن خربوذ، و بريد بن معاوية العجلى و ابى بصير الاسدى و فضيل بن يسار و محمد بن مسلم، كانوا من جملة من حظى بصحبة الامام الصادق عليه السّلام و هم موثوقون من قبل علماء الشيعة «۱».

اما زرارة، فقد قال بحقّه الامام الصادق عليه السّلام: «رحم اللّه زرارة بن اعين، و لو لا زرارة لاندرست اثار النبوّة و احاديث ابى» «۲».

و حصل اشخاص مثل محمد بن مسلم على معرفة عميقة بالامام، فلم يأخذ علمه الّا عن الامام الباقر عليه السّلام ثم عن الامام الصادق عليه السّلام، فكان يقول عن نفسه:

«ما شجر فى قلبى شىء قط الّا سألت عنه ابا جعفر عليه السّلام حتى سألته عن ثلاثين الف حديث، و سألت ابا عبد اللّه عليه السّلام ستّة عشر الف حديث» «۳».

حتى ان بعض الشيعة اعتبره (اى محمد بن مسلم) افقه الشيعة «۴».

و كان جابر بن يزيد الجعفى احد الشيعة المعروفين أيضا، و كان عند ما يروى حديثا عن الامام الباقر عليه السّلام يقول:

«حدّثنى وصىّ الاوصياء و وارث علم الأنبياء محمد بن على بن الحسين» «۵».

(۱) نفس المصدر السابق ص ۲۳۸ رجال الكشى.

(۲) رجال الكشى ص ۹۰/ المفيد، الاختصاص ص ۶۶.

(۳) الاختصاص ص ۲۰۱/ رجال الكشى ص ۱۰۹.

(۴) الاختصاص ص ۲۰۳.

(۵) الارشاد ص ۲۸/ حلية الأولياء ج ۳ ص ۱۸۳.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۳۸

و هذه الكلمات نفسها كان يرددها مالك الاشتر النخعى على مسامع الناس حينما كان يتحدث عن امير المؤمنين عليه السّلام، فكان يقول: «أيها الناس هذا وصىّ الاوصياء و وراث علم الأنبياء» «۱».

و قد اعتبره ابو حنيفة شخصية فريدة فقال عنه: «ليس عندى فى الكوفة فى بابه اكبر منه» «۲».

و كان حمران بن اعين و عبد اللّه بن شريك من اصحاب الامام الذين يقل نظيرهم «۳».

و قال الصادق عليه السّلام بشأن اصحاب ابيه من جملة حديثه: «ما اجد احدا احيا ذكرنا و احاديث ابى عليه السّلام الّا زرارة و ابو بصير المرادى و محمد بن مسلم و بريد ابن معاوية و لو لا هؤلاء ما كان احد يستنبط هدى، هؤلاء حفاظ الدين و أمناء ابى عليه السّلام على حلاله و حرامه و هم السابقون إلينا فى الدنيا و الآخرة» «۴».

الامام و القضايا السياسية

اعتبر الشيعة الزيدية قيام الامام بالسيف احد اصول مذهبهم فى الامامة، فالشخص العلوى فى نظر الزيدية انما يعتبر اماما اذا قام بالسيف و الّا لم يكن كذلك. و لو التفتنا الى نتيجة هذه العقيدة لدى الزيدية لم نجد سوى عدد معدود من الثورات المسلحة التى باءت بالفشل و قام بها كل من محمد ذو النفس الزكية

(۱) تاريخ اليعقوبى، ج ۲ ص ۱۷۹. طبعة دار صادر.

(۲) المناقب للمكّى، ج ۲ ص ۱۸ نقلا عن ابى زهرة، الامام ابو حنيفة ص ۷۲.

(۳) بحار الانوار ج ۴۶ ص ۳۴۳.

(۴) المفيد، الاختصاص ص ۶۶.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۳۹

و اخوه ابراهيم و الحسين بن على المعروف بشهيد فخّ و غيرها من الثورات التى قامت فى انحاء مختلفة من العالم الاسلامى. و لم تحرز اى من هذه الثورات نجاحا ملحوظا سوى ثورة طبرستان التى يشكّ فى انتماء قادتها الى الزيدية او الى الامامية (و الاحتمال الاقوى انهم كانوا زيدية) فكانت نتيجة ذلك هى:

اولا: انهم لم يتبعوا الاوصياء الذين اصطفاهم اللّه اى الائمة الاطهار عليهم السّلام بل اتبعوا كل علوى حمل السيف.

ثانيا: انهم من الناحية الثقافية فى الفقه و التفسير و الكلام لم يكن لهم ما للشيعة من ثقافة متسعة و مترابطة و منظمة. ففى بابى التفسير و الفقه كانوا ياخذون برأى ابى حنيفة غالبا و قلدوا فى علم الكلام المعتزلة. و قد اعتبروا بنحو عام من فرق و شعب اهل السنة.

و قد ادّت الاعمال و النشاطات التى قام بها ائمة الشيعة و خاصة الامامين الباقر و الصادق عليهما السّلام الى ايجاد ثقافة خاصة و غنيّة للمذهب الشيعى الذى عرف فيما بعد بالمذهب الجعفرى و ان كانت شهرته بالمذهب الباقرى لم تكن بعيدة عن الصواب أيضا.

هذا المذهب الفكرى الذى يعرض علوم اهل البيت بشكل منظم و فى جميع المجالات كان ثمرة الجهود المتواصلة التى استمرت ۵۵ عاما (من عام ۴۸- ۹۴) لهذين الامامين.

ان اختيار مثل هذا الموقف فى ظل الاوضاع السياسية التى كانت سائدة آنذاك و التى تميّزت بشدة القمع التى كانت تمارسها السلطة الاموية و من بعدها السلطة العباسية من اجل بقاء حكومتها ضد كل معارضة لم يكن من الممكن أن

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۴۰

يقترن بمشاركة فى الخطوات السياسية المهمة، اذ ليس من الصحيح المشاركة دوما و فى كل الاحوال و الظروف فى التحركات السياسية بالغا ما بلغ الثمن، حتى ان كان ثمن ذلك هو الاغضاء عن تبيان المعارف الحقّة و اغلاق الطريق أمام الامة الى الابد. و لذا اتخذ ائمة الشيعة فى هذه البرهة موقفا يقوم على بيان المعارف الدينية الحقيقية و كان نشاطهم الاساس يتمثل فى تدوين الثقافة الدينية و هذا ما نشاهد و نلمس نتائجه اليوم بشكل واضح.

و لا يعنى هذا ان ائمة الشيعة لم يتخذوا ايّ موقف ازاء غطرسة الحكّام المتسلطين. فجميع الشيعة و حتى الامويين كانوا يدركون جيدا ان قادة الشيعة يطالبون بالخلافة، و انهم كانوا- كما تشير الروايات التى نقلناها عن الامام الباقر- يرون الخلافة حقا لهم و لآبائهم و أن قريشا اخذتها منهم عنوة. و لهذا كان الشيعة يمتنعون من التعاون مع الحكّام الّا فى بعض الحالات الاستثنائية التى يسمح فيها بذلك لاسباب خاصة لكن هذه المسألة لم تتخذ دوما طابع المواجهة العلنية المسلحة او المشاركة المستمرة فى الثورات. و بناء على هذا فان المعارضة و الدعوة الى عدم التعاون و المواجهة السلبية كانت من المواقف الواضحة و البارزة للامام.

جاء عقبة بن بشير الاسدى و كان من الشيعة الى الامام الباقر عليه السّلام، و اشار الى مكانته و علو منزلته فى قبيلته قائلا: «كان لقبيلتنا عريف «۱» مات و يريدون تعريفى عليهم، فما ترى فى ذلك؟ فقال له الامام:

تمنّ علينا بحسبك ان اللّه تعالى رفع بالايمان من كان الناس سموه وضيعا اذا كان مؤمنا، و وضع بالكفر من كان يسمونه شريفا اذا كان كافرا،

(۱) رجال الكشى ص ۲۰۴.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۴۱

فليس لاحد فضل الّا بتقوى اللّه. اما قولك ان قومى كان لهم عريف فهلك فأرادوا أن يعرّفونى عليهم. فان كنت تكره الجنّة و تبغضها فتعرّف على قومك يأخذ السلطان بامرئ مسلم يسفك دمه فتشركهم فى دمه عسى ان لا تنال من دنياهم شىء» «۱».

تبيّن لنا هذه الرواية كيف ان الامام كان يمنع شيعته من تسلّم اى عمل او منصب لدى الحكومة و لو كان بدرجة عريف و هى درجة تافهة لا اهمية لها و يعلل ذلك بجور الحكّام على الرعية، و يعتبر مثل ذلك العمل مشاركة لهم فى ارتكاب ذلك الذنب.

و كان الامام الباقر عليه السّلام يحثّ الناس بصورة مختلفة على الاعتراض على تصرفات الحكّام و نصيحتهم، و قد وردت عنه عليه السّلام رواية جاء فيها: «من مشى الى سلطان جائر فأمره بتقوى اللّه و وعظه و خوّفه كان له مثل اجر الثقلين من الجن و الانس و مثل اجورهم» «۲».

و كانت التقية درعا هاما و واقيا بيد الشيعة يصونون به انفسهم فى الفترات المظلمة للحكم الاموى و العباسى و قد روى الباقر عليه السّلام عن ابيه انه قال: «ان التقية دينى و دين آبائى و لا دين لمن لا تقية له» «۳».

امّا بشأن ادعاء الامامة من قبل اهل البيت، فهناك ادلّة و شواهد تاريخية كثيرة تؤكدها بجلاء و وضوح، و هى قضية واضحة للناس، و الجميع يعلم أن ائمة

---

(۱) قال ابن الاثير: العرفاء جمع عريف و هو القيم بامور القبيلة او الجماعة من الناس يلى امورهم و يتعرّف الامير منه احوالهم لسان العرب.

(۲) المفيد، الاختصاص، ص ۲۶۱.

(۳) دعائم الاسلام، ج ۱ ص ۹۵.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۴۲

الشيعة يعتبرون الامامة حقا لهم لا ينافسهم فيها غيرهم. و اما من الناحية النظرية فقد اكد الامام الباقر و بقية الائمة على عدم مشروعية عمل السلطات الحاكمة آنذاك، و انهم يطرحون امام الناس وجوب اقامة الحكومة الحقّة فى المجتمع الاسلامى:

«و كذلك يا محمد (بن مسلم) من اصبح من هذه الامة لا إمام له من اللّه عز و جل ظاهر عادل اصبح ضالا تائها و ان مات على هذه الحالة مات ميتة كفر و نفاق، و اعلم يا محمد ان ائمة الجور و اتباعهم لمعزولون عن دين اللّه قد ضلّوا و اضلّوا فاعمالهم التى يعملونها كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شىء ذلك هو الضلال البعيد» «۱».

و النتيجة الطبيعية لمثل هذه الكلمات هى سوق الناس نحو اهل البيت و تنبيههم الى الجور الذى يمارسه الولاة بحق ابناء الامة. كما أنّ تأكيدات الامام المتكررة على كون الامامة مع الصوم و الصلاة و الحج و الزكاة تشكّل الاحكام الاساسية الخمسة فى الاسلام، ترجع فى الحقيقة الى هذا الامر. ثم يقول فى نهاية الحديث مؤكّدا على امر الولاية: «و لم يناد بشىء كما نودى بالولاية فأخذ الناس بأربع و تركوا الولاية» «۲».

و قد روى ان الامام الباقر دخل يوما على هشام بن عبد الملك و لم يسلّم عليه بالخلافة و امرة المؤمنين، فغضب هشام و اشار الى من حوله ليعنّفوا الامام، ثم قال: «لا يزال الرجل منكم شق عصا المسلمين و دعا الى نفسه».

و بعد ان فرغ هشام من توبيخ الامام و أمر الناس بلومه التفت الامام نحو

---

(۱) الكافى، ج ۱ ص ۱۸۳- ۱۸۴.

(۲) الكافى ج ۱، ص ۱۸۳.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۴۳

الناس و قال:

«ايّها الناس اين تـذهبون و اين يراد بكم، بنا هدى اولكم و بنا ختم آخركم فان يكن لكم ملك معجل فان لنا ملكا مؤجّلا و ليس بعد ملكنا ملك، لأنا اهل بيت العاقبة، يقول اللّه: وَ الْعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ*.

فاصدر هشام امرا بحبس الامام، و تأثر من كان فى السجن بشخصية الامام فعلم هشام بذلك فأمر بارجاعه الى المدينة «۱».

و فى عهـد الامـام البـاقر عليه السّـلام كان بنو اميّـة عامّـة يضـيقون الخناق على اهل البيت و لم يكن ذلك التضـييق الا بسـبب ادعائهم الامامة و الزعامة الدينية السياسية و اعتبارهم بنى أميّة غاصبين لها. و قد ذكرت المصادر التاريخية- التى لا نعلم مدى صحّتها و دقتها- ان عمر بن عبد العزيز هو الخليفة الوحيد من بين آل أميّة الذى كان تعامله مع اهل البيت جيدا نسبيا.

و انطلاقا من هذا يروى اهل السنّة عن الامام الباقر عليه السّلام انه قال: «عمر بن عبد العزيز نجيب بنى اميّة» «۲».

و ورد كـذلك فى مصادر الشـيعة ان عمر بن عبـد العزيز كان يـدفع عطاء اهل البيت من بيت المال «۳»، كما أرجع فدك لبنى هاشـم «۴».

و فى العهد الاموى كانت اشد الضغوط وطأة على اهل البيت هى تلك التى

---

(۱) ائمتنا، ج ۲ ص ۳۵۸ نقلا عن الكافى ج ۱ ص ۴۷۸/ المناقب، ج ۲ ص ۲۸۰.

(۲) الذهبى، تذكرة الحفّاظ، ج ۱ ص ۱۱۹.

(۳) الحميرى، قرب الاسناد، ص ۱۷۲.

(۴) الخصال، ج ۱ ص ۵۱/ ر. ك. أمالى الطوسى ص ۸۰/ السيوطى، تاريخ الخلفاء ص ۲۳۲.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۴۴

مارسـها ضـدهم هشـام بن عبـد الملـك، و كانت اهانته و كلماته النابيـة هى التى دفعت زيـد بن على الى الثورة عليه فى الكوفـة (عام ۱۳۱). ففى لقاء حصل بين هشام و زيد تطاول هشام بالاهانة على الامام الباقر عليه السّلام، و قال عنه باستهزاء «البقرة»، فغضب زيد من هـذا السـلوك الوقح و قال له: «سـمّاه رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم الباقر و أنت تسـمية البقرة لشدّ ما اختلفتما و لتخالفنّه فى الآخرة كما خالفته فى الدنيا فيرد الجنّة و ترد النار» «۱».

و قـد سبّ شـخص مسـيحى النبىّ الاكرم صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم بحضور هشام، فلم يبرز منه اىّ رد فعل، و هذا ما خلق لدى زيد ردة فعل عنيفـة فيما بعد، و قد قيل ان هذه التصـرفات كانت هى الدوافع الاصـلية و المهمة فى ثورة زيد ضد الحكومة الاموية، فكانت بذلك بداية لسلسلة من الثورات المتواصلة على امتداد الوطن الاسلامى الكبير و فى المشرق و ايران بالخصوص ضد السلطة الاموية.

و جاء كذلك فى مصادر الشيعة ان الامام الباقر عليه السّـلام استدعى الى الشام برفقة ابنه الصادق عليه السّلام ليواجها هناك الاهانة و الاستخفاف و يتخليا عن فكرة الحكومة و معارضة السلطة الاموية.

و قد روى الامام الصادق عليه السّلام بدوره هذه الحادثة فى رواية مطوّلة، ننقل فيما يلى مقاطع منها عن لسان الراوى قال:

«حـج هشام بن عبد الملك بن مروان سـنة من السـنين و كان قد حج فى تلك السـنة محمد بن على الباقر عليه السّـلام و ابنه جعفر بن محمد عليه السّلام فقال جعفر عليه السّلام:

«الحمد للّه الذى بعث محمدا بالحقّ نبيّا و اكرمنا به فنحن صفوة اللّه على

---

(۱) ابن ابى الحديد ج ۷، ص ۱۳۲/ ابن عنبة، عمدة الطالب ص ۱۹۴.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۴۵

خلقه و خيرته من عباده و خلفائه فالسعيد من اتبعنا و الشقى من عادانا و خالفنا».

ثم قال عليه السّلام: فاخبر مسلمة اخاه بما سمع فلم يعرض لنا حتى انصرف الى دمشق و انصرفنا الى المدينة. فانفذ بريدا الى عامل المدينة باشخاص ابى و اشخاصى معه، فاشخصنا فلما وردنا مدينة دمشق حجبنا ثلاثا، ثم اذن لنا فى اليوم الرابع فدخلنا و اذا قد قعد على سرير الملك، و جنده و خاصته وقوف على ارجلهم سماطان متسلحان و قد نصب البرجاس حذاه، و اشياخ قومه يرمون، فلما دخلنا و ابى امامى و انا خلفه. فنادى ابى و قال: يا محمد ارم مع اشياخ قومك الغرض. فقال له: انى قد كبرت عن الرمى فهل رأيت ان تعفينى فقال: و حقّ من اعزنا بدينه و نبيّه محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لا اعفيك. ثم اومأ الى شيخ من بنى أمية ان اعطه قوسك. فتناول ابى عند ذلك قوس الشيخ ثم تناول منه سهما، فوضعه فى كبد القوس، ثم انتزع و رمى وسط الغرض فنصبه فيه، ثم رمى فيه الثانية فشقّ فواق سهمه الى نصله ثم تابع الرمى حتى شقّ تسعة أسهم بعضها فى جوف بعض. و هشام يضطرب فى مجلسه. فلم يتمالك الّا أن قال: اجدت يا ابا جعفر و أنت ارمى العرب و العجم، هلّا زعمت انّك كبرت عن الرمى، ثم ادركته ندامة على ما قال.

و كان هشام لم يكن كنّى احدا قبل ابى و لا بعده فى خلافته. فهمّ به و اطرق الى الارض اطراقة يتروّى فيها و انا و ابى واقف حذاه مواجهين له. فلمّا طال وقوفنا غضب ابى فهمّ به. و كان ابى عليه السّلام اذا غضب نظر الى السماء نظر غضبان يرى الناظر الغضب فى وجهه.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۴۶

فلمّا نظر هشام الى ذلك من ابى قال له: إلىّ يا محمد! فصعد ابى الى السرير و انا اتبعه، فلما دنا من هشام قام إليه و اعتنقه و اقعده عن يمينه، ثم اعتنقنى و اقعدنى عن يمين ابى. ثم اقبل على ابى بوجهه فقال له:

يا محمد لا تزال العرب و العجم تسودها قريش ما دام فيهم مثلك، للّه درك، من علّمك هذا الرمى؟ و فى كم تعلّمته؟ فقال ابى: قد علمت ان اهل المدينة يتعاطونه فتعاطيته ايام حداثتى ثم تركته. فلمّا اراد امير المؤمنين منّى ذلك عدت فيه. فقال له ما رأيت مثل هذا الرمى قط مذ عقلت، و ما ظننت ان فى الارض احدا يرمى مثل هذا الرمى. ايرمى جعفر مثل رميك؟

فقال: انا نحن نتوارث الكمال و التمام اللذين انزلهما اللّه على نبيّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى قوله الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَ رَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِيناً و الارض لا تخلو ممّن يكمل هذه الامور التى يقصر غيرنا عنها.

قال: فلما سمع ذلك من ابى انقلبت عينه اليمنى فاحولّت و احمرّ وجهه و كان ذلك علامة غضبه اذا غضب.

ثم واصل هشام حديثه قائلا: ان عليا كان يدّعى علم الغيب و اللّه لم يطلع على غيبه احدا فمن اين ادّعى ذلك؟ فقال ابى: ان عليا هو الذى تولّى نشر معارف القرآن و علوم النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم».

ثم امر هشام باطلاقهما و ارجاعهما الى المدينة.

ثم جرت بين الامام و الرهبان و القساوسة المسيحيين المقيمين فى الشام محاجّة و مساءلة، و قد جاء ذكرها مفصلا فى كتب الحديث.

ثم امر هشام ان يغادر الامام المدينة باسرع ما يمكن حتى لا يتأثر اهل الشام بعلمه. و قد كان بعث بريدا

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۴۷

الى عامله على المدينة كتب فيه: «ان ابنىّ ابى تراب ساحرين و يدّعيان كذبا ما يظهران من الاسلام لانهما تأثرا برهبان النصارى و مالا إليهم. فكرهت أن انكّل بهما لقرابتهما، فاذا وصلا الى المدينة، ناد فى الناس: برئت الذمة ممن يشاريهما او يبايعهما او يصافحهما او يسلّم عليهما فانهما قد ارتدا عن الاسلام».

و قد صدق الناس ما ورد فى هذا الكتاب، و اغلظوا للامام فى المعاملة و القسوة لكن الامام حذّرهم و نصحهم و خوفهم من عذاب

اللّه، فكفوا عن اهانته و ايذائه و هذه الرواية تعكس حيلة هشام من اجل مسخ صورة اهل البيت.

ى

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۴۹

الامام الصادق عليه السّلام

اشارة

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۵۱

ابو عمرو الجاحظ: «جعفر بن محمد الذى ملأ الدنيا علمه و فقهه» «۱».

الامام السادس للشيعة هو جعفر بن محمد الصادق عليه السّلام، ولد عام ۸۰ او عام ۸۳ للهجرة.

يرجع الاساس الفكرى و العقائدى للشيعة الى الامام الصادق عليه السّلام، فعلى يده تم نشر الكثير من علوم و احاديث اهل البيت. و قد كان الامام الصادق الحد الفاصل بين الفرق، نتيجة ظهوره لدى الشيعة، و قد جعل اهم واجب امام ناظره هو صيانة الشيعة من الانحراف و وقايتهم من التأثر بالانحرافات التى كانت سائدة فى عصره و التى كانت تهدد على الدوام النقاء الفكرى و العقائدى و الاستقلال الثقافى لهم.

---

(۱) رسائل الجاحظ ص ۱۰۶.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۵۲

و الروايات الواردة فى امامة جعفر بن محمد الصادق عليه السّلام كثيرة تعرضت لها الكثير من جوامع الحديث و الكتب التاريخية للشيعة من جملتها (الكافى، كتاب الحجّة)، و (كشف الغمة فى معرفة الائمة) «۱»، و (اثبات الوصية)، و (ارشاد المفيد) و (اثبات الهداة).

كان الامام الباقر عليه السّلام يعيش فى المدينة، و اما الامام الصادق عليه السّلام فحيث كان اكثر شيعته فى العراق فانّه عاش فيه ردحا من الزمن لهذا السبب او لأسباب أخرى «۲».

و فى عهده سقطت الدولة الاموية و انتقل الحكم الى بنى العباس، و بعد أن أمضى عليه السّلام اطول مدّة- قياسا الى سائر الائمة- فى ارشاد الناس، رحل اخيرا عن هذه الدنيا فى شوال عام ۱۴۸ للهجرة، و ترك الشيعة فى حزن دائم و مأتم لا ينقطع لفقده. و نقلت بشأن شهادته رواية عن اهل السنة انفسهم «۳» الّا ان ابا زهرة اعتبرها غير صحيحة، مستندا بذلك الى ثناء المنصور على الصادق عليه السّلام و اعلانه عن اسفه لرحلته، و هو ما رواه اليعقوبى «۴».

كما اعتبر ان مثل هذه الاجراء من قبل المنصور يتعارض و سياسته فى توطيد دعائم حكمه «۵».

لكن ينبغى القول بان كلا الردّين لا يعتبران نصا تاريخيا و لا يشكّلان دليلا

---

(۱) كشف الغمة، ج ۲ ص ۱۶۷- ۱۷۳.

(۲) الملل و النحل ج ۱ ص ۱۴۷. طبعة القاهرة.

(۳) الاتحاف، للشبراوى، ص ۱۴۷.

(۴) اليعقوبى، ج ۳ ص ۱۱۷/ الامام الصادق، ابو زهرة، ص ۶۷.

(۵) الامام الصادق ص ۶۴.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۵۳

على عدم استشهاده. لأن اعلان المنصور عن اسفه بصفته خليفة- فلا يريد أن يظهر ان الامام الصادق عليه السّلام استشهد بناء على اوامره- امر طبيعى جدا، و قد حصل نظير هذا الموقف أيضا للمأمون ازاء الامام الرضا عليه السّلام، بل يعتبر مثل هذا الامر قضية طبيعية جدا فيما يخص السلاطين و حوادث الاغتيال السياسية التى تنفّذ بناء على اوامرهم.

و كذلك قيام المنصور بقتل عدد كبير من العلويين و عدائه الصريح لهم يتنافى مع سلوكية المنصور حسبما يصرّح به ابو زهرة.

بل ان العكس هو الصحيح، فقد كان قتل الامام الصادق عليه السّلام متطابقا و اسلوبه فى الحكم، كما هو الحال فى سلوكه مع اعدائه الآخرين. و كل ذلك كان يجرى فى الخفاء و بسرية تامة لكى يبقى هو فى مأمن من افرازاته و اعراضه الجانبية. و على هذا فلو وجد شاهد تاريخى ينبئ بسمّه على يد المنصور فسيكون ذلك اكثر مقبولية من اعلان المنصور عن اسفه.

شخصية الامام الصادق عليه السّلام الفقهية و الاخلاقية

توجد شواهد جمة على نبوغ شخصية الامام الصادق العلمية. اما من جهة نظر الشيعة فهم يعتقدون بتنصيبه لمقام الامامة من اللّه تعالى، اذ ستكون النتيجة المباشرة لمثل هذا الاعتقاد انّ لديه علم الامامة الخاص. و اما عند اهل السنّة فقد كان يحظى بمقام شامخ فى مجالات الرواية و الحديث و الفقه و الافتاء عندهم، حتى انهم يعدّونه من شيوخ ابى حنيفة و مالك بن انس و عدد كثير من كبار محدّثيهم. فمالك بن انس من جملة من تتلمذوا مدّة طويلة على يد الامام الصادق عليه السّلام، و قال عنه:

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۵۴

«و لقد كنت آتى جعفر بن محمد و كان كثير المزاح و التبسّم، فاذا ذكر عنده النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم اخضر و اصفر و لقد اختلفت إليه زمانا و ما كنت اراه الّا على ثلاث خصال: اما مصليا و إ ما صائما و اما يقرأ القرآن. و ما رأيته قط يحدّث عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم الّا على الطهارة و لا يتكلم فيما لا يعنيه و كان من العلماء الزهّاد الذين يخشون اللّه و ما رأيته قط الّا يخرج الوسادة من تحته و يجعلها تحتى» «۱».

و نقل عن عمرو بن المقدام انّه قال: «كنت اذا نظرت الى جعفر بن محمد علمت انّه من سلالة النبيين» «۲».

و قال الجاحظ و هو من مشاهير علماء القرن الثالث: «جعفر بن محمد الذى ملأ الدنيا علمه و فقهه و يقال ان ابا حنيفة من تلامذته و كذلك سفيان الثورى و حسبك بهما فى هذا الباب» «۳».

و يثنى ابن حجر الهيثمى أيضا على مكانة الامام و شخصيته العلمية و يشير الى أن اشخاصا مثل يحيى بن سعيد و ابن جريح و مالك و سفيان الثورى و ابى حنيفة و شعبة و ايوب السجستانى نقلوا عنه الكثير من الروايات «۴».

و قد نقلت عبارات كثيرة قالها العلماء و المفكرون عن شخصيته جمع الاستاذ اسد حيدر اغلبها فى كتابه القيّم (الامام الصادق و المذاهب الاربعة) «۵» و لا حاجة

---

(۱) المناقب للزواوى، ص ۴۱ نقلا عن ابى زهرة/ الامام مالك ص ۹۴- ۹۵.

(۲) تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلانى، ج ۲ ص ۱۰۴/ كشف الغمة ج ۲ ص ۱۸.

(۳) وسائل الشيعة الجاحظ، ص ۱۰۶.

(۴) الصواعق المحرقة، ص ۱۲۰.

(۵) الامام الصادق و المذاهب الاربعة، ج ۱ ص ۶۲.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۵۵

الى ذكرها فى هذا الكتاب.

و لا شك ان كثرة المتعلّمين الذين كانوا يحضرون فى حلقة درسه، او الذين نقلوا عنه الاحاديث يظهر مدى عظمة شخصيته العلمية.

كان الحسن بن على الوشّاء يقول: «رأيت فى مسجد الكوفة تسعمائة شخص يقول كل منهم حدّثنى جعفر بن محمد» «۱».

و تتلمذ على يده أيضا نصير بن كثير و سفيان الثورى- الذى طارت شهرته فى المصادر السنية بالزهد و العلم- و اكتسبا منه العلم و الاخلاق «۲» قد جاء إليه عند وقت الحج و قالا: «إنّا ذاهبان الى الحج، علّمنا شيئا تكون به نجاتنا. فعلّمهما الامام دعاء» «۳».

و فى مواقف أخرى يلحّ فى سؤال الامام ليروى له حديثا «۴».

و قد كان هناك أيضا من يروى الاحاديث الملفقة عن الامام الصادق عليه السّلام بقصد الاساءة إليه. يقول شريك فى هذا الصدد: «كان جعفر بن محمد رجلا صالحا مسلما ورعا. فاكتنفه قوم جهّال يدخلون عليه و يخرجون من عنده و يقولون حدّثنا جعفر بن محمد و يحدّثون بأحاديث كلها منكرات كذب موضوعة على جعفر يستأكلون الناس بذلك و يأخذون منهم الدراهم و من هؤلاء بيان بن سمعان الذى ادّعى ان معرفة الامام تكفى عن الصوم و الصلاة،

---

(۱) الامام الصادق، فضل اللّه، ص ۱۲۹، و ر. ك، الامام الصادق و المذاهب الاربعة ج ۱ ص ۶۷.

(۲) كشف الغمة، ج ۲ ص ۱۶۶ ط تبريز.

(۳) السهمى، تاريخ جرجان ص ۵۵۴/ المزنى، تهذيب الكمال ج ۵ ص ۹۲.

(۴) تهذيب الكمال ج ۴ ص ۸۵/ سيرة اعلام النبلاء، ج ۶ ص ۲۶۱.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۵۶

و ما قال جعفر شيئا من هذا قط. كان جعفر اتقى و اورع من ذلك» «۱».

و لو تجاوزنا جميع هذه الموارد فقد كانت للامام بين شخصيات عصره و خاصة العلماء منهم عظمة تثير الاعجاب و الحيرة. كتب ابو زهرة فى هذا الشأن:

«ما أجمع علماء الاسلام على اختلاف طوائفهم فى امر كما اجمعوا على فضل الامام الصادق و علمه» «۲».

و كتب أيضا الشهرستانى مؤلف كتاب (الملل و النحل) عن شخصيته العلمية و الاخلاقية كما يلى: «و هو ذو علم غزير فى الدين و أدب كامل فى الحكمة و زهد بالغ فى الدنيا و ورع تام عن الشهوات» «۳».

و بالاضافة الى ما اكتسبه منه ابو حنيفة «۴» فقد روى عنه الاحاديث أيضا، و تلاحظ الكثير من رواياته التى نقلها عن الامام الصادق عليه السّلام فى كتاب (الآثار) «۵».

و قال عن الامام الصادق عليه السّلام: «ما رأيت افقه من جعفر بن محمد و انّه اعلم الامة» «۶».

و يقول عنه المؤرخ المشهور ابن خلكان: «احد الائمة الاثنى عشر على مذهب الامامية و كان من سادات اهل البيت و لقّب بالصادق لصدق مقالته

---

(۱) اختيار معرفة الرجال، الطوسى، ص ۳۲۴- ۳۲۵ طبعة مشهد.

(۲) الامام الصادق، ابو زهرة ص ۶۶.

(۳) الملل و النحل، ج ۱ ص ۱۴۷/ الامام الصادق، ابو زهرة ص ۳۹.

(۴) جامع المساند ابو المؤيد بن احمد الخوارزمى، ج ۲ ص ۳۴۹، ط بيروت، دار الكتب الاسلامية.

(۵) ابو زهرة، الامام الصادق ص ۳۸.

(۶) جامع المساند ج ۱ ص ۲۲۲/ الامام الصادق، ابو زهرة، ص ۲۲۴/ و الامام ابو حنيفة، ص ۷۰.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۵۷

و فضله اشهر من أن يذكر» «۱».

و قال عنه الشيخ المفيد رحمه اللّه: «و لم ينقل العلماء عن احد من اهل بيته ما نقل عنه» «۲».

كان المنصور العباسى فى صراع دائم مع العلويين و قد سعى الى التقليل من شخصية الامام الصادق عليه السّلام من خلال تعظيمه لبعض علماء اهل السنة من امثال مالك بن انس. اذ كان يقول له: «أنت و اللّه اعقل الناس و اعلم الناس، و لئن بقيت لاكتبنّ قولك كما يكتب المصاحف. و لابعثن به الى الآفاق فأحملهم عليه» «۳».

لم تكن حركة المنصور هذه ناتجة عن حبه لمالك، بل اراد جعله رمزا و تجسيدا ليطفئ بذلك نار حقده و غضبه على الامام الصادق عليه السّلام.

فقد كان المنصور يتشبث بكل وسيلة ممكنة للاساءة الى الامام، و خدش شخصيته العلمية و الفقهية، مثلما دفع ابا حنيفة للوقوف فى مقابل الامام و مناقشته و التباحث معه فان انتصر ابو حنيفة، فسيكون ذلك بمثابة اخراج للامام من ساحة العلوم و المعارف الاسلامية و قد روى ابو حنيفة نفسه هذه الحادثة فقال:

«قال لى المنصور ان الناس ولعوا بجعفر بن محمد و هم يتوافدون عليه باستمرار، فاجمع له من المسائل المستعصية و اسأله عن جوابها فان هو عجز عن الاجابة عليها سقط فى اعين الناس، فجمعت له اربعين مسألة مما تصعب الاجابة عليه». ثم التقى الامام الصادق عليه السّلام و ابو حنيفة فى الحيرة بحضور المنصور، و وصف

---

(۱) وفيات الاعيان- ج ۸ ص ۱۰۵.

(۲) كشف الغمة، ج ۲ ص ۱۶۶.

(۳) تذكرة الحفّاظ، ج ۱ ص ۲۰۹.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۵۸

ابو حنيفة لحظة دخوله مجلس المنصور كالآتى:

«لما دخلت المجلس رأيت هيبة جعفر بن محمد غطّت حتى على المنصور نفسه، فسلّمت و جلست فى مكانى، فالتفت المنصور إلىّ و قال: اعرض ما لديك من مسائل على ابى عبد اللّه.

فألقيت عليه المسائل التى اعددتها الواحدة تلو الاخرى و هو يجيب قائلا:

رأيكم فى القضية الفلانية كذا و اهل المدينة يقولون كذا و نحن نقول كذا. و كان رأيه فى قسم من المسائل يوافق رأينا و فى مسائل أخرى يوافق رأى اهل المدينة و بعضها يختلف عن الجانبين، حتى اجاب عن اربعين سؤالا.

و عند انتهاء الاسئلة قال ابو حنيفة مشيرا الى الامام الصادق عليه السّلام: ان اعلم الناس اعلمهم باختلاف الناس» «۱».

و من الطبيعى جدا ان ينادى الامام مثلما كان جدّه امير المؤمنين عليه السّلام ينادى:

«سلونى قبل ان تفقدونى فإنّه لا يحدّثكم احد بعدى بمثل حديثى» «۲».

و الاحاديث التى وصلتنا من الامام الصادق عليه السّلام لا تختص بالفقه فقط، بل وصلتنا منه احاديث أيضا فى مجال التفسير و علم الكلام و الاخلاق. و لو راجعنا كتاب (اصول الكافى)، لتبيّن لنا عمق وسعة نظر الامام فى المسائل العقلية الاسلامية. كما تضمنت تفاسير البرهان و الصافى و نور الثقلين عددا كبيرا من احاديثه.

(۱) المزى، تهذيب الكمال، ج ۵ ص ۷۹- ۸۰/ ابن عدى، الكامل فى ضعفاء الرجال، ج ۲ ص ۵۵۶.

(۲) تهذيب الكمال، ج ۵ ص ۷۹، سير اعلام النبلاء، ج ۶ ص ۲۵۷، الكامل فى ضعفاء الرجال، ج ۲ ص ۵۵۶.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۵۹

كتب العالم السنّى ابو زهرة فى هذا الصدد يقول: «و لم يكن علمه مقصورا على الحديث و فقه الاسلام بل كان يدرّس علم الكلام» «۱».

و لا يمكننا هنا تبيان جميع النظريات الكلامية للامام، الّا أن عبارته بشأن مسألة الجبر و التفويض و هى عبارة مشهورة قال فيها: «لا جبر و لا تفويض بل امر بين أمرين» تعدّ اجمل و اشمل و ادق تعبير طرح فى هذا المجال.

و يقول ابو زهرة فى موضع آخر من كتابه عن الامام الصادق عليه السّلام: «و فوق هذه العلوم كان الامام الصادق على علم بالاخلاق و ما يؤدّى الى فسادها» «۲».

و كان عدد الرواة الذين رووا عنه الاحاديث كبيرا جدا، يمكن العثور على اسمائهم فى (تهذيب الكمال) للامام المزّى «۳» و بقية كتب الرجال مثل (تهذيب التهذيب)، و من بينهم عدد كبير من الشخصيات البارزة عند اهل السنة، و قد اورد الذهبى فى كتاب سير اعلام النبلاء اسماء الرواة الذين نقلوا عن الامام الصادق عليه السّلام «۴».

هذا فى وقت كان فيه الكثير من المحدّثين لا يجرءون على النقل عنه فى عهد بنى أميّة، فقد ذكر بشأن مالك بن انس بأنه: «لم يرو عن جعفر بن محمد حتى ظهر امر بنى العبّاس» «۵».

(۱) ابو زهرة، الامام الصادق ص ۶۶.

(۲) ابو زهرة- الامام الصادق ص ۶۷.

(۳) تهذيب الكمال، ج ۵ ص ۷۵ و ۷۶.

(۴) الذهبى، سير اعلام النبلاء، ج ۶ ص ۲۵۶.

(۵) ابن عدى الكامل فى ضعفاء الرجال ج ۲ ص ۵۵۵/ الذهبى، سير اعلام النبلاء ج ۶ ص ۲۵۶.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۶۰

شيعة الامام الصادق عليه السّلام

كان اتساع نطاق التشيّع و كثرة اصحاب الامام الصادق عليه السّلام مصحوبا طبعا بالكثير من الاختلافات و المصاعب. فلم يكن باستطاعة جميع تلاميذه و شيعته فى ذلك العصر وضع جميع افكارهم و تصوراتهم فى الزاوية الصحيحة، و اكتساب معارفهم الدينية من مصدرها الاساس و هو بيت الرسالة، كما كان الحال بالنسبة لمحمد بن مسلم و زرارة.

فقد كان الكثير منهم يحضرون فى حلقات درس المحدّثين من اهل السنّة، و هذا ما كان يؤثر على نمط تفكيرهم و فهمهم، و من جانب آخر فقد كان لكثرة اصحابه و انتشارهم فى الاصقاع القاصية و الدانية تأثيره أيضا اذ كان يتعذر عليهم الاتصال المباشر بالامام لذا فهم كانوا يرجعون فى مسائلهم الفقهية و العقائدية الى الشيعة الاكثر شهرة و قد ادّى ذلك الى سريان الاختلاف فى وجهات نظرهم الى بقية الشيعة. و قد اوجد التناحر السياسى بين عدد من الشيعة ميولا لدى البعض منهم تجاه الحكومة العبّاسية الفتيّة التى كان لها قبل هذا نفوذ واسع فى الاوساط الشيعية و هذا ما اضاف عاملا آخر الى عوامل الاختلاف بين الشيعة.

و علاوة على كلّ ذلك اصبحت قضية الزيدية عاملا آخر يضاف الى عوامل هذه التفرقة اذ ادّت حركاتهم الثورية الى استقطاب

الشيعة السياسيين و المتطرّفين الى الالتفاف حول هذه الفرقة، و كان من الطبيعى أن تترك مثل هذه الاحداث تأثيراتها السلبية و العميقة نسبيا على الشيعة.

و فى نفس الوقت كان بين اصحاب الامام الصادق عليه السّلام شيعة حقيقيّون بذلوا جهودا جبّارة و متواصلة من اجل المحافظة على آثاره العلمية و ما ورد عنه من روايات.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۶۱

يقول الامام الصادق عليه السّلام بهذا الشأن: «ما احد أحيى ذكرنا و أحاديث ابى الّا زرارة و ابو بصير ليث المرادى و محمد بن مسلم و بريد بن معاوية العجلى و لو لا هؤلاء ما كان احد يستنبط هذا، هؤلاء حفاظ الدين و أمناء ابى عليه السّلام على حلال اللّه و حرامه و هؤلاء السابقون إلينا فى الدنيا و السابقون إلينا فى الآخرة» «۱».

و قال أيضا: «رحم اللّه زرارة بن اعين لو لا زرارة و نظراؤه لاندرست احاديث ابى» «۲».

و كان من بين هؤلاء من اعتبره الامام الصادق عليه السّلام مرجعا للشيعة. فعند ما سأله احد شيعته: ربما احتجنا ان نسأل الشىء فمن نسأل؟ قال له: «عليك بالاسدى، يعنى ابا بصير» «۳».

و قال فى موقف آخر: «ما يمنعك من محمد بن مسلم الثقفى فانه سمع من ابى و كان عنده وجيها» «۴».

و فى مقابل هؤلاء، كان فريق منهم متذبذب بين الزيدية و المذهب الجعفرى، فعند ما سأل الامام الصادق عليه السّلام عبد الملك بن عمر عن سبب عدم مشاركته فى الحرب، اشار ضمن جوابه:

«فانّ الزيدية يقولون ليس بيننا و بين جعفر خلاف الّا انه لا يرى الجهاد».

---

(۱) الطوسى- نفس الكتاب ص ۱۳۷، و ر. ك: وسائل الشيعة ج ۱۸ ص ۱۰۳- ۱۰۴

(۲) الطوسى، نفس الكتاب ص ۱۳۶.

(۳) وسائل الشيعة، ج ۱۸ ص ۱۰۳.

(۴) وسائل الشيعة، ج ۱۸ ص ۱۰۵.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۶۲

فحاول الامام دفع هذه التهمة عن نفسه و قال: «بلى و اللّه إنّى لأراه و لكنّى اكره ان ادع علمى الى جهلهم» «۱».

و قد تعرّض السيد الحميرى و هو من شعراء الشيعة المعروفين الى انحراف من نوع آخر وضعه العباسيّون امام اقدام الشيعة، فهو كان يميل الى مذهب الكيسانية الذى اصطنعه العباسيّون. الّا انه جاء فيما بعد الى الامام الصادق عليه السّلام و غيّر معتقده و اصبح من شيعته المخلصين «۲».

و قد نظم قصيدة يحكى فيها كيفية عودته و التحاقه بالامام الصادق عليه السّلام يقول فيها:

تجعفرت باسم اللّه و اللّه اكبرو ايقنت ان اللّه يعفو و يغفر و قد ترحّم عليه الامام الصادق عليه السّلام فيما بعد و اشار الى انه ارتكب ذنوبا فقال عنه: «و ما خطر ذنب عند اللّه ان يغفره لمحب علىّ» «۳».

و النقطة التى تستثير الاهتمام فيما يخص تشتت شمل الشيعة او بعبارة أخرى ظهور التفرقة فيما بينهم هو ان بعض علماء البلاط فى عهد المهدى العبّاسى كانوا يؤجّجون هذه الاختلافات و يبذلون جهودا كبيرة فى اظهارها بمظهر يفوق حجمها الحقيقى. و فى هذا الصدد يذكر الكشى شخصا يدعى بابن المفضل الّف كتابا فى الفرق و ذكر فيه كل واحد من اصحاب الامام الصادق عليه السّلام باعتباره زعيما لفرقة من الفرق.

---

(۱) وسائل الشيعة ج ۱۱ ص ۳۲.

(۲) الطوسى، اختيار معرفة الرجال ص ۲۲۸. الاغانى ج ۷ ص ۲۳۳.

(۳) الاغانى، ج ۷ ص ۲۴۲ و ۲۷۷.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۶۳

و فى ختام هذا الفصل لا بد من الاشارة الى أنّ شيعة الامام الصادق عليه السّلام كانوا يتواجدون على الاغلب فى العراق و فى الكوفة على وجه الخصوص. و اما بقية الولايات فكانت اما خالية من الشيعة او تضمّ عددا قليلا منهم، رغم ان بعض الناس كان يأتى الى الامام من خراسان و يعرض عليه الاسئلة الفقهية «۱».

فحين ذهب حفص بن غياث الى البصرة لرواة الاحاديث طلبوا إليه أن لا يروى عن بعض الناس و كان من جملتهم جعفر بن محمد، و سبب ذلك هو الروحية العثمانية التى كانت سائدة على اهالى البصرة و منشؤها حرب الجمل، فقال لهم حفص: «لو أنكم قلتم هذا الكلام فى الكوفة لاخذتكم النعال المطرقة» «۲».

الامام الصادق عليه السّلام و الغلاة

اشارة

لقد تعرضنا اثناء حديثنا عن حياة الامام الباقر عليه السّلام الى مسألة مواجهته للغلاة، و نرى هنا وجوب التعرض الى هذه المسألة بشكل اوسع حيث نستعرض تصرفات و افعال الغلاة و ردّ فعل الامام الصادق عليه السّلام تجاههم. حيث يبدو لنا أن اسلوبه فى مواجهتهم يعتبر من اهم الجهود التى بذلها للحفاظ على الشيعة و صيانتهم من الانحراف، فكل مذهب يمر فى زمان حياته بمرحلتين و هما مرحلة النشوء و التكوين و الثانية هى مرحلة الاتساع و التطوّر، و فى كل مرحلة يوجد خطر جسيم يتربص به الدوائر.

تشتمل عقائد الغلاة على آراء ينسبون بموجبها بعض صفات اللّه الى بعض

---

(۱) تاريخ يحيى بن معين، ج ۴ ص ۳۷۲.

(۲) ابن عدى، الكامل فى ضعفاء الرجال ج ۲ ص ۵۵/ تهذيب الكمال، ج ۲ ص ۷۸/ سير اعلام النبلاء ج ۶ ص ۲۵۷.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۶۴

البشر و يعترفون لهم بنوع من الالوهية، فيجعلون منهم آلهة حينا او اصحاب صفات إلهية حينا آخر «۱».

و بما ان الائمة كانوا يطرحون انفسهم بصفتهم منصبين من قبل اللّه فان ذلك كان يسهّل الارضية للصق مختلف الصفات بهم و يجعلهم غرضا للحب و الولاء المتطرف و يهيّئ الظروف لمثل تلك الآراء المغالية.

ان اهمّ جوانب حياة الامام الصادق عليه السّلام التى لها دور كبير فى حياة الشيعة هى معارضته و تصدّيه العلنى للغلاة و مسألة الغلو، و التى نتج عنها تحجيم الغلاة فى شتى المجالات، و جعلهم خارج دائرة الشيعة، و الّا لما بقى للتشيّع الحقيقى من اثر يذكر و لا صبح هذا المذهب العوبة بيد المخبولين الذين سيشكلون صورة أخرى عن الشيعة متأثرة بالثقافة و الآراء المسيحية و اليهودية.

و قبل التطرق الى موضوع مواجهة الامام الصادق عليه السّلام للغلاة، ينبغى الاشارة الى هذه الحقيقة و هى ان كتب الفرق و المذاهب التى كتبت فيما بعد على يد علماء اهل السنّة و بسبب عدم تمييزها بين الشيعة الواقعيين و الغلاة، حرّفت افكار قرائها عن حقيقة الحال و ضللتهم. و بقيت الاوساط السنية الى ما قبل عدّة سنوات بل بقى بعضها الى الآن، غير مدركة لهذه الحقيقة و هى ان الشيعة الامامية

يختلفون عن الغلاة، و ان الامامين الباقر و الصادق عليهما السّلام قد رفضا وجود هذه الفئة بين اوساط الشيعة. فلو كان مؤلفو تلك الكتب على دراية بمدى تصدّى الشيعة للغلاة و تكفير أئمة الشيعة لهم لما وقعوا فى مثل هذا الخطأ الفاحش. بل ان بعض

---

(۱) ابن ابى الدنيا، مقتل امير المؤمنين عليه السّلام مجلة تراثنا، العدد ۱۲ ص ۱۲۱ حديث ۹۲، و قد سبق للنبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ان تحدث بمثل هذا الحديث قائلا لامير المؤمنين عليه السّلام: «سيهلك فيك رجلان». و قال كذلك لابن عباس: «ايّاك و الغلو إنمّا هلك من كان قبلك بالغلو». الطبقات ج ۲ ص ۱۸۱.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۶۵

المستشرقين حاول مؤخّرا- و بإهمال متعمّد- التحدث عن الشيعة و كأنهم يحملون نفس افكار و آراء الغلاة، بينما تشير الحقائق التاريخية التى سنتطرق الى بعضها فيما يأتى الى انفصال هاتين الفرقتين عن بعضهما منذ تاريخ نشوئهما، و هو ما يبطل اوهام المستشرقين فى هذا المجال.

اما سياسة الائمة تجاه الغلاة فكانت تتمثل بما يلى:

۱- صيانة الشيعة الحقيقيين من الغلاة:

فمن جملة الاساليب التى دأب عليها الامام فى مواجهته للغلاة هو ايجاد فاصل بينهم و بين الشيعة الاصليين. إذ كان الاتصال بهم و الاختلاط معهم يعنى ترك بعض الآثار السلبية على الشيعة.

فقد ورد فى رواية مسندة عن الامام الصادق عليه السّلام انّه قال للمفضّل بن مزيد مشيرا فى كلامه الى اصحاب ابى الخطّاب و الغلاة: «يا مفضّل لا تقاعدوهم و لا تؤاكلوهم و لا تشاربوهم و لا تصافحوهم و لا تؤاثروهم» «۱».

و فى رواية أخرى منقولة عن ابى عبد اللّه عليه السّلام انه قال: «احذروا على شبابكم الغلاة لا يفسدوهم، الغلاة شر خلق اللّه يصغّرون عظمة اللّه و يدّعون الربوبية لعباده» «۲».

۲- تكذيب عقائد الغلاة:

دأب الامام على رفض و استنكار عقائد الغلاة مستهدفا بذلك ابعادهم عن

---

(۱) الطوسى، اختيار معرفة الرجال ج ۲ ص ۵۸۶ حديث ۵۳۵/ مستدرك الوسائل، ج ۱۲ ص ۳۱۵.

(۲) أمالى الشيخ، ج ۲ ص ۲۶۴.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۶۶

المجتمع الشيعى، فحدد الامام كتاب اللّه باعتباره الميزان الذى يميز الحق عن الباطل، و هو فى نفس الوقت الذى انبرى فيه لتسفيه معتقدات المغالين، اوجد حركة فكرية مناسبة بين الشيعة فى سياق تصحيح احاديث و عقائد الشيعة.

ينقل الشهرستانى بأن سديرا الصيرفى جاء الى الامام الصادق عليه السّلام و قال له:

«بنفسى أنت، ان شيعتك اختلفوا فيك و يصرّون على ذلك، فمنهم من يقول ان كل ما يحتاج إليه الامام لهداية الناس يلقى إليه، و بعضهم يقول: يوحى إليه، و بعضهم يقول: يلهم قلبه، و يقول جماعة آخرون: يرى فى المنام، و يقول جماعة آخرون:

يفتى على كتابات آبائه فاى هذه الآراء صحيح فدتك نفسى؟

فقال له الامام: «يا سدير ليس من هذه الاحاديث حديث صحيح، فنحن حجج اللّه و امناؤه على عباده و نأخذ الحلال و الحرام من كتاب اللّه» «۱».

تظهر الرواية السالفة كيف اثّرت العقائد المغالية على الشيعة، و اوجدت بينهم الانقسامات حتى اختار طلاب الحقيقة وسط هذا المعترك فوجدوا فى الامام الصادق عليه السّلام الملاذ الوحيد الذى يمكن الاطمئنان إليه، فيقوم بارشادهم كما ينبغى.

و ينقل الشهرستانى رواية أخرى تعكس وجود نفس هذا الاختلاف الفكرى بين الشيعة فقد جاء الفيض بن المختار الى الامام الصادق عليه السّلام و قال له:

«بنفسى أنت، ما هذا الاختلاف الذى وقع بين شيعتك؟ فانى احضر فى مجلسهم احيانا فأوشك على الشك فيكم، ثم اذهب الى المفضل فيطرح علىّ بعض النقاط التى تعيد لى الثقة و السكينة.

---

(۱) تفسير الشهرستانى المخطوط، الورقة ۲۵، نقلا عن آذرشب، مجلة تراثنا، العدد ۱۲ ص ۱۸.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۶۷

فقال له ابو عبد اللّه عليه السّلام: نعم ان الناس قد اصبحوا ميّالين للكذب و كأن اللّه قد اوجبه عليهم و لا يريد منهم سواه. فأنا احدثهم بالحديث فما يخرجون من عندى الّا و يؤوّلونه على غير معناه الصحيح» «۱».

يعكس القسم الاخير من الرواية مشكلة اختلاف وجهات النظر بين الشيعة و التى اشرنا إليها فى البداية باسم الانحراف. فنفوذ بعض الافكار الالحادية للغلاة بين بعض اتباع الامام دفعهم الى تأويل احاديثه تأويلا غير صحيح خلق مشاكل بين الشيعة، بحيث ان عددا معدودا من الاصحاب الحقيقيين للامام كان باستطاعتهم أن يكونوا مرجعا لحل تلك المشاكل مثل المفضل.

و جاء فى رواية أخرى ان عيسى الجرجانى قال: قلت للامام جعفر بن محمد عليه السّلام هل لى ان اعرض عليك ما سمعته من هذه الجماعة؟ قال: قل. فقلت له:

«فان طائفة منهم عبدوك و اتخذوك الها من دون اللّه، و طائفة أخرى والوا لك بالنبوّة. قال فبكى حتى ابتلت لحيته ثم قال: «ان امكننى اللّه من هؤلاء فلم اسفك دماءهم سفك اللّه دم ولدى على يدىّ» «۲».

و كانت مهدوية الامام الباقر عليه السّلام من جملة ما تخرّصت الغلاة فى عهد الصادق عليه السّلام به و قد استنكرها الامام بشدّة «۳». و قد طرحت قضية نبوّة الائمة المعصومين من قبل الغلاة أيضا، و ردّ عليها الائمة، فقد نقل عن الامام الصادق عليه السّلام انه قال بهذا الشأن «من قال إنّا انبياء فعليه لعنة اللّه و من شك فى ذلك فعليه

---

(۱) الشهرستانى نفس المصدر ص ۲۶/ تراثنا، العدد ۱۲ ص ۱۸.

(۲) السهمى- تاريخ جرجان ص ۳۲۲.

(۳) الطوسى- اختيار معرفة الرجال ص ۳۰۰.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۶۸

لعنة اللّه» «۱».

و من المعتقدات الاخرى المتطرفة للغلاة هى اطلاقهم كلمة (إله) على الامام و قالوا: «هو الذى فى السماء إله و فى الارض إله» قال: «هو الامام».

و قد اعتبر الصادق عليه السّلام القائلين بهذا الرأى شرّ من المجوس و اليهود و النصارى «۲».

و جاء فى رواية اخرى ان فنّد قول الغلاة «على فى السحاب» و قال: «ان النبى قد غطّى عليا بعباءة اسمها السحاب ۲، و لما جاء بها مع آله الى الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال: هذا علىّ قد اقبل فى السحاب» «۳».

القضية الاخرى المهمة التى كان يستند إليها الغلاة هى اعطاؤهم صفة الالوهية للائمة و رفعهم من مقام العبودية للّه، لكن الامام الصادق عليه السّلام قال فى دحضه لهذه المقولة: «لعن اللّه من قال فينا ما لا نقوله فى انفسنا، و لعن اللّه من ازالنا عن العبودية للّه الذى خلقنا و إليه مآبنا و معادنا و بيده نواصينا» «۴».

۳- تكفير الغلاة:

لقد كفّر الامام عليه السّلام قادة الغلاة و اتباعهم و فصل بذلك بين خطّهم و خط شيعته، و بهذا الموقف تمكّن الامام من تعيين المسار الذى ينبغى ان يسلكه الشيعة و انقذهم من التلوّث و الانحراف الذى كان ينفث نحوهم من قبل اولئك المغالين.

---

(۱) نفس المصدر ص ۳۰۱.

(۲) نفس المصدر ص ۳۰۰.

(۳) الذهبى، ميزان الاعتدال ج ۳ ص ۹۸.

(۴) نفس المصدر السابق ص ۳۰۲.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۶۹

كان التجسيد او التجسيم واحدا من ادوات الغلاة فى تحليل المفاهيم الدينية، فهم لم يطلقوا المفاهيم الدينية على مصاديقها الحقيقية، بل كانوا يتصورون امثلة تجسد معانيهم المفترضة و قد ادى مثل هذا الاتجاه الفكرى- الذى يعد انحرافا جليا فى الدين و اقصاء له عن حقيقته- الى ان يستنكره الامام الصادق عليه السّلام. إذ جاء فى رواية انه كتب كتابا الى ابى الخطاب و هو من زعماء الغلاة ورد فيه: «بلغنى انك تزعم ان الزنا رجل و ان الخمر رجل و ان الصلاة رجل و ان الصيام رجل و ان الفواحش رجل، و ليس هو كما تقول انّا اصل الحق و فروع الحق طاعة اللّه، و عدوّنا اصل الشر و فروعهم الفواحش» «۱».

و جاء فى رواية اخرى انه كلّم بعض الغلاة فقال لهم: «توبوا الى اللّه فانتم فساق كفار مشركون» «۲».

ان تأكيد الامام على استنكار و ادانة الغلاة كان بسبب اتساع عملهم الدعائى و تأثيرهم على فئة كبيرة من اهل الكوفة، و قد ادّى وجود التقية آنذاك فى اغلب تصرّفات الشيعة الى أن يتصور الكثير منهم ان الامام قد ادانهم فى الظاهر و لكنه يؤيدهم فى الباطن و انه هو الذى رتب لهم الامور و اظهرهم الى الوجود.

و قد ضاعف هذا التصوّر من معاناة الامام بشأن فرز و ابعاد الغلاة من الاوساط الشيعية.

و قد كان الغلاة عادة يروّجون لمثل هذه المعتقدات لاسباب و دوافع خاصة نجملها بالنقاط التالية:

---

(۱) نفس المصدر ص ۲۹۱.

(۲) نفس المصدر ص ۲۹۷.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۷۰

۱- التحرر من قيود العمل و بنفس الشكل الذى قالت به المرجئة فى وقت من الاوقات. فهم يروون حديثا عن الامام الصادق عليه السّلام انه قال: «من عرف الامام فليفعل ما شاء» «۱».

الّا ان الامام رد عليهم قائلا: «إنمّا قلت اذا عرفت فاعمل ما شئت من قليل الخير و كثيره فانّه يقبل منك».

فعنـد ما يخرج الخمر و الصوم و الصـلاة عن معانيها الفقهية، لا تعود هناك اية ضـرورة للالتزام بالعمل بها، و لذا فانهم كانوا يختبرون الغلاة باداء الصلاة فى وقتها «۲».

و دعوى ان الغلاة جعلوا من هـذه المسائل ذريعة للتهرب من العمل غير مجازفة بل قد وردت فى رواية مطولة ضـمن كتاب بعثه الامام الصادق الى بعض اصحابه، و قد روى هذا الحديث القاضى النعمان «۳».

و هذا الحديث نقله الشهرستانى بتفصيل اكثر، و جاء فى روايته ان الامام ذكر فى احدى فقرات كتابه ما يلى:

«و اعلم ان هؤلاء القوم سـمعوا ما لم يقفوا على حقيقته و لم يعرفوا حدود تلك الاشـياء مقايسة برأيهم و منتهى عقولهم و لم يضـعوها على حدود ما أمروا به تكذيبا و افتراء على رسوله و جرأة على المعاصى».

و من ثم بين الامام اساس هذا الانحراف و هو ان التأكيد المتواصل من قبل

---

(۱) اصول الكافى ج ۴ ص ۴۶۴ ط. غفارى.

(۲) الطوسى نفس المصدر ص ۵۳۰.

(۳) ابو زهرة الامام الصادق، ص ۵۸- ۵۹ نقلا عن دعائم الاسلام.

الامام الصادق عليه السّلام و بقية الائمة المعصومين عليهم السّلام على موضوع معرفة الامام، ادى بهم الى تصور أن الدين يتلخص فى معرفة الامام فتركوا العمل بتعاليمه جانبا.

و لهـذا فقد اشار الامام فى مقاطع أخرى من نفس الكتاب الى هذا الموضوع ثانية و جعل العمل بالاوامر الالهية الى جانب معرفة اللّه و النبى و الامام و قال:

«ان اللّه تبارك و تعالى اختار الاسـلام لنفسه دينا و رضـيه من خلقه فلم يقبل من احد الّا به، و به بعث انبياءه و رسـله، فمعرفة الرسل و ولايتهم و طاعتهم هو الحلال، فالمحلل ما احلوا و المحرم ما حرموا و هم اصـله و منهم الفروع و الحلال و ذلك سعيهم، و عدوّهم هو الحرام المحرم، و اولياؤهم الداخلون فى امرهم الى يوم القيامة، فهم الفواحش ما ظهر منها و ما بطن» «۱».

۲- الغباء و حب الدنيا هو أيضا واحد من اسباب ظهور الغلاة «۲» حيث سعى الغلاة الى جمع الناس حولهم تحت ستار المذهب الحق ليبلغوا بذلك غاياتهم و اغراضهم، يقول الامام الصادق عليه السّلام فى هذا السياق:

«ان الناس اولعوا بالكذب علينا و انى لاحدث احدهم بحديث فلا يخرج من عندى حتى يتأوله على غير تأويله و ذلك لأنهم لا يطلبون بحديثنا و بحبنا ما عند اللّه و انما يطلبون الدنيا» «۳».

لقـد ترك انتشار افكار الغلاة ضـرره على الشـيعة، و خلق اجواء من السـخط ضدهم ناهيك عن تأليب اهل السـنّة ضد الشـيعة و العمل على تحجيمهم- بهدف

---

(۱) تفسير الشهرسـتانى، راجع مقالـة آذرشـب فى مجلـة تراثنـا، العـدد ۱۲ ص ۱۸/ بحـار الانـوار ج ۲۴ ص ۲۸۶ - ۳۸۹ نقلا عن الشهرستانى.

(۲) الطوسى، نفس المصدر ص ۲۹۵.

(۳) الطوسى، نفس المصدر السابق ص ۱۳۶.

تحجيم الغلاة- حتى ان ابا حنيفة كان يوصى اتباعه بعدم رواية حديث الغدير منعا لانتشار الغلو «۱».

اعتماد الفقه الشيعى على روايات اهل البيت عليهم السّلام

كان عصر الامامين الباقر و الصادق عليهما السّلام هو عصر انتشار علوم اهل البيت فى مختلف المجالات. و هذه المسألة تصدق على الامام الصادق عليه السّلام اكثر من غيره، و ذلك يعود الى تزامن جزء من عهد امامته مع اجواء من الانفتاح السياسى نتيجة للفراغ السياسى الذى نشأ من سقوط الحكم الأموى من جهة، و مجيء الحكم العباسى من جهة أخرى. فقد جعل الامام الشيعة يلتفون بشكل تام حول احاديث اهل البيت و نهاهم عن التمسك بأحاديث غيرهم. و كان هذا من اهم العوامل فى تشكل الفقه الشيعى بصورته المستقلة الاصيلة. و قد اوضحنا اهمية هذا الامر الى حد ما سابقا فى حياة الامام الباقر عليه السّلام. و مع هذا فسوف نلقى فيما يلى نظرة عامة على تأكيدات الامام الصادق عليه السّلام فى هذا الجانب:

قال الامام فى رواية: «ايّتها العصابة، عليكم بآثار رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و سنّته و آثار الائمة الهداة من اهل بيت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم» «۲».

و قال أيضا ليونس بن ضبيان: «يا يونس ان اردت العلم الصحيح فعندنا اهل البيت، فانّا ورثنا و أوتينا شرح الحكمة و فصل الخطاب» «۳».

---

(۱) أمالى الشيخ المفيد ص ۲۷. يحتاج البحث فى موضوع الغلاة الى دراسة مستقلة و هذا ما لا يستوعبه مثل هذا المختصر، نأمل القيام بهذه المهمة فى الفرصة المناسبة ان شاء اللّه.

(۲) وسائل الشيعة، ج ۱۸ ص ۲۳ و ۶۱ نقلا عن روضة الكافى ص ۵.

(۳) وسائل الشيعة ج ۱۸ ص ۴۸.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۷۳

و قد خصص الشيخ الحر العاملى فى كتابه (وسائل الشيعة) بابا تحت عنوان (باب وجوب الرجوع فى جميع الاحكام الى المعصومين)، جمع فيه احاديث اهل البيت فى هذا الجانب «۱».

قال ابان بن تغلب- و كان من الشيعة الصادقين المخلصين للامام الصادق عليه السّلام- فى وصف المذهب الشيعى ما يلى: «الشيعة الذين اذا اختلف الناس عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم اخذوا بقول على و اذا اختلف الناس عن على اخذوا بقول جعفر بن محمد» «۲».

قال يونس بن يعقوب للامام الصادق عليه السّلام: «انى سمعتك تنهى عن علم الكلام، فقال له الامام: إنمّا قلت ويل لهم ان تركوا ما اقول و ذهبوا الى ما يريدون» «۳».

و من هذا المنطلق كان الامام يوصى شيعته بمساعدة بعضهم الآخر، و يقول:

«رحم اللّه من احيا امرنا» «۴».

كان الامام الصادق عليه السّلام ينقل رواياته لتلاميذه و كانوا- بشيعتهم و سنّتهم- يكتبونها مع فارق واحد و هو أن اهل السنة كانوا ينقلون الحديث عن جعفر بن محمد عن ابيه عن آبائه عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و بعبارة أخرى ينقلون الحديث عنه مع ذكر السند، بينما كان تلامذته من الشيعة ينقلونه عن ابى عبد اللّه دون بقية السند الى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، لأنّ اعتقاد الشيعة بعصمة و امامة الائمة و حجّية قولهم

---

(۱) وسائل الشيعة ج ۱۸ ص ۴۱.

(۲) رجال النجاشى، ص ۹ ط داورى.

(۳) الكافى ج ۱ ص ۱۷۱، وسائل الشيعة ج ۱۸ ص ۴۵.

(۴) على سبيل المثال راجع كتاب تاريخ جرجان ص ۵۷۱، ۴۰۵ و ۲۶۵، ۱۷۰.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۷۴

يغنيهم عن ذكر السند، و مع كل هذا فقد كان الامام يؤكّد بأن احاديثه هى نفس احاديث رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: «حديثى حديث ابى و حديث ابى حديث جدّى و حديث جدّى حديث على بن ابى طالب و حديث على حديث رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و حديث رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قول اللّه» «۱».

و جميع احاديث ائمة الشيعة تقريبا لها نفس هذا الحكم الّا ما كانت الضرورة تقضى بنقله عن شخص آخر. قيل لأبى بكر بن عيّاش لم تستمع الحديث من جعفر بن محمد مع انك ادركته؟ قال: سألت جعفر بن محمد عن الاحاديث التى كان ينقلها هل سمع شيئا منها- اى هل لها شيوخ حديث-؟ قال: لا، لكنّها رواية رويناها عن آبائنا» «۲».

اهمية هذا النقل ذات قيمة كبيرة جدا و هو فى الحقيقة يوضح ماهيّة عقائد الشيعة من حيث المبدأ. يقول ابن عدى:

«و لجعفر بن محمد حديث كبير عن ابيه عن جابر و عن ابيه عن آبائه و نسخا لأهل البيت يرويه جعفر بن محمد» «۳»، و يضيف ان اشخاصا مثل ابن جريح و شعبة بن الحجاج و آخرين يروون عنه أيضا.

و قد حاول ابو زهرة جاهدا العثور على شيوخ رواية يربط من خلالهم بين الصادق عليه السّلام و رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فيجعل منهم قناة فى ايصال و نقل الاحاديث من غير قناة اجداده الطاهرين، لكنه لم يذكر كمثال على ذلك سوى اسم قاسم بن

---

(۱) كشف الغمة ج ۲ ص ۱۷۰/ الكافى ج ۱ ص ۵.

(۲) تهذيب الكمال ج ۵ ص ۷۷/ الكامل فى ضعفاء الرجال ج ۲ ص ۵۵۵. الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ج ۱ ۲۷۴ اعتماد الفقه الشيعى على روايات اهل البيت عليهم السلام ..... ص : ۲۷۲

(۳) الكامل فى ضعفاء الرجال، ج ۲ ص ۵۵۸.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۷۵

محمد بن ابى بكر «۱».

اما اذا افترضنا انّ الامام الصادق عليه السّلام- كما فى كتاب تذكرة الحفّاظ حيث ذكر كل واحد منهم عشرة اشخاص على الاقل كمشايخ لروايته- كما يفعل سائر المحدّثين الكبار فى ذلك العصر، فينقل الاحاديث عن طريق شيوخ الرواية و دون الطريق المتعارف عن اجداده عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فقد كان ينبغى له ان يذكر مشايخ روايته بينما نرى انه ينقل الاحاديث عن طريق اجداده فقط و هم ممن لا يمكن اعتبارهم شيوخ رواية.

لقد اكد ائمة اهل البيت منذ البداية ان ليس لديهم شيوخ رواية، و انهم يستقون علمهم عن طريق آخر غير طريق مشايخ الرواية المتعارف يقول امير المؤمنين عليه السّلام فى تبيان هذا الموضوع: «الا أن ابرار عترتى و اطائب ارومتى احلم الناس صغارا و اعلمهم كبارا الا- و انّا اهل البيت من علم اللّه علمنا و بحكم اللّه حكمنا و من قول صادق سمعنا فان تتبعوا آثارنا تهتدوا ببصائرنا، معنا راية الحقّ من تبعها لحق و من تأخر عنها غرق» «۲».

و قال الامام الصادق عليه السّلام: «ان عندنا ما لا نحتاج معه الى الناس و ان الناس ليحتاجون إلينا و ان عندنا كتابا املاه رسول اللّه و خطه على عليه السّلام صحيفة فيها كل حلال و حرام» «۳».

هذا التناسق و التناغم الموجود فى كتب الاحاديث الشيعية لا يوجد له نظير

---

(۱) الامام الصادق، ابو زهرة، ص ۸۸- ۹۰.

(۲) العقد الفريد، ج ۴ ص ۶۷. نقلا عن كتاب الامام الصادق لمحمد جواد فضل اللّه ص ۹۰.

(۳) الكافى ج ۱ ص ۲۴۱ نقلا عن كتاب الامام الصادق لفضل اللّه ص ۹۵.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۷۶

مطلقا فى كتب حديث السنّة لان كتبهم مشحونة بالآراء المختلفة و الاحاديث المتناقضة التى تعود فى الاساس الى الاختلاف و التناقض فى آراء الصحابة. و على هذا فمن غير الانصاف وصف الشيعة عند الحديث عنهم بانهم نحلة مركّبة من آراء و افكار مختلفة تسللت إليه الكثير من الاوهام و الاباطيل «۱».

و لذلك فعند ما اراد الامام الصادق عليه السّلام تقييم علوم محدثى العامّة فى زمانه قال: «ان الناس بعد نبى اللّه ركب اللّه به سنّة من كان قبلكم فغيّروا و بدّلوا و حرّفوا و زادوا فى دين اللّه و نقصوا منه فما من شىء عليه الناس اليوم الا و هو متحرف عمّا نزل به الوحى من عند اللّه» «۲».

و قد نفذت روايات ائمة الشيعة فى فقه السنة أيضا و نقل الكثير من محدثيهم روايات عن الامامين الباقر و الصادق عليهما السّلام و بعضها مدروج فى جوامع احاديثهم و توجد أيضا فى كتب السنّة الكثير من الروايات التى تشابه روايات اهل البيت من ناحية اللفظ او من ناحية المضمون «۳».

و الحقيقة ان مثل هذا الطريق فى الحديث الذى نقل عن الامام الصادق فى مثل هذه الموارد التى لم يطرح بشأنها اى حكم لحد الآن، اظهرت حاجة اهل السنّة الى الاجتهاد فى العصر الحالى ليبدأ بعملية استنباط من الروايات و الحصول على احكام جديدة.

و المشكلة الاساس التى كانت تواجه اهل السنّة تتمثل فى قلّة مصادر

---

(۱) ابو زهرة، الامام ابو حنيفة ص ۱۱۱.

(۲) الطوسى نفس المصدر ص ۱۴۰.

(۳) راجع كتاب الشيخ محمد قانصوة، الروايات المشتركة، طبعة قسم العلاقات الدولية فى منظمة الاعلام الاسلامى.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۷۷

الحديث عندهم «۱» و بالاضافة الى ذلك فان المقدار الموجود منها كان مخزونا فى ذاكرة بعض الاشخاص من المؤرخين على مدد متعددة و متباعدة مع ما كان يوجد بين تلك الروايات من اختلاف فى المحتوى، و هذه الروايات نفسها كانت سببا فى مضاعفة المشكلة و قد حلّت هذه المشكلة المستعصية فيما بعد- الى حد ما- عند ما اعتبر علماء اهل السنّة افعال الخلفاء و الصحابة و حتى التابعين شرعية.

أما مدى انسجام هذا العمل مع المبانى الدينية و العقلية فهى مسألة أخرى طبعا، و قد وردت عن الامام الصادق عليه السّلام رواية جميلة تشير الى ضعف الاحاديث عند غير الشيعة و هى كما يلى:

«يظنّ هؤلاء الذين يدّعون انهم فقهاء علماء انهم قد اثبتوا جميع الفقه و الدين مما يحتاج إليه العامة و ليس كلّ علم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم علموه و لا صار إليهم من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و لا عرفوه، و ذلك ان الشىء من الحلال و الحرام و الاحكام يرد عليهم فيسألون عنه و لا يكون عندهم فيه اثر عن رسول اللّه» «۲».

و هذا الضعف فى روايات اهل السنّة و اتكاؤهم على عمل الصحابة و التابعين ادى بشكل طبيعى الى ضعف بنائهم الفقهى، لأن

اختلاف الآراء و الاذواق بين الصحابة و التابعين كان على درجة من الكثرة يصعب معها جدا جمع الآراء و الفتاوى، فقد كتب ابو زهرة عن العصر الذى عاش فيه كل من ابى حنيفة و الامام الصادق عليه السّلام ما يلى:

«لقد كثر المأثور من فتاوى الصحابة فى ذلك العصر كثرة عظيمة شغلت

---

(۱) و السبب الاساسى فى ذلك يعود الى عدم السماح للناس بتدوين الحديث بعد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

(۲) تفسير العياشى، ج ۲ ص ۳۳۱ ط الاسلامية/ وسائل الشيعة ج ۱۸ ص ۴۰.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۷۸

عقول الفقهاء و اتخذوها نبراسا فى اجتهادهم فتأثروا بها فى اجتهادهم» «۱».

و علاوة على استناد فقهاء اهل السنة الى سيرة الصحابة و التابعين، نجدهم قدّموا أيضا مصادر أخرى للحكم و الفتوى اهمها طريقة القياس. و قد تذرّع احد علماء السنّة عن سبب تمسكه بالقياس فقال انه نقص النصوص «۲». و هذا ما كان يصرّح به الامام الصادق عليه السّلام فى ذلك الزمان، فقال مشيرا الى الضعف فى مجال الروايات عند اهل السنة «و يستحيون ان ينسبهم الناس الى الجهل و يكرهون ان يسألوا فلا يجيبون فيطلب الناس العلم من معدنه فلذلك استعملوا الرأى و القياس فى دين اللّه و تركوا الآثار و دانوا بالبدع» «۳».

يشير الامام فى الرواية السالفة الى سبب اتجاه السنّة نحو الرأى و القياس و يحدده بضعفهم فى مجال الحديث و الرواية، و هذا التوجّه هو سبب اعراضهم عن الروايات.

و فى الحقيقة ان تشبثهم بالرأى و القياس لسد النقص الحاصل لديهم فى الحديث ادّى الى ان يفقد التعبد بالنص قيمته تقريبا ليحل محله الرأى و القياس كمصدر للحكم و الفتوى. و ان فقها كهذا و بمثل هذه المصادر لا يمكن أن يكون فقها اصيلا متطابقا مع الآثار و الاخبار.

لقد وقف الامام الصادق عليه السّلام موقف المعارض لمثل هذا المذهب الفقهى، و خصّص الجزء الاكبر من نشاطه الثقافى لمعارضته اسلوب الرأى و القياس حيث

---

(۱) الامام ابو حنيفة ص ۱۰۵.

(۲) مصطفى احمد الزرقاء، المدخل الفقهى العام ج ۱ ص ۷۴ نقلا عن مجلة نور العلم العدد ۱۰ ص ۵۵.

(۳) وسائل الشيعة ج ۱۸ ص ۴۰.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۷۹

نقلت عنه روايات عديدة فى هذا المجال سنشير الى بعضها فى الفقرات القادمة.

و كان ابو حنيفة من جملة المتمسكين بالرأى و القياس و يبدو أنه سبق الآخرين فى هذا المضمار حتى ان مذهبه الفقهى فى العراق كان معروفا بمذهب الرأى، و مردّ ذلك هو عدم اعترافه بصحّة الروايات المنقولة عن طريق اهل السنّة.

يقول ابن خلدون بشأن مجموع الروايات التى يقبلها (ابو حنيفة) هى ۱۷ رواية او ما يقارب ذلك.

و كذلك مالك فانه يقبل ۳۰۰ حديث فقط و يعتبرها صحيحة «۱».

و يقول ابو بكر بن داود: تبلغ الاحاديث التى رواها ابو حنيفة مائة و خمسون حديثا «۲».

و كان توجّه ابى حنيفة نحو الرأى و القياس و ترك العمل بالنصوص يعزى الى سببين:

۱- عدم اعترافه بصحة الروايات الموجودة مما حدا به الى عدم نقلها و التمسك بها.

۲- منذ أن اتّجه الى الرأى و القياس، بدا له ان مثل هذه المصادر تغنيه حتى عن النصوص، فترك حتى ذلك المقدار الذى كان يؤمن بصحته، و عدل الى الرأى و القياس تماما.

و كان مركز انتشار مذهب الرأى هو العراق، و هو الاقليم الذى كان يتواجد

---

(۱) مقدّمة ابن خلدون ص ۴۳۴ ط بيروت.

(۲) تاريخ بغداد ج ۱۳، ص ۴۱۶.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۸۰

فيه الشيعة بكثرة أيضا و لذلك بدا اصطدام الشيعة و اصحاب الرأى امرا لا مفر منه، و فى نفس هذا السياق كان الامام الصادق عليه السّلام يبذل كل مساعية لنقض مبدأ الرأى و القياس و الاستحسان.

و ورد فى الرواية المشهورة عن المناقشة التى جرت بين الامام الصادق عليه السّلام و ابى حنيفة، بان الامام حذّره من القياس فى الدين و ذكر له عدّة موارد لا يمكن استخدام القياس فيها بأى شكل من الاشكال.

فقد سأله الامام عليه السّلام: أيّهما اعظم قتل النفس أو الزنا؟ قال: قتل النفس.

قال عليه السّلام: فان اللّه عز و جل قد قبل فى قتل النفس شاهدين و لم يقبل فى الزنا إلّا اربعة، ثمّ أيّهما أعظم الصلاة أم الصوم؟ قال: الصلاة. قال عليه السّلام: فما بال الحائض تقضى الصيام و لا تقضى الصلاة فكيف يقوم لك القياس.

و ذكرت امثلة أخرى من هذا القبيل فى روايات أخرى «۱». و بهذا اثبت الامام كيف ان القياس يوقع الفقيه فى آراء و فتاوى مناقضة للاحكام المسلّمة فى الاسلام. و قد نقل هذه الرواية موفق المكّى فى كتاب مناقب ابى حنيفة و بشكل يظهر و كأنّها جرت بين ابى حنيفة و الامام الباقر عليه السّلام و ليس الامام الصادق عليه السّلام و يظهر كذلك كأنّ ابا حنيفة هو الذى يضرب هذه الامثلة للامام الباقر عليه السّلام، و يريد ان يثبت من خلال اعتراض الامام انه لا يعتقد بمبدإ القياس «۲».

لقد كان الامام يمنع اصحابه من مجالسة اهل الرأى اذا كان يؤثر على

---

(۱) وسائل الشيعة ج ۱۸ ص ۳۰/ الاحتجاج ص ۱۹۶ ط النجف/ وفيات الاعيان ج ۱ ص ۴۷۱.

(۲) راجع كتاب ابو زهرة، الامام ابو حنيفة ص ۶۹.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۸۱

افكارهم «۱»، و قد وردت روايات كثيرة تظهر استنكار الامام للعمل بمبدإ القياس «۲». و ما كان الامام يخفى قلقة الشديد من اولئك الذين كانوا ينقلون عنه الحديث و يعملون بالقياس.

قال داود بن سرحان، سمعت الامام الصادق عليه السّلام يقول: «انّى لاحدّث الرجل بالحديث و انهاه عن الجدال و المراء فى دين اللّه و انهاه عن القياس فيخرج من عندى فيتأول حديثى على غير تأويله» «۳».

و من المؤكد لو أن الامام الصادق عليه السّلام لم يقف بوجه القياس و اصحابه و مبتدعيه لتأثر فقه الشيعة- الذين لم تكن تفصلهم عن اصحاب الرأى فى العراق سوى فاصلة قصيرة- و لفقد اصالته، لكننا نرى العكس من ذلك، حيث بقى فقهاء شيعة العراق يتعبدون بالنص الى حد كبير و جعلوه اسلوبهم الدائم فى استنباط الاحكام و ظلوا يبيّنون الاحكام الفرعية على مرّ الزمن وفقا لتلك النصوص، و قدّموا مذهبا فقهيا غنيا و مثيرا و ذا اصول و قواعد متينة و هو عمل ادّى الشيخ الطوسى دورا اساسيا فى تكوينه فى (المبسوط).

و اما ما يخص موضع السند فقد وجد اهل السنة انفسهم امام مصاعب جمّة و لهذا لم يعتمد عليه ابو حنيفة لكون اكثر طرق الحديث ما كانت من النوع الذى يطمأن إليه و الخلاصة هى ان الفقه غير الشيعى يستند الى مجموعة ناقصة من الاحاديث التى لا يعتمد عليها.

(۱) المحاسن ص ۲۰۵ الحديث ۳۵۶/ وسائل الشيعة ج ۱۸ ص ۱۶.

(۲) وسائل الشيعة ج ۱۸ ص ۲۳- ۲۹/ الكادى ج ۱ ص ۵۸/ علل الشرائع ج ۱ ص ۸۲/ رجال الكشى ص ۱۸۹.

(۳) الطوسى، اختيار معرفة الرجال ص ۱۷۰.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۸۲

لكن الشيعة المعتقدين بعصمة الائمة و على رأسهم الامام امير المؤمنين عليه السّلام لم تكن لديهم ايّة مشكلة فى هذا الصدد، و حتى الكثير من علماء اهل السنة لم يكن لديهم اى شك فى هذا. و ابو حنيفة نفسه يؤمن بصحّة عدد كبير من الاحاديث التى وردت عن طريق اهل البيت «۱».

حتى انّه سمع فى احد الايّام حديثا عن الامام الصادق عليه السّلام و لما خرج من عنده سئل: «لما ذا لم تسأل جعفر بن محمد عن السند الذى نقل إليه الحديث عن النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم؟ قال: ما ذا اقول لرجل يقول قال رسول اللّه؟» «۲».

و المصدر الذى كان يستند إليه الشيعة كان مقبولا لدى السنة أيضا لأن الامام الصادق عليه السّلام كان ينقل الاحاديث عن طريق آبائه و مردّها النهائى الى امير المؤمنين عليه السّلام ثم الى شخص الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فقد بقى امير المؤمنين لسنوات متمادية فى محضر النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و كان فقيها و محدثا معتمدا من جميع الفقهاء و المحدثين.

و فى عهد بنى أمية اندرست الآثار المتبقية من امير المؤمنين عند غير الشيعة، و لم يحفظ تراثه و آثاره غير اهل بيته حيث تناقله ابناؤه و شيعته يدا عن يد و جيلا بعد جيل.

يشير ابو زهرة الى زوال الكثير من اقوال امير المؤمنين فى عهد بنى أميّة قائلا: «من غير المعقول ان يسبّوا عليا على المنابر و يتركون احاديثه شائعة و متداولة بين الناس باعتبارها مصدرا ثرّا و غنيا بالعلوم الاسلامية .. و لذلك بقيت

(۱) راجع كتاب الآثار لما سئل احمد بن حنبل عن السند عن موسى بن جعفر بن محمد عن محمد بن على عن على بن الحسين عن الحسين بن على عن على بن ابى طالب عن النبى قال: هذا اسناد لو قرء على المجنون لأفاق، مناقب ابن شهرآشوب ج ۲ ص ۳۷۸.

(۲) أمالى المفيد ص ۲۱- ۲۲.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۸۳

علومه بين اهل بيته فقط».

و بناء على ما مرّ ذكره بقيت روايات امير المؤمنين عليه السّلام محفوظة باكملها عند اهل بيته، و ابناؤه هم الذين نقلوا احاديثه التى رواها عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و كذلك فقهه و فتاواه «۱». و الحديث المنقول عن هذا الطريق لا يقاس بايّ سند آخر، فشخصية الائمة عليهم السّلام اسمى و ارفع علميا و اخلاقيا من اية شخصية أخرى وفقا لابسط المقاييس الموجودة عند اهل السنة. و لهذا السبب كان العجلى- و هو من قدماء رجال الحديث عند اهل السنة- يكتب فى نهاية اسم الامام الصادق عليه السّلام: «جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن ابى طالب رضى اللّه عنهم اجمعين و لهم شىء ليس لغيرهم خمسة ائمة» «۲».

كتابة الحديث فى عصر الامام الصادق عليه السّلام

لقد منعت كتابة الحديث بعد وفاة الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم الّا ان كراهية كتابة الحديث بقيت سائدة بين الناس الى فترة طويلة، حتى ان بعض محدّثى اهل السنة فى القرن الثالث للهجرة كانوا يمتنعون عن تدوين الحديث «۳».

و فى مقابل هذا النمط، كان اهل بيت العصمة و منذ البداية يشجعون اصحابهم على تدوين الاحاديث و حفظها من الاندراس «۴»، و

كان الامام الصادق عليه السّلام شأنه فى ذلك شأن بقية الائمة يؤكد على هذا الامر كثيرا. و رغم ان

---

(۱) ابو زهرة الامام الصادق ص ۱۹۵.

(۲) العجلى، تاريخ الثقات ص ۹۸.

(۳) تذكرة الحفّاظ ج ۱ ص ۴۶۱/ جامع بيان العلم ج ۱ ص ۷۸- ۷۹/ سنن الدارمى ج ۱ ص ۱۱۹- ۲۱۰.

(۴) الطبقات الكبرى ۶ ص ۱۶۸/ تقييد العلم ص ۹۰، ربيع الابرار ج ۳ ص ۲۹۴.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۸۴

بعض الاشخاص فى عهده بدءوا بجمع و تدوين الاحاديث لكن الكثير لم يزل فى شك و ريبة من ذلك، و قد اشار ابو زهرة الى أن الامام الصادق عليه السّلام كان من دعاة كتابة الحديث مدّعيا انّ هذا الامر كان شائعا فى تلك الايام، كما ان مالك بن انس الّف كتابه (الموطأ) فى جمع الاحاديث فى ذلك العصر «۱». و لو قبلنا ان مالكا كتب موطأه فى ذلك العصر فان ذلك كان خلافا للمسار العام الذى كان سائدا آنذاك كما هو الحال بالنسبة لأبى حنيفة الذى امتنع عن القيام بايّ اجراء فى هذا الصدد.

فقد روى انه كان يقول: «رأيت رجال الحديث و اخذته عنهم، اما جعفر بن محمد فهو صحّاف». فلما بلغ هذا الكلام الى سماع الامام الصادق عليه السّلام ضحك و قال:

«حقا اننى صحّاف فقد قرأت صحف اجدادى و صحف ابراهيم و موسى» «۲».

و الاستناد الى صحف الآباء يدل على انّه ورث عن آبائه صحفا و هذا تأييد صريح لحقيقة انّ فقه الشيعة يعوّل و منذ عهد الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم على ركيزة مدوّنة فى الحديث. و فى هذا المضمار نقلت عشرات الروايات فى كتب الشيعة الروائية تشير الى أن الائمة ينقلون الاحاديث للناس من تلك الصحف و كانوا يؤكدون للناس فى بعض الاوقات على ضرورة مشاهدة تلك الصحف «۳».

و جاءت روايات متعددة عن الامام الصادق عليه السّلام يحث فيها اصحابه على كتابة الحديث و هى تظهر أيضا ضعف رغبة الناس آنذاك فى تدوين الاحاديث.

فقد جاء فى رواية انّه عليه السّلام قال: «أكتب و بثّ علمك فى اخوانك فان متّ فورّث

---

(۱) ابو زهرة الامام الصادق، ص ۹۵.

(۲) روضات الجنّات ج ۸ ص ۱۶۹.

(۳) فروع الكافى، ج ۷ ص ۷۷- ۹۵- ۹۸/ مكاتيب الرسول ص ۷۳- ۷۶/ رجال النجاشى ص ۲۵۵.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۸۵

كتبك بنيك» «۱».

الامام الصادق و الاحتجاجات الفقهية لأهل السنّة

يختلف المذهب الفقهى الشيعى مع الرؤيا الفقهية عند اهل السنّة فى عدة جوانب.

ففى الفترة التى عاش فيها الامامان الباقر و الصادق عليهما السّلام كان الفقه فى حالة نمو و اتساع و كانت هناك احتجاجات مختلفة تطرح فى مجال تطبيق الاحكام على الموارد الجديدة. و كان الامام الصادق عليه السّلام يؤكد ان آثار رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم موجودة بتمامها عند اهل البيت فقط، ففى الوقت الذى ضيّعها الآخرون بقيت باجمعها عندهم من غير أن يمسّها ايّ سوء، يقول

الراوى سألت الامام الصادق عليه السّلام:

«اصلحك اللّه اتى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم الناس بما يكتفون فى عهده؟ قال: نعم و ما يحتاجون إليه الى يوم القيامة. فقلت: فضاع من ذلك شيء؟ فقال: لا، هو عند اهله» «۲».

الضغط السياسى على الشيعة

لم تتوفر الحرّية السياسة فى عهد الامام الصادق عليه السّلام سوى فى العقد الثالث من القرن الثانى للهجرة، و كانت حرّية نسبية طبعا بقيت خلالها نشاطات الامام و شيعته تحت المراقبة. اما قبل هذه الفترة و ما بعدها فقد كانت اشد الضغوط السياسية تمارس ضد الشيعة على يد بنى امية و بنى العباس حيث لم يكن يسمح

---

(۱) كشف الغمة، ابن طاوس، نقلا عن بحار الانوار ج ۲ ص ۱۵۰ كتاب العلم.

(۲) وسائل الشيعة ج ۱۸ ص ۲۳.

لهم بالتعبير عن وجودهم. جاء فى الرواية:

قال رجل لأبى جعفر الثانى عليه السّلام: «جعلت فداك ان مشايخنا رووا عن ابى جعفر و ابى عبد اللّه عليهما السّلام و كانت التقية شديدة فكتبوا كتبهم و لم ترو عنهم، فلمّا ماتوا صارت الكتب إلينا، فقال: حدّثوا بها فإنّها حقّ» «۱».

و هذا التضييق طبعا ادّى الى أن تبقى علوم اهل البيت و فتاواهم متروكة.

فعن ابان بن تغلب، قال: «قلت لأبى عبد اللّه عليه السّلام انى اقعد فى المسجد فيجيء الناس فيسألونى، فان لم اجبهم لم يقبلوا منّى و اكره ان اجيبهم بقولكم و ما جاء عنكم! فقال لى: انظر ما علمت انه من قولهم فاخبرهم بذلك» «۲».

ان تأكيد الامام الصادق عليه السّلام على التقية لهو دليل واضح على وجود مثل هذه الضغوط السياسية. فقد كان خطر الهجوم على الشيعة متوقعا الى درجة ان الامام اعلن ان ترك التقية هو بمثابة ترك الصلاة «۳».

فمن جملة ما قاله الامام للمعلى بن خنيس الذى قتل بيد حكّام ذلك العصر، ما يلى: «يا معلى اكتم امرنا و لا تذعه فانّ من كتم امرنا و لا يذيعه اعزّه اللّه فى الدنيا» «۴».

و على ايّة حال توجد روايات تشير الى انّ الضغط كان شديدا على الشيعة حتى ان احدهم كان يمر على صاحبه فلا ينظر إليه «۵». و جاء فى رواية أخرى عن

---

(۱) الكافى ج ۱ ص ۵۳/ وسائل الشيعة ج ۱۸ ص ۵۸.

(۲) الطوسى، اختيار معرفة الرجال ص ۳۳.

(۳) مستدرك الوسائل ج ۱۲ ص ۲۵۴/ وسائل الشيعة ج ۹ ص ۴۵۹ و ما بعدها.

(۴) مختصر بصائر الدرجات ص ۱۰۱.

(۵) الطوسى اختيار معرفة الرجال، ص ۳۷۸/ مستدرك الوسائل، ج ۱۲ ص ۲۹۷- ۲۰۰/ وسائل

جواسيس المنصور ما يلى: «كان له بالمدينة جواسيس ينظرون على من اتفق شيعة جعفر فيضربون عنقه» «۱».

و جاء فى تاريخ الواقدى ان المنصور قبض على معتب و هو من غلمان الامام الصادق عليه السّلام فضربه الف سوط الى أن مات «۲».

و فى ذلك العهد كان اتهام اى شخص بالرفض كافيا لزوال حرمة نفسه و ماله فيؤخذ و يعذب «۳».

الامام الصادق عليه السّلام و المسائل السياسية

۱- ثورة زيد:

وقعت فى عهد الامام الصادق عليه السّلام احداث سياسية مهمة كان من جملتها حركة العلويين (قيام زيد بن على، و قيام محمد بن عبد اللّه بن الحسن و اخيه ابراهيم فى الاعوام ۱۴۵- ۱۴۶) و ثورة العباسيين التى تبعها سقوط الحكومة الاموية و سيطرة بنى العباس على مقاليد الامور و ابتعاد العباسيين عن العلويين و هو ما كانت ارضيته قد تهيأت قبل وصول بنى العباس الى السلطة، و هذه من جملة الاحداث التى وقعت فى عهده.

و لا يسعنا المجال لطرح جميع المسائل السياسية و الدينية المهمة التى حصلت

الشيعة، ج ۱۹ ص ۳۲.

(۱) الطوسى نفس المصدر ص ۲۸۲.

(۲) المنتخب من ذيل المذيل، ج ۳ ص ۶۵۲.

(۳) المحاسن ص ۱۱۹/ حياة الامام الباقر عليه السّلام، ج ۱ ص ۱۵۶.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۸۸

للعلويين و العباسيين (بنى هاشم) منذ اوائل القرن الاول للهجرة و بشكل كامل و مفصّل، لكننا سنحاول توضيح المسائل المذكورة فيما يتعلق منها بالامام الصادق عليه السّلام جهد الامكان.

فالولاء الذين كان يحظى به العلويّون- و الفاطميون على وجه الخصوص- بين محبى اهل البيت لم يكن يحظى به العباسيون. و كان لهذا الولاء اسبابه المختلفة من اهمها معاملة النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لهم. اضافة الى ان مسألة امامة امير المؤمنين و ابنائه- و التى كانت ذات اهمية قصوى بالنسبة للشيعة على اقل تقدير- كانت ترفع من نسبة هذا الحب و الولاء. و كان الفاطميون هم المتبقى الوحيد من نسل النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و هذا ما كان يعطيهم اهمية خاصة أيضا.

و بعد شهادة الامام الحسين عليه السّلام، كان محمد بن الحنفية يتميز بمقام اجتماعى و سياسى مرموق، الا أن الشخصية العلمية و الاخلاقية للامام السجاد احتلت مكانتها فى المجتمع بالتدريج واضحت الشخصية الوحيدة من اهل بيت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم التى تستقطب الانظار. فهو الولد الوحيد من بين ابناء الامام الحسين من على عليه السّلام الذى نجى من واقعة كربلاء الرهيبة. و حال ببقائه دون انقراض ذرية فاطمة بنت الرسول الكريم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم عن طريق الحسين.

كما ان عبد اللّه بن عباس كان من الشخصيات العلمية المعروفة فى صدر الاسلام، و قد ادرك صحبة الرسول و يعد من اكبر و اوثق محدّثى عصره. و الى زمن وفاته (۶۸ ه) لم يقع اى اختلاف بين العلويين و بنى العباس، لكنه ما ان توفى حتى بدأ الاختلاف يدبّ بين الفريقين بالتدريج. ففى اوائل القرن الثانى بدأ العباسيون يفكّرون بالاستقلال عن العلويين و كانوا يدعون الناس سرّا الى انفسهم، و لكن لم يكن يحدوهم كبير امل فى النصر، و ذلك لان الناس كانوا يعتبرون آل على هم

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۸۹

المتبقى الوحيد من ذريّة النبى، و كان الظلم الذى تعرّضت له هذه العائلة و خصوصا بعد مأساة كربلاء قد رفع منزلتهم الاجتماعية بين

الناس الى درجة كبيرة.

و كانت الثورة التى قادها زيد بن على بن الحسين عليه السّلام تأكيدا آخر على اهمية العلويين عند اهل العراق. و مع ان زيدا كان أخ الامام الباقر عليه السّلام، إلّا أن الاهمية العلمية التى كان يحظى بها الامام الباقر فى المجتمع، ادّت الى عدم حصول زيد و حركته الثورية على وقع شديد فى نفوس الناس، رغم كونه من زمرة المحدّثين و موضع اهتمام اهل العراق بسبب كونه علويا.

و فى العام (۱۱۴ ه) ارتحل الامام الباقر عليه السّلام فبدأ الامام الصادق عليه السّلام يستقطب الانظار بصفته الامام السادس من ائمة الشيعة. و فى اواخر العقد الثانى من القرن الثانى للهجرة قرر زيد- بعد سلسلة من المشاحنات و المشاجرات اللفظية مع هشام بن عبد الملك- رفع لواء المعارضة ضد السلطة الحاكمة. فأعلن ثورته فى الكوفة فى صفر من العام (۱۲۲)، و استشهد بعد يومين من المعارك «۱».

و المهم بالنسبة لنا هنا هو موقف الامام الصادق من خروج زيد و من الفرقة المسماة بالزيدية التى اعلنت عن وجودها فى العراق بعد مقتل زيد.

تذكر الروايات الشيعية ان زيدا كان من المعتقدين بامامة ائمة الشيعة و من جملتهم الامامان الباقر و الصادق عليهما السّلام كما نقل عنه انه كان يقول: «جعفر امامنا فى الحلال و الحرام» «۲».

---

(۱) هناك اختلاف حول تاريخ استشهاد زيد.

(۲) الطوسى، نفس المصدر ص ۳۶۱، راجع كتاب رجال النجاشى ص ۱۳۰/ كفاية الاثر ص ۳۲۷/ كريمان سيرة و قيام زيد ص ۴۹.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۹۰

و جاء فى رواية عن الامام الصادق عليه السّلام بحق زيد انه قال فيه: «رحمه اللّه اما انه كان مؤمنا و كان عالما و كان صدوقا اما انه لو ظفر لوفى أما انه لو ملك يعرف كيف يضعها» «۱».

و فى هذا الصدد نقلت روايات كثيرة، و لذا لا يمكن التحدّث عن زيد بمعزل عن الامام الصادق عليه السّلام كما لا يستبعد ان يكون زيد و رغم قبوله بامامة الامام الصادق عليه السّلام قد ثار غير ملتفت لاوامره و لا مدّع لخلافة لنفسه، فتزعم بحركته تلك، الثورة ضد بنى أميّة، الذين كان يعتبرهم رمزا للجاهلية، بعد ان دام الصراع و الجدال بينهم و بين عائلته حول موضوع الخلافة الاسلامية الى ما يقارب الثمانين عاما.

و قد وردت عدّة روايات عن الصادق عليه السّلام يخبر فيها مسبقا بشهادة زيد فى محلة الكناسة فى الكوفة «۲».

و جاء فى روايات أخرى ان الامام الصادق عليه السّلام اعلن عن تأييده لزيد فى مقابل بعض الشيعة الذين تبرءوا منه «۳». و قد وردت روايات كلا القسمين فى مصادر اهل السنة. و هى فى نفس الوقت الذى تبعث على الثقة و الاطمئنان الّا انها لا تعكس رضى الامام على مبدأ قيام زيد و خاصّة بسبب ما ورد فى الكافى و بعض جوامع احاديث الشيعة الاخرى من انتقاد لثورة زيد.

و من بعد ثورة زيد و فى اعقاب استيلاء بنى العباس على السلطة انفصل بنو

---

(۱) الطوسى، نفس المصدر ص ۳۸۵.

(۲) عيون اخبار الرضا ج ۱ باب ۲۵/ أمالى الصدوق مجلس ۱۰ ص ۴۰/ تنقيح المقال ج ۱ ص ۴۶۸.

(۳) خطط المقريزى ج ۴ ص ۳۰۷/ فوات الوفيات ج ۱ ص ۲۱۰.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۹۱

الحسن عن بنى الحسين بذريعة زيد و ابنه يحيى، و نصبوا لهم رجلا من بنى الحسن يدعى محمد بن عبد اللّه بن الحسن بن الحسن بن

على عليه السّلام و التفّوا حوله. و قد التف حول هؤلاء أيضا جماعة من الشيعة اطلق عليهم فيما بعد اسم الزيدية. ثم برزت بين آل جعفر و الزيدية خلافات شديدة و صراعات حادّة جعل الزيدية فيها الامام الصادق غرضا للاتهامات المختلفة.

فقد ورد فى الحديث ان الزيدية اتّهموه بانّه لا يرى الجهاد فى سبيل اللّه فردّهم و قال: «و لكنى اكره ان ادع علمى لجهلهم» «۱».

ب- الامام الصادق و دعوة ابى سلمة و ابى مسلم.

عقد الامام الصادق عليه السّلام العزم على تربية شخصيات من اصحابه عدّوا فيما بعد من بناة التشيع من الناحية الفقهية و من ناحية الاحاديث و الروايات و كانت المساعى السياسية للامام فى تلك الظروف محصورة فى نطاق عدم الرضا عن الحكم القائم، و الاعلان عن انحصار الامامة و قيادة الاسلام باهل بيت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم. و كان الامام الصادق عليه السّلام يرى انّ المعارضة المسلّحة ضد الحكم من غير توفير المستلزمات الضرورية- خاصة فى الجانب الثقافى- لن يتمخّض عنها سوى الهزيمة و الاندثار. و ان مثل هذا العمل كان يستلزم تحركا شيعيا شاملا يعتقد بالامامة لكى تبدأ الجهود المضادّة للحكومة التى يمكن بلوغ النصر من خلالها، و الّا فان الاجراء الساذج و المستعجل لن يدوم طويلا بل سيتفيد منه الانتهازيون لا اكثر. كما هو الحال بالنسبة لثورة زيد بن على و من بعدها ثورة ابنه يحيى التى قام بها فى خراسان، فقد استغلها العباسيون الى اقصى حدّ و كانوا يشيعون فى

---

(۱) فروع الكافى ج ۱ ص ۳۳۲/ التهذيب ج ۲ ص ۴۳/ وسائل الشيعة ج ۲ ص ۳۲.

دعاياتهم بأنهم المقصودون بشعار الرضا من آل محمد، و اقترن عملهم هذا بقتل عدد من الطالبيين- كما ذكر بعض المؤرخين- الذين كانوا يدعون لنيابة ابى هاشم بن محمد بن الحنفية.

و قد اتضحت نتيجة هذا الموقف فيما بعد حيث اضحى الفقه الجعفرى نواة لتشيّع قوى. و أخذ يرتفع شامخا يوما بعد آخر، و اما الزيدية و الخوارج الذين انحصر نشاطهم بالجانب السياسى فقط فما لبثوا ان تعرّضت ثقافتهم للاضمحلال و فقدوا شيئا فشيئا ما كانوا يتمتعون به من مكانة قوية نسبيا و انحدروا نحو الافول فكانت النتيجة هى انتصار العباسيين فى تلك المعركة السياسية العسكرية و استيلائهم على مقاليد الامور. فى حين ان الشخص المرشّح عن بنى هاشم كان رجلا من بنى الحسن اسمه محمد بن عبد اللّه و الذى سنتحدث عن ثورته لاحقا.

و اما هنا فسنتناول ذلك الجانب الذى يرتبط بالامام الصادق عليه السّلام و بنى العباس فقط.

لقد كان الدور الأساس لدعوة بنى العباس منحصرا فى شخصين و هما ابو سلمة الخلّال الذى اشتهر بوزير آل محمد «۱» و ابو مسلم الخراسانى، كما سنوضح ذلك فى حينه. و كان شعار الحركة فى بداية الامر هو الرضا من آل محمد، حيث لم تكن اذهان الناس عند سماعهم لهذا الشعار لتنصرف إلّا الى احد العلويين. لكن الضعف السياسى الذى كان يسود العلويين و الجهود المتواصلة لبنى العباس قد غير مسار الاحداث الجارية وراء الستار لصالح الفريق الثانى. كما أن مجريات الامور كانت بيد ابى سلمة الخلّال الذى هيأ للسفّاح و المنصور فى الكوفة، و اخذ البيعة للسفاح من الناس بمجرد سقوط بنى أميّة، الا انه لم يلبث ان اتّهم بالدعوة للعلويين

---

(۱) الوزراء و الكتاب ص ۸۴ كان هو و ابو مسلم من الموالى.

و انه يعمل للمجيء بهم بدل العباسيين، فقتل فى تلك الظروف. و لم تكن الارضية مهيئة امام الصادق عليه السّلام بل ان ذا النفس

الزكية (محمد بن عبد اللّه) الذى كان يتمتع بظروف ايجابية من الناحية السياسية لم يستطع الصمود امام العباسيين و مواصلة وجوده. و انطلاقا من هذه الحسابات، لم تكن امام العلويين ايّة فرصة لأى نوع من الجهود السياسية التى تبنى عليها الآمال.

كان الامام الصادق يرى ان دعوة ابى سلمة لا تستند الى ركائز متينة، و لذا ردّ على الكتاب الذى بعثه له ابو سلمة و قال لرسوله: «ابو سلمة شيعة لغيرنا» «۱».

و ذكر بعض الرواة أيضا ان ابا مسلم ارسل كتابا أيضا الى الامام الصادق عليه السّلام فكتب له الامام فى الجواب: «ما أنت من رجالى و لا الزمان زمانى» «۲».

و على كل حال فقد كان موقف الامام حذرا و لم يوافق على ما ورد فى الكتاب و اوصى أيضا عبد اللّه بن الحسن باتخاذ نفس هذا الموقف فيما يخص ابنه محمدا (ذا النفس الزكية).

ان وفاء ابى سلمة للعباسيين، و عدم تركه القطعى لهذا الأمر دليل على عدم جدّية دعوته. و حتى اذا فرضنا اصراره على تلك الدعوة الا أن القيام بمثل هذا الامر مع وجود اشخاص مثل ابى مسلم و العباسيين كان يبدو امرا غير عملى و كان القبول به يعنى الوقوع فى الهلكة.

---

(۱) مروج الذهب ج ۳ ص ۲۶۹/ الوزراء و الكتّاب ص ۸۶.

(۲) راجع كتاب- حياة الامام الرضا، ص ۴۹.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۹۴

ج- الموقف تجاه المنصور.

لقد تزامن الردح الاخير من حياة الامام الصادق عليه السّلام مع عهد حكومة المنصور. و كان الامام هو الشخصية المعنوية الوحيدة البارزة بين بنى هاشم «۱».

و كان يتمتع فى زمن المنصور بشهرة علمية عظيمة و اهتمام و تبجيل الكثير من علماء السنّة. و نظرا لما يكنّه المنصور من حقد على العلويين كان من الطبيعى أن يضيق عليه الخناق و لا يتيح له فرصة العيش بحرية. و كان الامام يعتقد- شأنه شأن آبائه- ان الامامة حق خاص به و ان الآخرين قد غصبوها منه، و لم يكن ليخفى مثل هذا الاعتقاد، و كان سلوك بعض اصحابه مثل ابن ابى يعفور فيما يخص كونه واجب الطاعة، يعكس مدى اعتقاد الشيعة الراسخ بهذا المبدأ، يقول الامام الصادق عليه السّلام فى حديث له: «بنى الاسلام على خمسة اشياء: على الصلاة و الزكاة و الحج و الصوم و الولاية.

قال زرارة: فقلت و اى شىء من ذلك افضل؟

فقال: الولاية افضل لأنها مفتاحهن و الوالى هو الدليل عليهن» «۲».

لقد طرحت الولاية هنا بصفتها ركنا يتوقف عليه تطبيق بقية الاركان. و مثل هذا الطرح كان بمثابة ناقوس خطر يهدد المنصور، و لهذا فقد بدأ يتحيّن الفرص حتى يغتال الامام بذريعة ما.

كتب ابن عنبة يقول: «قرر المنصور عدّة مرات قتل الامام، لكن اللّه

---

(۱) ابن عماد الحنبلى، شذرات الذهب ج ۱ ص ۲۲۰/ جهاد الشيعة ص ۱۰۴.

(۲) وسائل الشيعة ج ۱ ص ۷- ۸.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۹۵

حفظه» «۱».

و كانت نشاطات الامام فى اغلب الاحيان تجرى فى الخفاء و كثيرا ما كان يؤكد على اصحابه بضرورة كتمان اسرار اهل البيت و قد نقلت عنه فى هذا المضمار روايات كثيرة «۲». و لهذا لم يذكر التاريخ بدقّة كيفية عمل الامام، غير ان قيادة الشيعة- و كما ذكرنا سابقا- كان لها برنامج و نشاط فى الخفاء بحيث ظلّت محافظة على انسجام الامامية.

و كان الامام يرفض- إلّا بالاكراه- التردد على بلاط المنصور، فكان المنصور يلومه على ذلك «۳»، حيث قال له فى احدى المرّات: «لما ذا لا تغشانا كما يغشنا سائر الناس؟ فقال له: ليس لنا ما نخافك من اجله و ليس عندك من امر الآخرة ما نرجوك له. و لا أنت فى نعمة فنهنيك، و لا تراها نقمة فنعزّيك بها، فما نصنع عندك؟» «۴».

و بهذا الاسلوب كان الامام يعبر عن سخطه على حكومة المنصور، و كذلك كان يحذر اصحابه و اتباعه من مجالسة الملوك بهذه المقولة الخالدة: «ايّاك و مجالسة الملوك» «۵».

بل انه حذر العلماء الذين يترددون على بلاط الملوك من عملهم هذا فقال:

---

(۱) عمدة الطالب فى انساب آل ابى طالب ص ۱۹۵ ط النجف.

(۲) مستدرك الوسائل ج ۱۲ ص ۲۹۱- ۳۰۴.

(۳) مستدرك الوسائل ج ۱۲ ص ۳۰۷.

(۴) كشف الغمة، ج ۲ ص ۲۰۸- ۲۰۹/ ابو زهرة الامام الصادق ص ۱۴۱.

(۵) مستدرك الوسائل ج ۱۲ ص ۳۱۰.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۹۶

«الفقهاء امناء الرسل، فاذا رأيتم الفقهاء قد ركبوا الى السلاطين فاتّهموهم» «۱».

و فى احد الايام سأله المنصور: يا ابا عبد اللّه لم خلق اللّه الذباب؟

فقال: «ليذل به الجبابرة» «۲».

و نقلت روايات اخرى أيضا عن الامام الصادق عليه السّلام كقوله: «لا تحاكموا الى الطاغوت».

و هى تعكس نمط سلوكه مع السلطة الحاكمة. و اجاب على سؤال عرض عليه بهذا الصدد فقال:

«من تحاكم إليهم (السلطان او القضاة) فى حقّ او باطل فانّما تحاكم الى الطاغوت» «۳».

و قد تصوّر بعض المؤلفين بان سياسة الامام ينبغى ان تكون اما قائمة على الثورة او ان يكون على رأس السلطة. و مثل هذا التصور صحيح من وجهة نظر الزيدية، اما من وجهة النظر الشيعة، فان سياسة الامام كانت تقوم على قيادة اكثر الثورات شدة و تطرّفا ضد الحكومات الفاسدة لبنى أميّة و بنى العباس و تكون مثل هذه الثورات مع ذلك مدعومة بأسس ثقافية و فقهية متينة و ذات جذور عميقة.

و قد اتضح مثل هذا بصورة جلية فى تاريخ الشيعة و بدأ اطلاق اسم المذهب الجعفرى على مذهب الامام الصادق عليه السّلام فى عهده «۴».

---

(۱) كشف الغمة ج ۲ ص ۱۸۴/ تهذيب الكمال ج ۵ ص ۸۸/ الذهبى سير اعلام النبلاء، ج ۶ ص ۲۶۲.

(۲) نفس المصدر السابق ج ۲ ص ۱۵۸/ تهذيب الكمال ج ۵ ص ۹۲- ۹۲.

(۳) فروع الكافى ۷ ص ۴۱/ التهذيب ج ۶ ص ۲۱۸/ وسائل الشيعة ج ۱۸ ص ۴.

(۴) رجال الكشى ص ۲۵۵.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۹۷

و من هنا يمكن اكتشاف الخطأ الفادح الذى وقع فيه الشهرستانى، فقد كتب هذا الرجل عن السلوك الاجتماعى للامام قائلا: «ما تعرّض للامامة قط و لا نازع احدا الخلافة قط» «۱».

و مثل هذا الكلام لا ينسجم مطلقا مع الواقع العينى لوضع الشيعة لا فى عصر الامام و لا بعده.

د- موقف الامام من محمد بن عبد اللّه بن الحسن (النفس الزكية).

نشأ الاختلاف بين بنى الحسن و بنى الحسين عند ما اعتبر عبد اللّه بن الحسن بن الحسن ابنه محمدا هو قائم آل محمد «۲»، و يبدو ان العباسيين و خاصة المنصور قد وسعوا من نطاق هذا الاختلاف لغرض استغلاله سياسيا، فبعد قيام و استشهاد زيد، اجمع بنو هاشم من علوييهم و عباسييهم على بيعة محمد بن عبد اللّه (باستثناء الامام الصادق و عدة اشخاص آخرين).

و لو أمعنّا النظر فيما نمتلكه من معلومات عن الحركة العباسية التى كانت تجرى فى الخفاء لأدركنا ان ذلك الفعل كان موقفا سياسيا صرفا او انه حصل اضطرارا. و قد نقل ابو الفرج الاصفهانى وقائع تلك البيعة بالتفصيل. فقد ذكر ان من حضر من العباسيين داود بن على و ابراهيم الامام و صالح بن على و المنصور و السفّاح. و لما جاءوا على ذكر الامام الصادق عليه السّلام قال عبد اللّه بن الحسن والد ذى النفس الزكية: «لا نريد جعفرا لئلّا يفسد عليكم امركم».

و بعد أن حضر الامام فى ذلك المجلس و اعلن معارضته لثورتهم فسر

---

(۱) الملل و النحل ج ۱ ص ۱۴۷.

(۲) مقاتل الطالبيين ص ۱۴۱.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۱،ص:۲۹۸

عبد اللّه بن الحسن عمله هذا بالحسد «۱».

و لم يمض طويل من الوقت حتى ثار كلا الأخوين محمد بن عبد اللّه بن الحسن فى المدينة و ابراهيم فى البصرة، و قتلا بعد معركة قصيرة مع الجيش العباسى. و كانت تلك الهزيمة بداية لسلسلة من الهزائم التى لحقت بالزيديين الذين ثاروا فى العراق و ايران، و لم تفلح سوى واحدة منها و هى ثورة الحسن بن زيد فى طبرستان التى نالت انتصارا نسبيا و استمرت مدّة زهاء النصف قرن (النصف الثانى من القرن الثالث) «۲».

---

(۱) مقاتل الطالبيين ص ۴۰- ۴۱/ كريمان، سيرة و حياة زيد ص ۷۵ نقلا عن الارشاد ص ۲۷۶- ۲۷۷.

(۲) كشف الغمة ج ۲ ص ۱۷۲- ۱۷۳/ راجع كتاب الطبرى ج ۷ ص ۳۰۲ ط عز الدين.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۳

الجزء الثانى

الامام الكاظم عليه السّلام

اشارة

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۵

قال الطبرسى: «و كان الناس بالمدينة يسمونه زين المجتهدين» «۱» سابع ائمة الشيعة الامامية هو الامام موسى بن جعفر عليه السّلام، و قد لقبه المسلمون و الشيعة خاصة بالكاظم لحلمه و صبره و كظم غيظه امام اعدائه «۲».

كانت ولادته فى العام ۱۲۸ ه فى الأبواء و هى منطقة بين مكة و المدينة، و شهادته فى الخامس و العشرين من رجب من العام ۱۸۳ ه فى بغداد فى سجن الخليفة العباسى الظالم هارون الرشيد. و كانت أمه تدعى «حميدة البربرية» أو «الأندلسية» «۳».

تولى الامام الكاظم عليه السّلام زعامة الشيعة بعد استشهاد ابيه فى العام ۱۴۸ ه.

---

(۱) اعلام الورى: ۲۹۸.

(۲) راجع كتاب المناقب ج ۲ ص ۳۸۲، الارشاد ص ۲۷۹، عمدة الطالب ص ۱۶۹، الصواعق المحرقة ص ۲۰۳.

(۳) تاريخ اهل البيت ص ۱۲۳.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۶

و أمضى عمره الشريف فى المدينة و بغداد، و لم تكن بين الشخصيات العلوية فى ذلك العصر من يضاهيه فى مختلف الصفات، فقد كان وحيد دهره فى العلم و التقوى و الزهد و العبادة.

قال عنه الشيخ المفيد: «كان ابو الحسن موسى عليه السّلام أعبد اهل زمانه و أفقههم و أسخاهم كفا و اكرمهم نفسا» «۱».

و كتب الشيخ الطبرسى عنه يقول: «كان عليه السّلام احفظ الناس لكتاب اللّه. و كان الناس بالمدينة يسمونه زين المجتهدين» «۲».

و كتب عنه ابن ابى الحديد: «جمع من الفقه و الدين و النسك و الحلم و الصبر» «۳».

و كتب المؤرخ الشهير اليعقوبى عن شخصيته ما يلى: «و كان موسى بن جعفر من اشد الناس عبادة» «۴».

و جاء فى شذرات الذهب عنه ما يأتى: «كان صالحا عابدا جوادا حليما كبير القدر».

و كتب عنه نقلا عن ابى حاتم: «ثقة إمام من أئمة المسلمين» «۵».

و كتب اليافعى يقول عنه: «كان صالحا عابدا جوادا حليما ... و كان

---

(۱) الارشاد، ص ۲۷۷.

(۲) اعلام الورى ص ۲۹۸.

(۳) شرح نهج البلاغة: ج ۱۵، ص ۲۷۳.

(۴) تاريخ اليعقوبى ج ۲ ص ۴۱۴، طبعة دار صادر.

(۵) شذرات الذهب، ج ۱ ص ۳۰۴.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۷

سخيا» «۱».

و قال عنه النسّابة المشهور يحيى بن الحسن بن جعفر: «كان موسى بن جعفر يدعى العبد الصالح من عبادته و اجتهاده» «۲».

كانت هذه نماذج قليلة مما وصف به المؤرخون و المحدثون الشيعة و السنة الامام الكاظم عليه السّلام. و قد اورد الاستاذ عطاردى كلمات كثيرة من هذا القبيل فى كتابه القيم (مسند الامام الكاظم).

لكن ما يلفت النظر فى الخصائص الخلقية فى شخصية الامام اكثر من غيره هو جوده و كرمه الذى كان مضربا للامثال. فقد كتب ابن عنبة فى هذا الصدد يقول: «و فى كمه صرر من الدراهم فيعطى من لقيه و من اراد برّه و كان يضرب المثل بصرة موسى» «۳».

بل ان كرمه شمل من كانوا يؤذونه أيضا فقد كتب ابن خلّكان نقلا عن الخطيب ما يلى:

«و كان سخيا كريما و كان يبلغه عن الرجل أنه يؤذيه فيبعث إليه بصرّة فيها الف دينار و كان يصرّ الصرر ثلاثمائة دينار و اربعمائة دينار و مائتى دينار ثم يقسمها بالمدينة «۴»، فكانت صرار موسى مثلا» «۵».

---

(۱) مرآة الجنان، ج ۱۰ ص ۳۹۴.

(۲) تهذيب التهذيب ج ۱ ص ۳۳۹.

(۳) عمدة الطالب ص ۱۹۶.

(۴) تاريخ بغداد، ج ۱۳ ص ۲۷، وفيات الاعيان ج ۵ ص ۳۰۸.

(۵) تاريخ بغداد، ج ۱۳، ص ۲۷، وفيات الاعيان ج ۵ ص ۳۰۸.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۸

و اورد ابو الفرج الاصفهانى رواية مطولة تثير العجب من جوده على من كان يؤذيه «۱».

و كتب الذهبى و هو من علماء الرجال المشهورين عن الكاظم عليه السّلام ما يلى:

«و قد كان من اجواد الحكماء و من العبّاد الاتقياء» «۲».

و كانت من جملة خصاله الاخرى زهده و عبادته. فهو قد امضى فى السجن سنوات طويلة كان خلالها منهمكا بالعبادة حتى اثر على الكثير من سجانيه فكانوا يمتنعون عن حبسه بالمعنى المعروف للحبس «۳».

و قد قال هارون للربيع بشأنه: «أما إنّ هذا من رهبان بنى هاشم».

يقول الربيع: فقلت لهارون: فلما ذا تسجنه اذن؟ قال: هيهات لا بد من ذلك» «۴» و ذكر ابن الوردى و هو من مؤرخى القرن السابع رواية مسندة عن كثرة عبادته «۵».

و بسبب هذه الخصال الحميدة كان الناس يكنّون له وافر الاحترام و المحبّة و يتحدثون عن كثرة كراماته. و قد اورد ابن الجوزى فى هذا المضمار رواية رواها ابن حجر الهيثمى أيضا مضمونها: «ان شقيقا البلخى التقى بالامام عام ۱۴۹ ه

---

(۱) مقاتل الطالبيين، ص ۳۳۳.

(۲) ميزان الاعتدال، ج ۴ ص ۲۰۱.

(۳) مقاتل الطالبيين ص ۳۳۲.

(۴) عيون اخبار الرضا عليه السّلام ج ۱ ص ۳۱.

(۵) تتمة المختصر ج ۱ ص ۲۱۰، مسند الامام الكاظم ج ۱ ص ۴۲، زهر الآداب ج ۱ ص ۱۳۳، الارشاد ص ۲۸۱.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۹

و صحبه فى سفره الى الحج فكان كلما اراد سؤاله عن امر بادره الامام بتلاوة آية له تكشف عما فى قلبه» «۱».

مشكلة الامامة بعد الصادق عليه السّلام:

إنّ الاختلافات التى ظهرت بين الشيعة كانت تنشأ عادة نتيجة تعيين الامام اللاحق، فالظروف السياسية كانت تحتّم احيانا- و خاصة

بسبب الخوف من السلطات العباسية- بقاء الامام مجهولا بالنسبة للكثير من شيعته اذ ان ظهور امامة احد الائمة علنا على الملأ قد يعرض الشيعة لضغط شديد من قبل الخلفاء.

و قد ادّى الكبت الذى فرضه المنصور على العلويين و لا- سيما الامام الصادق عليه السّلام الذى احرز مقاما ساميا فى المجتمع الى حصول حالة من الاضطراب بين بعض الشيعة حول الزعامة الآتية، و قد ضاعف من قلق الشيعة قيام بعض ابناء الامام الصادق عليه السّلام- الذين ادعوا الامامة زورا- بالدعوة الى انفسهم و استقطاب الشيعة حولهم. كما كان تفرق الشيعة يعد مشكلة اخرى حيث كان الشيعة منتشرين هنا و هناك مما يجعل التيقن من الامام الحقيقى أمرا عسيرا عليهم فالامام الصادق مثلا عمد الى التمويه على وصيه فجعل المنصور العباسى- اضافة الى ولديه الكاظم عليه السّلام و عبد اللّه- وصيا له أيضا «۲».

و قد كانت هذه العوامل تتظافر فيما بينها بعد استشهاد كل امام، فتترك تأثيرات قوية فى ايجاد الانشقاقات داخل الصف الشيعى.

---

(۱) صفة الصفوة ج ۲ ص ۱۰۲، الصواعق المحرقة ص ۲۰۴.

(۲) الخرائج ص ۲۳۹، مسند الامام الكاظم ج ۱ ص ۳۹۰.

و على هذا الغرار يأتى الانشقاق الذى حصل بعد رحلة الامام الصادق عليه السّلام حتى ان رجلا من اصحاب الامام الكاظم عليه السّلام راح- نتيجة لما تعرض له الشيعة من انقسامات بعد الامام الصادق- يسأل عن وصى الامام أيضا.

و علاوة على كل ذلك فان هناك مسألة اخرى حصلت فى زمن الامام الصادق عليه السّلام استغلها اصحاب المصالح هى مسألة اسماعيل بن جعفر بن محمد عليه السّلام الذى كان الابن الاكبر للامام الصادق، فقد كان جملة من الشيعة يتصورون ان الزعامة المستقبلية للشيعة ستكون من نصيبه الا أنه توفى فى حياة ابيه.

و قد أكد الامام الصادق طبقا لما تشير إليه الروايات على ضرورة ان يصدق الشيعة بموته و مع هذا فان جماعة من الشيعة قامت اثر وفاة الامام- بذريعة الدعوة الى مهدوية اسماعيل و ذرائع اخرى- الى ايجاد فرق تحت عنوان الاسماعيلية او الباطنية او غيرهما.

لكن الأمر المهم فى المسألة هو ان طرح اسماعيل اماما للشيعة و زعيما لها بعد ابيه كان بدافع سياسى، و ان أسهم كونه الابن الاكبر للامام فى افراز الامر أيضا، خصوصا و ان الامام الصادق كان يمتنع حتى الأيام الاخيرة من حياته عن التصريح باسم وصيه.

طبيعى ان هناك روايات تشير الى ان الامام الكاظم عليه السّلام كان قد عين كوصى للامام الصادق من أول الامر لكنه لم يصرح بذلك الا لعدد محدود من خواص الشيعة «۱». و قد رويت تلك الروايات من طرق مختلفة اضافة الى ان حديث اللوح الذى يشتمل على ذكر اسماء المعصومين يدعم هذا الموضوع.

---

(۱) الكافى ج ۱ ص ۳۰۷- ۳۰۹.

و مع كل هذا فان اسماعيل- و للأسباب التى تقدم ذكرها- قد طرح فى زمن ابيه بنحو اثار شبهة لدى بعض الشيعة فقد وردت- على سبيل المثال- رواية عن الفيض «۱» أنه كان يوما لدى الامام الصادق عليه السّلام و دار بينهما بعض الحديث فصرح له الامام بأن اسماعيل ليس وصيه.

يقول: «فقلت: جعلت فداك فقد كنا لا نشك ان الرحال ينحط إليه من بعدك».

و فى تتمة الرواية عرف الامام ابنه موسى خليفة له من بعده.

و نقل الطبرى عن إسحاق بن عمار الصيرفى: «كنت بين يدى الامام الصادق عليه السّلام فاشرت الى امامة ولده اسماعيل من بعده

فانكر ذلك» «۲».

و جاء فى رواية اخرى ان الوليد بن صبيح قال للامام الصادق عليه السّلام: قال لى عبد الجليل بأنك جعلت اسماعيل وصيا لك» فانكر الامام ذلك و قال انه الكاظم.

و لذا كان الامام الصادق، يؤكد على ضرورة ان يصدق الشيعة بوفاته.

لأن تصور بقائه على قيد الحياة اضافة الى الاعتقاد بالمهدوية الذى- كان قد روج له بين بعض غلاة الشيعة- كان سينجم عنه حتما خطر ظهور فرقة جديدة بين الشيعة و كان تأكيد الامام الصادق عليه السّلام على موت اسماعيل ينطلق من هذه الرؤية، و يهدف الى الحيلولة دون وقوع هذا الخطر.

ففى رواية عن زرارة انه قال: «دخلت على ابى عبد اللّه عليه السّلام و عن يمينه سيد ولده موسى عليه السّلام، و قدامه مرقد مغطّى، فقال لى: يا زرارة جئنى بداود بن

---

(۱) رجال الكشى ص ۳۰۲، طبعة النجف، مطبعة الآداب.

(۲) نفس المصدر ص ۳۲۶.

كثير الرقى، و حمران، و ابى بصير و دخل عليه المفضل بن عمر. فاحضرته من امرنى باحضارهم، و لم تزل الناس يدخلون واحدا اثر واحد حتى صرنا فى البيت ثلاثين رجلا. فلما حشد المجلس، قال: يا داود اكشف لى عن وجه اسماعيل، فكشف عن وجهه، فقال ابو عبد اللّه عليه السّلام: يا داود احى هو أم ميّت؟ قال داود: يا مولاى هو ميت. فجعل يعرض ذلك على رجل رجل حتى اتى على آخر من فى المجلس و انتهى عليهم باسرهم، كل يقول: هو ميّت يا مولاى. فقال:

اللهم اشهد، ثم امر بغسله و حنوطه و ادراجه فى اثوابه» و كرر الامام ذلك الى أن حمل الى قبره. ثم قال زرارة: «فلما وضع فى لحده قال: يا مفضل اكشف عن وجهه، و قال للجماعة: احى هو أم ميّت؟ قلنا له: ميّت، فقال: اللهم اشهد و اشهدوا فانه سير تاب المبطلون ...».

ثم اعلن موسى بن جعفر عليه السّلام اماما للناس بعده «۱».

يقول الشيخ المفيد: «و روى ان ابا عبد اللّه جزع عليه جزعا شديدا و حزن عليه حزنا عظيما و تقدم سريره بغير حذاء و لا رداء و امر بوضع سريره على الارض قبل دفنه مرارا كثيرة، و كان يكشف عن وجهه و ينظر إليه يريد بذلك تحقيق امر وفاته عند الظانين خلافته له من بعده، و ازالة الشبهة عنهم فى حياته» «۲».

و قد وردت روايات تظهر مدى الاضطراب الذى كان يعانى منه بعض الشيعة، منها ما رواه هشام بن سالم حيث قال:

---

(۱) الغيبة، للنعمانى ص ۳۲۸.

(۲) الارشاد، ص ۲۶۷.

«كنا بالمدينة بعد وفاة ابى عبد اللّه عليه السّلام انا و محمد بن النعمان و مؤمن الطاق و الناس مجتمعون على عبد اللّه بن جعفر انه صاحب الامر بعد ابيه، فدخلنا عليه و الناس عنده فسألناه عن الزكاة فى كم تجب؟ فقال: فى مائتى درهم خمسة دراهم فقلنا: ففى مائة؟ قال: درهمان و نصف. قلنا: و اللّه ما تقول المرجئة هذا. فقال: و اللّه ما ادرى ما تقول المرجئة.

قال فخرجنا ضلّالا ما ندرى الى اين نتوجه انا و ابو جعفر الاحول.

فقعدنا فی بعض ازقة المدينة باكين لا ندری الی اين نتوجه و الی من نقصد نقول الی المرجئة، الی القدرية، الی المعتزلة، الی الزيدية، فنحن كذلك اذ رأيت رجلا- شيخا لا- اعرفه يومئ إليّ بيده فخفت ان يكون عينا من عيون المنصور و ذلك انه كان له بالمدينة جواسيس علی من يجتمع بعد جعفر إليه الناس فيؤخذ فيضرب عنقه. فخفت ان يكون ذلك منهم فقلت للاحول: تنحّ فانی خائف علی نفسی و عليك و انما يريدنی و ليس يريدك فتنحّ عنی لا تهلك فتعين علی نفسك. فتنحّی عنی بعيدا، و تبعت الشيخ و ذلك انی ظننت انی لا اقدر علی التخلص منه. فما زلت اتبعه و قد عزمت علی الموت حتی ورد بی علی باب ابی الحسن موسی عليه السّلام. ثم خلّانی و مصی. فاذا خادم فی الباب فقال لی: ادخل رحمك اللّه. فدخلت فاذا ابو الحسن موسی عليه السّلام ثم لقيت المفضل بن عمر و ابا بصير، فدخلوا عليه و سلموا و سمعوا كلامه و سألوه قال: ثم قطعوا عليه قال: ثم لقينا الناس افواجا قال: و كان كل من دخل عليه قطع عليه الا طائفة مثل عمار الساباطی و اصحابه فبقی عبد اللّه لا يدخل عليه احد الا قليل من الناس» «۱».

من الامور التی تلفت النظر فی الرواية اعلاه، هو ان الشيعة لم يكونوا

---

(۱) الارشاد ص ۲۹۱.

يصدقون كل من يدعی الامامة بلا- بحث أو تحقيق، بل كانوا يعرضون عليه اسئلة خاصة يقيمون بها علمه، فان حصل لهم يقين بكفاءته العلمية يقبلون وصايته، كما تعكس الرواية أيضا مدی دقة اشخاص من امثال هشام و المفضل و ابی بصير.

و يتضح منها أيضا حجم المخاطر و التهديدات التی كان يتعرض لها الشيعة علی يد المنصور حتی ان جماعة من الشيعة التفّت حول عبد اللّه بن جعفر- الملقب بالافطح و لذلك سموا بالفطحية «۱»- و عرضوا عليه بعض الاسئلة حول شئون الحلال و الحرام و الصلاة و الزكاة، و لما وجدوه قاصرا عن الاجابة عليها تركوه.

ذكر النوبختی فی فرق الشيعة «۲» أيضا، بأن هذه الرواية و روايات اخری غيرها تشير الی ميل عبد اللّه من الوجهة العقائدية نحو المرجئة «۳».

كما اشار أيضا الی انقسام الشيعة الی ستّ فرق بعد وفاة الامام الصادق عليه السّلام و كانت كما يلی:

۱- الناووسية: و هم القائلون بمهدوية الامام الصادق عليه السّلام.

۲- الاسماعيلية الخالصة: الذين يصرّون علی ان اسماعيل لا زال حيا.

۳- المباركية: و هم الذين يعتقدون بامامة محمد بن اسماعيل «۴».

۴- السمطية: و هم المعتقدون بامامة محمد بن جعفر المعروف بالديباجة.

---

(۱) ذكرت اسباب اخری لتسمية هذه الفرقة بهذا الاسم. راجع ص ۷۷ من كتاب فرق الشيعة.

(۲) فرق الشيعة ص ۷۷- ۷۸.

(۳) الفصول المختارة ص ۲۵۳.

(۴) الفصول المختارة ص ۲۵۲.

۵- الفطحية: و هم الذين كانوا يعتقدون بامامة عبد اللّه الافطح.

و يعلل النوبختی اسباب انقسام الشيعة الی هذه الفرق، بما يلی:

«اعتقد الشيعة امامته لما روی عنهم عليهم السّلام: الامامة فی الاكبر من ولد الامام اذا مضی فذهبوا إليه، و لما وجدوه عاجزا عن

الاجابة على اسئلتهم تركوه».

و كتب قائلا: «قال بامامته عامة مشايخ الشيعة ثم عبد اللّه مات بعد ابيه بسبعين يوما».

و لم يخلف من بعده ابنا ذكرا فرجع الباقون الا شذاذا عن القول بامامته الى القبول بامامة موسى بن جعفر عليه السّلام و ان كان منهم من كان معتقدا لامامة موسى بن جعفر عليه السّلام اثناء حياة عبد اللّه.

۶- و بقيت فرقة اخرى اعتقدت بامامة موسى بن جعفر عليه السّلام.

و كان من بين شخصيات الشيعة و كبار رجالها ممن اعتقدوا بامامة موسى بن جعفر عليه السّلام هشام بن سالم و عبد اللّه بن يعفور «۱». و عمر بن يزيد بياع السابرى و محمد بن النعمان مؤمن الطاق، و عبيد بن زرارة و جميل بن دراج و ابان بن تغلب «۲» و هشام بن الحكم و هم من علماء الشيعة و أجلّة فقهائها.

و أما غيرهم ممن لم يعتقدوا بامامته فهم عبد اللّه بن بكير بن اعين، و عمار بن موسى الساباطى «۳» و قد ذكر المرحوم الطبرسى فى اعلام الورى الانقسامات التى

---

(۱) يبدو ان هذين الشخصين قد توفيا قبل ذلك.

(۲) يبدو ان هذين الشخصين قد توفيا قبل ذلك.

(۳) فرق الشيعة ص ۷۹.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۱۶

حصلت بين شيعة امير المؤمنين و اشار الى اسبابها أيضا «۱»

المواقف السياسية للامام الكاظم عليه السّلام.

اقترنت حياة الامام الكاظم باول مرحلة من مراحل ظلم و طغيان الخلفاء العباسيين؛ فان بنى العباس كانوا اول تسلمهم للخلافة باسم العلويين يعاملون الناس و خاصة العلويين منهم بالحسنى، لكنهم ما ان ثبتوا اركان حكمهم، و حدثت بعض الثورات المناصرة للعلويين فى ارجاء مختلفة من العالم الاسلامى مما اثار فيهم الخوف و الهلع حتى مارسوا اقسى اشكال الظلم ضد الناس، و عاملوا معارضيهم بمختلف اساليب الكبت و التنكيل، بل قد قضوا على اقرب المقربين إليهم من انصارهم مثل عبد اللّه بن على (بسبب نشاطه السرى لاسقاط العباسيين، و كان يتوقع لنفسه ولاية عهد السفاح) و ابى مسلم الخراسانى، و قتل المنصور عددا كبيرا من العلويين، و مات فى سجنه الكثير منهم أيضا «۲».

و قد بدأت هذه الضغوط فى زمان حياة الامام الصادق عليه السّلام و استمرت فى وتيرة متصاعدة حتى عهد الامام الرضا الذى تزامن مع خلافة المأمون. و فى زمن المأمون شعر الناس بشىء من الأمن السياسى، لكن سرعان ما بدأت الاجهزة الحاكمة بانتهاج سياسة الضغط و القمع من جديد، فبعد ان مهّد الامامان الباقر و الصادق عليهما السّلام الارضية على الصعيد الفكرى العقائدى و اصبح من المتوقع لتلك الحركة الثقافية ان تقود ثورة سياسية كبرى بدأ الحكام العباسيون تهديداتهم و ضغوطهم ضد معارضيهم.

---

(۱) اعلام الورى ص ۲۸۸.

(۲) الفخرى فى الآداب السلطانية ص ۱۶۳- ۱۶۴.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۱۷

و وجد الامام الكاظم عليه السّلام نفسه بين امرين بين هذه الضغوط من جهة، و بين مسئوليته الكبرى فى رعاية الشيعة و المحافظة

عليهم من جهة ثانية، اذ ان الامام لو لم يكن لديه عمل و نشاط غير اقرار العلاقات بين الشيعة و قيادتهم لكان ذلك كافيا فى جعل الامام اكبر خطر يتهدد العباسيين و كيانهم.

لقد اقترنت امامة الكاظم عليه السّلام بخلافة المنصور (المتوفى عام ۱۵۸ ه) و المهدى (المتوفى عام ۱۶۹ ه) و الهادى (المتوفى عام ۱۷۰ ه) و استمرت الى زمان وفاته فى العام ۱۸۳ ه.

و كما ذكرنا سابقا، فان الفترة التى تولى فيها الامام الكاظم عليه السّلام الامامة كانت فترة عصيبة على الشيعة حيث قام الشيعة و العلويون بعدة ثورات ضد خلفاء بنى العباس كان من اهمها ثورة الحسين بن على شهيد فخ التى حدثت فى زمن خلافة الهادى و ثورة يحيى و ادريس ابنا عبد اللّه التى وقعت فى زمن هارون.

و قد نقلت كتب التاريخ و الحديث المواقف التى اتخذها الخلفاء العباسيون مع الامام الكاظم و من ابرزها موقف هارون منه، هذا فى الوقت الذى ينبغى الالتفات الى ان ائمة الشيعة كانوا يؤكدون باجمعهم على ضرورة التزام مبدأ التقية و السعى لادارة قواعد الشيعة و قيادتها بخفية، و هو ما ينتج عنه طبعا عدم قدرة التاريخ على اعطاء تقييم صحيح و دقيق لتحركاتهم السياسية. اضافة الى ذلك فان الدليل القاطع على وجود مثل تلك القيمة و تلك الاهمية هى النتيجة التى افرزها ذلك التحرك السياسى المتمثل بقيادة تيار اصبح من ذلك الحين احد اكبر تيارين موجودين فى المجتمع الاسلامى، فقيادة تلك الحركة، و الدقة التى استخدمت فى ادارتها و توجيهها مما لا يمكن تجاهله. و الشواهد الواردة فى التاريخ و اضطرار هارون الى قتل الامام الكاظم و الاسلوب المخادع الذى ارتكبت به تلك الجريمة

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۱۸

المروعة حيث ارتكبت تلك الجريمة تحت غطاء مزيف يعكس عدم رغبة هارون فى المنظار السياسى بتبنى مثل هذه الجريمة و الاعتراف بانه مات مقتولا يعكس مدى الخطر الذى كان يشعر به هارون من وجود الامام على خلافته، رغم اعترافه بعدم ثبوت اية تهمة ضد الامام.

و نحن فيما يلى ننقل مواقف الخلفاء مع الامام الكاظم محاولين فى ذلك ابراز اهمية الدور الذى لعبه الامام فى القضايا السياسية.

كتب ابن شهرآشوب فى كتابه عن موقف المنصور ازاء الامام الكاظم عليه السّلام ما يلى:

«طلب المنصور من الامام ان يجلس مكانه فى عيد النوروز و يستلم نيابة عنه ما يؤتى إليه من هدايا، فقال له الامام: انى قد فتشت الاخبار عن جدى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فلم اجد لهذا العيد خبرا انه سنة للفرس و محاها الاسلام و معاذ اللّه ان نحيى ما محاه الاسلام». قال المنصور: أنما نفعل ذلك سياسة للجند فسألتك باللّه العظيم الا جلست فجلس. و دخلت عليه الملوك و الامراء و الاجناد يهنونه و يحملون إليه الهدايا و التحف و على رأسه خادم المنصور يحصى ما يحمل و قد كان المنصور يفعل ذلك لأن اغلب جنده كانوا من الايرانيين و كانوا يقدمون للمنصور فى هذا العيد هدايا ثمينة ليضيف بها اموالا على امواله و هو المشهور بالبخل» «۱».

و يعبر جواب الامام عن حقيقة ينبغى لنا الالتفات إليها جيدا.

و فى فترة خلافة المهدى كان الامام مشغولا بالتدريس و نقل الاحاديث

---

(۱) المناقب، ج ۲ ص ۳۷۹، مسند الامام الكاظم ج ۱ ص ۵۱- ۵۲.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۱۹

و ممارسة النشاطات السرية احيانا، و قد سجل له التاريخ خلال تلك الفترة مواقف مهمة تسترعى الانتباه، كان من ابرزها ما نقله بعض المؤرخين من امثال ابن الاثير و الخطيب البغدادى و ابن خلكان و رواة الشيعة. فقد نقل انه تعرض لفترة طويلة من السجن ثم اطلق

سراحه فى بغداد.

و يحتمل ان تكون عطايا الامام و هباته قد ارعبت المهدى فظن ان الامام يجمع الاموال لينفقها فى تنظيم الشيعة و تقويتهم فامر عامله على المدينة بحبس الامام فحبسه و بعث به مقيدا الى بغداد فاودع السجن.

و بينما كان الامام حبيس سجنه رأى المهدى العباسى الامام عليا عليه السّلام فى الحلم و هو يتلو عليه الآية: فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَ تُقَطِّعُوا أَرْحامَكُمْ «۱»، فقام من ساعته فنادى الربيع حاجبه فامره باحضار موسى بن جعفر عليه السّلام إليه فلما حضر قص عليه رؤياه و قال: «أ فتؤمننى ان لا تخرج علىّ أو على احد من ولدى؟» فاجابه الامام عليه السّلام: «و اللّه ما فعلت ذلك و لا هو من شأنى» فصدق المهدى كلامه و دفع له ثلاثة آلاف دينار ليعود الامام راضيا الى المدينة» «۲».

و قد حدث نظير هذا فى عهد هارون و هو ما سنأتى على ذكره لاحقا.

---

(۱) سورة محمد: ۴۷.

(۲) حياة الامام موسى بن جعفر ج ۱ ص ۴۵۴ نقلا عن: نور الابصار ص ۱۳۶، تاريخ بغداد ج ۱۳ ص ۳۰، وفيات الاعيان ج ۵ ص ۳۰۸، المناقب لابن شهرآشوب ج ۲ ص ۲۶۴، جهاد الشيعة ص ۲۵۱، نقلا عن مقاتل الطالبيين ص ۵۰۰، مسند الامام الكاظم ج ۱ ص ۵۷، نقلا عن كشف الغمة ج ۲ ص ۲۱۳، الكامل فى التاريخ ج ۶ ص ۵۸، مرآة الجنان ج ۱ ص ۲۹۴، تتمة المختصر ج ۱ ص ۳۱۰، شذرات الذهب ج ۱ ص ۳۰۴.

كما واجه من الاحداث ما لم يواجهه احد من سائر الائمة سوى الامام امير المؤمنين عليه السّلام. و يمكن العثور على كثير من هذه الشواهد ليس فى المصادر الشيعية فحسب، بل فى المصادر السنية أيضا.

فقد روى ان الامام جاء الى المهدى العباسى و وجده يرد المظالم فقال له:

«ما بال مظلمتنا يا أمير المؤمنين لا تردّ؟ فقال له: و ما هى يا ابا الحسن؟ فقال له: ان اللّه عز و جل لما فتح على نبيه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فدك و ما ولاها ما لم يوجف عليها بخيل و لا ركاب، فانزل اللّه تعالى على نبيه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: وَ آتِ ذَا الْقُرْبى حَقَّهُ، نحلها النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم الى ابنته فاطمة ملكا خالصا، و بعد وفاته اخرج عنها ابو بكر وكلاءها فاتته بشهود و هم على و الحسنين و أم ايمن فشهدوا لها بذلك فكتب لها بترك التعرض الا ان الخليفة الثانى عارض الامر و منعها من فدك، فقال المهدى للامام الكاظم: حدها لى: فحدها، فقال هذا كثير فانظر فيه» «۱».

لكن المهدى ما كان ليفعل ذلك طبعا لأن وجود هكذا ثروة بيد الامام الكاظم عليه السّلام تشكل خطرا على حكومته.

و تولى الخلافة بعد المهدى ابنه الهادى، لكنه لم يبق على قيد الحياة اكثر من سنة، و فى ايام خلافته ثار الحسين بن على شهيد فخّ و قتل و لما جيء برأسه الى الهادى العباسى، تغنى ببعض الاشعار وصف فيها الطالبيين بقطع الرحم و ... ثم صرح بما يجول فى خاطره من قلق شديد من موسى بن جعفر عليه السّلام و أقسم انه سيقتله، فقال:

«و اللّه ان الحسين (شهيد فخّ) ثار بأمر منه (الامام الكاظم) و كان شديد

---

(۱) التهذيب ج ۴ ص ۱۴۸، مسند الامام الكاظم ج ۱ ص ۵۶- ۵۷.

التأثر به، فهو صاحب الامر النافذ فى هذا البيت قتلنى اللّه ان لم اقتله».

و كان القاضى ابو يوسف حاضرا فى المجلس فهدأ من روعه و قال له: «لا موسى بن جعفر و لا اى من ابناء هذا البيت يعتقد بالثورة

ضد الخلفاء» «۱».

لقد كان النشاط السرى لائمة الشيعة يجرى فى الخفاء، حتى ان خصومهم ما كانوا يتصورون ان فى نيتهم الثورة ضد الخلفاء. و بغض النظر عن مدى صحة قول الهادى بشأن ثورة الحسين بن على شهيد فخ، و كونها حصلت بأمر الامام أم لا، فان كلام القاضى ابى يوسف يعكس مدى سرية النشاط الذى كان يضطلع به الامام الكاظم عليه السّلام حتى ان الشيعة الزيدية- الذين كان يعتبرون فرقة متطرفة- تصوروا الامام الصادق عليه السّلام رجلا لا يؤمن بالجهاد الا ان الامام عليه السّلام- و كما ذكرنا سابقا- رد ادعاءهم و قال: هيهات ان ادع علمى لجهلهم».

و جاء فى الرواية المتقدمة ان الامام حين سمع بتهديد الهادى العباسى دعا عليه، و سرعان ما بلغ نبأ موته المدينة «۲» بينما كان المحيطون بالامام قد طلبوا منه التخفى عن أعين بنى العباس.

اما بالنسبة الى شهيد فخّ و ثورته فينبغى الاشارة الى انه يمكن تصنيفها ضمن سلسلة الثورات الزيدية فعلى الرغم من ان تلك الثورات كانت تمتاز بالاخلاص و صدق النية و ان بعض قادتها كانوا من العلماء و الفضلاء و رغم كثرة اتباعها و انصارها الا انها و نتيجة لعوامل سياسية مختلفة لم تؤد الى نتيجة مثمرة و لم

---

(۱) حياة الامام موسى الكاظم ج ۱ ص ۴۷۲، نقلا عن بحار الانوار ج ۱۱ ص ۲۷۸، المناقب ج ۲ ص ۳۷۰.

(۲) راجع كتاب: المناقب ج ۲ ص ۳۷۰، عيون اخبار الرضا ج ۱ ص ۷۹، الدعاء الذى قرأه الامام لما بلغه تهديد الخليفة يسمى بالجوشن الصغير، و هو موجود فى كتب الادعية.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۲۲

يتمكن قادتها من تحقيق ادنى انتصار لهم لا فى العراق، و لا فى غيره من البلاد الاسلامية، و لم يكن من الصحيح طبعا بالنسبة للشيعة الاثنى عشرية المشاركة فى تلك الثورات، خصوصا و ان الفواصل اخذت تتعمق تدريجيا بينهم و بين الزيدية، لأن زعامة الزيدية كانت بيد اشخاص غير ائمة الشيعة و لعل جذور هذا الاختلاف بين الشيعة و الزيدية ترجع الى ايام زيد، و بلغ ذروته أيام ثورة محمد ذى النفس الزكية، حيث انقطعت سبل التعاون بين الزيدية و الشيعة، فعند ما ثار شهيد فخ شارك فى ثورته اكثر العلويين فى المدينة، الا ان موسى بن جعفر لم يشارك فيها، بل و حذّره أيضا حتمية هزيمته و مقتله «۱». و رغم ان شهيد فخ كان يبدو عازما على الثورة منذ بداية الامر، الا ان الضغوط التى مارسها الهادى العباسى ضد علويى المدينة- و جور والى المدينة- و كان من سلالة الخليفة الثانى- قد عجل فى اندلاع الثورة فاعلنت فى ايام الحج، فى وقت كان الخليفة قد ارسل جموعا غفيرة من الناس الى مكة. و قوبلت الثورة بردود فعل من قبل قوى خاصة ما كان بوسعها ان تقف الى جانب الخليفة الا فى فى تلك الايام و انتهت المعركة بهزيمة و مقتل الحسين بن على و اكثر اتباعه و لما جيء بالرؤوس الى موسى بن عيسى و كان فى مجلسه عدد من ابناء على بن ابى طالب عليه السّلام و من بينهم الامام موسى بن جعفر عليه السّلام، اشار موسى بن عيسى الى رأس الحسين بن على و سأل الامام عليهم السّلام «أ هذا رأس الحسين بن على؟» فقال له: «نعم أنا للّه و انا إليه راجعون مضى و اللّه مسلما، صالحا، قوّاما، آمرا بالمعروف، و ناهيا عن المنكر، و ما كان فى اهل بيته مثله» «۲». فسكت موسى بن عيسى و لم يجب بشيء.

---

(۱) مقاتل الطالبيين. ص ۲۹۷- ۲۹۸.

(۲) مقاتل الطالبيين، ص ۳۰۲.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۲۳

الامام الكاظم عليه السّلام و هارون الرشيد

اشارة

ان القسم الاعظم من الروايات الواردة بشأن حياة الامام الكاظم عليه السّلام تتحدث عن المصاعب التى تعرض لها على يد هارون الرشيد و نحن سنحاول استعراض تلك الروايات ضمن الابواب الثلاث التالية:

۱- الروايات الواردة بشأن العلاقة بين الامام و هارون، و تتضمن أيضا مواضيع و نقاط ذات اهمية خاصة.

۲- الروايات المتعلقة بالقبض على الامام و سجنه.

۳- الروايات الواردة بشأن شهادته.

يجب الاشارة قبل كل شىء الى ان هارون قد تسلم زمام الامور من العام ۱۷۰ ه، و حتى العام ۱۹۳ ه. و كانت له خلال هذه الفترة صراعات مختلفة مع العلويين فقتل و عذب الكثير منهم.

و قد سطر اخبار تلك الحوادث ابو الفرج الاصفهانى فى (مقاتل الطالبيين)، كما ذكر الطبرى بعضا منها فى كتابه أيضا. و على العموم فان الضغط الذى مارسه الرشيد على الشيعة لا يمكن مقارنته ابدا بالضغوط التى مورست ضدهم فى العهود السابقة له، بل ينبغى مقارنته بادوار نظير عهد المتوكل، و لا ينفى هذا طبعا تهاون هارون مع بعض خصومه و خاصة العلويين منهم فى بعض المواقف.

و لكن ذلك- للاسف- لا يمكن وضعه فى اطار مسار تأريخى منتظم بسبب عدم وجود تاريخ دقيق يوضّح طبيعة المواقف و العلاقة بين الامام الكاظم عليه السّلام و هارون الرشيد.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۲۴

۱- مواقف هارون الرشيد من الامام:

يظهر من بعض الروايات ان الرشيد لم يبد موقفا شديدا ازاء الامام فى بداية حكمه، لكنه اخذ بالضغط على الامام تدريجيا. فقد وردت رواية فى كتاب الاختصاص نذكرها فيما يلى:

«كان مما قال هارون لأبى الحسن عليه السّلام حين ادخل عليه: ما هذه الدار؟

فقال: هذه دار الفاسقين.

فقال له هارون: فدار من هى؟ قال: هى لشيعتنا فترة و لغيرهم فتنة، قال:

فما بال صاحب الدار لا يأخذها؟

فقال: اخذت منه عامرة و لا يأخذها الا معمورة، قال: فاين شيعتك؟

فقرأ ابو الحسن عليه السّلام: لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب و المشركين منفكّين عنك حتى تأتيهم البينة «۱».

فقال له: فنحن كفار؟

قال: لا، و لكن كما قال اللّه: الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْراً وَ أَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دارَ الْبَوارِ «۲». فغضب عند ذلك و غلظ عليه «۳».

كما ذكر الشيخ الصدوق رواية اخرى اشير فيها الى ان الرشيد ارسل مرة فى طلب موسى بن جعفر عليه السّلام، و امر باحضاره من توّه.

---

(۱) البينة: ۱.

(۲) ابراهيم: ۲۸.

(۳) الاختصاص ص ۳۶۲، تفسير العياشى ج ۲ ص ۲۳۰، بحار الانوار ج ۴۸ ص ۱۳۸.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۲۵

و لما بلغه رسول الخليفة فى المدينة طلب منه المثول عند الخليفة.

فقال الامام عليه السّلام: «لو لا حديث سمعته من جدى بوجوب اطاعة السلطان تقية، لما ذهبت إليه». و لما حضر عند هارون، كتم هارون غضبه و اخذ يلاطف الامام و سأله: ما يمنعك من لقائنا؟ فقال: سعة مملكتك و حبك الدنيا.

فقدّم له الرشيد هدايا ثمينة فقال الامام عليه السّلام: و اللّه لو لا أنى ارى ان ازوّج بها من عزاب بنى ابى طالب لئلا ينقطع نسلهم ما قبلتها ابدا» «۱».

۲- سجن الامام:

هناك اخبار متعددة و مختلفة وردت بشأن سجن الامام يستفاد من مجموعها ان الامام الكاظم اودع السجن مرتين على يد هارون الرشيد، و كانت المرة الثانية ما بين عام ۱۷۹ ه و عام ۱۸۳ ه، اى انها استمرت مدة اربع سنوات و انتهت باستشهاده. أما بالنسبة الى المرة الاولى التى اودع فيها الامام السجن، فرغم ان الروايات اشارت إليها، الا انها لم تتطرق ابدا الى ذكر مدتها. و الدليل على ان الامام أودع السجن مرتين على يد هارون الرشيد، هو اشارات المؤرخين الى تلك القضية. اضافة الى ما ورد فى الروايات التاريخية عن اطلاق سراح الامام من السجن فى المرة الاولى و هو ما نقله الكثير من رواة الاخبار.

يقول المسعودى: «قال عبد اللّه بن مالك الخزاعى رئيس ديوان شرطة الرشيد: دخل علىّ مبعوث هارون فى وقت لا يجيئنى فيه ابدا فلم يدعنى ارتدى لباسى حتى اخذنى عنده، فلما بلغته حييته و جلست، و كان السكوت

---

(۱) عيون اخبار الرضا ج ۱ ص ۷۵- ۷۶.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۲۶

مخيما على كل زاوية من زوايا القصر فداخلنى من ذلك قلق و خوف. و بينما انا كذلك إذ قال هارون: يا عبد اللّه أ تدرى لما ذا احضرتك؟ قلت: لا، قال: رأيت حبشيا فى منامى و بيده سيف و هو يقول لى: اطلق عن موسى بن جعفر الساعة و الا قطعت رأسك بسيفى هذا، فاذهب إليه فاطلقه و اعطه ثلاثين الف درهم، و قل له:

ان كان له حاجة أو اراد البقاء هنا قضينا حاجته، و ان اراد ان يرجع الى المدينة فجهزه. فسألته غير مصدق: أ تأمر ان اطلق موسى بن جعفر؟ اعدتها عليه ثلاثا، و هو فى كل مرة يكرر كلامه، و يؤكد عليه. فخرجت من هارون، و دخلت السجن. فلما رآنى موسى بن جعفر قام مرعوبا و كأنه ظن أنّى سأوذيه فقلت:

مهلا، امرت ان اطلقك الساعة و اعطيك ثلاثين الف درهم، فلما سمع موسى بن جعفر ذلك قال: رأيت جدّى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و هو يقول يا موسى سجنت مظلوما فاقرأ هذا الدعاء و ستخرج الليلة من سجنك ثم قرأ الدعاء» «۱».

ان وجود هذه الرواية فى الكتب التاريخية الاخرى، دليل على شهرتها بين المؤرخين، رغم ما فيها من اختلاف فى اسماء الاشخاص و ...

و قد نقل الشيخ الصدوق هذه الرواية بتفصيل اكثر «۲».

و هذه الحادثة شبيهة بتلك التى وقعت فى عهد المهدى العباسى، و ان نقلها من قبل مصادر اهل السنة دليل على قبولها عند مؤرخيهم أيضا اذ ان اهالى بغداد- و كما اشير فى موضع آخر- كانوا يحتفظون بالكثير من الذكريات حول الامام الكاظم عليه السّلام، و كان قبره مزارا لهم أيضا، و كان يعرف عندهم بباب الحوائج.

---

(۱) مروج الذهب ج ۳ ص ۳۵۶، شذرات الذهب ج ۱ ص ۳۰۴، وفيات الاعيان ج ۵ ص ۳۰۱- ۳۰۹.

(۲) عيون اخبار الرضا ج ۱ ص ۲۷۳، أمالى الصدوق ۲۲۶، و راجع كتاب: مهج الدعوات لابن طاوس ص ۲۴۵، مسند الامام الكاظم ج ۱ ص ۹۲.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۲۷

و على كل حال فان هذا الخبر يشير الى ان هارون كان يشعر بحساسية شديدة تجاه موسى بن جعفر علاوة على ما كان يحمل من خشونة و قسوة تجاه العلويين.

و لم يحفظ الامام من شرّ هارون الا اتّباعه للتقية، و الرؤيا المنطوية على التخويف و التهديد، كالمثال الذى اشرنا إليه آنفا، الا ان شعور هارون بخطورة الامام على حكمه، و الحقد و البغض الذى كان يكنّه له، و كذلك المكانة التى كان يتمتع بها الامام بين الشيعة بصفته زعيما و قائدا لهم، و حسد بعض العلويين له و سعايتهم الى هارون الرشيد ضدّه دفعت هارون الى التضييق عليه. و فيما يلى امثلة للحوادث التى ادت الى وضع الامام فى السجن:

لقد ادى تأكيد النبى على وجوب اعتبار الحسنين عليهما السّلام ابنين له الى ان يكون لاهل البيت عليهم السّلام جلالا و عظمة خاصة بين المسلمين. و هذا ما كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يبغيه، حيث كان يهدف من وراء ذلك الى تركيز مكانة سامية لهم فى المجتمع الاسلامى، و قد رويت عنه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم روايات كثيرة فى هذا الصدد وردت بكثرة فى مصادر اهل السنة و الشيعة، من جملتها حديث الثقلين و حديث السفينة.

ان اعتبار الحسنين عليهما السّلام ابنين لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أدى الى انعطاف انظار المسلمين نحوهما، و لهذا السبب كان اعداء اهل البيت عليهم السّلام يحاولون انكار هذا المبدأ. و رغم ان الاكثرية الساحقة من المسلمين كانت تنظر إليهما بصفتهما ابنين لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، الا ان ذلك كان يثير غضب الحكام فيدعون الناس الى اعتبارهما ابنى على عليه السّلام «۱».

---

(۱) كشف الغمة ج ۲ ص ۱۷۶.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۲۸

و كان عمرو بن العاص ممن ينفر من ذلك أيضا، كما كان الحجاج يبدى تأثرا عجيبا منها، فعند ما بلغه ان يحيى بن يعمر يعدّ الحسن و الحسين ابنين لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم استدعاه من خراسان، و شدّد عليه ليأتيه بدليل من القرآن على هذا الادعاء، فقرأ عليه الآية ۸۵ من سورة الانعام التى تشير بصراحة الى ان عيسى من ابناء ابراهيم عليه السّلام، و استدل على ذلك كما يلى: «اذ كان القرآن يعتبر عيسى ابنا لإبراهيم و هو لا يرتبط به بنسب الا من جهة الأمّ فلما ذا لا يمكن اعتبار الحسنين ابناء لرسول اللّه؟» «۱».

و قد اورد الاستاذ السيد جعفر مرتضى العاملى ادلة و شواهد اكثر على هذا الموضوع فى كتابه القيم (الحياة السياسية للامام الحسن) «۲».

و قد تعرض لهذه المسألة أيضا فى زمن هارون من خلال مواقفه مع اهل بيت النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و خاصة مع الامام الكاظم، و قد كان استدلال الامام على هذه القضية- فى احد المواقف على الاقل- سببا من اسباب سجنه، فقد ورد ان هارون الرشيد سأل الامام الكاظم عليه السّلام: «أ تقولون أننا من ذرية رسول اللّه و لم يكن لرسول اللّه ابناء، و انما انتم ابناء ابنته» فذكر له الامام دليلين:

۱- الآية ۸۵ من سورة الانعام التى تعتبر عيسى ابنا لإبراهيم.

۲- آية المباهلة، التى كان الحسنان يمثلان فيها المصداق الخارجى ل (أبناءنا) «۳».

(۱) وفيات الاعيان ج ۶ ص ۱۷۴، تفسير ابن كثير ج ۲ ص ۱۵۵، الدر المنثور ج ۳ ص ۲۸، نور الابصار ص ۲۱- ۲۲.

(۲) راجع: الحياة السياسية للامام الحسن عليه السّلام ص ۳۴- ۳۵.

(۳) نور الابصار ص ۱۴۸- ۱۴۹، عيون اخبار الرضا ج ۱ ص ۸۴- ۸۵، الصواعق المحرقة ص ۲۰۳،

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۲۹

و كانت هذه القضية اكثر اثارة بالنسبة للعباسيين الذين كانوا يعتبرون انفسهم ابناء عم النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و يستدلون بقاعدة الوارثة لاثبات افضليتهم و احقيتهم بالحكم، و كانوا يشيرون فى استدلالهم الى ان العباس هو عم النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و قد بقى حيا بعد وفاة النبى، و مع وجوده لا يبقى حق لسائر ابناء عمومته. و قد نظم مروان بن حفصة شعرا يقوم على هذا الاستدلال ورد فيه:

انّى يكون و لا يكون و لم يكن‌لبنى البنات وراثة الاعمام و قد نقلت ضمن هذا السياق ابيات شعرية جميلة منسوبة للامام الكاظم عليه السّلام فى الرد على هذه الابيات «۱».

أما الشيعة فلم يعيروا قضية الوراثة آية اهمية لاثبات الامامة، بل استندوا الى النصوص الواردة عن النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و كذا النصوص الواردة عن الامام السابق فى تعيين الامام اللاحق. و ليس غير بنى العباس من ركز على الوارثة، و ذلك لحصر الخلافة بهم. و لهذا كانوا يحرصون على اظهار الحسنين ابنين لعلى عليه السّلام لا للنبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و بذلك لا ينتفى امر وراثتهما فحسب، بل هم بذلك يعرضون ما يحظى به اهل البيت عليهم السّلام من احترام و اهتمام فى المجتمع كابناء لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم للشك و الترديد. و يمكن القول باطمينان ان النفوذ المعنوى الذى كان يتمتع به العلويون فى مجتمعات اهل السنة آنذاك فى ايران و اليمن و الشام و غيرها، كان يعود فى الغالب الى اقوال النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى منزلة اهل بيته العظيمة، و تلقى الحسنين عليه السّلام بعنوان (ابناءنا).

ينابيع المودة ص ۴۳۵، مسند الامام الكاظم ج ۱ ص ۵۰.

(۱) الاحتجاج ج ۲ ص ۱۶۷.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۳۰

و قد ذكر ابن الاثير «ان هارون الرشيد اعتمر فى شهر رمضان من السنة ۱۷۹ ه، فلما عاد الى المدينة على ساكنها السلام دخل الى قبر النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يزوره و معه الناس، فلما انتهى الى القبر وقف و قال: السلام عليك يا رسول اللّه، يا ابن عم، افتخارا على من حوله.

فدنا موسى بن جعفر فقال: السلام عليك يا ابه.

فتغير وجه الرشيد و قال: هذا الفخر يا ابا الحسن جدا.

ثم امر به فحبس عند السندى بن شاهك «۱».

و اورد اليافعى هذه الرواية بشكل مختصر «۲».

ثم التفت هارون الى يحيى بن جعفر و قال: «اشهد انه ابوه حقا» «۳».

و يعد هذا القول بمثابة اعتراف صريح بعدم أحقية بنى العباس بالخلافة بناء على مدعاهم من كون الخلافة تنتقل وفقا لقواعد الوراثة، كما يعد اعترافا منه بان العلويين من نسل فاطمة عليها السّلام ابناء للنبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

و يظهر من سجن الامام عقيب ذلك ان كلام الامام ذاك اعتبر بمثابة تحرك سياسى ضد هارون. ان مواقف كهذه من الامام الكاظم

عليه السّلام كانت تشتمل على مخاطر على هارون.

---

(۱) ابن الاثير، ج ۶ ص ۱۶۴، و راجع كتاب الاحتجاج ج ۲ ص ۱۶۵، روضة الواعظين ص ۱۸۷، الصواعق المحرقة ص ۲۰۴.

(۲) مرآة الجنان ج ۱ ص ۳۹۵.

(۳) كامل الزيارات ص ۱۸، الكافى ج ۴ ص ۵۵۳.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۳۱

۳- استشهاد الامام:

إن لاعتقال الامام و سجنه دوافع اخرى أيضا، من جملتها انه كان على الشيعة اخفاء ما يتعلق بالامام و زعامته، و عدم افشاء ما يقال لهم من اسرار القيادة الشرعية. الا أنه قد يحصل احيانا انهم يذيعون بعض المواضيع بشأن امامة موسى بن جعفر و وجوب طاعته، و هو ما كان يسبب لهم و للامام الكثير من المتاعب. و هذه المشكلة كانت موجودة أيضا فى عهد الامام الصادق عليه السّلام الذى كانت تغلب على المنصور حساسية خاصة تجاهه. لكن انتهاج الائمة مبدأ التقية كما ذكرنا سابقا، خلق تصورا لدى العباسيين بعدم وجود نوايا لدى الشيعة و امامهم بالثورة على الخليفة و ان كانوا يدّعون الامامة. و لهذا كان الناس ينصحون العلويين الذين يتفقون مع زعماء الزيدية فى الرأى بالقول: كونوا كابن عمكم (موسى بن جعفر) لتكونوا فى مأمن.

و رغم اعتقاد الائمة بانحصار الامامة و الزعامة فيهم و ثبوت بطلان النظام الحاكم لديهم، الا أنهم لم يجوزوا الثورة عليه، لأنهم لم يكونوا يرون فى الثورة نتيجة مثمرة. هذا هو الوضع الذى كان يعيشه الشيعة. و لكن قد يحدث احيانا ان يفضى بعض شيئا من عقيدتهم بوجوب اتباع الامام الكاظم عليه السّلام. فيسبب له الكثير من المشاكل. و انطلاقا من هذه الزاوية يمكن القول ان احد اسباب سجن الامام الكاظم عليه السّلام هو وجود مثل هذه العقائد التى كانت تعتبر من جملة الاخطار الكثيرة التى تهدّد بنى العباس. و قد تضمنت كتبنا الروائية بابا تحت عنوان: (باب تحريم اذاعة الحق مع الخوف به) «۱» يشتمل على احاديث كثيرة فى هذا المجال، رويت عن الائمة و خاصة عن الامام الصادق عليه السّلام. كما وردت فى كتاب رجال

---

(۱) مستدرك الوسائل ج ۱۲ ص ۲۸۹.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۳۲

الكشى رواية طويلة نسبيا عن يونس بن عبد الرحمن يمكن اعتبارها مثالا واضحا لما ذكرنا، فقد ورد فى تلك الرواية:

«كان يحيى بن خالد البرمكى قد وجد على هشام بن الحكم شيئا من طعنه على الفلاسفة، واجب ان يغرى به هارون و يغريه على القتل. قال: و كان هارون لما بلغه عن هشام مال إليه ... فقال يحيى لهارون: انى قد استبطنت امر هشام فاذا هو يزعم ان للّه فى ارضه اماما غيرك مفروض الطاعة. قال: سبحان اللّه، قال: نعم و يزعم أنه لو امره بالخروج لخرج، و انما كنا نرى انه ممن يرى الالباد بالارض (عدم الخروج على السلطان).

فقال هارون ليحيى: فاجمع عندك المتكلمين و اكون انا من وراء الستر بينى و بينهم، لا يفطنون بى، و لا يمتنع كل واحد منهم ان يأتى باصله لهيبتى.

فتوجه يحيى فاشحن المجلس من المتكلمين، و ابتدءوا بالمناظرة. و لما انتهوا الى طريق مسدود، قال لهم يحيى بن خالد: أ ترضون فيما بينكم هشاما حكما؟

قالوا: قد رضينا أيها الوزير، و أنّى لنا به و هو عليل، فوجه إليه يحيى لاحضاره الى المجلس.

و كان هشام قد عزم إن منّ اللّه عليه من تلك العلة ان يشخص الى الكوفة، و يحرّم الكلام، و يلزم المسجد. و لكنه اضطر امام اصرار يحيى لحضور المجلس.

و بعد ان اطّلع على المورد الذى انتهت إليه المناظرة، حكم لبعض على بعض فكان من المحكومين سليمان بن جرير.

ثم طلب إليه يحيى ان يبين رأيه فى فساد اختيار الناس للامام. فتكلم هشام فى ذلك على كراهية. فلما فرغ من كلامه، قال يحيى لسليمان بن جرير:

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۳۳

قوله: سل ابا محمد عن شيء من هذا الباب فقال سليمان لهشام .. اخبرنى عن على بن ابى طالب مفروض الطاعة؟

فقال هشام: نعم، فقال له: فان امرك الذى بعده بالخروج بالسيف تفعل و تطيعه؟

فقال هشام: لا يأمرنى. قال: و لم اذا كانت طاعته مفروضة عليك، و عليك ان تطيعه؟

قال هشام: عد عن هذا فقد تبين منه الجواب. قال سليمان: فلم يأمرك فى حال تطيعه، و فى حال لا تطيعه؟ فقال هشام: ويحك لم أقل لك انى لا اطيعه فتقول ان طاعته مفروضة، انما قلت لك لا يأمرنى.

قال سليمان: ليس اسألك الا على سبيل سلطان الجدل ليس على الجواب انه لا يامرك.

فقال هشام: كم تحول حول الحمى، هل هو الا ان اقول لك ان امرنى فعلت، فينقطع اقبح الانقطاع و لا يكون عندك زيادة، و انا اعلم ما تحت قولى، و ما يؤول إليه جوابى.

فتغير وجه هارون و قال: قد افصح، فبعث الى ابى الحسن موسى عليه السّلام فحبسه.

و اضاف يونس بن عبد الرحمن بعد ذكره للخبر: «فكان هذا سبب حبسه مع غيره من الاسباب».

ثم صار هشام الى الكوفة، و هو يعقب علته، و مات فى دار ابن شرف

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۳۴

بالكوفة رحمه اللّه «۱».

و جاء فى رواية اخرى: «ان الامام امر هشام بن الحكم بالسكوت، فامسك هشام بن الحكم عن الكلام شهرا لم يتكلم ثم تكلم، فاتاه عبد الرحمن بن الحجاج رسولا من الامام، فقال له: سبحان اللّه يا ابا محمد تكلمت و قد نهيت عن الكلام.

قال: مثلى لا ينهى عن الكلام. فلما كان من قابل آتاه عبد الرحمن بن الحجاج، فقال له: يا هشام ان الامام يقول لك هل يسرّك ان تشرك فى دم امرئ مسلم؟

قال: لا. قال: و كيف تشرك فى دمى، فان سكت و الا فهو الذبح. فما سكت حتى كان من امره ما كان» «۲».

و هذه الرواية تعبّر بكل وضوح عما سبق منا القول إليه.

و رويت أيضا فى هذا السياق رواية اخرى يحتمل ان تكون نفس هذه لكنها تشتمل على اضافة هى: «ان هارون كان متخفيا خلف ستار يستمع للمناظرة، و قد اتفق الحاضرون على عدم مناقشته الا فى موضوع الامامة. و قد سمع هارون الرأى الصريح لهشام فذعر و عضّ على شفته و قال: مثل هذا حى و يبقى لى ملكى ساعة واحدة؟ فو اللّه للسان هذا ابلغ فى قلوب الناس من مائة الف سيف».

و علم هشام أنه قد اتى فقام، و لبس نعليه، و انسلّ و هرب، و مر من فوره نحو الكوفة و نزل على بشير النبّال، و كان من حملة الحديث و من اصحاب ابى عبد اللّه الصادق عليه السّلام فاخبره الخبر، ثم اعتل علة شديدة فقال له بشير: آتيك بطبيب؟ قال: لا، انا ميت.

---

(۱) رجال الكشى ص ۲۵۶- ۲۶۲.

(۲) رجال الكشى ص ۲۷۱.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۳۵

و كان هارون عند ما طلبه و لم يجده، اخذ اخوته و اصحابه و حبسهم. و لما بلغه خبر موته خلّى عمن كان اخذ به «۱».

و يذكر الصدوق فى مكان آخر سببا آخر لاستشهاد الامام الكاظم عليه السّلام، فهو يذكر ان من اسباب شهادته هو ان هارون ضاق صدره مما كان يظهر له من فضل موسى بن جعفر عليهما السّلام، و ما كان يبلغه من قول الشيعة بامامته، و اختلافهم فى السرّ إليه بالليل و النهار خشية على نفسه و ملكه، و اشار كذلك الى سعاية بعض المقربين إليه. مضافا الى ذلك، الحقد الذى كان يكنّه له يحيى بن خالد البرمكى «۲».

و قد نقل الشيخ المفيد و ابو الفرج الاصفهانى رواية اخرى فى هذا الخصوص، ندرج ملخصها فيما يلى: «ان يحيى بن خالد البرمكى حسد جعفر بن محمد بن الاشعث لما وضع هارون ابنه فى حجره لتربيته (و كان ابن الاشعث يعتقد بامامة الكاظم عليه السّلام) لذلك كان يقرح عليه فى قلب هارون، (و يبدو انه دبر موامرة ضد الامام الكاظم عليه السّلام بهدف الانتقام منه) و لذا بدأ البحث عن شخص من بيت الامامة يكون مناسبا لتدبير مثل هذه المكيدة، فعثر على على بن اسماعيل بن جعفر الصادق عليه السّلام و كان رجلا فقيرا، فدفع إليه مبلغا من المال، و رغبه فى قصد الرشيد، و وعده بالاحسان إليه، لينفّذ به خطته ضد الامام الكاظم. و لما عزم على بن اسماعيل على الذهاب الى بغداد، حاول الامام صرفه عن ذلك و اعطاه المال و وعده باداء دينه، الا انه ذهب الى هارون و تكلم عنده بما يسيء الى عمه «۳» و نقلت هذه الرواية كسبب آخر لسجن الامام عليه السّلام.

---

(۱) بحار الانوار، ج ۴۸، ص ۲۰۴، اكمال الدين ص ۳۶۲، مسند الامام الكاظم ج ۱ ص ۳۹۹.

(۲) عيون اخبار الرضا ج ۱ ص ۱۰۰.

(۳) الارشاد ص ۲۹۹، مسند الامام الكاظم ج ۱ ص ۱۱۵، المناقب ج ۱ ص ۳۷۱.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۳۶

و نقل الشيخ الصدوق هذه الرواية بشكل ادق و اكمل، فبعد اشارته الى العلاقة الخفية بين جعفر بن محمد بن الاشعث و الامام الكاظم عليه السّلام قال: «بعد سعاية يحيى بجعفر طلبه هارون و قال له: خبرت انك تبعث الى موسى بن جعفر من كل ما يصير إليك بخمسه، و انك قد فعلت بذلك فى العشرين الف دينار فاحببت ان اعلم ذلك فاتاه جعفر بالاموال كما هى بخواتيمها و قال: هذا اول ما تعرف به كذب من سعى بى إليك، فنجا من كيد يحيى و اطمأنت إليه نفس الرشيد، الا ان يحيى بقى يحتال فى اسقاط جعفر» «۱».

و فى الحقيقة كانت تلك آخر مرة يسجن فيها الامام و كان هذا هو سببها.

و بعد نقل الرواية السالفة يذكر الشيخ المفيد: «و خرج الرشيد فى تلك السنة (۱۷۹) الى الحج و امر بالقبض على الامام و سجنه».

و قبل الاشارة الى اعتقال الامام ينبغى الاشارة الى ان بعض المصادر ذكرت اسم محمد بن اسماعيل بدل على بن اسماعيل.

قال ابو نصير البخارى: «كان محمد بن اسماعيل بن جعفر مع عمه موسى الكاظم عليه السّلام يكتب له كتب السر الى شيعته من الآفاق، فلما ورد الرشيد الحجاز سعى محمد بن اسماعيل بعمه الى الرشيد فقال: ما علمت ان فى الارض خليفتين يجبى إليهما الخراج».

قال الرشيد: ويحك انا و من؟ قال: موسى بن جعفر و اظهر اسراره.

فقبض الرشيد على موسى بن جعفر عليه السّلام و حبسه و كان سبب هلاكه» «۲».

---

(۱) عيون اخبار الرضا ج ۱ ص ۶۹.

(۲) سر السلسلة العلوية ص ۳۵، مسند الامام الكاظم ج ۱ ص ۱۲۷، نقلا عن البخارى.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۳۷

و ذكر هذه الرواية ابن شهرآشوب أيضا «۱».

فهاتان روايتان قد ورد فى احداهما اسم على بن اسماعيل و فى الاخرى اسم محمد بن اسماعيل و هما متشابهتان الى حد كبير و هذا التشابه يقوى فى ذهن الانسان فكرة وجود اصل واحد لهما، و انهما نابعتان من حادثة واحدة.

و قد عرف عن هارون انه كان يحج عاما و يحارب آخر.

و كان العام (۱۷۹) عام حج، فسافر بقصد الحج فوصل المدينة، و كان اشراف المدينة فى استقباله، و منهم الامام الكاظم عليه السّلام أيضا. و كان هارون على علم بنشاط الامام السرى، فلما صار الى ضريح رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، اشار إليه و قال على مسمع من المستقبلين و فيهم الامام الكاظم.

«يا رسول اللّه انى معتذر إليك من شىء اريد فعله اريد ان احبس موسى بن جعفر فانه يريد ان يفرق بين امتك و يسفك دماءها» «۲».

فهذه المصانعة التى ابداها هارون كانت لاجل ان الناس يعتبرون موسى بن جعفر عليه السّلام ابنا لرسول اللّه، فالاعتذار المذكور يصب فى هذا الاتجاه. كما يبدو ان مثل تلك التهمة ببثّ الفرقة بين الامة كانت كافية لاقناع من قد يثير مثل ذلك الاجراء فى ذهنه بعض التساؤلات.

و الكلام المذكور سالفا يشير الى ان الامام الكاظم كان ذا شخصية مرموقة تلفت الانظار فى المدينة، و لهذا السبب اضطر هارون مع ما كان لديه من قدرة سياسية الى الالتجاء لمثل هذه التبريرات حتى لا تكون اجراءاته مثارا لسخط

---

(۱) المناقب ج ۲ ص ۲۸۵.

(۲) الارشاد ص ۳۰۰.

الناس، فاصدر امره بالقبض على الامام و هو لا يزال فى المسجد «۱» و اعدّ قبتين و جعله فى احداهما، ثم سيّر واحدة منها الى الكوفة، و الثانية الى البصرة.

و انما فعل هارون ذلك ليعمّى على الناس الامر فى الامام موسى بن جعفر الكاظم عليه السّلام «۲».

و كتب ابو الفرج الاصفهانى بعد ذكره لهذه الواقعة: «ارسل هارون الرشيد الامام الكاظم الى والى البصرة عيسى بن جعفر بن المنصور فحبسه عنده سنة، الا أنه ضاق بهذا الأمر فكتب الى هارون بتحويله الى شخص آخر أو يخلى سبيله.

و ذلك لأنه سعى طوال تلك المدة ليجد عليه حجة و سبيلا، لكنه لم يعثر على شىء من ذلك.

و من الملفت للنظر ان عيسى ذكر فى رسالته أيضا: «و وضعت من يسمع منه ما يقول فى دعائه فما دعا عليك، و لا علىّ و لا ذكرنا بسوء، و ما يدعو لنفسه الا بالمغفرة و الرحمة» «۳».

و هذا الامر كما يعكس منتهى زهد الامام و تقواه، يظهر فى نفس الوقت شدة تقيته و نشاطه الخفى. ثم سلموا الامام الى الفضل بن الربيع، و بقى عنده مدة طويلة فاراده الرشيد على شىء من امره، فابى، فكتب إليه بتسليمه الى الفضل بن يحيى فتسلّمه منه، و جعله فى بعض حجر دوره، و ذكر المؤرخون انه كان يكرم الامام.

و وصل خبر ذلك الى الرشيد و هو بالرقة، فغضب و دعا عليه فى ذلك المجلس

---

(۱) ارجع: كتاب روضة الواعظين ص ۱۸۷.

(۲) قال المرحوم الصدوق، قبض عليه و هو عليه السّلام عند رأس النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قائما يصلى، عيون اخبار الرضا ج ۱ ص ۷۰.

(۳) مقاتل الطالبيين ص ۳۳۵، الائمة الاثنى عشر ص ۹۱، جهاد الشيعة ص ۳۰۲.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۳۹

علنا، و امر الجالسين بلعنه، لأنه عصى الخليفة، و ضرب مائة سوط لذلك. ثم سلّم الامام الكاظم عليه السّلام الى سجان آخر هو السندى بن شاهك «۱».

شهادة الامام الكاظم عليه السّلام:

و بلغ يحيى بن خالد الخبر فارتاع لذلك، و ركب الى الرشيد و دخل عليه، و اعتذر إليه مما كان من الفضل، و تعهد للرشيد بامتثال امره فيما يريد و قتل الامام الكاظم عليه السّلام.

و هذا ما حدث، اذ قتل الامام بامره على يد السندى بن شاهك «۲».

و قد صرحت بعض الروايات بانّ يحيى بن خالد كان هو المنفذ لقتل الامام، و من جملة من ذكر ذلك ابو الفرج الاصفهانى حيث قال: انه دخل بغداد، و اظهر أنه جاء لتعديل السواد، و النظر فى امور العمال، لكن ذهابه كان بهدف قتل الامام الكاظم عليه السّلام. و هذا التصرف يعبر عن عدم رغبة يحيى فى تحمل مسئولية هذا الفعل علنا.

و مما يجدر ذكره انا قد شاهدنا عناد يحيى فى قضية هشام بن الحكم مع الامام الكاظم عليه السّلام. و على هذا يبدو ان ما ورد فى بعض الروايات بشأن اظماره الحب للامام و جهل هارون بذلك أمر لا اساس له من الصحة.

و قد ورد فى رواية عن الامام الرضا عليه السّلام أنه سئل: «هل ان يحيى بن خالد

---

(۱) مقاتل الطالبيين ص ۳۳۶.

(۲) مقاتل الطالبيين، ص ۳۳۵.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۴۰

سمّ أباك؟ فاكد الامام هذا القول» «۱».

و هناك روايات اخرى تؤكد هذا الموضوع أيضا «۲».

اما عن استشهاده عليه السّلام فهو امر لا شك فيه وفقا لاقوال اغلب المؤرخين، لكن لما كان امر استشهاده قد عمّى عليه، و اعلن بنو العباس للناس ان موته كان طبيعيا، فقد انطلت الحيلة على بعض المؤرخين، فذكروا ان موته كان طبيعيا.

و هناك من المؤرخين من نقل خبر استشهاده مسبوقا بكلمة (قيل) «۳».

اما بشأن كيفية استشهاده فقد وردت ثلاث روايات مختلفة:

۱- انه عليه السّلام قتل بالسم كما جاء فى الرواية التى نقلناها عن الامام الرضا عليه السّلام و فى روايات اخرى تتهم يحيى بن خالد بقتله تأييدا لهذا المعنى.

۲- روايات اخرى تشير الى انه لفّ فى الفراش و ضغط عليه حتى مات «۴».

۳- رواية شاذة و نادرة نقلها المستوفى تقول:

«يقول الشيعة ان هارون الرشيد امر بالرصاص فاذيب ثم صب فى فمه» «۵».

و الرواية الأشهر من بين الروايات هى تلك التى تقول بأنه قتل مسموما ثم عرض جسده المبارك على نظر خاصة اهل بغداد و عامة الناس و ذلك لسببين:

---

(۱) رجال الكشى ص ۵۰۳.

(۲) دلائل الامامة ص ۱۴۷.

(۳) راجع ابن خلكان ج ۵ ص ۳۱۰، عمدة الطالب ص ۱۹۶.

(۴) مقاتل الطالبيين ص ۳۳۶.

(۵) المختار من التاريخ ص ۲۰۴ (بالفارسية).

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۴۱

۱- ذكر الأربلى ان السندى بن شاهك جمع وجهاء بغداد و اشرافهم و كان بينهم هيثم بن عدى و اوقفهم على الجسد الشريف للامام الكاظم ليشاهدوه خاليا من اثر الجراح و الخنق، و ليفهمهم ان موته كان طبيعيا.

۲- لما كان عدد من الشيعة من المعتقدين بمهدوية الامام الكاظم عليه السّلام أو كان محتملا اعتقادهم بها، فقد وضع جسده فوق جسر بغداد على الارض، و امر يحيى بن خالد أن ينادوا: «هذا موسى بن جعفر الذى يزعم الرافضة أنه لا يموت»، فاجتمع الناس و شاهدوه و قد فارق الحياة. ثم دفنوا جنازته فى (باب التين) فى مقبرة القرشيين ببغداد «۱».

و كان تاريخ استشهاده على ما ذكر الشيخ الصدوق فى يوم ۲۵ رجب من العام ۱۸۳ ه. و قال الشيخ المفيد انه كان يوم ۲۴ من صفر بينما يعتبره المستوفى قد استشهد يوم الجمعة ۱۴ من صفر.

الجوانب الاخرى لمقارعة الامام الكاظم للخلافة العباسية:

يمكن الاشارة الى جوانب اخرى من جهاد الامام الكاظم و مواقفه ضد النظام العباسى الحاكم، من جملتها نشاطه السرى.

فرغم ان جهاده لم يتخذ طابع التخطيط لاسقاط الحكم آنذاك، الا أنه كان يؤكد على عدم مشروعيته، و يسعى لسلب ثقة الناس به.

اذ المهم فى الجهاد هو عدم التعاون، و هو ما ينشأ تلقائيا نتيجة عدم الاعتراف بالمشروعية، اذ ان وجود نظرة كهذه لدى الناس، و رسوخها فى اذهانهم تجاه اية حكومة يعتبر بمثابة تهديد

---

(۱) كشف الغمة ج ۲ ص ۲۳۴.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۴۲

خطير لها، لأن زوال اعتقاد الناس بشرعية النظام يعنى امكانية قيامهم فى اية لحظة لاسقاط ذلك النظام او دعمهم لأية محاولة من هذا القبيل.

و يمكن الاشارة الى امثلة تاريخية متعددة فى هذا الصدد، منها الرواية التى وردت بشأن صفوان بن مهران الجمال فهو يقول عند ما دخلت على الامام موسى الكاظم قال لى: الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ج۲ ۴۲ الجوانب الاخرى لمقارعة الامام الكاظم للخلافة العباسية: ..... ص : ۴۱

يا صفوان كل شىء منك حسن جميل ما خلا شيئا واحدا! قلت: جعلت فداك اى شىء؟ قال: اكراؤك جمالك من هذا الرجل، يعنى هارون. قلت: و اللّه ما اكريته اشرا و لا بطرا، و لا لصيد، و لا للهو، و لكنى اكريته لهذا الطريق يعنى طريق مكة، و لا اتولّاه بنفسى، و لكن ابعث معه غلمانى.

فقال لى: يا صفوان أيقع كراؤك عليهم؟ قلت: نعم جعلت فداك. فقال لى:

أ تحبّ بقاءهم حتى يخرج كراؤك؟ قلت: نعم. قال: فمن احب بقاءهم فهو منهم.

و من كان منهم ورد النار. قال صفوان: فذهبت و بعت جمالى عن آخرها.

فبلغ ذلك هارون فدعانى، فقال لى: يا صفوان بلغنى انك بعت جمالك؟

قلت: نعم، قال: لم؟ قلت: انا شيخ كبير و ان الغلمان لا يفون بالاعمال، فقال:

هيهات هيهات، انى لأعلم من اشار عليك بهذا، اشار عليك بهذا موسى بن جعفر.

قلت: ما لى و لموسى بن جعفر؟ فقال: دع عنك هذا فو اللّه لو لا حسن صحبتك لقتلتك».

فكل فعل يصدر من الامام كان يشتمل على حكم عام لجميع الشيعة الّا اولئك الذين كانوا على ارتباط باجهزة الدولة بامر منه، و كان ذلك بمثابة حكم يمكن الالتزام به ضمن سياق ذلك النشاط السرى.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۴۳

و الجانب الآخر من مواقف الامام موسى بن جعفر عليه السّلام تجاه الحكم العباسى هو ما جسده فى موقفه بشأن الابقاء على على بن يقين فى البلاط العباسى، و كان يسعى من خلاله الى استنقاذ الشيعة من التشريد و المصائب. فقد كان ابن يقطين من جملة اصحاب الكاظم عليه السّلام الذين لهم نفوذ فى الحكومة العباسية. و كان له نفوذ واسع على عهد المهدى و هارون. و كان يستغل ذلك لمصلحة الشيعة.

و لما طلب من الامام السماح له بترك العمل فى اجهزة الحكم، امتنع الامام عن السماح له بمثل هذا العمل، و قال له: «لا تفعل فانّ لنا بك انسا، و لاخوانك بك عزّا، و عسى ان يجبر اللّه بك كسرا، و يكسر بك نائرة المخالفين عن اوليائه. يا على كفارة اعمالكم الاحسان الى اخوانكم» «۱». و جاء فى رواية اخرى ان الامام قال له: «لا بد من البقاء على عملك، اتّق اللّه» «۲» و ورد فى رواية اخرى ان الامام لما جاء الى العراق قال له على بن يقطين:

«أنه يأسف أن يرى نفسه على مثل هذا الحال» فقال له الامام:

«يا على ان للّه تعالى اولياء مع اوليائه الظلمة يدفع بهم عن اوليائه و أنت منهم يا على» «۳».

و جاء فى رواية اخرى: «ان للّه مع كل طاغية وزيرا من أوليائه يدفع به عنهم» «۴».

---

(۱) بحار الانوار ج ۴۸، ص ۱۳۶.

(۲) قرب الاسناد، ص ۱۲۶.

(۳) رجال الكشى ص ۴۳۳.

(۴) رجال الكشى، ص ۴۳۵.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۴۴

ان مباركة الامام لعمله و اصراره على ضرورة البقاء فى نفس ذلك العمل، و ثنائه عليه فى الاقوال المذكورة اعلاه، و خاصة القول الاخير يكشف عن انه كان عليه السّلام يستفيد من وجوده فى الدفاع عن الشيعة. و قد تعرض هذا الرجل لوشايات متعدّدة، لكنه خرج منها سالما من خلال التزامه بمبدإ التقية، و بتوجيهات الامام ابى الحسن عليه السّلام «۱». و كان على بن يقطين يستفيد كذلك من آراء الامام الكاظم عليه السّلام فى حلّ بعض المعضلات الدينية التى كانت تواجهها الحكومة «۲».

و من الامثلة الاخرى على مواقف الامام موسى بن جعفر عليه السّلام السياسية هو مواجهته لعلماء السوء الذين وضعوا انفسهم فى خدمة البلاط العباسى و هو ما يلاحظ فى اقواله و كلماته بوضوح. فوجود مثل هؤلاء الاشخاص فى جهاز الحكومة كان وثيقة مشروعيته من وجهة نظر الناس. و لذا كانوا يعتبرون بمثابة الحاجز الذى يحول دون سقوطها. و لهذا السبب كان هؤلاء الاشخاص يحظون برعاية خاصة فى جهاز الخلافة.

فقد وردت عنه عليه السّلام رواية يقول فيها: «قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: الفقهاء امناء الرسل ما لم يدخلوا فى الدنيا

«۳». فسئل: و كيف يدخلون فى الدنيا؟

قال: اتّباع السلطان فاذا فعلوا ذلك فاحذروهم على اديانكم».

و امثال هؤلاء العلماء هم الذين استغلهم هارون عند استشهاد الامام ليعلنوا ان وفاته كانت طبيعية و استفاد من وجاهتهم لخداع الناس.

---

(۱) الارشاد ص ۲۴۷- ۲۷۵.

(۲) التفسير العباسى ج ۱ ص ۱۸۵.

(۳) بحار الانوار ج ۲ ص ۳۶.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۴۵

المواقف الكلامية للامام الكاظم عليه السّلام ازاء المعتقدات المنحرفة لاهل الحديث:

كان ترك النص الالهى فى امامة على بن ابى طالب عليه السّلام بداية للاختلافات اللاحقة التى حدثت فى صفوف المسلمين. فبعد ان وقعت الخلافة بيد اشخاص غير صالحين اخذوا على عاتقهم قيادة زمام الشؤون السياسية و تصدوا لتفسير الدين و بيان الاحكام الفقهية، و مع انهم كانوا يفتقدون القدرة العلمية الكافية فقد طرحت الكثير من الآراء التى كانت تؤدى بشكل طبيعى الى اثارة الاختلافات من قبلهم، أولاها مسألة ارث النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و مسألة قتال (مانعى الزكاة) «۱». كما طرحت فى المراحل التالية- اى فى عهد سلطة الخلفاء- الكثير من امثال هذه الاختلافات، و جملة من الموضوعات الكلامية أيضا فكان الخلفاء هم الذين يتصدّون للاجابة عليها «۲».

اما اولئك الذين لم يكن باستطاعتهم قبول تلك الاجابات لسبب أو لآخر فانهم كانوا ينحون مناح اخرى، و كذا الجهلة كانوا يقعون فى التيه و الضياع أيضا و هذه الاسباب ادّت بالتدريج الى خلق اختلافات متعددة فى المجتمع الاسلامى.

و قد ادى منع تدوين الحديث و نقله و نفوذ و تسرب الثقافة اليهودية الى اوساط المسلمين و رسوخ حب الدنيا و التفسير المنحرف للدين لتوطيد اركان

---

(۱) الشهرستانى، الملل و النحل ج ۱ ص ۳۱.

(۲) لا بأس هنا من الالتفات الى الرواية التالية: «اخرج اللالكائى فى السنة عن عبد اللّه بن عمر قال:

جاء رجل الى ابى بكر، فقال: أ رأيت الزنا بقدر؟ قال: نعم قال: فان اللّه قدّره على ثم يعذبنى؟ قال: نعم يا ابن اللخناء، أما و اللّه لو كان عندى انسان امرت ان يلجأ انفك»، الغدير ج ۷ ص ۱۵۳ نقلا عن تاريخ الخلفاء ص ۶۵.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۴۶

الحكم الاموى الفاسد، و ازاحة (اهل الذكر) عن الساحة الدينية و السياسية و العلمية الى تأجيج نار الاختلافات بين المسلمين، فقام الخوارج بايجاد اكبر انشقاق فكرى و سياسى، و سرعان ما انفصل نطاق معتقداتهم- بشكل اساسى- عن نطاق معتقدات الآخرين، و قام ائمة الشيعة منذ البداية بشرح و تبيان آرائهم و معتقداتهم الى عامة الناس ما وسعهم ذلك و الى شيعتهم فى بعض الموارد الاخرى، و سعوا الى إبعادهم عن علماء السوء و المحدثين العملاء للسلطة.

و فى عهد حكومة الامام على عليه السّلام التى استمرت مدة خمس سنوات توفرت الارضية المناسبة لنشر فكر اهل البيت عليهم السّلام على نطاق واسع. الا ان انتهاء تلك الفترة كان ايذانا بانتعاش المحدثين و الفقهاء المرتبطين بالسلطة الاموية من جديد ليمارسوا دورهم فى جعل الناس يماشون الحكومة و تسييرهم ضمن الخط العام الذى تريده السلطة.

و فى نهايـة القرن الاـول و حلول القرن الثـانى للهجرة، برزت الى الوجود فرق دينيـة اخرى- سوى الشـيعة- و كـان من اهمها و اكثرها نشاطا و تأثيرا هى:

الخوارج و المرجئة و الجهميـة و المعتزلـة. و كـانت لكل واحـدة من هـذه الفرق معتقـداتها فى كل جانب من جوانب الحياة و كانت تبذل المساعى من اجل نشرها.

و يمكن القول ان الحكومـة الامويـة لم تكن على وفاق مع ايّ من هـذه الفرق. فكانت فى صـراع مع الجهميـة و المرجئـة فى خراسان، كمـا كانت منهمكـة فى معارك حاميـة الوطيس مع الخوارج فى جنوب ايران و الاصـقاع النائيـة فى الاقسام الجنوبيـة منها، و لم تتوفر للمعتزلـة القدرة الكافية الا فى بعض الموارد المحدودة. و أما موقف الشـيعة تجاه الامويين و المذهب العثمانى الذى اوجدوه فقد كان واضحا و جليا.

و عامة الناس كانت على نهج ملوكهم و ولاتهم تبحث عن دين ينشره امثال

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۴۷

ابن شـهاب الزهرى، و من قبله عروة بن الزبير، و من قبله ابـو هريرة، و سـمرة بن جنـدب. اذ كـان يعتقـد هؤلاـء بوجـوب اغواء النـاس بواسـطة الحـديث، لأن الحـديث كلام رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم و وضـعه امر سـهل، و لهـذا اتسـعت دائرة نقل الحديث بسرعة.

و رغم ما اعلنه بعض ائمة اهل السنة من عدم تجاوز احاديث النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم عن بضع مئات «۱» فنحن نرى ان عددها تجاوز فى اواسط القرن الثانى عشرات الآلاف، ثم تجاوزه بعـد مـدة يسيرة الى مئات الآلاف. و كانت اكثر الاحاديث الموضوعـة فى مجالى الفقه و المسائل الكلامية. و فضلا عن وضع الاحاديث فان تحريفها كان وسيلة اخرى لتحريف الدين أيضا.

و يتضـح من بعض النصوص التاريخيـة انه لم يكن فى بدايـة الامر سوى عـدد معدود من الاحاديث الموضوعة فى باب التشبيه، الا أنه بعد مضى فترة وجيزة جمع ابن خزيمة فى كتاب التوحيد عدة آلاف من امثال هذه الاحاديث و قد اتخذ المسار العادى للمجتمع نظامه الـدينى وفقا لهـذه الاحاديث الموضوعة، و خرجت بقية الفرق الدينية عن ذلك المسار باعتبارها من اهل الرأى و البدع. و هكذا وجد (اهـل الحـديث)، و اطلق اسم المـذهب العثمانى على كل من كان يتمسك بتلك الاحاديث، و يعتبر من سواه خارجا عن الـدين و هو المذهب الذى الف الجاحظ كتابا فى تأييده و مساندته و اطلق عليه اسم (العثمانية).

و كان احـد اوجه النشاط المتواصل لائمـة الشـيعة عليهم السّـلام هو التصدى لهذه الاحاديث او بعبارة اخرى ل (اهل الحديث)، فكانوا يكشـفون فى بعض المواقـف عـن الاحـاديث المحرفـة و الموضوعـة، و ينبهـون فى مواقـف اخرى الى عـدم صـحة فهمهـم السـاذج و السطحى فى تفسير بعض الآيات المتشابهة و الاحاديث.

---

(۱) مقدمة ابن خلدون ص ۴۴۴، و راجع تاريخ بغداد ج ۱۳ ص ۴۱۶.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۴۸

و يمكن ملاحظـة مثل هـذا التحرك فى الحياة الفكريـة لجميع الائمة. و ربما يكون ذلك اكثر تركيزا فى حياة البعض منهم و تحققت فيه نتائج لا يستهان بها فى الابواب الفقهية و الكلامية.

و نحن نشير هنا الى عدد من المواقف الفكرية التى تخللت حياة الامام الكاظم عليه السّلام.

۱- من الروايات التى تمسك بها اهل الحديث و اكثروا من تناقلها، هو حديث (نزول اللّه الى السماء الدنيا).

فعن ابى هريرة ان رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم قـال: «يتنزل ربنا تبارك و تعالى كل ليلـة الى السـماء الـدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول من يدعونى فاستجيب له، من يسألنى فاعطيه، من يستغفرنى فاغفر له» «۱».

ان قبول رواية كهذه يستلزم الاعتقاد بالتشبيه و القبول بتنقل اللّه من مكان لآخر. و قد اعلن اهل الحديث هذه العقيدة و نشروها و كانوا يستندون أيضا الى احاديث اخرى فى هذا الباب، و كان احمد بن حنبل- و هو حصيلة التطور الفكرى لأهل الحديث- رغم ادخاله بعض التعديلات على هذه العقيدة يعتقد ان:

«للّه عز و جل عرش، و للعرش حملة يحملونه، و اللّه عز و جل على عرشه ليس له حد و اللّه اعلم بحده ... يتحرك، يتكلم، ينظر، يبصر، يضحك ... و ينزل كل ليلة الى السماء الدنيا، و قلوب العباد بين اصبعين من اصابع الرحمن ... و خلق آدم بيده على صورته» «۲».

---

(۱) البخارى، ج ۴ ص ۱۰۱، طبعة دار المعرفة، سنن الدارمى، الصلاة باب ۱۶۸، موطأ القرآن رقم ۳۰.

(۲) طبقات الحنابلة ج ۱ ص ۲۹.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۴۹

و كانوا يعتقدون أيضا بوجود مكان خال فى عرش اللّه على قدر اربعة اصابع و هو مكان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم الذى يكون الى جانبه «۱»، و كانت هذه العقائد قد بنيت على اساس ما وصل إليه من الاحاديث المحرفة و الموضوعة.

و كما اشرنا سابقا فانهم كانوا يتشددون بالتمسك (بالاحاديث)، فعند ما جاء رجل الى احمد بن حنبل و قال له: «يبدو ان الذى نقل حديث: (رأيت ربى عز و جل شابا امرد جعدا قططا عليه حلة حمراء) شخص واحد لا غيره». غضب عليه ابن حنبل و ذكر له طرقا متعددة «۲».

ان هذه الروايات لم توضع فى زمن احمد بن حنبل، بل ان الكثير منها كان متداولا من قبل هذا بين الناس. و لهذا السبب نرى اصحاب الائمة كثيرا ما يسألون الائمة عن هذه الاحاديث فقد سئل الامام الكاظم عليه السّلام و كذلك الامام الرضا عليه السّلام عن حديث نزول اللّه نفسه، اذ ورد عن يعقوب بن جعفر الجعفرى، عن ابى ابراهيم عليه السّلام قال:

«ذكر عنده قوم يزعمون ان اللّه تبارك و تعالى نزل الى السماء الدنيا، فقال: ان اللّه لا ينزل و لا يحتاج الى ان ينزل انما منظره فى القرب و البعد سواء، لم يبعد منه قريب، و لم يقرب منه بعيد، و لم يحتج الى شىء يحتاج إليه، و هو ذو الطول لا إله الا هو العزيز الحكيم. اما قول الواصفين: أنه ينزل تبارك و تعالى فانما يقول ذلك من ينسبه الى نقص او زيادة. و كل متحرك محتاج الى من يحرّكه او يتحرك به. فمن ظن باللّه الظنون هلك. فاحذروا فى صفاته من ان تقفوا له على حد تحدونه بنقص، أو زيادة، أو تحريك، أو تحرك، أو زوال، أو

---

(۱) نفس المصدر، ج ۲ ص ۶۷.

(۲) نفس المصدر ج ۲ ص ۴۶.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۵۰

استنزال، أو نهوض، أو قعود، فانّ اللّه جلّ و عزّ عن صفة الواصفين، و نعت الناعتين، و توهم المتوهمين. و توكل على العزيز الرحيم الذى يراك حين تقوم و تقلبك فى الساجدين» «۱».

فقد انكرت هذه الرواية نزول اللّه الى السماء الدنيا، و بينت مذهب اهل البيت عليهم السّلام بتعابير دقيقة لنفى التشبيه عن اللّه سبحانه، و قد نقلت مثل هذه المفاهيم بكثرة عن اهل البيت عليهم السّلام، و جذورها مستلة من خطب امير المؤمنين عليه السّلام الواردة فى نهج البلاغة. ففى مذهب اهل البيت عليهم السّلام لا توجد عقيدة بالنفى و لا بالتشبيه، بل يوجد اثبات بلا تشبيه، و هو ما صرح به الامام الرضا عليه السّلام «۲».

و النقطة المثيرة للانتباه حول حديث (نزول اللّه الى السماء الدنيا) هى عدم انكار اصل الرواية من قبل الامام الرضا، بل أنه بين التحريف الذى طرأ عليها.

و هذه قضية مهمة تظهر الفعل المتعمد لتحريف الاحاديث على يد الوضاعين و الكذابين.

فعن ابراهيم بن محمود قال: «قلت للرضا عليه السّلام يا ابن رسول اللّه ما تقول فى الحديث الذى يروونه الناس عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم انه قال: ان اللّه تبارك و تعالى ينزل كل ليلة جمعة الى السماء الدنيا؟ فقال: لعن اللّه المحرفين الكلم عن مواضعه و اللّه ما قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كذلك، انما قال: ان اللّه تعالى ينزل ملكا الى السماء الدنيا كل ليلة فى الثلث الأخير و ليلة الجمعة فى أول الليل فيأمره فينادى: هل من سائل فاعطيه سؤاله؟ هل من تائب فاتوب عليه هل من

---

(۱) الكافى، ج ۱ ص ۱۲۵، التوحيد ص ۱۸۳.

(۲) التوحيد، ص ۱۰۲.

مستغفر فاغفر له. حدثنى بذلك ابى عن جدى عن آبائه عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم» «۱».

يشير المقطع الاخير من الحديث الى ان طريق اهل البيت عليهم السّلام فى نقل الاحاديث عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم هو اسلم الطرق فى نقل الحديث. و هذا هو سبب تعاهد الشيعة لهذا الطريق و لهم الحق فى عدم الركون و الاطمئنان الى الطرق الاخرى، سوى ما ارتضاه هذا الطريق و ايده.

۲- و المورد الآخر الذى كان يتمسك اهل الحديث بظاهره هو آية:

الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى «۲». فهؤلاء و بسبب عدم التفاتهم الى سائر الآيات، و عدم استخدامهم للاستدلال و التعقل- و هو المعروف من خصامهم العنيد مع المعتزلة على مدى سنوات طويلة- جعلهم يتقوقعون و بشدة على نوع من الرؤية الظاهرية. و لما كان لديهم عدد من الاحاديث فى باب التشبيه. فقد كان من الطبيعى ان يفسروا نظير هذه الآيات على ضوء تلك الاحاديث. و لو نظرنا الى ذيل الآية المذكورة فى تفسير البرهان لوجدنا روايات كثيرة وردت فى تفسيرها.

و هذه الروايات المنقولة عن الائمة اما انها كانت اجابات لتساؤلات اصحابهم أو انها كانت ردا على اهل الجدل «۳».

و قد سئل الامام الكاظم عليه السّلام أيضا عن معنى هذه الآية فاجاب كما فى الرواية التالية:

«عن الحسن بن راشد قال: سئل ابو الحسن موسى عليه السّلام عن معنى قوله

---

(۱) عيون اخبار الرضا ج ۱ ص ۱۰۴.

(۲) سورة طه، الآية ۵.

(۳) البرهان، ج ۳ ص ۴۳- ۴۴.

تعالى: الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى فقال: استولى على ما دق و جل» «۱».

و الآية المذكورة كناية عن احاطة اللّه بجميع الامور صغيرها و كبيرها، و لا شك ان فهم هذا التعبير مرتبط بالآيات المحكمة التى تنكر محدودية اللّه. فلو اننا تمسكنا بظاهر الآية لكان لزاما علينا القبول بمحدوديته تعالى عن ذلك.

۳- و فى جانب الجبر و التفويض التزم اهل الحديث بمذهب الجبرية و كانوا يظهرون تزمتا شديدا لهذه الفكرة فى مقابل التطرف الذى كان يبديه المعتزلة.

و عقيدة الجبر هذه لها جذور فى الجاهلية كما تصرح بذلك بعض الآيات القرآنية على لسان المشركين «۲».

و بعد ظهور الاسلام، نشر معاوية عقيدة الجبر «۳»، و كان متأثرا- كما يتضح من بعض القرائن و الشواهد- بالافكار الجاهلية و بعض الآراء اليهودية فيما يتعلق بمسألة الجبر. و من الواضح ان الاعتقاد بالجبر يعين الخلفاء على توطيد دعائم حكمهم، و يبرر لهم اخطاءهم، كما يردع الناس عن معارضتهم او الاعتراض عليهم «۴». و قد نقل لنا التاريخ بأنهم هددوا الحسن البصرى بالوشاية به لدى السلطة ما لم يكفّ عن عقيدته فى التفويض «۵».

و كان اهل الحديث يتمسكون ببعض الآيات و الروايات لاثبات صحة معتقدهم و يتشبثون بآيات و روايات اخرى فى مقابل (اهل العدل).

---

(۱) الاحتجاج ج ۲ ص ۱۵۷، مسند الامام الكاظم ج ۱ ص ۲۶۲.

(۲) النحل: ۳۵.

(۳) فعل الاعتزال، ص ۱۴۴، راجع كتاب: بحوث مع اهل السنة و السلفية ص ۵۳.

(۴) راجع كتاب: (التاريخ السياسى للاسلام من سنة ۴۰ حتى سنة ۱۰۰ للهجرة) ص ۱۴۵- ۱۴۶.

(۵) الطبقات الكبرى ج ۷، ص ۱۲۲، اخذ عنه «بحوث مع اهل السنة و السلفية ص ۵۳.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۵۳

و كان من المهم هنا أيضا فهم الآيات فهما صحيحا و ارجاع المتشابه الى المحكم.

و من جملة الروايات الواردة فى هذا الباب، حديث: «الشقى من شقى فى بطن أمه و السعيد من سعد فى بطن أمه» «۱».

فقد كان من الممكن تفسير ذلك الحديث بالمعنى الذى يدعم مذهب الجبر دعما مطلقا و قاطعا و لهذا يثير الكثير من التساؤلات فى اذهان اصحاب الائمة و يدفعهم الى السؤال عن معناه الصحيح.

و سئل الامام الكاظم عليه السّلام أيضا فى هذا المجال، و هو ما نورده فى الرواية الآتية:

«... عن الفضل بن شاذان عن محمد بن ابى عمير قال: سألت أبا الحسن موسى بن جعفر عليه السّلام عن معنى قول رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

«الشقى من شقى فى بطن أمه و السعيد من سعد فى بطن أمه».

فقال: الشقى من علم اللّه و هو فى بطن أمه انه سيعمل اعمال الاشقياء و السعيد من علم اللّه و هو فى بطن أمه أنه سيعمل اعمال السعداء» «۲».

و استمرارا لهذه الرواية، سئل سؤالا آخر عن حديث آخر يفهم منه الجبر أيضا، فاجاب الامام جوابا وافيا و لطيفا.

«قلت له: فما معنى قوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: اعملوا فكل ميسر لما خلق له. فقال: ان اللّه

---

(۱) ر. ك.: سنن ابن ماجة، المقدمة رقم ۷، سنن الدارمى المقدمة رقم ۲۳، مسند احمد ج ۲ ص ۱۷۶.

(۲) التوحيد ص ۳۵۶، مسند الامام الكاظم ج ۱ ص ۲۷۳.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۵۴

عز و جل خلق الجن و الانس ليعبدوه و لم يخلقهم ليعصوه. و ذلك قوله عز و جل:

وَ ما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ فيسّر كلا لما خلق له، فالويل لمن استحبّ العمى على الهدى» «۱».

و رأى الامام الكاظم عليه السّلام فى مسألة الجبر و التفويض هو أنه امر بين امرين، و عند ما سئل عن فاعل المعصية، قدم جوابا واضحا

حين قال:

«لا تخلو من ثلاث: اما ان تكون من اللّه عز و جل، و ليست منه، فلا ينبغى ان يعذب عبده بما لا يكتسبه. و أما ان تكون من اللّه عز و جل و من العبد، و ليس كذلك، فلا ينبغى للشريك القوى ان يظلم الشريك الضعيف. و اما ان تكون من العبد و هى منه، فان عاقبه اللّه فبذنبه، و ان عفا عنه فبكرمه وجوده» «۲».

۴- و من الامثلة الاخرى على الانحراف العقائدى الذى ساد المجتمع عقيدة المرجئة عن الايمان و ماهيته. فالمرجئة كانوا يعتقدون- و لأسباب قد تكون سياسية على الارجح- بأن الايمان هو مجرد تصديق ذهنى لا علاقة له بالعمل، و كما لا يؤثر العمل فى تقويته أو اضعافه.

فاما ان يكون للانسان تصديق أو لا يكون. و مثل هذا التصديق لا يعتريه الضعف و القوة.

ان مثل هذه العقيدة و بشكلها المتطرف- لو اخذناها بمعزل عن معتقدات المرجئة الأخرى- يمكن ان يستهوى الحكّام، أو اى انسان فاسد و فاسق، لأنهم- اى المرجئة- يعتقدون بأن الانسان المسلم يبقى مؤمنا حتى اذا ارتكب اقبح

---

(۱) التوحيد ص ۳۵۶، مسند الامام الكاظم ج ۱ ص ۲۷۳.

(۲) التوحيد، ص ۹۶، مسند الامام الكاظم ج ۱ ص ۲۷۳.

الذنوب و خالف الشريعة.

و أما ائمة الشيعة عليهم السّلام فانهم كانوا يؤكدون و منذ البداية على الجوانب الذهنية و القلبية و العملية للايمان، و اهم ما جاء عنهم هو كلام امام المتقين على عليه السّلام فى قوله:

«الايمان معرفة بالقلب و اقرار باللسان و عمل بالاركان» «۱».

و قد تصدى الامام الكاظم عليه السّلام أيضا- شأنه فى ذلك شأن سائر الائمة عليهم السّلام- لمثل هذا الاعتقاد الخاطئ و فنّده. فعند ما سئل فى هذا الصدد قال:

«ان للايمان حالات و درجات و طبقات و منازل، فمنه التام المنتهى تمامه، و منه الناقص المنتهى نقصانه، و منه الزائد الراجح زيادته» «۲».

و فى نفس الوقت ينبغى القول ان أئمة الشيعة- و من الناحية الكلامية- يعتقدون ان الانسان المؤمن باللّه و رسوله يبقى مسلما و ان ارتكب فسقا، و لا ينقض ذلك الا اذا انكر ضروريا من ضروريات الاسلام.

و قد كانت هذه الاسئلة تطرح من قبل اصحاب الائمة بسبب وجودهم فى مجتمع تنتشر فيه مثل هذه الافكار، فكانوا يبحثون عن الاجابة المناسبة لاقناع انفسهم من جهة، و كان عليهم من جهة اخرى ان يتسلحوا بآراء اهل البيت عليهم السّلام فى مناقشاتهم الكلامية مع تلك الفرق. و كان الامام الكاظم عليه السّلام يتباحث ما وسعه ذلك مع اصحاب الجدل أيضا، و يثقف اصحابه، ليتمكنوا من نشر افكار اهل البيت عليهم السّلام بين الناس. و كان هشام بن الحكم من اقوى صحابة الامامين الصادق

---

(۱) نهج البلاغة، الكلمات القصار رقم ۲۲۷.

(۲) الكافى ج ۲ ص ۳۸.

و الكاظم عليهما السّلام الناشطين فى نقل آراء اهل البيت الى الفرق الاخرى كما كان الامام الكاظم عليه السّلام يحث اصحابه ممن

يمتلك قابلية البحث و الجدل سوى هشام بن الحكم على مناقشة اتباع المذاهب الاخرى، و تبيان المعتقدات الكلامية للشيعة التى كان بعضها شائعا بين الناس بصورة المحرفة.

و يظهر كتاب (الانتصار) للحافظ المعتزلى مدى التحريف الذى حصل فى افكار الشيعة و معتقداتهم فى باب التوحيد و التى عرضت و كأنها تشبيه. بينما تشير احاديث الائمة الكلامية مدى تأكيد المذهب الشيعى على فكرة التنزيه (تنزيه اللّه من الجسمية و الشكلية). و من الموارد التى كان فيها الامام الكاظم عليه السّلام يأمر اصحابه بمناقشة الخصوم هو ما ورد عنه بشأن محمد بن حكيم، اذ قيل:

«كان ابو الحسن عليه السّلام يأمر محمد بن حكيم ان يجالس اهل المدينة فى مسجد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و ان يكلمهم و يخاصمهم» «۱».

ان الجهود التى بذلها ائمة الشيعة و اصحابهم- رغم ما تعرضت له من مضايقة و تقييد- ادى الى ان تؤلف معتقدات اهل البيت عليهم السّلام الاساس الفكرى للشيعة، و ان يتم عن طريق اهل البيت عليهم السّلام المحافظة على الاسلام الصحيح بعيدا عن التحريف.

---

(۱) رجال الكشى ص ۳۸۰.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۵۷

الامام الرضا عليه السّلام

اشارة

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۵۹

«عن الرضا عليه السّلام عن آبائه عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال اللّه تعالى: كلمة لا إله الا اللّه حصنى فمن دخل حصنى أمن من عذابى، ثم قال الرضا عليه السّلام: بشروطها و انا من شروطها».

كانت ولادة الامام الرضا عليه السّلام- استنادا الى قول اكثر المؤخرين- عام ۱۴۸ ه. و إن قيل انها كانت عام ۱۵۳ ه، و فارق الحياة عام ۲۰۲ ه «۱» أو ۲۰۳ ه.

أمه تسمى بالخيزران و قيل انها كانت أمّ ولد (اى أمة) من اهل النوبة اسمها اروى و لقبها الشقراء. كما قيل ان اسمها نجمة و كنيتها أمّ البنين. و قال آخرون أيضا ان اسمها تكتم «۲».

---

(۱) تاريخ اهل البيت ص ۸۳.

(۲) سيرة الائمة الاثنى عشر، هاشم معروف الحسنى، ج ۲ ص ۳۴۲، و راجع كتاب: تاريخ اهل البيت ص ۱۲۳، فقد ذكر ان اسم أمه ورد فى بعض الروايات باسم الخيزران، و ورد فى بعض الروايات ان اسمها كان «اروى» و كنيتها أمّ البنين.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۶۰

و كان نقش خاتمه هو: (ما شاء اللّه لا حول و لا قوة الا باللّه) «۱».

كان الامام الرضا عليه السّلام يقيم بالمدينة حتى العام ۲۰۱ ه، و فى شهر رمضان من تلك السنة ذهب الى مرو، و استشهد- كما ذكرنا- فى صفر عام ۲۰۳ ه.

لقد حصلت اكثر الاحداث السياسية فى حياة الامام الرضا اثناء توليه لولاية العهد، و أما قبل ذلك فلم ينقل عنه شيئا من المواقف السياسية الا فى موارد قليلة، منها موقفه السياسى ازاء الهجوم الذى قاده (الجلودى) و هو احد قوّاد جيش هارون الرشيد الذى ارسله

لقمع حركة محمد بن جعفر فى المدينة «۲» حيث نقل ابو الفرج الاصفهانى خبرا عن النوفلى بشأن وساطة الامام الرضا عليه السّلام فى موضوع حركة محمد بن جعفر الا أنه خبر مشكوك فى صحته و كيفيته «۳».

فقد ذكر الرافعى: «من المشهور ان على بن موسى الرضا عليه السّلام جاء الى مدينة قزوين و اختبأ فى دار داود بن سليمان الغازى كما نقل اسحاق بن محمد و على بن مهرويه رقعة من الامام عن طريق داود بن سليمان هذا يشير فيها الى ان احد ابناءه قد دفن فى قزوين، و كان له من العمر سنتان أو اقل «۴». و يحتمل ان يكون سفره هذا قد حصل عام ۱۹۳ ه مقترنا مع موت الرشيد «۵».

كما ذكر الاصفهانى ان الجلودى امر بجلب آل ابى طالب من المدينة الى

---

(۱) بحار الانوار ج ۴۹ ص ۲، نقلا عن الكافى.

(۲) مقاتل الطالبيين ص ۳۶۰.

(۳) التدوين فى اخبار قزوين ج ۳ ص ۴۲۸.

(۴) التدوين فى اخبار قزوين ج ۳ ص ۴۲۸.

(۵) حياة الامام الرضا ص ۲۲۵.

خراسان، و كان فيهم على بن موسى الرضا عليه السّلام أيضا «۱». و الظاهر ان هذه الرواية قد اختلطت مع غيرها من الروايات، و ذلك لأن الجلودى و ان كان قد جاء الى المدينة، الا ان هجموه عليها كان قبل مجيء الامام الى خراسان. و نحن فى بحثنا هذا سنبدأ بالخلافات التى حصلت بعد الامام الكاظم عليه السّلام ثم نتطرق من بعد ذلك الى المسائل المهمة فى حياة الامام.

فالادلة الروائية الكثيرة و ما كان يحظى به الامام من قبول بين الشيعة بالاضافة الى افضليته العلمية و الاخلاقية كلها تثبت صحة و صدق امامته، و رغم صعوبة العلم بامامته و وصايته فى اواخر حياة موسى بن جعفر عليه السّلام الا ان اكثر اصحاب الامام الكاظم عليه السّلام ايدوا تعيين الامام الرضا كوصى من قبل الامام الكاظم عليه السّلام.

و قد ذكر الشيخ المفيد اسماء اثنى عشر شخصا من هؤلاء الصحابة- الذين نقلوا الروايات بشأن تعيين الامام الرضا وصيا عن ابيه- اهمهم: داود بن كثير الرقى، و محمد بن إسحاق بن عمار، و على بن يقطين، و محمد بن سنان «۲»، ثم استعرض الروايات المذكورة بشكل موسع.

و ذكرها الأربلى أيضا مشفوعة بروايات اخرى، و قد جمعها بعض المؤرخين و المحدثين فى موضع واحد «۳».

ان الاختلافات التى حصلت بعد استشهاد الامام الصادق عليه السّلام حول وصيته

---

(۱) مقاتل الطالبيين ص ۳۷۵.

(۲) الارشاد، ص ۳۰۴.

(۳) عيون اخبار الرضا ج ۱ ص ۱۷- ۲۷، مسند الامام الرضا ج ۱ ص ۱۸- ۳۷، ر. ك: روضة الواعظين ج ۱ ص ۲۲۲.

جعلت الاصحاب يحتاطون هذه المرة، و هو ما دفعهم الى السؤال و التثبت من الامام الكاظم حال حياته عن وصيه من بعده.

فقد روى نصر بن قابوس: «قلت لأبى ابراهيم (موسى بن جعفر) انى سألت ابا عبد اللّه عن الامام من بعده، فاخبرنى أنك أنت هو. فلما توفى ذهب الناس عنك يمينا و شمالا، و قلت فيك انا و اصحابى، فاخبرنى عن الامام من ولدك، قال: ابنى على».

و مع ذلك فقد حصلت عدة مشاكل بسبب ظروف التقية و انتهازية بعض الاشخاص الذين استلموا اموالا من شيعة الكوفة نيابة عن

الامـام الكـاظم عليه السّـلام، و وجود عـدد من الروايـات الملفقـة و المعـدة لحرف الاذهـان عن الامام عليه السّـلام، فى حين ان الامام الكاظم عليه السّـلام نصب الامام الرضا وصـيا له و هو فى المدينة بين الشـيعة و العلويين. و قد حضـر الكثير منهم الواقعة و شهد عملية التنصيب بنفسه «۱».

كما روى المرحوم الطبرسـى ان المشـكلة الاساسـية سـببها بعض ممن اجتمعت لـديهم الاموال الشـرعية خلال المـدة الاخيرة من حياة الامام التى قضاها فى السجن.

فقـد كتب الطبرسـى ما يلى: «لما مات ابو الحسن عليه السّـلام و ليس من قوّامه احـد الا عنده المال الكثير، فكان ذلك سـبب وقفهم و جحودهم لموته» «۲».

و قول الطبرسـى هـذا، اشارة الى روايـة وردت عن الكشـى قال فيها: ان ثلاثين الف دينار قـد حملت الى وكيلين لموسـى عليه السّـلام بالكوفة احدهما حيان السراج

---

(۱) الكافى ج ۱ ص ۳۳، رجال الكشى ص ۴۵۱.

(۲) عيون اخبار الرضا ص ۲۸.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۶۳

و الآـخر كان معه، و كان موسـى عليه السّـلام فى الحبس فاتخـذا بـذلك دورا و عقـدا العقود و اشتريا الغلات. فلما مات موسـى عليه السّـلام و انتهى إليهما الخبر، انكرا موته، و اذاعا فى الشـيعة أنه لا يموت، لأنه القائم. حتى كان عنـد موتهما أوصـياء بدفع ذلك المال الى ورثة موسى عليه السّلام، و استبان للشيعة انهما قالا ذلك حرصا على المال «۱».

و من الاسـباب الاـخرى لظهور هـذا الاـنحراف- و هو مـا حصـل لبعض الائمـة السابقين أيضا- هو مفهوم المهدويـة الـذى كان يمتاز بفاعلية بين الشيعة و ان كانت روايات اهل السنة ليست بأقل منها فى هذا المضمار.

و لاـ شـك ان هـذا الاـنحراف لاـ يعزى فى اكثر المناسـبات الى الانتهـازيين و النفعيين فقط، بل ان بعض الناس كان يقع فى مثل هـذا الاـنحراف نتيجـة لاعتقاده بمهـدى آل محمـد، و جهله بالمصـداق الحقيقى لـذلك. كما لا يخفى أيضا تأثير الافكار المغاليـة و الآراء المتطرفـة فى ظهور و انتشـار مثـل هـذه التوجهـات. و على ايـة حـال فـان فكرة مهدويـة الامـام الكاظم عليه السّـلام كان يروّج لها بعد استشهاده أيضا حيث كان يشاع من قبل جماعة من الناس أنه لا زال حيا و قد قرر الغيبة.

و قد احصى الشيخ المفيد فى كتاب (الفصول المختارة) الانقسامات التى حصلت بين الشيعة بعد استشهاد الامام الكاظم عليه السّلام. و اورد سعد بن عبد اللّه الاشعرى نفس المواضيع فى كتابه (المقالات و الفرق). و المجال لا يسع هنا للتحدث عن جميع تلك القضايا. و لكن لا باس بالاشارة إليها باختصار:

بعد استشهاد الامام الكاظم عليه السّلام انقسمت الشيعة الى قطعية و واقفية.

فالقطعية: الذين قطعوا بوفاة الامام الكاظم عليه السّلام. و الواقفية: هم من وقفوا على

---

(۱) رجال الكشى، طبعة مشهد ص ۴۶۰.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۶۴

امامـة الكاظم عليه السّـلام، و قالوا انه لم يمت و سـيخرج بعـد الغيبة. و قد اعتبر الشهرسـتانى القطعية و (الشـيعة) الاثنى عشـرية مذهب واحد «۱».

و على اية حال فان الاعتقاد بمهدوية الامام الكاظم عليه السّلام ادى الى حصول انحراف لدى الشيعة و بقيت جماعة منهم بلا امام «۲».

و فى نهايـة المطـاف انتهز شـخص يـدعى (محمـد بن بشـير) هـذه الحالـة من التشـتت و اسـس فرقـة اطلق عليها اسم الممطورة، تعتقد بالتناسخ و تبيح المحرمات. فسمّاهم على بن اسماعيل و هو احد متكلمى الشيعة بالكلاب الممطورة، فاشتهروا لاحقا بهذا الاسم «۳». و قد اورد الاشعرى تفاصيل معتقداتهم و قال: عقائدهم فى التفويض كعقائد الغلاة. و بقيت هذه الفرقة حتى زمن تاليف كتاب الاشعرى «۴». و قـد اشار كل من الاشـعرى و المفيـد الى ظهور معتقد آخر آنذاك يشـير الى ان الائمة من بعد الامام الكاظم عليه السّـلام ليسوا بأئمة، بل هم خلفاؤه واحدا بعد واحد الى اوان خروجه. و جذور هذا المعتقد مأخوذة من فكرة المهدوية أيضا «۵».

و النقطة التى ينبغى الاشارة إليها هنا، هو ان الثقافة و المعارف الشـيعية قد انتشـرت بين الشـيعة بشكل واسع و كامل. و انطلاقا من هذه الحقيقـة، لم يكن لتلـك الانحرافات السـطحية اى تأثير على اصل التشـيع. فبعـد الامام الباقر قام كل من الامام الصادق و الامام الكاظم عليهم السّـلام بتربيـة عدد كبير من الشـيعة صار كل واحد منهم عالما متبحرا فى الفقه و الكلام الشـيعى فيما بعد، فى الوقت الذى كان اغلب

---

(۱) الفرق بين الفرق، ص ۴۰، الملل و النحل، الشهرستانى، ج ۱ ص ۱۵۰.

(۲) وصفهم الامام الرضا فى رواية وردت عنه بقوله: «يعيشون حيارى و يموتون زنادقة».

(۳) راجع: كتاب الملل و النحل، ج ۱ ص ۱۵۰.

(۴) المقالات و الفرق، ص ۹۳.

(۵) الفصول المختارة، ص ۲۵۴، المقالات و الفرق، ص ۹۰.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۶۵

المنحرفين عن الخط الشـيعى من ضـعيفى النفـوس الـذين لاـ يمكنهم النمو الاـ فى ظـل ظروف خاصـة و اسـتثنائية. و قـد حـال بعض الاشـخاص من امثال هشام بن الحكم و هشام بن سالم و يونس بن عبد الرحمن و على بن اسـماعيل- و كانوا من كبار رجال الشـيعة- دون رسوخ الانحرافات فى المـذهب الشـيعى، و حافظوا بعد ذلك على ثقافة الحديث لدى الشـيعة مسـتعينين بالاصول الى ان قام كل من المرحوم الكلينى و الصدوق بجمع تلك الاصول باسلوب منظم.

ولاية عهد الامام:

إن اهم مسألة تاريخية فى حياة الامام الرضا عليه السّلام هى حادثة توليته للعهد، حيث سنحاول فى هذه العجالة القاء الضوء على بعض جوانبها و النقطة الاساسية فى ولاية عهد الامام هى قصد المأمون الى استغلال تلك القضية، و موقف الامام الرضا عليه السّلام الهادف الى احباط تلك النية. و قد تم إيضاح هذه النقطة بشكل واسع و مفصل على يد الاستاذ العزيز الفاضل السيد جعفر مرتضى العاملى فى كتابه القيم (الحياة السياسية للامام الرضا).

و قد عرض الاسـتاذ السـيد جعفر فى كتابه احدى عشـرة نقطة كأهداف و دوافع للمأمون، و اورد لكل نقطة منها شواهد و قرائن خاصة «۱». اما نحن فسـنأتى على ذكر المواضيع المستفادة من كلمات المأمون او الامام الرضا عليه السّلام فى هذا الصدد فقط. و نترك مهمة مراجعتها و الاطلاع عليها للقارئ العزيز بعد التنبيه الى ان الاستاذ اوردها فى كتابه على افضل وجه ممكن.

---

(۱) كشف الغمة، ج ۲ ص ۲۸۲- ۲۸۳.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۶۶

هدف المأمون:

لم تكن فكرة ولايـة العهـد وليدة الساعة و إنما هى فكرة خطّط لها بدقة من قبل المأمون، و حسب لها حسابها. حيث اظهر المأمون من خلالها و باداء خاص أنه كثير الحب للامام الرضا عليه السّلام، و أنّه قام بهذا العمل لاعتقاده باحقية العلويين فى موضوع الخلافة. و قد كان المأمون ماهرا فى تظاهره بحيث جعل مثل الاربلى ينسب اقوالا الى السيد ابن طاوس و يبدى نفسه أيضا تمايلا واضحا الى اعتبار المأمون بريئا من تهمة قتل الامام، و انه كان يحبه و يميل إليه و لا ريب ان تسليم الخلافة لشخص علوى- فى تلك الظروف التى كان يتعرض فيها العلويون لاقسى انواع القمع على يد خلفاء بنى العباس عامة- يوقع الانسان فى الخطأ بشأن المأمون، و يبدو ان هاتين الشخصيتين قد وقعتا فى نفس ذلك الخطأ.

ان القاء نظرة واحدة على بعض كلمات المأمون او كلمات الامام عليه السّلام نفسه بل و بعض صحابة الامام و شيعته يمكن ان تدلنا على حقيقة الامر. و القضية التى تسترعى الانتباه هنا هى ان المأمون كان شخصا يمتاز بنبوغ سياسى بارع، حيث تمكن من التغلب على جميع المعوقات و العراقيل التى كانت تعترض سبيل خلافته منذ البداية، و استطاع تذليلها الواحدة بعد الاخرى و تثبيت ركائز حكمه بالتدريج.

و النقطة الاخرى التى ينبغى النظر إليها من وراء تظاهر المأمون هى ان الاتجاهات المذهبية التى كانت سائدة فى زمانه بالاضافة الى الشيعة و الزيدية هم اهل الحديث و المعتزلة.

و اهل الحديث باعتبارهم فرقة عثمانية المذهب كان لهم موقف معارض لامير المؤمنين عليه السّلام، لكن المعتزلة فى بغداد كانت لهم ميولات نحو امير المؤمنين عليه السّلام

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۶۷

على العكس من قدمائهم فى البصرة الذين كانوا عثمانيى المذهب أيضا. و قد ادى موقف اهل الحديث هذا الى ان يتهم كل من يبدى رايا ايجابيا بشأن امير المؤمنين بالتشيع و لهذا السبب اتهم المعتزلة بالتشيع. اذ كان اهل الحديث يعتقدون ان التشيع ليس الا حمل نظرة ايجابية عن الامام على عليه السّلام، و ان كان قد حصل فيما بعد تغيّر فى ثقافة علماء الرجال فى هذا المفهوم، و هو ما يخرج عن نطاق بحثنا «۱».

لقد راج سوق تهمة التشيع فى تلك الأيام الى درجة ان المأمون و المعتزلة انفسهم لم يسلموا من تلك التهمة أيضا، بل قد وجهت لهم التهم و بشكل اكثر تطرفا مما تعرض له الآخرون، لأنه كان يقول بتفضيل و تقديم الامام على عليه السّلام على سائر الخلفاء. و قد ادى ذلك الى اعتبار المأمون من وجهة النظر التاريخية شخصا شيعيا «۲». لكن ما ينبغى الاشارة إليه هنا هو ان اعتبار المأمون شخصا معتزليا يحمل عن الامام امير المؤمنين عليه السّلام مثل هذه النظرة لا- يتنافى ابدا و موقفه السياسى من الامام الرضا عليه السّلام و الاستفادة منه فى الاعيبه السياسية، بل يحتمل ان معتقداته أيضا لم تكن سوى مسرحية سياسية فقط لكن اثبات ذلك يستلزم كثيرا من المطالعة و التتبع.

و فى هذا السياق ينبغى بحث و دراسة هدف المأمون من تنصيب الامام الرضا عليه السّلام كولى للعهد.

و قد عرض المأمون عدة نقاط للرد على الاعتراضات التى وجهت إليه بخصوص تولية الامام الرضا توضح الخطوط العريضة لسياسته و غرضه من ذلك.

---

(۱) راجع كتاب: تاريخ التشيع فى ايران ص ۱۵ و ما تلاها.

(۲) مروج الذهب، ج ۳ ص ۴۱۷، ابن الاثير ج ۶ ص ۴۰۸.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۶۸

اذ قال المأمون فى رد المعترضين عليه: «قد كان هذا الرجل مستترا عنا يدعو الى نفسه، فاردنا ان نجعله ولى عهدنا، ليكون دعاؤه لنا، و ليعترف بالملك و الخلافة لنا، و ليعتقد فيه المفتونون به أنه ليس مما يدّعى فى قليل و لا كثير، و ان هذا الامر لنا من دونه، و قد خشينا ان تركناه على تلك الحالـة ان يفتق علينا منه ما لا نسده، و يأتى علينا منه ما لا نطيقه. و الآن قد فعلنا به ما فعلناه، و اخطأناه فى امره بما اخطأنا، و اشـرفنا من الهلاك بالتنويه به على ما اشـرفنا، فليس يجوز التهاون فى امره، و لكنا نحتاج ان نضع منه قليلا قليلا حتى نصوّره عند الرعايا بصورة من لا يستحق لهذا الأمر، ثم ندبر فيه بما يحسم عنا موادّ بلائه» «۱».

ففى بدايـة حـديثه اشار المأمون الى هـدفه من هـذا الاجراء و بين ان الامام الرضا لو قبل ولاية العهد، فانه يقبل لزاما بمشـروعية خلافة بنى العباس، مما يشـكل اعترافا رسـميا من العلويين بخلافة العباسـيين. و هذا ما يعتبر امتيازا ضخما بالنسبة لهم، و سيؤدى ذلك بشكل طبيعى الى زوال ذلك الاختلاف و العداء الذى كان قائما بين تينك العائلتين و ينتهى لصالح العباسيين.

و النقطـة الاخرى المسـتهدفة من وراء المجيء بالامام الى اجهزة الخلافـة هى تحديـد نشاطاته و السـيطرة عليها، فلا يكون بامكانه بعد ذلك تقـديم نفسه كامام للناس. لأنه سـيكون مطلوبا منه حينذاك ليس الدعوة لنفسه فقط بل الدعوة للخليفة الذى قبل ولاية عهده. و بهذا ينتهى و الى الابد جانب الاستقلال الذى كان يصبغ خلافة آل على.

و النقطة الثالثة هى ان قبول الرضا عليه السّلام لولاية العهد سيؤدى الى تحجيم

---

(۱) عيون اخبار الرضا: ج ۲ ص ۱۶۷- ۱۶۸.

شخصيته، و التقليل من شأنه و منزلته، و اسقاطه فى نظر اتباعه، و لن يعترف به احد بعد ذلك كشخصية منزهة و مقدسة. و سيكون من الواضح آنذاك ان اقواله لم تكن إلّا ادعاءات خاوية لا اكثر و لا اقل.

فحين سئل ابو الصلت الهروى عن سبب جعل المأمون ولاية عهده للامام الرضا عليه السّلام قال:

«و جعل له ولاية العهد من بعده ليرى الناس انه راغب فى الدنيا، فيسقط محله فى نفوسهم» «۱».

«و كـان المـأمون قـد راى آل امير المؤمنين على بن ابى طالب متخشـين، متخفين من المنصور و من جاء بعـده من بنى العباس، و رأى العوام قد خفيت عنهم امورهم بالاختفاء، فظنوا بهم ما يظنونه بالانبياء، و يتفوهون بما يخرجهم عن الشـريعة من التعالى، ففكر المأمون ان لو اخرجهم للناس و رأوا فسق الفاسق منهم، و ظلم الظالم، لسـقطوا من اعينهم، و لا نقلب شـكرهم لهم ذما. و هذا ما ذكره القفطى فى كتابه» «۲».

و بما ان الناس كانت تنظر الى الخلافـة نظرة استهجان و احتقار و تعتبرها نوعا من الفساد، فقـد كان ادخال شـخص مهـذب فيها يعنى الانتقـاص من قيمته، و الحـط من شخصـيته الاجتماعيـة. كمـا ان الزهـد و الورع لمّـا كـان يتنـافى مع الخلافـة- الـتى كـان يسـير عليها العباسيون- فقد كان القبول بولاية العهد إضعافا و ضعة لمقام الامام. و لذا اعترض عليه المعترضون بالقول: «يا ابن رسول اللّه ان الناس

---

(۱) عيون اخبار الرضا، ج ۱ ص ۲۶۵.

(۲) تاريخ الخلفاء، ص ۲۲۱، نقلناه عن كتاب حياة الامام الرضا ص ۲۲۲.

يقولون: إنك قبلت ولاية العهد، مع اظهارك الزهد فى الدنيا؟!! فقال عليه السّلام: «قد علم اللّه كراهتى ...» «۱».

و يمكن الاشـارة الى نقـاط اخرى غير التى سـبقت الاشارة إليها منها: ان المأمون كان يهـدف من وراء ذلك الى مرافقـة الامام الرضـا بشكل افضل. و مع انه كان تحت قبضته فقد نصب له عيونا يخبرونه بكل حركة من حركاته، و كل تصرف من تصرفاته «۲».

اضف الى ذلك ان ولايـة العهـد ادت الى عزل الامام عن شـيعته الحقيقيين و اسـتعمال العلويين فى اجهزة الخلافـة بقبوله لها، بعـد ان انفض العباسـيون من حول المـأمون نتيجـة الحرب بينه و بين اخيه، و هو مـا يشـكل دافعا مهما للعباسـيين للعودة و الالتفات ثانيـة حول المأمون «۳».

كما ان عجز المأمون عن مواجهة الثورات العلوية كانت من المسائل التى يلزم البحث عن حل مناسب لها و لذا كتب فى الكتاب الذى ارسله الى عبد اللّه بن موسى ليجعل له ولاية العهد بعد اخيه: «ما ظننت احدا من آل ابى طالب يخافنى بعد ما عملته بالرضا» «۴».

«الا أنه لم ينخدع، بل اتهم المأمون بقتل الامام. و ان جعل الرضا عليه السّـلام وليا للعهد كان سـيحط من منزلته فى نظر بعض الناس. و قد نجح فى التظاهر بحبه الشديد للامام- و هو ما كان مقبولا لدى الكثيرين- حتى أنه حين قتله لم يلتفت

---

(۱) بحار الانوار ج ۴۹ ص ۱۳۰، علل الشرائع ص ۲۳۸، حياة الامام الرضا، ص ۲۴۴.

(۲) عيون اخبار الرضا ج ۲ ص ۱۵۱، حياة الامام الرضا ص ۲۱۳.

(۳) الصلة بين التشيع و التصوف، الشيبى ص ۲۲۳.

(۴) مقاتل الطالبيين ص ۶۲۸.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۷۱

احد من الناس الى تلك الجريمة، و لم يتهم فيها المأمون» «۱».

رد فعل الامام عليه السّلام.

كـان أول رد فعـل ظهر من الامـام تجـاه ولايـة العهـد هو الامتناع عن التوجه الى خراسان حيث كان توجيهه إليها يعتبر انتصارا سياسـيا للمأمون، و رفض قبول ذلك، الا ان رجاء بن ابى الضحاك اكرهه على السفر.

ينقـل الكلينى عن ياسـر الخـادم و ريـان بن الصـلت: «لمـا انتهت قضـية الامـين و اسـتوى الحكم للمأمون كتب الى الرضا عليه السّـلام يسـتقدمه الى خراسـان فاعتـل عليه ابو الحسن عليه السّـلام بعلل، فلم يزل المأمون يكاتبه فى ذلك حتى علم أنه لا محيص له، و انه لا يكفّ عنه، خرج الى خراسان» «۲».

و نقل الصدوق عن محول السجسـتانى «لما جاء رسول المأمون ليأخذ الامام الرضا الى خراسان، كنت عنده، فذهب الرضا عليه السّـلام الى قبر جده رسول اللّه ليودعه فرأيته يخرج من الضـريح و يعود إليه عدّة مرات و قد رفع صوته بالبكاء، فدنوت منه، و سـلمت عليه، و سألته عن علة بكائه، فقال:

«اننى سأفارق جدى، و اذهب عن جواره، و اموت فى دار الغربة ...» «۳».

مضافا الى ذلك فان الامام لما عزم على السـفر الى خراسان لم يصطحب معه احدا من افراد عائلته، و هذا دليل واضح على أنه لم يول ذلك السفر أية قيمة.

---

(۱) حياة الامام الرضا ص ۲۴۱.

(۲) الكافى: ج ۱ ص ۴۴۸.

(۳) عيون اخبار الرضا ج ۲ ص ۲۱۸.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۷۲

يقول الحسن بن على الوشـاء، قـال لى الامام: «انى حيث ارادوا الخروج من المدينـة، جمعت عيالى فامرتهم ان يبكوا علىّ حتى اسـمع.

ثم فرّقت فيهم اثنى عشر الف دينار، ثم قلت: اما انى لا ارجع الى عيالى ابدا» «۱».

لا ـ شك ان مثل هذا السلوك كان كافيا لافهام ذوى الوعى السياسى و خاصة الشيعة المرتبطين بالامام مباشرة أنه وافق على السفر بالاكراه. و قد اوضح هذا المعنى فيما بعد بشكل مباشر لاصحابه المقربين، و منهم عبد السلام الهروى الذى نقل عنه انه قال: «و اللّه ما دخل الرضا عليه السّلام فى هذا الامر طائعا» «۲».

ثمّ ان الامام اخرج من المدينة، و أخذ الى خراسان عن طريق البصرة و فارس «۳».

و لا ـ بأس بالاشارة الى موقف الامام فى مدينة نيسابور حيث استغلّ الامام وجود حشد غفير من الناس هناك، فبيّن لهم التوحيد و الولاية و اشتراطها للنجاة من النار، ثم دخل الى عاصمة المأمون فى خراسان. و هناك عرض المأمون على الامام طلبه باحالة الخلافة إليه، لكن الامام رفض قبول الخلافة رغم اصرار المأمون على ذلك، ثم قبل ولاية العهد مكرها بعد ذلك.

و كما بين الاستاذ السيد جعفر مرتضى العاملى فان قرار المأمون بتسليم الخلافة للامام لم يكن جديا، و الدليل المقنع على هذا الادعاء هو تهديده للامام بالقتل فى حال عدم قبوله لولاية العهد «۴» فانه لا ينسجم ابدا مع ما كان يتظاهر به

---

(۱) عيون اخبار الرضا ج ۲ ص ۲۱۹، اثبات الوصية ص ۲۰۳، مسند الامام الرضا ج ۱ ص ۱۶۹.

(۲) نفس المصدر السابق ص ۱۴۰.

(۳) خصوصا و ان الامام لم يؤخذ من طريق الكوفة و قم. و ان احتمل ان الامام كان قد مرّ بقم خلال السفر الذى يحتمل أنه قام به قبل ذلك الى مدينة قزوين.

(۴) حياة الامام الرضا ص ۲۸۵، راجع كتاب علل الشرائع فيما يخص اكراه الامام على قبول ولاية العهد

المأمون من التبعية العقائدية. و لو كان يعتقد به حقيقة لما ارجعه عن اداء صلاة العيد من منتصف الطريق.

و على أية حال فان اصرار المأمون على قبول الامام الرضا عليه السّلام لولاية العهد، و ما صاحب ذلك من تهديد بالقتل فى حالة الرفض، ادى الى ان يجد ابو الحسن عليه السّلام نفسه مكرها على الموافقة «۱».

و مع ذلك فقد بذل الامام كل جهده لصرف المأمون عن بلوغ اهدافه التى توخاها من هذه اللعبة. و بعد شهرين من الأخذ و الرد و البحث و الجدل بين الامام و المأمون قبل الامام ولاية العهد مكرها «۲».

و الأهم من كل ذلك ان الامام عليه السّلام اعتبر موقف المأمون عملا يثبت احقية اهل البيت و الائمة الاطهار عليهم السّلام بالخلافة، لأنه لم يسبق لأحد من الخلفاء ان اعترف بمثل هذا الحق للعلويين و كان مثل هذا العمل يثبت بطلان جميع اجراءات الخلفاء السابقين- من الامويين و العباسيين- التى كانت تتعارض و هذه الاحقية.

و لذلك قال عليه السّلام.

«الحمد للّه الذى حفظ منا ما ضيع الناس و رفع منا ما وضعوه حتى لقد لعنا على منابر الكفر ثمانين عاما، و كتمت فضائلنا، و بذلت الاموال فى الكذب علينا، و اللّه يأبى لنا الا ان يعلى ذكرنا و يبين فضلنا» «۳».

ج ۱ ص ۲۲۶.

(۱) مقاتل الطالبيين ص ۳۷۵.

(۲) عيون اخبار الرضا ج ۲ ص ۱۴۸.

(۳) نفس المصدر ص ۱۶۲.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۷۴

و فى أول مجلس عقد لتقديم الامام كولى للعهد، اوضح عليه السّلام هذا التعبير بشكل مختصر حين قال:

«ان لنا عليكم حقا، برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و لكم علينا حق، فاذا اديتم إلينا ذلك وجب علينا الحق لكم» «۱».

و الامر الذى يبدو اكثر اهمية بين كل هذه النقاط، هو استدلال الامام على المأمون قبل الموافقة على قبول ولاية العهد، اذ محكه بذلك القول، و سد عليه الطريق، و هو اما ان ينكر حق الخلافة لنفسه و لآبائه، و أما ان يترك الامام و شأنه اذ قال له: «ان كانت هذه الخلافة لك و جعلها اللّه لك فلا يجوز ان تخلع لباسا ألبسكه اللّه و تجعله لغيرك، و ان كانت الخلافة ليست لك فلا يجوز لك ان تجعل ما ليس لك» «۲».

و من اجل احباط الهدف الذى من اجله عينه المأمون وليا للعهد قال الامام لمن سأله عن سبب قبوله لولاية العهد؟ «حملنى على قبولها ما حمل جدى امير المؤمنين عليه السّلام على الدخول فى الشورى» «۳».

و قال أيضا: «قد علم اللّه كراهتى لذلك، فلما خيرت بين قبول ذلك و بين القتل اخترت القبول على القتل» «۴».

و على اية حال فقد اضطر الامام الى قبول ولاية العهد، الا أنه- و كما سبقت

---

(۱) مقاتل الطالبيين ص ۳۷۵.

(۲) عيون اخبار الرضا، ج ۲ ص ۱۳۸، روضة الواعظين ص ۲۲۳.

(۳) نفس المصدر ص ۱۴۰.

(۴) نفس المصدر ص ۱۴۰.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۷۵

منا الاشارة- سعى الى الحيلولة دون استغلال تلك القضية سياسيا، فقد اشار عليه السّلام بعد مبايعته لولاية العهد- فى خطبة مهمة- الى عدد من القضايا المهمة فى قوله:

«ان امير المؤمنين عضده اللّه بالسداد، و وفقه للرشاد عرف من حقنا ما جهله غيره، و انه جعل إلىّ عهده و الامرة الكبرى ان بقيت بعده» «۱».

ان الحصول على اعتراف من المأمون باحقية اهل البيت عليهم السّلام فى الخلافة، كانت واحدة من النقاط التى يؤكد عليها الامام، فحصل عكس ما اراده المأمون و هو اعتراف الامام بخلافته، بينما اعترف هو بامامة و احقية اهل البيت عليهم السّلام فى الخلافة. و قد عرض الامام ابو الحسن عليه السّلام شروطا لقبول ولاية العهد كفيلة بابعاده عمليا عن التدخل فى الشؤون السياسية و الاجتماعية بشكل عام و كانت شروطه كما يلى:

«و انا اقبل ذلك على انى لا أولى احدا، و لا اعزل احدا، و لا انقض رسما، و لا سنة، و اكون فى الامر من بعيد مشيرا» «۲».

ان التمعن فى جملة المسائل المارة الذكر يثبت لنا ان الامام لم يشأ تحمل تبعات الوضع القائم آنذاك و الممارسات التى ترتكب من قبل السلطة، حتى لا يظن ظان ان الامام يشرف على تدبير الامور، أو يتهمه احد بالتدخل فى تلك الشؤون، لأن ما يجرى فى البلاد و القرارات التى تتخذ فيها أنما هى من شخص المأمون، و ليس للامام علاقة فيها، و يعتبر ذلك امتيازا كبيرا كسبه الامام من المأمون.

---

(۱) عيون اخبار الرضا ج ۲ ص ۱۴۵، التدوين فى اخبار قزوين ج ۳ ص ۴۲۶.

(۲) عيون اخبار الرضا، ج ۲ ص ۱۴۸، ر. ك: نور الابصار، ص ۱۴۳، الارشاد، ص ۳۱۰، الكافى، ج ۱ ص ۴۸۷، روضة الواعظين ص ۲۲۴، اعلام الورى ص ۳۲۰، البحار ج ۴۹، ص ۳۴، حياة الامام الرضا ص ۳۴۷.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۷۶

و بهذا يكون على بن موسى عليه السّلام قد حال دون تشويه سمعته، و الحط من قيمة نفسه من جرّاء تواجده فى الجهاز الحكومى. و لهذا كان يقول عليه السّلام: «انى ما دخلت فى هذا الأمر الا دخول الخارج منه» «۱».

و الحقيقة ان الامام لم يكن مستعدا لتحمل النتائج المتأتية عن قرنين من الانحراف.

يقول محمد بن ابى عباد: «قلت للرضا عليه السّلام: لم اخرت- اعزك اللّه- ما قاله لك المأمون و أبيته؟ فقال: و يحك انا لست من هذا الأمر فى شىء؛ و ما لك فى هذا لو آل الامر الى ما تقول و أنت منى كما أنت عليه الآن ما كانت نفقتك الا فى كمك و كنت كواحد من الناس» «۲».

علاقة الامام الرضا عليه السّلام بالمأمون من بداية ولاية العهد حتى استشهاده:

يمكن هنا الاشارة و باختصار الى نقطتين جوهريتين هما:

أ- ان المأمون بعد ان جلب الامام عليه السّلام الى مدينة مرو عقد اجتماعات عديدة للمناظرة كان يحضر فيها اكابر العلماء. و كانت تجرى فى تلك الجلسات مباحثات و مناظرات بين الامام عليه السّلام و بقية الفقهاء و العلماء و كانت مواضيعها اشبه ما تكون مقصورة- و بصورة متعمدة- على المسائل الفقهية و الاعتقادية، و قد جمع المرحوم

---

(۱) عيون اخبار الرضا ج ۱ ص ۱۶۵.

(۲) نفس المصدر ج ۱ ص ۱۷۵.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۷۷

الطبرسى اكثرها فى كتابه «۱».

و كان هدف المأمون من عقد تلك المناظرات العلمية اظهار حبه للعلم و ذلك ما ينبغى اعتباره ميزة تميزه عن سائر خلفاء بنى العباس، و لا سيما ميله للمسائل العقلية و مجاراته للمعتزلة. الذى ادّى به الى الوقوف بوجه اهل الحديث و دحرهم علميا. الا ان القضية ما كانت تنتهى عند هذا الحد، فقد كان للمأمون هدف آخر من ورائها، حيث اراد من خلال حشره للامام فى هكذا مناظرات ان يزيل تلك النظرة التى كانت فى اذهان الناس عن اهل البيت عليهم السّلام بشأن امتلاكهم علما خاصا كأن يكون من نوع العلم اللدنى و الالهى.

يقول المرحوم الصدوق فى هذا المضمار. «كان المأمون يجمع للامام الرضا عليه السّلام اهل المقالات من اهل الاسلام و الديانات من اليهود و النصارى و المجوس و الصائبين، عسى ان يعجز عن الاجابة على احد اسئلتهم فيحط من قدره فى اعينهم حسدا منه للامام و منزلته الاجتماعية. و لكن لم يقم منهم احد ألا و قد الزمه حجته كأنه القم حجرا» «۲».

و كان المأمون يعقد مجالس النظر، و يجمع المخالفين لاهل البيت عليهم السّلام، و يكلمهم فى امامة امير المؤمنين على بن ابى طالب عليه السّلام، و تفضيله على جميع الصحابة تقربا الى ابى الحسن على بن موسى الرضا عليه السّلام. و كان الرضا يقول لاصحابه الذين يثق بهم: «لا تغتروا بقوله، فما يقتلنى و اللّه غيره، و لكنه لا بد

---

(۱) الاحتجاج ج ۲ ص ۱۷۱، ر. ك.: عيون اخبار الرضا ج ۱ ص ۱۲۶، بحار الانوار ج ۴۹ ص ۱۸۰- ۲۱۶.

(۲) عيون اخبار الرضا ص ۱۵۲.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۷۸

لى من الصبر حتى يبلغ الكتاب اجله» «۱».

و قد حكى عن عبد السلام الهروى قوله: «رفع الى المأمون ان ابا الحسن على بن موسى عليه السّلام يعقد مجالس الكلام و الناس يفتتنون بعلمه، فامر محمد بن عمرو الطوسى حاجب المأمون فطرد الناس عن مجلسه، فدعا الامام على المأمون و كان من جملة ذلك الدعاء:

«يا بديع، يا قوى، يا منيع، يا على، يا رفيع، صلّ على من شرفت الصلاة بالصلاة عليه، و انتقم لى ممن ظلمنى، و استخف بى، و طرد الشيعة عن بابى» «۲».

فاصبحت تلك القضية دليلا اساسيا على استشهاد الامام.

يقول احمد بن على الانصارى سألت ابا الصلت الهروى فقلت له: «كيف طابت نفس المأمون بقتل الرضا عليه السّلام مع اكرامه و محبته له، و ما جعل له من ولاية العهد بعده؟ فقال: ان المأمون انما كان يكرمه و يحبه لمعرفته بفضله، و جعل له ولاية العهد من بعده ليرى الناس أنه راغب فى الدنيا فيسقط محله فى نفوسهم. فلما لم يظهر فى ذلك منه للناس الا ما ازداد به فضلا عندهم، و محلا فى نفوسهم، جلب عليه المتكلمين من البلدان طمعا فى ان يقطعه واحد منهم، فيسقط محله عند العلماء، و يشتهر نقصه عند العامة. فكان لا يكلمه خصم من اليهود و النصارى و الصابئين و البراهمة و الملحدين و الدهرية، و لا خصم من فرق المسلمين المخالفين الا قطعه و الزمه الحجة. و كان الناس

---

(۱) عيون اخبار الرضا ج ۲ ص ۱۸۳، بحار الانوار ج ۴۹ ص ۱۸۹.

(۲) عيون اخبار الرضا ج ۱ ص ۱۲۶.

يقولون: و اللّه أنه اولى بالخلافة من المأمون. و كان اصحاب الاخبار يرفعون ذلك إليه فيغتاظ، و يشتد حسده له. فلما اعيته الحيلة فى امره اغتاله، فقتله بالسم» «۱».

ب- اما النقطة الثانية التى ادت الى تعكير العلاقة بين المأمون و الامام فهى ذهاب الامام الى صلاة العيد. فقد طلب المأمون منه ان يركب و يحضر العيد، لكن الامام اعتذر عن ذلك بناء على الشروط التى كان قد اتفق عليها مع المأمون فى بداية القبول بولاية العهد. فما زال يرده الكلام فى ذلك، فلما ألح عليه قال: اعفنى و إلّا تعفنى اخرج كما كان يخرج رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و كما خرج امير المؤمنين على ابن ابى طالب عليه السّلام. فقال المأمون: اخرج كما تحب.

و كان الناس يتوقعون حينها ان يخرج عليهم الامام الرضا عليه السّلام على هيئة الملوك، و بآداب و رسوم خاصة، الا أنهم دهشوا لما رأوه خرج حافيا و هو يكبر.

فسقط القوّاد عن دوابهم، و رموا بخفافهم، و انطلقوا خلف الامام. و كان الامام يمشى و يقف فى كل عشر خطوات وقفة و يكبر.

و بلغ المأمون ذلك فقال له الفضل بن سهل: يا امير المؤمنين ان بلغ الرضا المصلى على هذا السبيل افتتن به الناس، فالرأى ان تسأله ان يرجع.

فسأله الرجوع فدعا ابو الحسن عليه السّلام بخفه فلبسه و رجع «۲».

ان الخطر الذى احس به المأمون من هذه الحادثة دفعته الى الاعتقاد بأن وجود الامام لن يجديه نفعا، بل و سيكون سببا فى اثارة الاوضاع ضده. و لذا

---

(۱) عيون اخبار الرضا ج ۱ ص ۲۶۵.

(۲) الكافى ج ۱ ص ۴۹۰، عيون اخبار الرضا ج ۲ ص ۲۶۵، روضة الواعظين ص ۲۲۷.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۸۰

نصب عليه العيون لينقلوا له ما يكون من اخبار الامام «۱». لكن الامام لم يكن يطرح المواضيع التى تثير المأمون.

يقول ابو الصلت: «و كان الرضا عليه السّلام لا يحابى المأمون من حق، و كان يجيبه بما يكره فى اكثر احواله، فيغيظه ذلك و يحقده عليه و لا يظهر له. و لما اعيته الحيلة قتله بالسم» «۲».

و ذكر الشيخ المفيد: «ان الرضا على بن موسى عليه السّلام كان يكثر وعظ المأمون اذا خلا به، و يخوفه باللّه، و يقبح ما يرتكبه من خلافه، فكان المأمون يظهر قبول ذلك منه، و يبطن كراهته و استثقاله». و اورد الشيخ جملة من الامثلة على ذلك «۳».

و فى موارد اخرى كان الامام ينتقد اعماله صراحة، و خصوصا لما كان يبديه من اهتمام بالفتوحات العسكرية فى البلدان غير الاسلامية، و قد قال له مرة: «اتق اللّه فى امة محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و فكّر فى اصلاح امرهم» «۴».

استشهاد الامام:

يتضح من خلال ما استعرضناه سابقا ان المأمون لم يحقق النتائج التى كان يبتغيها من جلب الامام الى مرو، و لو ان الوضع استمر على هذا المنوال فان ذلك

---

(۱) بحار الانوار ج ۴۹ ص ۱۳۹، مسند الامام الرضا ج ۱ ص ۷۷، عيون اخبار الرضا ج ۲ ص ۱۵۳.

(۲) عيون اخبار الرضا ج ۱ ص ۲۶۵.

(۳) الارشاد ص ۳۱۵.

(۴) ر. ك، مسند الامام الرضا ج ۱ ص ۷۴.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۸۱

كان سيجلب عليه نتائج و خيمة و أضرارا لا تحمد عقباها. فالمأمون الذى لم يتورع عن قتل اخيه رغبة فى الحصول على الخلافة، و لم يتردد فيما بعد عن قتل وزيره- الذى تحمل الكثير من المتاعب و المصاعب فى سبيل ايصاله الى الخلافة- اقدم هذه المرة أيضا على ما كان يفعله اسلافه من قتل ائمة الشيعة من اجل الابقاء على خلافته، فتجرأ على قتل الامام الرضا عليه السّلام بواحدة من الاعيبه السياسية الخاصة «۱».

و قد اظهر المأمون للناس أنه حزن كثيرا لرحيل الامام الرضا، و بقى على قبره ثلاثة أيام بلياليها. و قد كانت تلك حيلة مؤثرة بنحو جعل عددا من علماء الشيعة لا يقرّون بفكرة استشهاد الامام الرضا على يده، و من جملتهم الاربلى «۲».

بينما تؤيد اكثرية علماء الشيعة صراحة و بالاستناد الى كثير من الروايات قضية استشهاد الامام على يد المأمون، و على رأس هؤلاء العلماء الشيخ الصدوق الذى الّف اكبر كتاب عن حياته.

الامام فى مواجهة الدعايات العباسية ضد العلويين:

ان اهم المشاكل التى واجهها العباسيون خلال فترة خلافتهم هى الثورات العلوية التى كانت تقوم ضدهم، و خاصة الزيدية الذين كان لهم الدور الفاعل فيها.

و مع انقضاء فترة خلافة السفاح التى تخلّلتها ثورة الشيعى العلوى (شريك بن الشيخ المهرى) فى خراسان أيضا، اخذت الثورات تندلع بين فترة و اخرى على عهد المنصور و المهدى و الهادى و هارون ... الخ ضد الخلافة العباسية. و كان الخلفاء

(۱) مقاتل الطالبيين ص ۳۳۷، الارشاد ص ۳۱۶.

(۲) كشف الغمة، ج ۲ ص ۲۸۲، و نسب هذا الرأى أيضا الى السيد ابن طاوس.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۸۲

يقمعون تلك الثورات بأشد الاساليب قهرا و دموية. لكن ذلك لم يكن يحد من لهيب تلك الثورات بل كان لهيبها يندلع بين الحين و الآخر فى زاوية من زوايا البلاد الاسلامية. و قد اتخذت هذه القضية فى القرن الثالث و الرابع للهجرة طابعا سياسيا خطيرا.

و قد ظل بعض الولاة مثل محمد خوارزم شاه حتى الايام الاخيرة من خلافة بنى العباس يتمرّد عليهم متذرّعا بكون الخلافة الاسلامية للعلويين. و بعد اساليب القمع الشديدة تلك التى يمكن العثور عليها فى كتب التاريخ و خاصة كتاب الاصفهانى (مقاتل الطالبيين) لجأ العباسيون الى انماط جديدة من المواجهة لتقويض مكانة العلويين فى المجتمع، منها: الدعايات المسمومة التى كان يستهدف من ورائها اسقاط الشخصية العلمية التى كان العلويون يحظون بها فى المجتمع. و قد كان تشويه الصورة الناصعة التى يحملها الناس عن عظمة بيت الرسالة هدفا مهما استخدم العباسيون مختلف اساليب الدعاية لتحقيقه و بما يتناسب و ظروف كل مجتمع و عصر.

و من الانماط الدعائية للعباسيين ضد العلويين- التى شاعت فى عهد هارون الرشيد- و قد يكون هو المروج الاصلى لها- قولهم ان العلويين يعتبرون بقية الناس عبيدا لهم. و قد اخذ العباسيون هذا المفهوم من الروايات التى تتحدث عن افضلية اهل البيت عليهم السّلام او مفهوم الامامة، و افضلية الامام و اصطفائه، و هى روايات مروية عن النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أو أئمة الشيعة، فاستغلوها فى دعاياتهم. فى حين ان هذه الروايات تؤكد فى الغالب على موضوع طاعة الناس المطلقة للامام و هذا شىء آخر غير الذى كان بنو العباس يشيعونه، لأن العباسيين كانوا يشيعون فى دعاياتهم بين الناس ان العلويين يعتبرونكم خدما لهم و يحقّرونكم، و من الطبيعى

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۸۳

ان تؤثر مثل هذه الدعايات فى بعض الناس السذج، و تبعدهم عن اهل البيت.

و لدينا شاهدان تاريخيان على هذه القضية:

الاول: هو الحادثة التاريخية التى وقعت بين محمد بن ادريس الشافعى و هارون الرشيد، اذ يظهر ان الشافعى كان من محبى اهل البيت و نقلت عنه اشعار أيضا فى هذا الصدد.

و كان الشافعى قد سافر الى اليمن، و اقام فيها مدّة عام، و قد نقلوا خلال ذلك لهارون خبرا مفاده: «ان الشافعى واحد العلويين يخطّطان للثورة عليك» فى حين ان الخبر كان عاريا عن الصحة. و غضب الرشيد لدى سماعه هذا الخبر و امر بالقبض على الشافعى، و إشخاصه إليه، فاشخص هو و جماعة من اصحابه الى بغداد. و لما وصل خبره الى محمد بن الحسين الشيبانى الفقيه الحنفى الذى كان فى خدمة هارون، طلب منه ان يعفو عن الشافعى كى لا يحمل ذلك على أنه مكيدة منه على الشافعى، لكن هارون رفض طلبه. و لما احضر الشافعى امام هارون كذّب الخبر من اساسه و اضاف:

«ليس فى الناس علوى الا و هو يظن ان الناس له عبيد، فكيف اخرج رجلا يريد ان يجعلنى عبدا» «۱».

فانشرح هارون لسماع هذا الكلام، و خلع عليه خلعة العلماء.

و كان الشافعى- كما سبقت الاشارة إليه- مولعا و متمسكا بحب آل محمد، و لكن لا يستبعد ان تكون الدعايات العباسية قد اثرت فيه أيضا.

(۱) الفتوح- ابن اعثم الكوفى ج ۸ ص ۲۴۸- ۲۴۹.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۸۴

الثانى: روايـة نقلتها مصادر متعـددة: فقـد اورد المرحوم الكلينى ان زيـد بن محمـد الطبرى قال: «كنت واقفا على رأس الامام الرضا، و الى جانبه جماعة من بنى هاشم و فيهم إسحاق بن الحسين العباسى، فالتفت إليه الامام و قال:

يا إسـحاق بلغنى ان الناس يقولون انا نزعم ان الناس عبيد لنا، لا و قرابتى من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ما قلته، و لا سمعته من آبائى قاله، و لا بلغنى عن احـد من آبائى قاله، و لكنى اقول: الناس عبيـد لنا فى الطاعـة، موال لنا فى الـدين، فليبلغ الشاهد الغائب» «۱».

و فى روايـة اخرى جـاء عن ابى الصـلت الهروى انه قـال: «قلت للامـام: يـا ابن رسول اللّه ما شـىء يحكيه عنكم الناس؟ قال: و ما هو؟ قلت: يقولون انكم تدّعون ان الناس عبيد لكم.

فقال: اللهم فاطر السموات و الارض عالم الغيب و الشهادة أنت شاهد بأنى لم اقل ذلك قط، و لا سمعت احدا من آبائى عليهم السّلام قاله قط. و أنت العالم لما لنا من المظالم عنـد هذه الامة، و ان هذه منها. ثم قال لى: يا عبد السـلام! اذا كان الناس كلهم عبيدنا على ما حكوه عنا فممن نبيعهم؟

قلت: يا ابن رسول اللّه صـدقت. ثم قال: يا عبد السـلام أ منكر أنت لما أوجب اللّه تعالى الناس الولاية كما ينكرها غيرك؟ قلت: معاذ اللّه، بل أنا مقرّ بولايتكم» «۲».

تظهر هاتان الروايتان و بوضوح. كيف ان العباسيين اتخذوا قضية حق هى

---

(۱) الكافى ج ۱، ص ۱۸۷، أمالى الطوسى ج ۱ ص ۲۱، أمالى المفيد ص ۱۵۶، مسند الامام الرضا، ج ۱ ص ۹۶.

(۲) عيون اخبار الرضا ج ۲ ص ۱۸۳، أمالى المفيد، طبعة النجف ص ۱۴۸، أمالى الطوسى ج ۱ ص ۲۱.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۸۵

قضية الولاية ذريعة و وسيلة لابعاد الناس عن الائمة عليهم السّلام.

و من الاسـاليب الاـخرى التى مارسـها خصوم اهل البيت عليهم السّـلام لتشويه سـمعتهم و الحط من شخصـيتهم فى المجتمع هو وضـع الاحـاديث و نسـبتها إليهم، و ساهم فى هـذا المجال اشـخاص سوى العباسـيين. فقـد كشف الامام الرضا عليه السّـلام السـتار عن هـذه المكيدة الخبيثة و قال فى رواية وردت عنه:

«ان مخالفينا وضعوا اخبارا فى فضائلنا و جعلوها على ثلاثة اقسام:

احدها: الغلو. و ثانيها: التقصـير فى امرنا. و ثالثها: التصريح بمثالب اعدائنا. فاذا سمع الناس الغلو فينا كفروا شيعتنا، و نسبوهم الى القول بربوبيتنا. و اذا سمعوا التقصير اعتقدوه فينا. و اذا سمعوا مثالب اعدائنا بأسمائهم ثلبونا بأسمائنا» «۱».

يتضـح جليـا من الروايـات السالفـة نوعيـة المسـاعى الخبيثـة التى كـانت تبـذل للنيـل من سـمعة اهل البيت بشتى الصور، و جعل الناس ينظرون إليهم نظرة سلبية.

الامام الرضا و المسائل الكلامية:

كان عصـر الامام الرضا عليه السّلام يعج بالبحوث الكلامية التى تمثل المذاهب الفكرية المختلفة، و كان لفئتين منها- و هما المعتزلة و اهل الحديث- النصيب الاكبر فى نشوب ذلك الصراع، و مع ان الخلفاء العباسيين كانوا يشاركون بشكل أو أخر فى تلك المسائل، الا أنه لا يمكن مقارنة اى واحد منهم مع المأمون فى قضية

---

(۱) عيون اخبار الرضا ج ۱ ص ۳۰۴.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۸۶

الاتجاهات الفكرية، فمنذ عهد المأمون فصاعدا اصبح الخلفاء يشاركون بصورة جدية فى المسائل الفكرية و الكلامية.

و فى مقابل هذين الفريقين اللذين يرجح احدهما العقل على النقل (الحديث) و الآخر النقل على العقل (اهل الحديث) سعى الامام الرضا الى تبيان موقفه. و لهذا السبب نرى اكثر الروايات المنقولة عنه تدور حول المسائل الكلامية على صورة سؤال و جواب أو على شكل مناظرات احيانا. و بما ان الامام الرضا عليه السّلام كان يشغل منصب ولاية العهد، فكان من الطبيعى ان يعقد الكثير من امثال هذه المناظرات لا سيما و ان المأمون سعى كثيرا فى بداية الامر، و لاسباب متعددة لترتيب انعقاد مثل هذه الندوات و المناظرات.

و كانت اكثر البحوث اهمية و عرضة للنقاش فى تلك الندوات هو تلك المسائل المتعلقة بالامامة التى تقوم احدى قاعدتيها على العقل، و الاخرى على النقل. و هناك بعض المباحث كانت خلال قرون متمادية معتركا لصراع حام و نزاع محتدم و منها ما يتعلق غالبا بالتوحيد و صفات اللّه و بالخصوص منها صفة العدل- التى لها علاقة مباشرة بالجبر و التفويض- و قد بدأت هذه المباحث فى اواخر القرن الأول، و وصلت الى اوجها عند منتصف القرن الثانى.

و قد كنا خلال حديثنا عن حياة الائمة عليهم السّلام نتناول بعض المسائل الكلامية بين الحين و الآخر. لكننا سنحاول هنا التعرض للمسائل التى كانت جارية آنذاك، و التى اضحت اكثر انتشارا و ارفع مستوى مما كانت عليه فى العصور المنصرمة، و نبين موقف الامام الرضا عليه السّلام الذى كان له دور مهم فى تبيان افكار الامامية فى ذروة احتدام ذلك الصراع.

فالمضايقات التى كان العباسيون يمارسونها ضد العلويين و الشيعة كانت

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۸۷

تؤدى الى ابعاد الشيعة عن الائمة، و تخلق لهم مشاكل فى تعلم معتقداتهم، فقد ورد عن ابى نصر البزنطى أنه قال: «قلت للامام ان بعض الشيعة يعتقد بالجبر، و بعضهم يعتقد بالاختيار فلو اوضحت لنا حقيقة الامر» «۱».

و ورد فى رواية اخرى بأن احد الشيعة قال للامام: «يا ابن رسول اللّه صف لنا اللّه، فقد كثر الاختلاف بين اصحابنا بشأن معرفة اللّه» «۲».

و المشكلة المستعصية التى كانت قائمة آنذاك هى وجود اهل الحديث الذين كانوا يعتبرون انفسهم الفئة الوحيدة التى تتمسك بظواهر الآيات و الروايات، و كانوا متأثرين ببعض التفاسير المغرضة التى كانت تلفق و تنشر على يد بنى أميّة و اليهود، و يقبلون ظاهر الآيات و الروايات الدالة على التشبيه.

ان هؤلاء الاشخاص لم يكونوا مستعدين مطلقا لدراسة الآيات دراسة شاملة، و الاستناد الى المحكمات التى تفسر المتشابهات، و تحل مشكلة التشبيه.

و هم ينقلون جملة من الروايات، و يستدلون بها على تفسير صفات اللّه، فيتصورونه على شكل انسان له عين و يد و رجل ... الخ.

أما الشيعة الذين يعتبرون انفسهم ملتزمين بالروايات، فقد بقوا حائرين امام تلك الروايات، فكانوا يسألون الامام عليه السّلام عن ماهيتها و حقيقتها. يقول الهروى ما مضمونه: «سألت الامام عن حديث: ان المؤمنين يزورون ربهم من منازلهم فى الجنة، و غيرها من الروايات الدالة على رؤية اللّه بالعين يوم القيامة، فاخذ الامام يشرح لى تلك الرويات بالتفصيل، و يفند البعض منها،

---

(۱) التوحيد ص ۳۲۸.

(۲) التوحيد ص ۴۷.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۸۸

و يفسر البعض الآخر منها، على ضوء الآيات و الروايات الاخرى و فى ظل المقدمات العقلية» «۱».

و تحدث الامام علنا عن هذا الموضوع، فى رواية اخرى حين قال: «ما شهد به الكتاب و السنة فنحن القائلون به» «۲».

كان موقف الشيعة و منذ البداية يقوم على نفى التشبيه و الجبر، بل كانوا يحاربونهما أيضا، لأن المروجين لهما هم اليهود، و المتأثرون بهم، و الحكام الامويون. و مع ذلك فان هناك اسبابا ادت الى اتهام الشيعة بالاعتقاد بعقيدة التشبيه، من جملتها وجود غلاة بينهم، و كثرة الدعايات التى تشوه معتقداتهم و تسىء الى افكارهم. اضافة الى عدم الفهم الصحيح لآرائهم، و أنهم يختلفون عن المعتزلة فى بعض الجوانب. و ظلت مثل هذه الاتهامات متداولة عند خصوم الشيعة منذ القرن الرابع الى ان كتب المرحوم الشيخ الصدوق كتابه (التوحيد). و لهذا كان غرض الشيخ الصدوق من تأليف ذلك الكتاب هو تفنيد الشبهات الباطلة التى يطرحها خصوم الشيعة كما اشار هو الى ذلك فى بداية الكتاب.

و ظلت هذه المشكلة قائمة فى زمن الامام الرضا عليه السّلام أيضا، و سببها هو وجود بعض الروايات التى تتحدث عن التشبيه، وضعها الغلاة لتبرير معتقداتهم القائمة على التشبيه من قبيل حلول روح اللّه فى الامام و اشباه ذلك.

يقول الحسين بن خالد، قلت للامام الرضا عليه السّلام: «يا ابن رسول اللّه ان الناس ينسبوننا الى القول بالتشبيه و الجبر لما روى من الاخبار فى ذلك عن

---

(۱) التوحيد ص ۱۱۷، عيون اخبار الرضا ج ۱ ص ۱۱۵.

(۲) التوحيد، ص ۱۱۳، الكافى ج ۱ ص ۱۰۰.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۸۹

آبائك الائمة عليهم السّلام.

فقال: يا ابن خالد اخبرنى عن الاخبار التى رويت عن آبائى الائمة فى التشبيه و الجبر اكثر أم الاخبار التى رويت عن النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى ذلك؟ فقلت: ما روى عن النبى فى ذلك اكثر. قال: فليقولوا: ان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كان يقول بالتشبيه و الجبر اذن «۱».

فقلت له: انهم يقولون ان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لم يقل من ذلك شيئا و انما روى عنه. قال: فليقولوا فى آبائى عليهم السّلام انهم لم يقولوا من ذلك شيئا و انما روى عنهم.

ثم قال عليه السّلام: من قال بالتشبيه و الجبر كافر مشرك، و نحن منه براء فى الدنيا و الآخرة».

و بعد ان انتهى الامام عليه السّلام من إيضاح ذلك اشار الى ان تلك الروايات من تلفيق الغلاة، و طلب الى الشيعة طردهم من بين صفوفهم «۲».

ان وجود هذه الشبهات هو الذى دفع الامام الرضا عليه السّلام الى الاعلان صراحة عن وجود تضاد بين الشيعة و اصحاب الحديث، و اوضح باحاديث مختلفة- بعضها منقولة عن على عليه السّلام «۳» و الاخرى عنه- عقيدة التنزيه. نورد فيما يلى امثلة فى هذا السياق:

---

(۱) التوحيد ص ۳۶۴، عيون اخبار الرضا ج ۱ ص ۱۴۲.

(۲) التوحيد ص ۳۶۴، عيون اخبار الرضا ج ۱ ص ۱۴۲.

(۳) التوحيد ص ۶۹. (ربما كان الامام احيانا ينقل خطب الامام على عليه السّلام بالنص). عيون اخبار الرضا ج ۱ ص ۱۲۱.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۹۰

روى عليه السّلام عن آبائه عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم انه دحض فكرة التشبيه و الجبر و قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: «ما عرف اللّه من شبهه بخلقه، و لا وصفه بالعدل من نسب إليه ذنوب عباده» «۱».

يتضح جليا من هذا الحديث الانكار و النفى القاطع لعقيدتى (التشبيه و الجبر) و جاء فى رواية اخرى عن الامام انه اعتبر الاعتقاد بالتشبيه- و هو ما كان شائعا عند اصحاب الحديث باوسع اشكاله- كفرا. فقد نقل داود بن القاسم انه قال:

سمعت على بن موسى الرضا عليه السّلام يقول: «من شبه اللّه بخلقه فهو مشرك، و من وصفه بالمكان فهو كافر» «۲».

و لأجل ان نبين هنا درجة الوقاحة التى بلغها اصحاب الحديث فى التشبيه من الافضل الاشارة الى بعض رواياتهم:

أ- «قلب عباد اللّه بين اصبعيه» «۳».

ب- «يتنزل اللّه فى يوم عرفة الى السماء الدنيا» «۴».

ج- «تلتهب نار جهنم يوم القيامة حتى يضع اللّه رجليه عليها».

د- و نقلوا حديثا كاذبا عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم انه قال: «رأيت ربى على احسن هيئة».

---

(۱) التوحيد: ص ۴۷.

(۲) التوحيد، ص ۶۹.

(۳) طبقات الحنابلة ج ۱ ص ۲۳.

(۴) طبقات الحنابلة ج ۱ ص ۲۳.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۹۱

و قد قبل أولئك هذه الروايات الكافرة على ما فيها من كفر «۱».

و ذكروا فى رواية اخرى ان: «لا يفضل من الكرسى الذى يجلس عليه الرب الا قدر اربع اصابع».

ثم يضيف ابو بكر بن ابى مسلم: «انه الموضع الذى يفضل لمحمد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ليجلسه معه» «۲».

كانت هذه امثلة عن المعتقدات الخاطئة التى كان اصحاب الحديث يتمسكون بها و بشدة. و بديهى ان اساس الاعتقاد باللّه حينما يكون على حد الشرك و الكفر فانه يجعل الانسان بعيدا عن الحقيقة.

و من المسائل الكلامية التى كانت تحظى بأهمية بالغة هى مسألة رؤية اللّه، و هى المسألة التى لم يتخلص منها حتى الاشاعرة رغم ما بذلوه من جهود فى هذا السبيل، فصاروا فى نهاية المطاف- كما هو حال اصحاب الحديث- يعتقدون برؤية اللّه يوم القيامة، و استندوا فى اثبات عقيدتهم هذه الى رؤية النبى له التى وردت فى بعض الآيات القرآنية المتشابهة، مثل: وَ لَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرى. و الاحاديث المروية حول ذلك.

و فى معرض ردّه على هذه الشبهة و الدليل الذى تقوم عليه، و لانكار قضية الرؤية من الاساس، قال ابو الحسن الرضا عليه السّلام: «ان بعد هذه الآية ما يدل على ما رأى حيث قال: ما كَذَبَ الْفُؤادُ ما رَأى يقول: ما كذب فؤاد محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ما رأت عيناه. ثم اخبر بما رأى، فقال: لَقَدْ رَأى مِنْ آياتِ رَبِّهِ الْكُبْرى. فآيات اللّه

---

(۱) طبقات الحنابلة ج ۱ ص ۲۳.

(۲) طبقات الحنابلة، ج ۲ ص ۶۷.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۹۲

عز و جل غير اللّه، و قد قال: وَ لا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً فاذا رأته الابصار فقد احاطت به العلم و وقعت المعرفة.

فقال ابو قرة: فتكذّب بالروايات؟

فقال ابو الحسن عليه السّلام: اذا كانت الروايات مخالفة للقرآن كذّبتها» «۱».

و قال عليه السّلام فى تفسير الآيات الاخرى التى يستدل بها اصحاب الحديث، اى آية: إِلى رَبِّها ناظِرَةٌ قال: يعنى مشرفة تنتظر ثواب ربها «۲».

و قال فى تفسير الآية: وَ جاءَ رَبُّكَ ... قال عليه السّلام. «جاء امر ربك و الملك صفا صفا» «۳».

و فى نفس الوقت وصف ابراهيم بن عباس كلام الرضا عليه السّلام بقوله: «كان كلامه كله و جوابه، و تمثله انتزاعات من القرآن» «۴».

و من الملفت للنظر استناد الامام الى القرآن لدحض اقوال الآخرين، فعند ما عرض على مسامع الامام رأى المعتزلة فى عدم غفران الكبائر قال عليه السّلام: «قد نزل القرآن بخلاف قول المعتزلة وَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلى ظُلْمِهِمْ «۵».

و من الروايات الاخرى التى تشبث بها اصحاب الحديث، و وصفوا بها اللّه، و اصبحت معلما من معالمهم و خصيصة من خصائصهم فى التشبه، هى الرواية التى

---

(۱) التوحيد ص ۱۱۱، الكافى ج ۱ ص ۹۵.

(۲) عيون اخبار الرضا، ج ۱ ص ۱۱۴، أمالى الصدوق، ص ۲۴۶، مسند الامام الرضا، ج ۱ ص ۳۷۹.

(۳) التوحيد ص ۱۶۲.

(۴) عيون اخبار الرضا ج ۲ ص ۱۸۰.

(۵) سورة الرعد، الآية ۶.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۹۳

ورد فيها: «فان اللّه خلق آدم على صورته» حيث كان احمد بن حنبل يقول:

«المقصود من هذه الرواية هو ان اللّه قد خلق آدم شبيها به».

و كان يضيف قائلا لتأكيد رأيه: «اذا كان الضمير فى صورته يعود على آدم، سيكون كلام اللّه بلا معنى لأنه لم يكن هناك آدم قبل آدم، حتى يخلق آدم الثانى على هيئته» «۱». و قد رد الامام الرضا عليه السّلام على هذا الاستدلال، و نسب هذا الحديث الى رسول اللّه قائلا: قاتلهم اللّه، لقد حذفوا صدر الرواية.

«ان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم مر برجلين يتسابان فسمع احدهما يقول لصاحبه:

قبح اللّه وجهك و وجه من يشبهك، فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: يا عبد اللّه لا تقل هذا لأخيك فان اللّه عز و جل خلق آدم على صورته» «۲».

تعكس لنا هذه الرواية كيف ان الاحاديث بقيت محفوظة عند آل الرسول عليهم السّلام، اما التى عند الآخرين فقد تعرضت للتحريف و الحذف و التصرف.

و قد جاء فى رواية عن الامام انه قسم الناس من الوجهة العقائدية الى ثلاثة اصناف ففريق يقول بالتشبيه و آخر يقول بالتعطيل، و كلاهما باطل، و الثالث يثبت صفات اللّه دون ان يشبهه بشىء» «۳».

و استدل اصحاب الحديث بالآية الكريمة: بَلْ يَداهُ مَبْسُوطَتانِ لإثبات ان للّه يدا، و لما سئل الامام عليه السّلام من قبل المشبهة عن تفسير هذه الآية قال عليه السّلام: «ان

---

(۱) طبقات الحنابلة ج ۲ ص ۱۳۱.

(۲) عيون اخبار الرضا ج ۱ ص ۱۱۹.

(۳) فرج المهموم ص ۱۳۹.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۹۴

كان مرادهم انها كايدى الانسان كان مخلوقا» «۱».

و قد وردت عن الامام روايات كثيرة فى موضوع القضاء و القدر و الجبر و الاختيار، و إيضاح معانيها يحتاج الى كثير من الشرح، و هذا لا يتناسب و مهمة هذا الكتاب. لكن ينبغى الاشارة الى ان الامام قد التزم الحد الوسط بين المعتزلة و اهل الحديث. اذ تعتقد الفئة الاولى، بالتفويض و الاخرى بالجبر. و اوضح المفهوم الذى طرحه جده الصادق عليه السّلام و هو مفهوم «الامر بين الامرين» «۲».

و نعتقد ان من الافضل اختتام الموضوع بنقل الحديث التالى:

يقول الحسن بن على الوشاء: «سألت ابا الحسن الرضا عليه السّلام: هل اللّه فوض الامر الى العباد؟ قال: اللّه اعز من ذلك: قلت: فاجبرهم على المعاصى؟ قال: اللّه اعدل و احكم من ذلك.

ثم قال: قال اللّه عز و جل: يا ابن آدم انا اولى بحسناتك منك، و أنت اولى بسيئاتك منى عملت المعاصى بقوتى التى جعلتها فيك».

اما بالنسبة للمعارف المتعلقة بالامامة، فلدينا مواضيع قيمة وصلتنا عن الائمة عليهم السّلام، و النقطة المهمة هنا هى ان بحث الامامة كان يستند فى اول الامر على النقل، و لهذا فان احد اركان هذا البحث يقوم فى الحقيقة على موضوع النقل. لأن هذا الموضوع ينبثق تاريخيا من قضية هل ان النبى عيّن وصيا له من بعده؟ ثمّ بمرور الزمن و ظهور الاتجاه العقلى اتخذت المسألة تدريجيا طابعا عقليا و تبرعت بعض المبانى العقلية للاجابة على السؤالين التاليين: «من الذى ينبغى ان يحكم

---

(۱) التوحيد، ص ۱۶۸.

(۲) عيون اخبار الرضا ج ۱ ص ۱۲۴.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۹۵

بعد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم؟ و هل يجب ان يكون منصوبا من اللّه أم من قبل الناس؟ ثمّ اتخذت سائر البحوث المتعلقة بالامامة منهجا عقليا مثل مسألة: «هل يجوز ان يتصدى امامان فى نفس الوقت لهذا المنصب؟».

و هذا هو السبب الذى جعل مسألة الامامة، و الى زمن الامام الرضا عليه السّلام تستند الى العقل حينا و الى النقل احيانا اخرى، اما فى زمن الامام الرضا عليه السّلام فانها اتخذت طابعا عقليا مع كثير من التوسع و الانتشار، و قد عرض الامام فى هذا المجال معارف كثيرة أيضا. و كان هناك سبب آخر أيضا هو حق اهل البيت فى الخلافة و هو ما اعترف به المأمون و لذا اصبح هذا الموضوع يتسم بجدية اكثر.

و قد جمعها الاستاذ عطاردى فى مجموعة اطلق عليها اسم (مسند الامام الرضا) و اورد فيها (۴۹۰) رواية فى باب الامامة، و يشكل جزءا منها بحوثا تاريخية تتعلق بحياة الامام الرضا عليه السّلام، و اما الجزء الآخر من هذه الروايات فيتضمن بحوثا عقلية عديدة لا نجد لها فى كثرتها نظيرا عند سائر الائمة، حيث نجد فى هذا الصدد رواية مطولة نقلها المرحوم الكلينى تشتمل على بحث قرآنى و عقلى مفصل حول موضوع الامامة طرحه الامام الرضا عليه السّلام. تناولت بشكل عام الابعاد المختلفة للامامة، و يمكن اعتبارها نصا شاملا فى هذا الصدد «۱».

و الرواية الاخرى المهمة نقلت عن طريق الفضل بن شاذان، و اورد فيها مقاطع مهمة عن المسائل العقلية المرتبطة بقضية الامامة و يمثل احد هذه المقاطع اجابة على السؤال «فلم جعل أولى الامر و امر بطاعتهم؟ حيث عرضت فيه الاسباب المختلفة لتعيين الامام من قبل اللّه تعالى و هناك مقطع آخر يحمل جوابا على

---

(۱) الكافى، ج ۱ ص ۱۹۸، اكمال الدين ص ۶۷۵.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۹۶

السؤال: «فلم لا يجوز ان يكون فى الارض امامان فى وقت واحد و اكثر من ذلك؟» و قد وردت فيه اجابات مثيرة حول ذلك الموضوع، و فى ثالث اجابة عن:

«لما ذا يجب ان يكون الامام من بيت رسول اللّه؟» «۱».

و لعل اهم ما يوضح طبيعة العلاقة بين الولاية و التوحيد، هى الرواية التى قالها الامام الرضا عليه السّلام فى مدينة نيسابور اثناء توجهه الى خراسان، و يمكن التكهن بمدى الدور التاريخى الذى تؤديه رواية كهذه افصح عنها فى ذروة حب الامة له، حيث جاء فى تلك الرواية المشهورة ما يلى:

«روى الامام عن آبائه كما هو الحال فى سائر احاديثهم- عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ان اللّه جل شأنه قال: كلمة لا إله الا اللّه حصنى، فمن دخل حصنى أمن من عذابى. فلما مرت الراحلة نادانا: بشروطها و انا من شروطها» «۲».

و من المواقف العلنية الاخرى للامام فى ما يخص الامامة هو حديثه البليغ الذى ادلى به عند ما كان جالسا بجوار المأمون، و عرض عليه ولاية العهد، حيث قال: «انّ المأمون عرف من حقنا ما جهله غيره» «۳».

و على اية حال، فقد استفاد الامام ابو الحسن على الرضا عليه السّلام من الحرية النسبية التى توفرت له خلال فترة الصراع بين المأمون و الامين و كذلك بعد تولّيه ولاية العهد ما بين عام ۲۰۰ ه الى ۲۰۳ ه فى طرح مسألة الامامة، و خلّف وراءه

---

(۱) عيون اخبار الرضا ج ۲ ص ۹۹.

(۲) عيون اخبار الرضا ج ۲ ص ۱۳۴، التوحيد ص ۲۵، معانى الاخبار ص ۳۷۱، أمالى الصدوق ص ۱۴۶، حلية الاولياء ج ۳ ص ۱۹۲، نقلا عن مسند الامام الرضا ج ۱ ص ۴۵.

(۳) عيون اخبار الرضا ج ۲ ص ۱۴۵.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۹۷

احاديث كثيرة صرح بها علنا، و اكد ان لا تقية فى اظهار امر الامامة «۱».

و يمكن الجزم ان عهد الامام الرضا كان يمتاز بأهمية بالغة من ناحية اتساع مفهوم الامامة بين عموم الناس، و كانت هذه القضية تطرح- قبل ذلك- على نطاق الخاصة و المحافل العلمية فقط.

أما على نطاق عامة الناس، فقد ادى الامام الرضا دورا فاعلا فى نشر هذه المفاهيم. كما بذل عليه السّلام جهودا لا نظير لها فى اثبات مفهوم (الامامة حق العلويين)، و لا شك ان ولاية العهد قد اتاحت له مثل هذه الفرصة، و رأى كذلك ان الابواب الاعلامية قد فتحت له، فاستفاد منها فى المناظرات لتوضيح معنى الامامة.

الامام الرضا عليه السّلام و ايران!:

ان الرضا عليه السّلام هو الامام الوحيد المدفون فى ايران من بين ائمة الشيعة. و قد كان عليه السّلام مصدرا للخير و البركة من حين قدومه- و قد اشرنا الى هذه النقطة فى موضع آخر- حيث كان للامام دوره المهم فى نشر التشيّع فى ايران سواء فى حياته او بعد استشهاده نظرا لوجود مدفنه الشريف فيها.

و رأينا من الضرورى هنا نقل حديث رواه ابن حبان: ان الشيعة ليسوا وحدهم يكنون له حبا و احتراما خاصا و يزورون مرقده الشريف و يستمدون منه الخير و البركة و القداسة بل ان اهل السنة و محدثيهم كانوا كذلك. و كما ذكر ابن حجر فان اشخاصا مثل: ابى بكر بن خزيمة، و ابى على الثقفى، و عدد آخر من

(۱) عيون اخبار الرضا ج ۲ ص ۲۱۳.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۹۸

المحدثين الكبار كانوا يزورون مرقده الشريف «۱».

و كان ابن حبان من محدثي اهل السنة و كبار علمائهم عاش في القرن الرابع للهجرة و كتب عن الامام الرضا عليه السّلام: «توفي علي بن موسي الرضا بالسم الذي دسه له المأمون في يوم السبت آخر يوم من العام ۲۰۳ للهجرة، و قبره في سناباد خارج طوقان الي جوار قبر هارون. زرته عدة مرات عند ما كنت في طوس، لم تكن تعرض لي مشكلة الّا زرت ضريح علي بن موسي الرضا (صلوات اللّه علي جده و عليه) و طلبت من اللّه حلها فيستجاب الدعاء و تحل المشكلة. ثم كتب يقول:

و هذا شيء جربته مرارا فوجدته كذلك. اماتنا اللّه علي محبة المصطفي و اهل بيته صلي اللّه عليه و عليهم اجمعين» «۲».

(۱) تهذيب التهذيب ج ۷ ص ۳۸۷.

(۲) الثقات، طبعة الهند، ج ۸ ص ۴۵۶.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۹۹

الامام الجواد عليه السّلام

اشارة

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۱۰۱

قال المأمون: «انه لأفقه منكم، و اعلم باللّه و رسوله، و سنته و احكامه، و أقرأ لكتاب اللّه منكم، و اعلم بمحكمه، و متشابهه، و ناسخه، و منسوخه، و ظاهره، و باطنه، و خاصه، و عامه، و تنزيله، و تأويله منكم «۱».

هو محمد بن علي بن موسي الرضا عليهم السّلام تاسع ائمة المذهب الشيعي و من اصفياء اللّه لهداية «۲» امة جده محمد صلّي اللّه عليه و آله و سلّم.

ولد في الخامس عشر او التاسع عشر من شهر رمضان من العام ۱۹۵ ه في

(۱) تحف العقول ص ۴۵۱.

(۲) روضة الواعظين ص ۲۰۸.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۱۰۲

المدينة و قبض في شهر ذي الحجة من «العام مائتين و عشرين» «۱». و قال بعضهم كانت ولادته في العاشر او الخامس عشر من شهر رجب من العام ۱۹۵ للهجرة القمرية «۲»، و أمه أمّ ولد يقال لها سبيكة [سكينة] «۳» النوبية «۴»، و قيل ان اسمها كان خيزران أيضا، و قيل انها كانت من اهل بيت مارية القبطية زوجة رسول اللّه صلّي اللّه عليه و آله و سلّم «۵».

و ذكروا أيضا ان اسمها كان ريحانة، و قال النوبختي: كان اسمها درة ثم دعيت فيما بعد خيزران «۶».

اشهر القابه التقي و الجواد، و له القاب اخري كالزكي و المرتضي و القانع و الرضي و المختار و المتوكل و المنتجب. و كنيته ابو جعفر و يذكر في الروايات بابي جعفر الثاني حتي لا يلتبس اسمه مع اسم ابي جعفر الباقر عليه السّلام. تولي امامة الشيعة بعد استشهاد

ابيه من العام ۲۰۳ ه حتى العام ۲۲۵ ه و كان سنه حينها ۲۵ سنة.

---

(۱) تاريخ اهل البيت ص ۸۵.

(۲) راجع كتاب: كشف الغمة، ج ۲ ص ۲۴۲، و اقوال اخرى فى مسند الامام الجواد ص ۱۱- ۱۵.

(۳) تاريخ اهل البيت ص ۱۲۳، ذكرها باسم سكينة. و ذكرها أيضا باسم «خورنال».

(۴) يطلق اسم (النوبة) على اقاليم واسعة تقع جنوب مصر، و اهلها من النصارى. كان افضل اسرى الحرب من النوبة، و وردت رواية عن النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى مدح اهلها، راجع كتاب معجم البلدان ج ۵ ص ۲۰۹.

(۵) الكافى ج ۱ ص ۴۹۲، التهذيب ج ۶ ص ۹۰.

(۶) فرق الشيعة ص ۹۱.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۱۰۳

امامة الجواد عليه السّلام:

ان احدى المسائل التى احتلت مكانتها فيما بعد فى المباحث الكلامية هى مسألة: (هل يمكن ان يتولى الامام منصب الامامة قبل البلوغ؟) و قد اتسمت هذه القضية بطابع الجدية منذ ان تولى جواد الائمة عليه السّلام منصب الامامة عام ۲۰۳ ه و تكررت أيضا عام ۲۲۰ ه بشأن الامام الهادى عليه السّلام، ثم انطبقت أيضا على الامام المهدى (عج).

فقد كان الشيعة حين استشهاد الامام الرضا عليه السّلام سنة ۲۰۳ ه ينظرون الى الامور بقلق بالغ لأن ابنه لم يبلغ بعد سن الثامنة او التاسعة من العمر، و لم يكن لديه ولد آخر. و يذكر بعض المؤرخين عن هذه الحادثة ان الشيعة حاروا و اضطربوا و وقع بينهم الخلاف، و كذا الشيعة فى سائر الامصار «۱».

و كان قد اجتمع عدد منهم فى دار عبد الرحمن بن الحجاج و ظلوا ينوحون و يبكون «۲».

و كانت تلك القضية بمثابة مشكلة كبرى بالنسبة للشيعة الذين كانوا يعيرون اهتماما كبيرا لطاعة الامام، و يرجعون إليه فى جميع مسائلهم الفقهية و الدينية، و ما كان من السهل عليهم بقاء مثل هذه القضية بلا جواب مقنع. و قد كان من الواضح بالنسبة للشيعة ان الامام الرضا عليه السّلام عيّن الامام الجواد عليه السّلام وصيا من بعده، لكن صغر سنه كان يدفعهم الى البحث و التقصى لغرض التأكد و الاطمئنان.

لقد أكد الامام الرضا فى الاحاديث المختصة بامامة الامام الجواد، أنه عيّن

---

(۱) دلائل الامامة، ص ۲۰۴.

(۲) عيون اخبار المعجزات، ص ۱۱۹.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۱۰۴

ولده الصغير هذا وصيا له، و مع ما يبدو من وجود الفرصة الكافية و اصرار الامام على وصايته، الا ان بعض الاصحاب اشار الى صغر سنه، فذكّرهم الامام بنبوة عيسى فى طفولته و قال: «قد كان سن عيسى عليه السّلام حين أعطى النبوة اقل من سن ولدى» «۱».

ان حالة الشك التى حصلت بعد رحلة الامام الرضا عليه السّلام، ادت الى ان يتجه بعض الشيعة الى عبد اللّه بن موسى اخ الامام الرضا عليه السّلام الا أنهم لم يكونوا مستعدين لقبول امامته بلا دليل و برهان، فعرضوا عليه بعض الاسئلة، فلما رأوا عجزه عن الاجابة تركوه «۲».

و رجعت جماعة الى القول بالوقف انتهاجا لقول الواقفية الذى وقفوا على الامام الكاظم عليه السّلام. و سبب هذين الاتجاهين كما يرى النوبختى هو اعتبارهما البلوغ شرطا من شروط الامامة «۳».

و مع ذلك فقد قبل اغلب الشيعة بامامة الجواد عليه السّلام رغم قول بعضهم بحداثة سنه، فاحتجّ عليهم باستخلاف داود سليمان و هو صبى يرعى الغنم، فانكر ذلك عباد بنى اسرائيل و علماؤهم «۴».

اما الذين اعتقدوا بامامة الامام الجواد، فقد اعتلوا فى ذلك يحيى بن زكريا، و ان اللّه آتاه الحكم صبيا، و عيسى بن مريم، و بحكم الصبى بين يوسف الصديق و امرأة الملك، و بعلم سليمان بن داود حكما من غير تعليم، و غير ذلك فانه قد كان

---

(۱) روضة الواعظين، ص ۲۰۳.

(۲) المناقب ج ۲ ص ۴۲۹، مسند الامام الجواد عليه السّلام ص ۲۹- ۳۰- ۲۲۲.

(۳) فرق الشيعة ص ۸۸، المقالات و الفرق ص ۹۵.

(۴) الكافى، ج ۱ ص ۳۸۲.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۱۰۵

فى حجج اللّه ممن كان غير بالغ عند الناس «۱».

و كان الشيعة الامامية ينظرون الى الامامة باعتبارها قضية إلهية فلذلك لم يكن صغر العمر قضية مهمة بالنسبة لهم هذا من جهة، و من جهة اخرى فان القضية المهمة فى نظرهم هى ظهور هذا الجانب الالهى فى عملهم. و قد كان الائمة فى الحقيقة يجيبون على جميع اسئلة الشيعة، و كان الشيعة يفترضون وجود هذه القدرة عند جميع الائمة. و لهذا السبب كانوا يعرضون عليهم انواع الاسئلة، و يقبلون بامامتهم فيما لو اجابوا على تلك الاسئلة، رغم وجود نص على امامتهم.

اما ما يخص الامام الجواد عليه السّلام فقد اقتضت الضرورة المزيد من البحث و التحقيق، و قد اقدم الشيعة على اختباره فى مواقف و حالات مختلفة، فكانوا فى كل مرة ينقادون لامامته بعد الفحص و الاطمئنان. و لم يكن من يرفض امامته الا افراد قلائل.

تجدر الاشارة هنا الى ان الشيعة اجتمعوا فى المجلس الذى سبق ذكره لحل قضية الوصى، فقال يونس بن عبد الرحمن و كان من ثقاة الامام الرضا عليه السّلام:

«دعوا البكاء! من لهذا الامر؟ و الى من نقصد بالمسائل الى ان يكبر هذا؟

يعنى ابا جعفر عليه السّلام.

فقام إليه الريان و وضع يده فى حلقه و لم يزل يلطمه و يقول له: أنت تظهر الايمان لنا و تبطن الشك و الشرك. ان كان امره من اللّه جل و علا، فلو أنه كان ابن يوم واحد لكان بمنزلة الشيخ العالم و فوقه، و ان لم يكن من عند اللّه فلو عمر الف سنة فهو واحد من الناس، فاقبلت العصابة عليه تعذله و توبخه.»

---

(۱) فرق الشيعة ص ۹۰، المقالات و الفرق ص ۹۴- ۹۵.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۱۰۶

و كان حينها وقت الموسم فاجتمع من فقهاء بغداد و الامصار و علمائهم ثمانون رجلا، فخرجوا الى الحج، و قصدوا المدينة ليشاهدوا ابا جعفر عليه السّلام، فلما وافوا التقوا عبد اللّه بن موسى فسئل عن اشياء اجاب عنها بغير الواجب.

فاحتاروا و اغتموا و اضطرب الفقهاء و همّوا بالانصراف. ثم التقوا ابا جعفر، و وجهوا إليه اسئلتهم فاجاب عنها بالحق، ففرحوا و دعوا له و اثنوا عليه» «۱».

و جاءه مرة اخرى جمع من الشيعة و عرضوا عليه ثلاثين الف سؤال فاجاب عنها باجمعها، و كان عمره آنذاك عشر سنوات «۲». و مع احتمال وجود مبالغة فى هذا الرقم، الا ان هذه الرواية تبرهن لنا اولا: ان الشيعة كانوا يركزون على الجانب العلمى فى قضية الامامة و قبول الامام. و ثانيا: ان الامام كان يجيب على كل تلك الاسئلة الفقهية للشيعة رغم صغر سنه، و هذا دليل على كون الامامة قضية إلهية.

ذكر الشيخ المفيد ان جماعة من الشيعة رجعوا بعد وفاة الامام الرضا عليه السّلام الى عقيدة الواقفية منكرين بذلك أيضا امامة الامام الرضا عليه السّلام. و ادعت جماعة اخرى منهم امامة احمد بن موسى. و اعتبر المفيد امامة الجواد عليه السّلام- و هو ما قبلته اكثرية الشيعة- حقا، و استدل على ذلك مضافا الى الدليل العقلى القائل: «كمال العقل لا يستنكر لحجج اللّه مع صغر السن»، ببعض الآيات الواردة بشأن عيسى عليه السّلام كما اشار أيضا الى دعوة النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم للامام على عليه السّلام للايمان بالاسلام و لم يكن الامام قد بلغ سن الرشد بعد، بينما لم يوجه مثل هذه الدعوة لاشخاص آخرين فى مثل سنه. و كذلك تمت المباهلة أيضا بالحسنين عليه السّلام مع كونهما صبيين. و هو دليل آخر

---

(۱) بحار الانوار ج ۵۰ ص ۹۹- ۱۰۰ نقلا عن عيون المعجزات ص ۱۱۹- ۱۲۱، راجع كتاب: اثبات الوصية ص ۲۱۳.

(۲) الكافى ج ۱ ص ۳۱۴.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۱۰۷

ساقه الشيخ المفيد فى البرهنة على امامة الجواد عليه السّلام فى سن الطفولة «۱» فالمهم فى قضية الامامة هو النص و قد رواه كثير من اصحاب الامام الرضا عليه السّلام الاجلاء وفقا لما ذكره الشيخ المفيد حيث قال: من روى النص عن ابى الحسن الرضا عليه السّلام فى امامة الجواد عليه السّلام هم: على بن جعفر بن محمد الصادق عليهم السّلام و صفوان بن يحيى، و معمر بن خلاد، و الحسين بن بشار، و ابن ابى نصر البزنطى، و ابن قياما الواسطى، و الحسن بن الجهم، و ابو يحيى الصنعانى، و الخيرانى، و يحيى بن حبيب الريان، و جماعة كثيرة «۲»، و قد ذكر بعض رواياتهم الشيخ المفيد فى الارشاد، و قام الاستاذ عطاردى بجمعها كلها تقريبا فى كتابه (مسند الامام الجواد) «۳».

و من قبله بادر العلامة المجلسى أيضا الى تخصيص فصل من كتاب بحار الانوار ذكر فيه النصوص الواردة فى امامة محمد بن على الجواد عليه السّلام. و يتضح من هذه الروايات ان الامام الرضا عليه السّلام اشار عدة مرات الى امامة ولده، و أطلع اصحابه الأجلاء على هذا الامر. و فى الحقيقة ان استقامة اكثر الاصحاب و ثبوتهم على الانقياد للامام الجواد عليه السّلام- و هم الذين اسندوا تلك الروايات- يعتبر افضل دليل على احقية ذلك الامام. لأن فقهاء الشيعة و محدثيهم و كبار علمائهم كانت لديهم هواجس حقيقية فى قبول ائمتهم كما ذكرنا سابقا، و كانوا يعترفون لهم بالامامة عن طريق الاختبار العلمى فقط حتى مع وجود النص.

---

(۱) الفصول المختارة ص ۲۵۶- ۲۵۷، «اظنّ ان البعض استدل بدعوة النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم على بلوغ الامام على عليه السّلام».

(۲) الارشاد، ص ۳۱۷، اعلام الورى ص ۳۳۰.

(۳) مسند الامام الجواد ص ۲۵۰- ۳۳۳. لقد استفدنا كثيرا من هذه المجموعة فى تأليف هذا الكتاب و نعتبر عمل الاستاذ عطاردى فى تنظيم هذه المساند من الخدمات الثقافية القيمة، و ننتظر بفارغ الصبر صدور البقية المتبقية منها.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۱۰۸

حياة الامام الجواد عليه السّلام:

إن معلوماتنا التاريخية عن حياة الامام قليلة، و السبب فى ذلك يعود الى المضايقات السياسية التى كان ينتج عنها اخفاء الاخبار المتعلقة بالائمة عليهم السّلام ليكونوا فى مأمن يقيهم شر الاعداء.

و السبب الآخر هو عدم استمرار حياة الامام الجواد عليه السّلام طويلا، حتى يمكن الحصول على اخبار ذات اهمية بشأنها.

اذ من المعلوم ان الامام الرضا عليه السّلام عند ما اشخص الى طوس لم يصطحب معه أيا من افراد عائلته، و كان يعيش وحده فى طوس. و لكن هل ان الامام الجواد ذهب لمقابله ابيه طوال تلك المدة أم لا؟

إن احدا لم يشر الى هذا الأمر الا ابن فندق فى تاريخ بيهق حيث ذكر أنه جاء الى طوس عام ۲۰۲ ه، و التقى بوالده. و كتب عنه ما يلى:

«أجتاز محمد بن على بن موسى الرضا عليه السّلام و كان اسمه التقى، طريق طبس ميناذريا- اذ لم يكن طريق قومس [دامغان] سالكا آنذاك، و انما اصبح سالكا فى عهد قريب- و اتى الى بلدة بيهق و نزل فى قرية ششتمه و ذهب من هناك لمقابلة والده على بن موسى عام ۲۰۲ ه» «۱».

و لم يرد ذكر لهذا الخبر فى اى من المصادر الاخرى، و المستفاد من الاخبار المتعلقة باستشهاد الامام الرضا عليه السّلام ان الامام الجواد كان فى المدينة و قد ذهب الى طوس بأمر من اللّه سبحانه لتغسيل والده و الصلاة عليه فقط، و لعل الامام كان قد

---

(۱) تاريخ بيهق ص ۴۶.

ذهب الى هناك قبل ذلك. و يستشف من الخبر المذكور ان (ابن فندق) ربما يكون استقاه من تاريخ نيسابور للحاكم النيسابورى.

و عند ما رجع المأمون الى بغداد عام (۲۰۴ ه) كان مطمئن الجانب من ناحية الامام الرضا عليه السّلام لأنه قتله. لكنه كان يعلم ان الشيعة سيبقون فى ظل امامة ابنه من بعده، و تبقى الامامة كما كانت عليه. و المأمون لا زال يذكر سياسة أبيه فى مراقبة الامام الكاظم عليه السّلام و تحديده، حينما استقدمه الى بغداد و حبسه فاتبع السياسة نفسها مع الامام الرضا عليه السّلام، و باسلوب ماكر لا يظهر معه أنه سجنه أو اساء إليه بل يبدو من موقفه ذاك كأنه شديد الحب و التعلق به. و قد صارت النوبة الى الامام الجواد عليه السّلام ليكون تحت سيطرته، و فى قبضته، و هو ما يمكن تحقيقه بعقد ابنته ليسيطر على الامام من جهة و يطلع على تردد الشيعة عليه من جهة اخرى. و لهذا فقد افادت بعض النصوص التاريخية أنه استدعى الامام من المدينة الى بغداد بعد وصوله إليها مباشرة و ربما كان ذلك عام ۲۰۴ ه «۱».

اضافة الى ذلك فان الشبهات التى كانت تدور حول المأمون فى قتل الامام الرضا عليه السّلام أملت عليه ان يتصرف بنحو يبعد التهمة عنه. الا ان بعض الاخبار تذكر ان المأمون و منذ جعله ولاية العهد للامام الرضا عليه السّلام عقد لابنه على ابنته أمّ الفضل، أو سماها له. و يذكر الطبرى و ابن كثير ان أم حبيب بنت المأمون عقدت للامام الرضا و عقدت أمّ الفضل للجواد عليه السّلام «۲» من العام نفسه، و ربما تعتبر هذه قرينة على قول مؤلف كتاب تاريخ بيهق بأن الامام جاء سنة ۲۰۲ ه لرؤية ابيه فى طوس.

---

(۱) الحياة السياسية للامام الجواد عليه السّلام ص ۶۵، هذا يطابق بعض الاخبار التاريخية. الا أن اكثر الروايات و هو الموافق لما نقله الطبرى بأن الامام جاء الى بغداد عام ۲۱۵ ه.

(۲) البداية و النهاية ج ۱۰، ص ۲۶۰، تاريخ الطبرى، ج ۷ ص ۱۴۹.

و يفهم من الرواية التى نقلها الشيخ المفيد عن (الريان بن شبيب)، ان المأمون لما اراد ان يزوج ابنته أمّ الفضل ابا جعفر محمد بن على عليه السّلام بلغ ذلك العباسيين فغلظ عليهم و استكبروه، و خافوا ان ينتهى الامر معه الى ما انتهى إليه مع الرضا عليه السّلام «۱»، فلاموا المأمون، و قالوا له: اتزوج ابنتك طفلا لم يتفقه فى دين اللّه، و لا يعرف حلاله من حرامه، و لا فرضه من سنته. فعقد المأمون استنكارا لقولهم مجلسا للمناظرة بين الامام الجواد عليه السّلام و يحيى بن اكثم «۲». فتبين من هذه الرواية ان عقد الزواج قد تم فى وقت لا يزال الامام الجواد يصدق عليه اسم (الصبى). و مع ذلك لا يمكن اعتبار هذا دليلا مبرما على هذا الامر.

اما الرواية التى ينقلها ابن طيفور، و ابن الاثير و مؤرخون، آخرون، و يبدو أنه يمكن التعويل عليها فهى: «ان المأمون حين عاد الى تكريت سنة ۲۱۵ ه، كان الامام الجواد عليه السّلام قد حضر من المدينة الى بغداد و ذهب الى تكريت أيضا، و هناك عقدت له أم الفضل. و قد اقام عليه السّلام فى بغداد فى دار احمد بن يوسف على شاطى نهر دجلة، و بقى هناك حتى ايام الحج، ثم ذهب منها الى مكة ثم الى المدينة حيث اقام فيها «۳».

فاستنادا الى هذه الرواية التاريخية لم يبق الامام الجواد عليه السّلام فى بغداد سوى هذه الفترة، و ان نفى المؤلف فكرة عدم مجيئه الى بغداد قبل هذا التأريخ.

و فى رواية اخرى نقلها الاربلى: «ان المأمون حين قدم بغداد استدعى الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ج۲ ۱۱۰ حياة الامام الجواد عليه السلام: ..... ص : ۱۰۸

---

(۱) الارشاد ص ۳۱۹.

(۲) الارشاد ص ۳۱۹- ۳۲۰.

(۳) بغداد ص ۱۴۲- ۱۴۳، تاريخ الطبرى، ج ۷ ص ۱۹۰، تاريخ الموصل ص ۲۱۵، الكامل ج ۶ ص ۴۱۷، مسند الامام الجواد ص ۵۵، الحياة السياسية للامام الجواد ص ۷۹.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۱۱۱

الامام الجواد عليه السّلام إليها أيضا، فرآه يوما و هو يلعب مع اترابه فهرب جميع الاطفال ما عدا الامام، فسأله المأمون: لما ذا لم تفر؟ فقال له: لم اكن مذنبا فافر، و لم تكن الطريق ضيقة فاوسع لك، فسأله المأمون: من أنت؟ قال: انا محمد بن على بن موسى الرضا ...».

و قد وردت فى ذيل الرواية امور اخرى صارت موضع اخذ و ردّ بين بعض المحققين فرفضها جماعة، و قبلها آخرون، و منهم استاذنا الكبير العلامة السيد جعفر مرتضى العاملى الذى سعى الى اثبات صحة هذه الرواية «۱».

غير ان الملاحظ فى هذه الرواية تعرضها لبعض المواضيع التى تجعل التصديق بها امرا صعبا. فلو صحت هذه الرواية فان المأمون يكون قد وصل بغداد سنة ۲۰۴ ه، أو استدعى الامام الجواد عليه السّلام إليها بعد ذلك بمدة قصيرة. و أما اذا شككنا فى صحة هذه الروايات فينبغى القول ان الامام كان يعيش فى المدينة قبل و بعد سنة ۲۱۵ ه حتى استدعاه المعتصم الى بغداد عام ۲۲۰ ه. و لا يوجد حاليا بين ايدينا رواية تدل على مجيء الامام الى بغداد من السنة ۲۱۵ ه الى السنة ۲۲۰ ه. و فيما يخص الاحترام الذى كان يحظى به الامام من قبل اهل المدينة هناك معلومات قليلة بهذا الشأن استفدناها من بعض الروايات «۲».

بديهى انه لا يمكن تجريد طلب المعتصم من الامام بالمجيء الى بغداد من العوامل السياسية، لا سيما و ان الامام قد قبض فى نفس العام الذى وصل فيه الى بغداد، و لم يكن قد تجاوز الخامسة و العشرين من عمره بعد. فعداء العباسيين لآل على عليهم السّلام و خاصة امام الشيعة الذى كانت تنقاد له فئة كبيرة من الناس و بمعزل تام

---

(۱) الحياة السياسية للامام الجواد ص ۶۸- ۷۵.

(۲) الكافى، ج ۱ ص ۴۹۲- ۴۹۳.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۱۱۲

عن الحكم العباسى و استدعاؤه الى بغداد و وفاته فى تلك السنة كلها دلائل على ان استشهاد ذلك الامام الطاهر كان على يد مرتزقة المعتصم العباسى.

و مع ذلك فان الشيخ المفيد اشار الى الروايات الدالة على قتله بالسم، و شكك فى صحتها «۱». لكن الاخبار ليست وحدها فى هذا الصدد. اذ ان القرائن الموجودة اضافة الى الاخبار المذكورة الواردة فى مصادر مختلفة «۲» تدل على هذا الامر بكل وضوح. فالمستوفى يذكر مثلا ان الشيعة يقولون باستشهاده بالسم على يد المعتصم «۳».

و كذا بعض مصادر اهل السنة تشير فى هذه القضية الى المعتصم «۴». بينما تذكر مصادر اخرى ان المعتصم امر ابن الزيات ان يرسل احدا خلف الامام الجواد عليه السّلام «۵»، كما ذكر ابن الصباغ ما يؤيد هذا المعنى من خلال قوله «اشخاص المعتصم له من المدينة» «۶» اى أنه احضره بالاجبار.

و اورد المسعودى خبرا يذكر فيه ان استشهاده كان على يد أمّ الفضل فى الوقت الذى كان فيه قد جاء من المدينة الى بغداد عند المعتصم «۷» و كانت مكافأة أمّ الفضل ان نقلت الى دار الحريم بعد قتلها للامام «۸».

---

(۱) الارشاد ص ۳۲۶.

(۲) راجع كتاب الفصول المهمة ص ۲۷۶.

(۳) تاريخ گزيده ص ۲۰۵- ۲۰۶ (التاريخ المنتخب).

(۴) الائمة الاثنى عشر، عن ابن طولون ص ۱۰۳، شذرات الذهب ج ۱ ص ۴۸.

(۵) بحار الانوار ج ۵۰ ص ۸.

(۶) الفصول المهمة ص ۲۷۵.

(۷) مروج الذهب، ج ۳ ص ۴۶۳.

(۸) الائمة الاثنى عشر ص ۱۰۴.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۱۱۳

كما علينا ان لا نغفل عن ان حياة أم الفضل مع الامام الجواد كانت غير موفقة لسببين: الاول: عقمها و عدم انجابها. و الثانى: تجاهل الامام لها فكان ابناؤه من امهات الاولاد.

و فى احدى المرات شكت أم الفضل لابيها امتلاك الامام للجوارى، فكتب لها المأمون «لم نزوّجك ابا جعفر حتى نحرّم عليه حلالا، فلا تعودى لمثلها» «۱».

و على اية حال فان أمّ الفضل بعد موت أبيها و مجيئها الى بغداد- على قول المسعودى- سمّت الامام، و حيث انها نقلت الى دار النساء، فينبغى ان يكون ذلك بأمر من المعتصم. و تفيد رواية العياشى ان سم الامام كان على يد واحد من كتّاب المعتصم و بأمر منه «۲».

و الدليل الآخر هو ان الامام الجواد عند ما جاء الى بغداد سنة ۲۱۵ ه. لم يعين للشيعة وصيا من بعده. اما فى سفره الذى استدعاه فيه المعتصم فانه عيّن وصيه. و هذا يبرهن لنا ان الامام كان يتوقع الاستشهاد و عدم العودة «۳».

المناظرات العلمية للامام الجواد عليه السّلام:

لقد كان الامام الجواد يتعرض لنحوين من المناظرات:

الاولى: المناظرات التى كانت تقام بطلب من الشيعة الذين استصغروا الامام، حيث كانوا يطلبون منه عقد مجالس المناظرة ليطلعوا على ما يحمل علم إلهى.

---

(۱) بحار الانوار، ج ۵۰ ص ۷۹- ۸۰.

(۲) تفسير العياشى ج ۱، ص ۳۱۹.

(۳) الكافى، ج ۱ ص ۳۲۳.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۱۱۴

و الثانى: المناظرات التى كانت تجرى من قبل الخلفاء المعاصرين، و هما المأمون و المعتصم.

و بما ان الشيعة كانوا يدّعون العلم الالهى للأئمة فان الخلفاء كانوا يحاولون من خلال عقد مجالس المناظرة، و وضعهم امام مشاهير العلماء فى ذلك العصر، اثبات عجزهم عن الاجابة على بعض الاسئلة، فتتقوض ثقة الناس بهم. و قد بينا قبل هذا مواقف المأمون من الامام الرضا عليه السّلام، و ان كان المأمون يتظاهر بعكس ذلك. و اضافة الى ذلك فان المأمون كان من محبى المناظرات العلمية، و كان حبه للفلسفة، و طلب العلم من السمات البارزة فى حياته التى تميزه عن سائر الخلفاء العباسيين. و اهم الاخبار الواصلة إلينا عن هذه المناظرات هى الرواية التى نقلها الشيخ المفيد عن الريان بن شبيب «۱»، و هى رواية مطولة نلخصها فيما يلى:

«لما اراد المأمون تزويج أمّ الفضل للامام الجواد عليه السّلام بلغ ذلك العباسيين، فغلظ عليهم، و استكبروه، و خافوا ان ينتهى الامر معه الى ما انتهى مع الامام الرضا عليه السّلام. و اجتمع منهم جماعة و جاءوا الى المأمون و حذروه من هذا، و خوفوه من احتمال زوال الحكم من ايديهم، و ذكروه بما كان من ماضى الخصومة بين العباسيين و العلويين، و قالوا له: قد كفانا من عملك ما عملت مع الرضا.

فقال لهم المأمون: أما ما بينكم و بين آل ابى طالب فانتم السبب فيه، و لو انصفتم القوم لكانوا اولى بكم، و اما ما كان يفعله من قبلى بهم فقد كان به قاطعا للرحم و اعوذ باللّه من ذلك.

---

(۱) الريان بن شبيب من الرواة الثقات المعتمدين، كان فى خراسان عند الامام الرضا عليه السّلام، ثم سكن فيما بعد مدينة قم. و قد جمع مسائل [روايات] صباح بن نصر الهندى. ر. ك: النجاشى ص ۱۱۸.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۱۱۵

و و اللّه ما ندمت على ما كان منى من استخلاف الرضا «۱»، و أما ابو جعفر محمد بن على فقد اخترته لتبريزه على كافة اهل الفضل فى العلم و الفضل مع صغر سنه و الاعجوبة فيه بذلك، و انا ارجو ان يظهر للناس ما قد علمته منه، فيعرفوا ان الرأى ما رأيته فيه، فقالوا له: أنه صبى لا معرفة له و لا فقه، فامهله ليتأدب و يتفقه فى الدين ثم اصنع ما تراه.

فقال لهم: و يحكم انى اعرف بهذا الفتى منكم و ان هذا من اهل بيت علمهم من اللّه و الهامه، لم يزل آباؤه اغنياء فى علم الدين و الأدب عن الرعايا الناقصة عن حد الكمال.

فان شئتم فامتحنوا ابا جعفر بما يتبين لكم به ما وصفت من حاله.

فقالوا: قد رضينا بذلك، و اتفق رأيهم على يحيى بن اكثم «۲» و هو قاضى الزمان على ان يسأله مسألة لا يعرف الجواب فيها، و وعده باموال نفيسة على ذلك. و اجتمعوا فى اليوم الذى اتفقوا عليه، و حضر معهم يحيى بن اكثم، و حضر المأمون أيضا بنفسه.

فاستأذن ابن اكثم المأمون بسؤال ابى جعفر، و بعد ان اجازه، استاذن أيضا من ابى جعفر فى مساءلته فقال له الجواد عليه السّلام: سل

ان شئت. فقال له يحيى ما تقول فى محرم قتل صيدا؟

---

(۱) ذكرنا بعض الاحداث فى حياة الامام الرضا عليه السّلام و التى يمكننا معها التصديق بادعاءات المأمون هذه و قد جاء فى الخبر الذى اورده ابن شعبة: «ان المأمون طلب من يحيى ابن اكثم سؤال الامام». انظر: تحف العقول ص ۳۳۵.

(۲) قال عنه الذهبى: «كان من كبار الفقهاء»، توفى عام ۲۴۲، ميزان الاعتدال ج ۴ ص ۳۶۱.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۱۱۶

فقال له ابو جعفر عليه السّلام: قتله فى حل أو حرم؟ عالما كان المحرم أم جاهلا؟

قتله عمدا او خطأ؟ حرا كان المحرم أم عبدا؟ صغيرا كان أم كبيرا؟ مبتدئا بالقتل أم معيدا؟ من ذوات الطير كان الصيد أم من غيرها؟ من صغار الصيد كان أم من كباره؟ مصرا على ما فعل أو نادما؟ فى الليل كان قتله للصيد أم نهارا؟ محرما كان بالعمرة اذ قتله أو بالحج كان محرما؟.

فتحيّر يحيى بن اكثم و بان فى وجهه العجز و الانقطاع و تلجلج حتى عرف جماعة اهل المجلس امره. و قال: اعرفتم الآن ما كنتم تنكرونه؟ و هنا عقد له على ابنته أم الفضل. و جعل صداقها مهر جدته فاطمة الزهراء عليها السّلام.

فلما تفرق الناس، طلب المأمون من ابى جعفر ذكر الفقه فيما فصله من وجوه قتل المحرم الصيد.

فذكرها لها الامام على وجوهها. ثم طلب منه المأمون ان يسأل يحيى مسألة، فسأله ابو جعفر: اخبرنى عن رجل نظر الى امرأة فى أول النهار، فكان نظره إليها حراما عليه، فلما ارتفع النهار حلت له. فلما زالت الشمس حرمت عليه. فلما كان وقت العصر حلت له. فلما غربت الشمس حرمت عليه. فلما دخل عليه وقت العشاء الآخرة حلت له. فلما كان انتصاف الليل حرمت عليه. فلما طلع الفجر حلت له. ما حال هذه المرأة و بما ذا حلت له و حرمت عليه؟

فقال له ابن اكثم: و اللّه ما اهتدى الى جواب هذا السؤال و لا اعرف الوجه فيه. فان رأيت ان تفيدناه، فقال ابو جعفر عليه السّلام: هذه أمة لرجل من الناس نظر إليها اجنبى فى اول النهار فكان نظره إليها حراما عليه، فلما ارتفع النهار ابتاعها من مولاها فحلت له. فلما كان عند الظهر

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۱۱۷

اعتقها فحرمت عليه. فلما كان وقت العصر تزوجها فحلت له، فلما كان وقت المغرب ظاهر منها، فحرمت عليه، فلما كان وقت العشاء الآخرة كفر عنها الظهار فحلت له. فلما كان فى نصف الليل طلقها واحدة فحرمت عليه فلما كان عند الفجر راجعها فحلت له.

فابدى المأمون ثانية عجبه من علمه و قال: إن صغر السن فى اهل هذا البيت لا يمنعهم من الكمال» «۱».

فاذا كان هذا الزواج قد تم فى عام ۲۱۵ ه، فمعنى ذلك ان سن الامام كان عشرين عاما و الذى يظهر من مجموع ما ذكر فى الصفحات السابقة، و مما ورد فى تكملة هذه الرواية من ان الامام اخذ أمّ الفضل معه الى المدينة بعد اكمال مراسيم العقد، ان هذه المناظرات قد جرت فى نفس هذه السنة.

و قد جرى فى مجلس المعتصم أيضا ما يشابه هذه المناظرة و عند ما ثبت علم الامام و افضليته فيها قتل.

فقد نقل العياشى فى تفسيره عن الزرقان انه قال: «رجع ابن ابى داود ذات يوم من عند المعتصم و هو مغتم، فقلت له فى ذلك. فقال: سببه محمد بن على بن موسى، فقلت له: و كيف كان ذلك؟ قال: ان سارقا اقر على نفسه بالسرقة و سأل الخليفة تطهيره باقامة الحد عليه، فاختلف الفقهاء فى المكان الذى ينبغى ان تقطع منه اليد، فقلت أنا نقطع من الكرسوع و وافقنى جماعة على قولى، و قال آخرون من المرفق، و لما سأل المعتصم ابا محمد اعتذر عن الاجابة. لكن الخليفة اقسم عليه فقال ان القطع يجب ان يكون من مفصل اصول الاصابع فيترك الكف، لأن الكف

(۱) الارشاد، ص ۴۶- ۵۱، الفصول المهمة ص ۲۶۷- ۲۷۱، تفسير القمى ج ۱ ص ۱۸۳.

موضع سجود و قد قال جلّ شأنه: وَ أَنَّ الْمَساجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً.

فاعجب المعتصم بـذلك فاصابنى من ذلك خجل تمنيت الموت معه، و بعـد ايام كلمت المعتصم فيما يلحقه مثل هـذا الموقف به من ضرر، و هو ان يترك رأى الفقهاء لرأى شابّ حدث، فانتبه لقولى و بعد ايام دعا احد وزرائه الجواد الى داره و سمه «۱».

و فى مجلس آخر سأل يحيى بن اكثم الامام الجواد عليه السّلام اسـئلة اخرى و سأله عن فضائل الخلفاء الاوائل و عن رواية تقول: «انه نزل جبرائيل على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و قال: يا محمد ان اللّه عز و جل يقرؤك السلام و يقول لك: سل ابا بكر هل هو عنى راض فانى عنه راض.

فقال الامام فى ذلك المجلس الذى كان غاصّا بجمع كبير من علماء السنة:

«لست بمنكر فضل ابى بكر، و لكن يجب على صاحب هذا الخبر ان يأخذ مثال الخبر الذى قاله رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى حجـة الوداع: لقـد كثرت علىّ الكذابـة و سـتكثر بعـدى فمن كـذب علىّ متعمـدا فليتبوأ مقعـده من النار. فاذا اتاكم الحـديث عنى فاعرضوه على كتاب اللّه و سنتى، فما وافق كتاب اللّه و سنتى فخذوا به و ما خالف كتاب اللّه و سنتى فلا تأخذوا به، و ليس يوافق هذا الخبر كتاب اللّه. قال اللّه تعالى: وَ لَقَـدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ وَ نَعْلَمُ ما تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيـدِ «۲». فاللّه عز و جل خفى عليه رضاء ابى بكر من

(۱) مسـند الامام الجواد، ص ۱۸۱- ۱۸۳ نقلا عن تفسـير العياشى ج ۱ ص ۳۱۹، نقلنا فيما سـبق قول المسـعودى فى ان أمّ الفضل هى السبب فى سم الامام.

(۲) التوحيد ص ۱۱۰، الكافى ج ۱ ص ۹۵.

سخطه حتى سأل عن مكنون سره، هذا مستحيل فى العقول».

يتضـح لنا من هذه الرواية كيف واجه الامام مثل هذه الرواية الموضوعة، و انكرها بعد عرضـها على القرآن. و قد رأينا نظير هذا النمط من البحث فى حيـاة الامام الرضا عليه السّـلام حيث صـرح الامام بشـكل رسـمى بأننا لا نقبل من الاحاديث ما يخالف كتاب اللّه «۱» و اصالة القرآن امام الحديث هى واحدة من الأسس التربوية التى كان يجرى التأكيد عليها فى مذهب اهل البيت.

ثم قال يحيى بن اكثم: «و قد روى: ان مثل ابى بكر و عمر فى الارض كمثل جبرائيل و ميكائيل فى السماء». فقال الامام عليه السّلام: و هـذا أيضا يجب ان ينظر فيه، لأن جبرائل و ميكائيل ملكان للّه مقربان لم يعصـيا قط، و لم يفارقا طاعته لحظـة واحدة، و هما قد اشـركا باللّه عز و جل و ان اسلما بعد الشرك، فكان اكثر ايامهما الشرك باللّه فمحال ان يشبههما بهما.

قال يحيى: و روى أيضا: انهما سيدا كهول اهل الجنة. فما تقول فيه؟

فقـال عليه السّـلام: و هـذا الخبر محـال أيضـا لأـن اهل الجنـة كلهم يكونون شـبانا، و لا يكون فيهم كهل و هـذا الخبر وضـعه بنو أميّة لمضادة الخبر الذى قاله رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: فى الحسن و الحسين بأنهما سيدا شباب اهل الجنة.

فقال يحيى بن اكثم: و روى: ان عمر بن الخطاب سراج اهل الجنة.

فقال عليه السّـلام: و هـذا أيضا محال لأن فى الجنـة ملائكة اللّه المقربين و آدم و محمد و جميع الأنبياء و المرسـلين، لا تضـىء الجنة، بانوارهم حتى تضىء بنور

(۱) التوحيد، ص ۱۱۰، الكافى ج ۱ ص ۹۵.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۱۲۰

عمر؟! فقال يحيى: و قد روى: ان السكينة تنطق على لسان عمر.

فقال عليه السّلام: لست بمنكر فضل عمر، و لكن ابا بكر افضل من عمر، فقال على رأس المنبر: ان لى شيطانا يعترينى، فاذا ملت فسددونى.

فقال يحيى: قد روى أيضا ان النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال: لو لم ابعث لبعث عمر.

فقال عليه السّلام: كتاب اللّه اصدق من هذا الحديث، يقول اللّه فى كتابه: وَ إِذْ أَخَذْنا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثاقَهُمْ وَ مِنْكَ وَ مِنْ نُوحٍ «۱» فقد أخذ اللّه ميثاق النبيين، فكيف يمكن ان يبدل ميثاقه، و كل الأنبياء عليهم السّلام لم يشركوا باللّه طرفة عين.

فكيف يبعث بالنبوة من اشرك و كان اكثر ايامه مع الشرك باللّه. و قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: نبئت و آدم بين الروح و الجسد.

فقال يحيى بن اكثم: و قد روى أيضا ان النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال: ما احتبس الوحى قط إلا ظننته قد نزل على آل الخطاب.

فقال عليه السّلام: و هذا محال أيضا. لأنه لا يجوز ان يشك النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى نبوته.

قال اللّه تعالى: اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلًا وَ مِنَ النَّاسِ «۲». فكيف يمكن ان تنتقل النبوة ممن اصطفاه اللّه تعالى الى من اشرك به؟

قال يحيى: روى ان النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال: لو نزل العذاب لما نجى منه الا عمر».

(۱) الاحزاب: ۷.

(۲) الحج: ۷۵.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۱۲۱

فقال عليه السّلام: و هذا محال أيضا، لأن اللّه تعالى يقول: وَ ما كانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَ أَنْتَ فِيهِمْ وَ ما كانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ «۱». فاخبر سبحانه انه لا يعذب احدا ما دام فيهم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و ما داموا يستغفرون «۲».

التراث العلمى للامام الجواد عليه السّلام.

لقد اصبح من المتعارف تقريبا ان الظروف السياسية القائمة آنذاك كانت تفرض ان تبقى العلاقة بين الشيعة و الامام اللاحق محدودة و ضعيفة الى مدة من الزمن بعد وفاة الامام السابق، و رغم وجود و كلاء للائمة فى كل بلد الا أنهم كانوا يواجهون مصاعب كثيرة فى ايجاد مثل هذه العلاقة. و كان صغر سن الامام الجواد يشكل مشكلة اخرى أيضا استغرقت وقتا طويلا حتى زالت الشكوك و الاوهام من قلوب الشيعة.

و جاء فى الحديث ان الامام بقى مستخفيا بالامامة الى سن العاشرة «۳»، و هذا يعكس لنا سببا آخر يحول دون اقامة علاقة قوية و مثمرة معه.

و من جهة اخرى فقد كانت هناك قيود و مضايقات مفروضة من قبل الحكام لا تسمح للشيعة بالتحرك بحرية تامة، و كانت القناة الوحيدة للاتصال بالامام تتمثل فى كتابة الرسائل إليه و استلام الاجوبة، و لذا كان الائمة منذ عهد الامام الجواد عليه السّلام فصاعدا و

الى ما قبل عهد الامام الرضا، يقيمون علاقاتهم مع

---

(۱) الانفال: ۳۳.

(۲) الاحتجاج ج ۲ ص ۲۴۵- ۲۴۹.

(۳) اثبات الوصية ص ۲۱۵.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۱۲۲

الشيعة عن طريق الرسائل.

و من ناحية اخرى فان الامام توفى و هو فى الخامسة و العشرين من عمره، و هذه المدة لم تتح فيها للناس الفرصة الكافية للاتصال به. و رغم قصر هذه الفترة فان فى ايدينا الآن اكثر من مائتين و عشرين حديثا مرويا عن الامام الجواد عليه السّلام فى مواضيع مختلفة مضافا إليها مسائل اخرى منقولة عنه بواسطة الاصحاب او كتبهم. و هذا العدد من الاحاديث هو ما وصل إلينا طبعا و لا شك ان هناك الكثير من المكاتيب التى كتبها الائمة الى اصحابهم و حالت الظروف السياسية آنذاك دون وصولها إلينا. و قد روى الاحاديث المذكورة مائة و واحد و عشرون راوية، و احصى الشيخ الطوسى مائة و ثلاثة عشر راو لاحاديث الامام الجواد عليه السّلام.

و هذا العدد من الاحاديث يعكس مدى عظمة الامام العلمية و احاطته بالفقه و التفسير و الكلام و الدعاء و المناجاة. اما الكمال الاخلاقى للامام فهو بارز فى كلماته القصيرة و الجذابة. و قد اورد ابن الصباغ المالكى بعضا منها فى كتاب الفصول المهمة. كما و توجد امثال هذه الاحاديث بكثرة فى كتاب تحف العقول، و القسم الاعظم من الروايات الفقهية للامام يمكن العثور عليها فى الكتب التى كتبها لاصحابه ردّا على اسئلتهم التى كانت تأتيه من مختلف انحاء البلاد الاسلامية.

موقفه عليه السّلام من الفرق المنحرفة:

كان للامام الجواد عليه السّلام مواقف مبدئية ازاء الفرق المنحرفة، و كان يوصى اصحابه باتخاذ المواقف اللازمة تجاهها، و من تلك الفرق فرقه المجسمة الذين يقولون ان اللّه جسم فقد قال ابو جعفر الجواد عليه السّلام عنهم: «من قال بالجسم فلا

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۱۲۳

تعطوه من الزكاة؟ و لا تصلوا وراءه» «۱».

و سببت فرقة الواقفية مشكلة للشيعة. و هى فرقة وقفت على الامام الكاظم عليه السّلام بعد استشهاده، و لم تعترف بامامة ولده على الرضا عليه السّلام. و لما سئل الامام عن جواز الصلاة خلفهم نهى عن ذلك «۲».

و كانت الزيدية فرقة منشقة عن الشيعة أيضا. و قد سبقت منا الاشارة الى هذه الفرقة اثناء حديثنا عن حياة الامام الصادق عليه السّلام، كما اشرنا أيضا الى موقف الائمة منها و قد كانت للزيدية فى بعض الاطوار مواقف عدائية ضد الامامية، و طعن على الائمة، و هذا ما حدا بهم عليهم السّلام الى اتخاذ مواقف حازمة تجاهها حتى ان الامام الجواد عليه السّلام اعتبر الواقفية و الزيدية كالناصبية اذ جعلهم مصداقا للآية الكريمة: وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خاشِعَةٌ عامِلَةٌ ناصِبَةٌ «۳»» «۴».

و كان لغلاة الشيعة أيضا دور فى تلويث سمعة الشيعة الاثنى عشرية، و لهذا السبب كانوا ملعونين على لسان الائمة. و كان خطرهم شديدا على الشيعة فى مختلف المناطق، لأنهم كانوا ينقلون الروايات عن الائمة و يضلون بها الشيعة الذين كانوا يلتزمون طاعة الائمة. و كان ابو الخطاب من رؤساء الغلاة، و قد سمع ابو جعفر عليه السّلام يقول و قد ذكر عنده ابو الخطاب: «لعن اللّه ابا الخطاب و لعن اصحابه، و لعن الشاكين فى لعنه و لعن من قد وقف فى ذلك و شك فيه» «۵».

---

(۱) التوحيد ص ۱۰۱، التهذيب ج ۳ ص ۲۸۳.

(۲) من لا يحضره الفقيه: ج ۱ ص ۳۷۹.

(۳) الغاشية: ۲ و ۳.

(۴) رجال الكشى ص ۳۹۱، مسند الامام الجواد ص ۱۵۰.

(۵) رجال الكشى ص ۵۲۸.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۱۲۴

ثم قال: «و هذا ابو الغمر و جعفر بن واقد و هاشم بن ابى هاشم استأكلوا الناس بنا و صاروا دعاة يدعون الناس الى ما دعا إليه ابو الخطاب». بل قد ورد فى رواية رواها إسحاق الانبارى قال فيها: «ان الامام اوعز إليه بقتل اثنين من الغلاة هما: ابو المهرى و ابن ابى الزرقاء، اللذان كانا يدعيان بأنهما دعاة للائمة، و الدافع لذلك هو دورهما فى تضليل الشيعة، فما زال إسحاق يطلبهما الى ان عرفا قصده و حذراه «۱».

اصحابه:

ان كثيرا من اصحاب الامام الجواد هم اصحاب ابيه و ابنائه، و لقد قضى بعضهم سنوات طويلة فى صحبة الائمة عليهم السّلام، بل و خلفوا وراءهم مؤلفات تحتوى على الكثير من احاديثهم عليهم السّلام.

و من اصحاب الامام الاجلاء السيد عبد العظيم الحسنى الذى روى عددا كبيرا من الاحاديث عن الامام. و قد سكن هذا الصحابى العلوى الحسنى فى بلاد الرى، و نذر نفسه لنشر احاديث اهل البيت عليهم السّلام. و نتيجة لجهوده ازداد عدد الشيعة فى الرى، و انتشر التشيع هناك «۲».

و من اصحابه الآخرين داود بن قاسم المعروف بأبى هاشم الجعفرى، الذى يرجع نسبه الى جعفر بن ابى طالب، كان من ابرز اصحاب الائمة، و نقل عنهم

---

(۱) نفس المصدر.

(۲) كتب الاستاذ عطاردى كتابا تحت عنوان: «عبد العظيم الحسنى، حياته و مسنده» وردت خلاصة منه فى آخر اسمه الذى ورد فى كتاب مسند الامام الجواد، ص ۲۹۸- ۳۰۸.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۱۲۵

الكثير من الاحاديث و قد اثنت عليه كتب رجال الشيعة.

و كان على بن مهزيار من جملة اصحاب الامام الجواد أيضا، و له مكانة مرموقة بين الشيعة. قال عنه النجاشى: «انه روى عن الرضا و الجواد عليهما السّلام و كان وثيق الصلة بالامام الجواد، و يحظى باكرامه و تبجيله «۱» و روى عنه الكثير من الاحاديث». و قال النجاشى: «انه كان يراسل على بن ساباط، الذى كان فطحى المذهب، و يعودان فيما يختلفان فيه الى الامام الجواد عليه السّلام. و كانت النتيجة ان رجع على بن ساباط عن معتقده الخاطئ».

و من جملة وكلاء الامام خيران الخادم و قد ذكره الكشى «۲».

و من وكلائه أيضا ابراهيم بن محمد الهمدانى، و كان أيضا راويا من رواته «۳».

و من اصحابه احمد بن محمد البزنطى، و هو من اصحاب الاجماع أيضا، و كان من خواص اصحاب الامام الجواد عليه السّلام، و قد اثنى عليه جميع اصحاب مصنفات الرجال، توفى عام ۲۲۱ ه.

ذكره ابن النديم، و ذكر كتابه الذى يحتوى على روايات الامام الرضا عليه السّلام، و نسب له كتاب الجامع و كتاب المسائل «۴».

---

(۱) رجال النجاشى، ص ۱۷۷.

(۲) رجال الكشى، ص ۶۰۸.

(۳) مسند الامام الجواد، ص ۲۰۲، نقلا عن جامع الرواة.

(۴) الفهرست، ص ۲۷۶.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۱۲۶

علاقة شيعة ايران بالامام الجواد عليه السّلام:

كان شيعة الامام موزعين على شتى بقاع البلاد الاسلامية، و كان الكثير منهم فى بغداد و المدائن و سواد العراق «۱»، و جماعة اخرى منهم تسكن فى ايران و غيرها من البقاع.

و بالاضافة الى ما كان لديهم من ارتباط بوكلاء الامام، فانهم كانوا يعرجون عليه أيضا اثناء سفرهم لاداء فريضة الحج، و بهذا النحو كانوا يحافظون على اتصالهم بالامام. و يستفاد من رواية وردت فى الكافى ان الشيعة كان لهم وجود فى مصر أيضا حيث يقول على بن اسباط: «فاخذت انظر إليه (الامام الجواد) و جعلت انظر الى رأسه و رجليه، لأصف قامته لاصحابنا فى مصر» «۲».

و ورد فى موضع آخر ان شخصا من اهل خراسان جاء إليه «۳».

و يستفاد من رواية اخرى عن الحر بن عثمان العاملى ان جماعة من الامامية من مدينة الرى جاءوا الى الامام «۴». و نحن نعلم ان الرى كانت تحتضن الكثير من الشيعة على مر التاريخ و كان عددهم يتزايد باستمرار «۵».

و كانت قم أيضا واحدة من المراكز الاصلية للشيعة، و قد حافظت على اتصالها بالامام الجواد عليه السّلام. و كان احمد بن محمد بن عيسى شيخ القميين من اصحاب الامام الرضا و الامام الجواد و ابنه و كذلك الامام العسكرى، و كانت لديه

---

(۱) الغيبة، ص ۲۱۲.

(۲) الكافى، ج ۱ ص ۳۸۴.

(۳) الثاقب، ص ۲۰۸.

(۴) نفس المصدر.

(۵) مسند الامام الجواد ص ۲۶۵.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۱۲۷

الكثير من الرقاع التى تشتمل على احاديثهم «۱».

و من اصحابه صالح بن محمد بن سهل و كان يتولى له الوقف بقم «۲»، كما كان يتولاها قبله احمد بن إسحاق، و خلال تلك الفترة كان اهل قم يعارضون عمال الحكومة الذين يأتون من قبل المأمون.

و قد جاء تفصيل هذه الاشتباكات فى تاريخ قم، فقد نقل فيه ان اهل قم كانوا قد طالبوا بتخفيض الخراج، فلما رفض طلبهم ثاروا ضد الوالى، و لم يخمد حركتهم الا الجيش الذى ارسله المأمون بقيادة على بن هشام. و قد بقيت تلك الاضطرابات مستمرة لفترة من الزمن و بشكل متفرق «۳».

و جاء فى خبر تاريخى آخر ان رجلا من اهالى بست و سجستان جاء فى ايام الحج الى الامام و قال له: «ان والينا رجل يتولاكم اهل

البيت، و يحبكم، و عليّ فى ديوانه خراج فان رأيت ان تكتب إليه كتابا بالاحسان إليّ فقال: لا اعرفه. الا ان الرجل تعلق بالامام و اصرّ على كتابة الكتاب، فما كان من الامام الا ان كتب له كتابا الى ذلك الوالى، فذهب الرجل و سلمه الكتاب، و كان اسم الوالى الحسين بن عبد اللّه النيسابورى، فاخذه و وضعه على عينيه و طرح ما عليه من الخراج و اعطاه نفقة لعياله» «۴».

و من جملة اصحاب الامام الجواد عليه السّلام على بن مهزيار، و قد كان نصرانيا ثم اسلم و صار من خواص اصحاب الامام الرضا و الامام الجواد عليهما السّلام. و كان من اهل

---

(۱) راجع كتاب تاريخ گسترش تشيع در رى [بالفارسية]. (تهران ۱۴۱۳ ه).

(۲) التهذيب، ج ۴ ص ۱۴۰، الاستبصار ج ۲ ص ۶۰.

(۳) راجع كتاب: تاريخ التشيع فى ايران (بالفارسية) ص ۱۲۴- ۱۲۵.

(۴) الكافى، ج ۵، ص ۱۱۱، التهذيب ج ۶، ص ۳۳۶.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۱۲۸

قرية (هندوان) فى فارس، ثم سكن الاهواز «۱».

و قد نقلت احدى الروايات التاريخية ان الامام الهادى عليه السّلام كان يتكلم معه بالفارسية «۲».

ان البحث عن هذا الارتباط الواسع بين الائمة و شيعتهم بدأ منذ عهد الامام الرضا عليه السّلام فان انتشار التشيع فى ايران يعزى فى الواقع الى سفر الامام الرضا عليه السّلام الى خراسان اكثر من اى سبب آخر و هو- اى التشيع- مدين الى شبكة وكلاء الائمة عليهم السّلام فى مناطق و نواحى ايران. و كان للكتب الجامعة لاحاديث الائمة عليهم السّلام- التى جمعها اصحابهم من زمن الامام الباقر عليه السّلام و كانت تعكس فى الواقع اهتمام الائمة و شيعتهم فى الجوانب الثقافية و الفكرية- دورا عظيما فى نشر عقائد و فقه الشيعة فى هذه المناطق.

و قد سئل الامام الجواد عليه السّلام فى احدى المرات عن جواز التحدث بالروايات الموجودة فى كتب الاصحاب- و التى كانت لا تتداول تقية- فقال عليه السّلام: «حدّثوا بها فانها حق» «۳».

و هكذا سعى الشيعة لنشر آثار اسلافهم و عملوا على تقوية الدعامة الفقهية للشيعة و التى تعتبر فى واقع الحال جوهر العمل. و كان عليهم أيضا العمل بالقضايا الفقهية التى تجاهلها المنحرفون و العمل أيضا على نشرها. و من جملة ذلك حج التمتع الذى يعتبر من وجهة النظر الاسلامية افضل عمل يقوم به الحاج «۴».

---

(۱) مسند الامام الجواد ص ۳۱۵.

(۲) بصائر الدرجات ص ۳۳۳.

(۳) الكافى، ج ۱ ص ۵۳.

(۴) الكافى ج ۲ ص ۲۹۱، التهذيب ج ۵ ص ۳۰.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۱۲۹

الامام الهادى عليه السّلام

اشارة

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۱۳۱

الامام الهادى عليه السّلام: «اذا كان زمان العدل فيه اغلب من الجور، فحرام ان يظن باحد سوءا حتى يعلم ذلك منه. و اذا كان زمان الجور اغلب فيه من العدل فليس لاحد ان يظن بأحد خيرا ما لم يعلم ذلك منه «۱».

عاشر ائمة الشيعة هو الامام الهادى عليه السّلام ولد فى منتصف ذى الحجة عام ۲۱۲ ه كما نقل الشيخ المفيد و الشيخ الكلينى و الشيخ الطوسى و ابن الاثير «۲».

و هناك رأى آخر يشير الى ان ولادته كانت فى شهر رجب عام ۲۱۴ ه.

---

(۱) بحار الانوار ج ۷۸، ص ۳۷۰.

(۲) الكافى، ج ۱ ص ۴۹۷، الارشاد، ص ۳۲۷، التهذيب، ج ۶، ص ۹۲، الكامل لابن الاثير ج ۷ ص ۱۸۹.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۱۳۲

و قال به الخطيب البغدادى و جماعة آخرون «۱»، و اشتهر هو و ابنه الامام الحسن بن على بالعسكريين «۲». و سبب هذه التسمية هو ان الامام الهادى قد أخذ بصحبة ولده الى سامراء (العسكر) و بقى فيها الى آخر عمره الشريف، حيث قبض عليه السّلام فى جمادى الثانى عام ۲۵۴ ه «۳».

و اشتهر أيضا امامنا الهادى عليه السّلام بالقاب اخرى كالنقى و العالم، و الفقيه، و الامين، و الطيب. و كنيته ابو الحسن. و كان يكنى بأبى الحسن الثالث، بعد ابى الحسن الاول الامام على عليه السّلام و ابى الحسن الثانى الرضا عليه السّلام. و ذكروا له القابا اخرى أيضا.

و أمه أمّ ولد اسمها سمانة من بلاد المغرب، و جاء فى تاريخ اهل البيت ان اسم أمه هو (مدنب) و (غزال المغربية) و (حديث) «۴».

و كان نقش خاتمه كما ذكر ابن الصباغ المالكى، «اللّه ربى و هو عصمتى من خلقه» «۵».

و حسب رواية الشيخ المفيد و آخرين فقد قبض الامام الهادى عليه السّلام فى رجب عام ۲۵۴ ه، بعد اقامة فى سامراء استمرت عشرين سنة و تسعة اشهر «۶».

و فى تلك الحقبة التاريخية، كانت الخلافة العباسية بيد المعتز، و هو الخليفة

---

(۱) تاريخ بغداد، ج ۲ ص ۵۷، راجع كتاب مسند الهادى، ص ۱۳- ۱۴، تاريخ اهل البيت ص ۸۶.

(۲) اليافعى فى «مرآة الجنان» ج ۱، ص ۱۶۰، يشير الى الموضوع اعلاه و يقول ان اسم العسكر اطلق على سامراء لأن المعتصم انتقل إليها مع عسكره.

(۳) تاريخ اهل البيت ص ۸۶.

(۴) تاريخ اهل البيت ص ۱۲۳- ۱۲۴.

(۵) الفصول المهمة، ص ۲۷۷.

(۶) تاريخ بغداد، ج ۱۲، ص ۵۶.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۱۳۳

الثالث عشر فى سلسلة خلفاء بنى العباس. و قد ذكر ابن شهرآشوب ان الامام استشهد فى هذا التاريخ، و نقل عن ابن بابويه ان المعتمد العباسى هو الذى سمه و لكن الثابت تاريخيا ان المعتمد تولّى الخلافة عام ۲۵۵ ه.

و رغم ان الخبر الاصلى لشهادة الامام مذكور فى الاخبار التاريخية الا ان الكثير من المؤرخين اما اهملوه و لم يشيروا إليه، أو نقلوه قولا.

و اشار المسعودى و سبط بن الجوزى الى وفاة الامام بالسم و قالا: «أنها رواية تاريخية» «۱».

إن مما لا شك فيه ان العداء للعلويين و زعمائهم بالخصوص كان قائما آنذاك.

و كان عمر الامام يتراوح بين الاربعين و الاثنين و اربعين عاما و ما كان يشكو من اى عارض مرضى. كما أنه كان موجودا فى سامراء و تحت رقابة الخلفاء العباسيين.

فهذه القرائن تدعم الرواية القائلة باستشهاده و تجعل احتمالها قويا، فضلا عن وجود بعض الروايات الدالة على استشهاد جميع الائمة، و سبق لنا ان اشرنا إليها فى مواضع اخرى.

امامته عليه السّلام:

تسلم الامام الهادى عليه السّلام الامامة و عمره ست سنوات، و ذلك بعد استشهاد ابيه الامام الجواد عليه السّلام عام ۲۲۰ ه، و لما كانت مشكلة البلوغ قد حلت بالنسبة

---

(۱) مروج الذهب، ج ۴ ص ۸۶، تذكرة الخواص ۳۶۲، ر. ك، الفصول المهمة ص ۲۸۳.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۱۳۴

للامام الجواد عليه السّلام فلم يحصل ادنى شك فى امامته بالنسبة لكبار شخصيات الشيعة.

و قد ذكر الشيخ المفيد و النوبختى ان جميع شيعة الامام الجواد دخلوا فى طاعة الامام الهادى الا افرادا قلائل تبعوا لامد قصير موسى بن محمد المعروف بالمبرقع المتوفى فى العام ۲۹۶ ه و المدفون فى قم «۱»، ثم تركوا القول بامامته بعد مدة قصيرة و اعتقدوا بامامة الهادى «۲».

و يرى سعد بن عبد اللّه الاشعرى ان سبب مفارقتهم لموسى المبرقع و التحاقهم بالامام الهادى عليه السّلام هو ان موسى كذّبهم و تبرّأ منهم، و ممن ادعى امامة لنفسه «۳».

اما الطبرسى و ابن شهرآشوب فهما يريان ان اجماع الشيعة عليه، و التفافهم حوله، خير دليل على صحة امامته «۴». و مع ذلك فقد بين المرحوم الكلينى و آخرون اخبار امامته. و يتضح من بعض الاحاديث ان الامام الجواد عليه السّلام حين طلب منه الحضور الى بغداد من قبل المعتصم العباسى فهم مغزى هذا السفر و ادراك مدى خطورته، فبادر الى تعيين الامام الهادى عليه السّلام وصيا له «۵».

اضافة الى ذلك، فقد اصدر الامام نصا مكتوبا بامامة ولده الهادى عليه السّلام بحيث لم يبق هناك اى مجال للشك» «۶».

---

(۱) انظر الى: رسالة الميرزا حسين النورى حول موسى المبرقع، تحت عنوان: (البدر المشعشع، فى احوال ذرية موسى المبرقع)، و قد دافع عنه بشدة فى هذه الرسالة.

(۲) فرق الشيعة ص ۹۱- ۹۲، الفصول المختارة من العيون و المحاسن، ص ۲۵۷.

(۳) المقالات و الفرق، ص ۹۹.

(۴) اعلام الورى ص ۳۳۳، المناقب ج ۲ ص ۴۴۳، مسند الامام الهادى عليه السّلام ص ۲۰.

(۵) الكافى، ج ۱ ص ۳۳۳، بحار الانوار ج ۵۰، ص ۱۱۸.

(۶) الكافى ج ۱ ص ۳۲۵، انظر بحار الانوار ج ۵۰ ص ۱۱۸- ۱۲۳، مسند الامام الهادى ص ۱۸- ۲۲.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۱۳۵

سياسة المتوكل ازاء الامام الهادى:

معروف عن المعتصم العباسى انه حكم منذ شهر رجب من العام ۲۱۸ ه و حتى ربيع الاول من العام ۲۲۷ ه، ثم حكم من بعده الواثق حتى ذى الحجة من السنة ۲۳۲ ه، ثم تولى الحكم من بعده الخليفة المتوكل الذى بقى حيا حتى العام ۲۴۷ ه، ثم اعقبه المنتصر الذى استلم الحكم لمدة سنة واحدة و توفى سنة ۲۴۸ ه، ثم انتقلت مقاليد الحكم الى المستعين باللّه الذى استمر حتى العام ۲۵۱ ه، ثم ولى الخلافة من بعده المعتز حتى العام ۲۵۵ ه «۱».

و المشهور ان وفاة الامام الهادى كانت فى سنة ۲۵۴ ه.

و كانت سياسة المأمون الى ما قبل مجىء المتوكل الى الخلافة هى السياسة المتبعة فى الحكم. و هى سياسة تقوم على التمسك بمذهب المعتزلة و الدفاع عنهم، و هذا يعنى فسح المجال تلقائيا أمام الشيعة و العلويين. و لكن الامور تغيرت بمجىء المتوكل الى سدة الحكم حيث ابتدأ التشدد و الضغط من جديد و انتهجت سياسة الدفاع عن آراء اهل الحديث و تحريضهم ضد المعتزلة و الشيعة. و هو ما نجم عنه قمع هذين المذهبين بشدة.

و قد اشار ابو الفرج الاصفهانى فى بداية حديثه عن النهضات العلوية فى عهد المتوكل الى الشدة التى مارسها المتوكل فى قمع الطالبيين كما اعتبر وزيره عبد اللّه بن يحيى بن خاقان يحمل نفس النظرة العدائية ضدهم. فيزين له القبيح فى معاملتهم، حتى بلغ فيهم ما لم يبلغه احد من خلفاء بنى العباس قبله. و كان من ذلك ان كرب قبر الحسين و عفى آثاره. و وضع على الطرق مسالح له لا يجدون

---

(۱) اخذت هذه التواريخ من كتاب (انساب الخلفاء و الولاة) ص ۳، (المؤلف زامباور).

احدا الا اتوا به فقتله أو انهكه عقوبة «۱». و كان الدافع لذلك ان كربلاء صارت سببا لشد الناس عاطفيا مع الافكار الشيعية و الائمة. و اورد ابو الفرج الاصفهانى بعض التفاصيل عما كان يلاقيه العلويون فى المدينة من ضيق و عسر، مما يتقرح له الفؤاد ألما.

جلب الامام الى سامراء:

فى اعقاب تلك الممارسات القاسية التى مورست ضد الامام الهادى عليه السّلام و هو فى المدينة، امر المتوكل بجلبه الى سامراء، و كان غرضه من ذلك مراقبة تحركات الشيعة و زياراتهم. و كان المأمون من قبله قد مارس نفس السياسة بهدف السيطرة على تحركات الامامين الرضا و الجواد عليهما السّلام.

و هناك اخبار تاريخية متعددة موجودة فى كتب التاريخ و الحديث عن جلب الامام من المدينة الى سامراء، الا أننا سنحاول التوفيق فيما بينها للخروج بخبر جامع عنها.

ففى سنة ۲۳۳ ه قرر المتوكل المجىء بالامام من المدينة الى سامراء، و ذكر الشيخ المفيد ان ذلك كان فى سنة ۲۴۳ ه، و هو غير صحيح. إذ ان هذا التاريخ اشارة الى السنة التى استنسخ فيها احد الشيعة رسالة المتوكل الى الامام «۲»، لكن الشيخ

---

(۱) مقاتل الطالبيين، ص ۳۹۰.

و ذكر ضمن هذا السياق: «ان جماعة من محبى الامام الحسين عليه السّلام زاروا قبره سرا فى الليل، و وضعوا عليه بعض العلائم، و لما قتل المتوكل جاءوا الى كربلا مع سائر العلويين و الطالبيين، و اخرجوا تلك العلائم، و اعادوا القبر على ما كان عليه».

(۲) انظر الارشاد، ص ۳۳۲، الكافى ج ۱ ص ۵۰۱.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۱۳۷

تصور خطأ انها تاريخ جلب الامام الى سامراء. ففى تلك السنة كتب عبد اللّه بن محمد الهاشمى رسالة الى المتوكل جاء فيها: اذا كانت لك فى الحرمين حاجة فاخرج على بن محمد منها، فانه قد دعا الناس الى نفسه، و اتبعه خلق كثير. و من بعد هذا انفذ المتوكل يحيى بن هرثمة ليأتيه بالامام الهادى عليه السّلام الى سامراء «۱».

و اشار ابن الاثير الى ظلم المتوكل للشيعة، و ان هناك جماعة كانت تسايره فى هذا الاتجاه منهم عبد اللّه بن محمد الهاشمى، و قد حذروه من العلويين و كانوا يحرضونه على نفيهم، و الاساءة إليهم «۲».

و ذكر ابن الجوزى أيضا ما جرى عند المتوكل من قدح و سعاية ضد الامام الهادى عليه السّلام و قال انه اشخصه الى سامراء لخبر بلغه بأن الناس قد افتتنوا به «۳».

و ذكر الشيخ المفيد ان الامام ارسل كتابا الى المتوكل فنّد فيه ما بلغه عنه من اخبار «۴».

و كتب المتوكل جوابا على كتاب الامام يتناسب مع مكانته، و قال فيه انه قد عزل عبد اللّه بن محمد الهاشمى عما كان يتولاه من الحرب و الصلاة فى مدينة الرسول، و طلب من الامام أيضا ان يأتى الى سامراء، و اكد فى كتابه على معرفته بشخصية الامام، و تقديره لمكانته، و انه مستعد للبر به، و انه قد نصب محمد بن الفضل بدلا عن عبد اللّه بن محمد، و امره باكرامه و تبجيله، و الانتهاء الى رأيه. ثم ذكر فى كتابه أنه مشتاق لرؤيته و إحداث العهد معه و النظر إليه. و طلب إليه الشخوص الى سامراء مع من شاء من اهل بيته و مواليه على مهل و طمأنينة. و اذا

---

(۱) بحار الانوار ج ۵۰، عيون المعجزات.

(۲) الكامل، ج ۷ ص ۲۰، راجع كتاب مقاتل الطالبيين ص ۴۸۰.

(۳) تذكرة الخواص، ص ۳۵۹.

(۴) الارشاد، ص ۳۳۳.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۱۳۸

احب ان يرافقه يحيى بن هرثمة و من معه من الجند و يكون تحت طاعته فالامر إليه فى ذلك.

ثم طلب المتوكل يحيى بن هرثمة و امره ان يسير الى الكوفة بثلاثمائة جندى و ينزل فيها، ثم يذهب منها الى المدينة عن طريق البادية، و يأتيه بعلى بن محمد مكرّما «۱». و واضح ان المتوكل انما فعل ذلك خشية حدوث حساسية سياسية فى المجتمع.

و رغم كل ذلك فقد علم اهل المدينة بتلك القضية حيث ينقل ابن الجوزى قائلا: «يقول يحيى بن هرثمة: و جهنى المتوكل الى المدينة فلما دخلتها ضج اهلها و عجوا ضجيجا و عجيجا ما سمعت مثله، فجعلت اسكتهم، و احلف انى لم أؤمر فيه بمكروه» «۲».

غير انه يظهر بوضوح انه كان مأمورا بأخذ الامام الهادى عليه السّلام الى سامراء بالاكراه و لذا ورد فى تتمة الرواية السابقة أنه فتّش منزل الامام فلم يصب فيه الا مصاحف و دعاء و ما اشبه ذلك. و هذا ما جعل يحيى يفتتن به «۳».

و قد روى فى كتاب عيون المعجزات ان يحيى عند ما قدم المدينة بدأ عبد اللّه بن محمد فاوصل الكتاب إليه، ثم ركبا جميعا الى ابى الحسن عليه السّلام، و اوصلا إليه كتاب المتوكل فاستأجلهما ثلاثة أيام. فلما كان بعد ثلاثة عادا الى داره فوجدا الدواب مسرجة و الاثقال مشدودة، فخرج متوجها الى العراق مع هرثمة «۴».

---

(۱) تذكرة الخواص، ص ۲۵۹.

(۲) نفس المصدر، مروج الذهب ج ۴ ص ۸۴.

(۳) بحار الانوار ج ۵، ص ۲۰۹.

(۴) المباحث ج ۲ ص ۴۵۴، مسند الامام الهادی ص ۴۴.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۱۳۹

اقامته عليه السّلام فی سامراء:

قدم الامام الی سامراء فاستقبله الناس، و اقام فی دار خزيمة بن حازم «۱».

يقول يحيی بن هرثمة فلما قدمت الی مدينة السلام بدأت بإسحاق بن ابراهيم الطاهری، و كان علی بغداد، فقال يا يحيی ان هذا الرجل قد ولده رسول اللّه صلّی اللّه عليه و آله و سلّم و المتوكل من تعلم، فان حرضته علی قتله، كان رسول اللّه صلّی اللّه عليه و آله و سلّم خصمك.

فصرت الی سامراء و قلت لوصيف بخبر وصول الامام، فقال: و اللّه لأن سقط من رأس هذا الرجل شعرة لا يكون الطالب بها غيری. و ذهب الی المتوكل و عرفته ما وقفت عليه من امره، و سمعته من الثناء فاحسن جائزته، و اظهر بره و تكريمه «۲».

ينقل الشيخ المفيد ان الامام لما وصل الی سامراء امر المتوكل بأن يحجب عنه فی يومه. فنزل فی خان يعرف بخان الصعاليك و فی اليوم التالی افردت له دار فاقام فيها. يقول صالح بن سعيد: «دخلت علی ابی الحسن يوم وروده فقلت له:

جعلت فداك فی كل الامور ارادوا اطفاء نورك و التقصير بك حتی انزلوك هذا الخان الاشنع خان الصعاليك» «۳».

اقام ابو الحسن عليه السّلام فی سامراء عشرين عاما و عدة اشهر و توفی فيها، و قال الشيخ المفيد: «كان فيها الامام مكرّما فی ظاهر حاله، يجتهد المتوكل فی ايقاع حيلة به فلا يتمكن من ذلك» «۴».

---

(۱) اثبات الوصية ص ۲۲۸.

(۲) مروج الذهب، ج ۴ ص ۸۵.

(۳) الارشاد، ص ۳۳۴.

(۴) الارشاد ص ۳۳۴.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۱۴۰

مواقف الامام من المتوكل:

و خلال المدة التی اقامها الامام فی سامراء كان يبدو علی الامام انه يحيا حياة طبيعية، الا ان المتوكل كان يرمی- سوی ما ذكرناه من المراقبة الی ادخاله ضمن نطاق البلاط العباسی و اسقاط شخصيته. و قد قال الطبرسی فی هذا الصدد:

«ان المتوكل كان يسعی للحط من مكانة الامام فی قلوب الناس» «۱».

و اورد المسعودی فی مروج الذهب مثالين لمواقف الامام الهادی عليه السّلام من المتوكل «۲». فقد نقل عن محمد بن يزيد المبرد أنه قال: «سأل المتوكل الامام الهادی عليه السّلام: ما يقول ولد أبيك (يعنی أنت) فی العباس بن عبد المطلب؟ قال: ما يقول ولد ابی يا امير المؤمنين فی رجل فرض اللّه تعالی طاعة بنيه علی جميع خلقه، و فرض طاعته علی بنيه؟.

فانشرح المتوكل لجواب الامام الذی كان يعنی تأييدا له فی الظاهر و أجازه بمائة الف درهم».

و انما اراد ابو الحسن طاعة اللّه علی بنيه فعرّض «۳».

و هذا يظهر ان الامام كان معرضا للتهديد المباشر من قبل المتوكل، و كان عليه التزام مبدأ التقية، لكنه تحدث بذكاء يدركه اهل

الالباب، و اصحاب الافهام، و يعرفون المقصد الحقيقى الذى انطوى عليه كلامه.

و فى نفس هذا السياق قيل للمتوكل ان ابا الحسن يعنى على بن محمد بن

---

(۱) اعلام الورى، ص ۴۳۸.

(۲) و اشار أيضا الى موقف الامام من زينب الكذابة و قال انها كرامة اخرى له.

(۳) مروج الذهب ج ۴ ص ۱۰- ۱۱.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۱۴۱

على الرضا عليه السّلام يفسر قوله عز و جل: يَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلى يَدَيْهِ يَقُولُ يا لَيْتَنِى اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا «۱» بالاول و الثانى قال: فكيف الوجه فى امره؟

قالوا: تجمع له الناس و تسأله بحضرتهم فان فسرها بهذا كفاك الحاضرون امره، و ان فسرها بخلاف ذلك افتضح عند اصحابه. فوجه الى القضاة و بنى هاشم و الاولياء و سئل عن ذلك، فقال عليه السّلام: هذان رجلان كنى عنهما، و منّ عليهما بالستر، أ فيحب امير المؤمنين ان يكشف ما ستره اللّه؟ قال: لا أحب «۲». و بهذا تخلص الامام من خطر كان يواجهه من ابناء العامة.

و اورد المسعودى خبرا آخر فى مروج الذهب قال: «سعى الى المتوكل بعلى بن محمد الجواد عليه السّلام ان فى منزله كتبا و سلاحا من شيعته من اهل قم، و انه عازم على الوثوب بالدولة، فبعث إليه جماعة من الاتراك، و هجموا على داره ليلا فلم يجدوا فيها شيئا، و وجدوه فى بيت مغلق عليه و عليه مدرعة من صوف و هو جالس على الرمل و الحصا، و متوجه الى اللّه تعالى يتلو آيات من القرآن. فحمل على حاله تلك الى المتوكل و قالوا له: لم نجد فى بيته شيئا و وجدناه يقرأ القرآن مستقبل القبلة. و كان المتوكل جالسا فى مجلس الشراب، فدخل عليه و الكأس فى يد المتوكل. فلما رآه هابه و عظّمه و اجلسه الى جانبه، و ناوله الكأس التى كانت فى يده. فقال: و اللّه ما يخامر لحمى و دمى قط، فاعفنى فاعفاه، فقال: انشدنى شعرا:

فقال عليه السّلام انى قليل الرواية للشعر، فقال لا بدّ: فانشده عليه السّلام و هو جالس عنده:

باتوا على قلل الاجبال تحرسهمغلب الرجال فما اغنتهم القلل

و استنزلوا بعد عز من معاقلهمفاودعوا حفرا يا بئس ما نزلوا

---

(۱) الفرقان: ۲۷. (۲) مروج الذهب ج ۴ ص ۱۱.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۱۴۲ ناداهم صارخ من بعد ما قبرواابن الاسرة و التيجان و الحلل

اين الوجوه التى كانت منعمةمن دونها تضرب الاستار و الكلل

فافصح القبر عنهم حين ساءلهمتلك الوجوه عليها الدود تنتقل

قد طالما عمروا دورا لتحصنهمففارقوا الدور و الاهلين و انتقلوا

و طالما كنزوا الاموال و ادخروافخلّفوها على الاعداء و ارتحلوا

اضحت منازلهم قفرا معطلةو ساكنوها على الاحداث قد رحلوا يقول المسعودى: فبكى المتوكل حتى بلّت دموعه لحيته، و بكى الحاضرون، و امر بمائدة الشراب فرفعت، ثم سأل ابا الحسن عليه السّلام: هل عليك دين؟

قال: اربعة آلاف دينار.

فدفع إليه اربعة آلاف دينار ثم رده الى منزله مكرما «۱». كما ارسل له المتوكل مبلغا آخر من المال، الا ان الامام عرض عليه ان ينفقه فى سبيل اللّه» «۲».

و كان استلام الهدايا من الخلفاء يختلف باختلاف الظروف و الاموال التى تقدم فيها الهدايا و يمكن مراجعة الكتب الفقهية لمعرفة المباحث الفقهية المتعلقة بها بشكل اوسع.

و فى احد الايام امر المتوكل جميع اهل مملكته من الاشراف و من اهله و غيرهم و الوزراء و الامراء و القواد و سائر العساكر و وجوه الناس ان يزينوا بأحسن التزيين، و يظهروا فى افخر عددهم و ذخائرهم، و يخرجوا مشاة بين يديه، و ان لا يركب الا هو و الفتح بن خاقان، فشق على الامام عليه السّلام ما لقيه من الحر و الزحمة،

---

(۱) مروج الذهب ج ۴، ص ۱۱، مرآة الجنان ج ۲ ص ۱۵۹، تتمة المختصر ص ۳۴۷.

(۲) تذكرة الخواص، ص ۳۶۰.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۱۴۳

فدعا الامام بدعاء (المظلوم على الظالم) «۱». و سنذكر قسما منه فى مكان آخر.

كان المتوكل يسعى و بكل اصرار الى اشراك الامام الهادى عليه السّلام فى مجالس اللهو و الطرب، و كان من الطبيعى ان تؤدى مثل هذه المكيدة الى اسقاط هيبة الامام فى نظر الشيعة و انصاره و هو امامهم و قدوتهم، لكنه (اى المتوكل) اعترف بعجزه و عدم قدرته على اسقاط هيبة الامام فى مثل هذه المكيدة، فكان يقول:

«و يحكم قد اعيانى امر ابن الرضا، ابى ان يشرب معى أو ينادمنى أو اجد منه فرصة فى هذا» «۲».

لقد كان لشخصية الامام من الجلال و العظمة و الهيبة فى سامراء ما يدفع بالجميع الى احترامه و تقديره، و الخضوع امام هيبته «۳». لكن هذا الحال ما كان ليرضى المتوكل، فكان يزداد ضغطه عليه و شدته فى معاملته «۴».

و فى الايام الاخيرة من حياته، كان المتوكل قد عزم على قتل الامام. يقول ابن اورمة. «خرجت الى سر من رأى فدخلت الى سعيد الحاجب و دفع المتوكل ابا الحسن عليه السّلام إليه ليقتله. و بعد يومين هجم الترك- كما توقع الامام الهادى عليه السّلام- على المتوكل فى فراشه ليلا و قتلوه. فنجا منه الامام» «۵».

و قد ورد فى احاديث اخرى أيضا ان المتوكل امر بحبس الامام، لكنه قتل

---

(۱) مهج الدعوات ص ۲۶۵، مسند الامام الهادى ص ۱۸۶- ۱۹۱.

(۲) كشف الغمة ج ۲ ص ۳۸۱.

(۳) المقالات و الفرق، ص ۱۰۵.

(۴) كشف الغمة ج ۲ ص ۳۹۴.

(۵) كشف الغمة، ج ۲ ص ۳۹۴.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۱۴۴

بعد ثلاثة أيام «۱».

احوال الشيعة فى عهد المتوكل:

صارت الخلافة بعد مقتل المتوكل الى ابنه المنتصر، فنتج عن ذلك تقليل الضغوط التى كانت تمارس ضد الشيعة و الامام الهادى عليه السّلام، و ان كانت الضغوط ظلت متواصلة ضد الشيعة فى سائر البلاد «۲». فقد كان الشيعة فى عهد المتوكل يئنون تحت وطأة الضغوط الشديدة، و كان من الواضح طبعا ان تناقص تلك الضغوط بعد المتوكل كان يؤدى الى تقوية التنظيمات الشيعية فى المناطق

المختلفة و كان الامام كلما اعتقل واحد من وكلائه عيّن غيره، فكان من شيعته وكيله على بن جعفر الذى قبض عليه و اودع الحبس «۳».

و كذا محمد بن الفرج و قد قبض عليه فى مصر و احضر الى العراق و بقى فى السجن ثمانى سنوات «۴».

يقول الدكتور جاسم حسين بهذا الخصوص: «نقل الكندى ان الشيعة الامامية فى مصر كانوا عرضة لمضايقة و اذى الوالى هناك يزيد بن عبد اللّه التركى، فقبض على (ابى حدرّى) «۵» و هو من كبار العلويين، و على اصحابه. و كانوا متهمين

---

(۱) المناقب ج ۱ ص ۴۴۷، مسند الامام الهادى ص ۴۱، هناك اخبار كثيرة عن مواقف الامام الهادى عليه السّلام مع المتوكل. لا يمكننا التطرق إليها فى هذه العجالة.

(۲) انظر: التاريخ السياسى لغيبة الامام الثانى عشر عليه السّلام ص ۸۵.

(۳) اثبات الوصية ص ۲۳۲.

(۴) بحار الانوار ج ۵، ص ۱۴۰.

(۵) هو محمد بن على (ابن الحسن) بن على بن الحسين بن على بن ابى طالب.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۱۴۵

بالنشاط الخفى ضد الحكومة، و أبعدوا الى العراق فى عام ۲۴۸ ه «۱». و يقول الشيخ الكلينى أيضا: «ان عمليات الحبس و الملاحقة قد أثرت على اتباع الامام الهادى عليه السّلام «۲» فعلى سبيل المثال: قتل محمد بن حجر، و حبس حاكم مصر سيف ابن الليث، و تزامنا مع تلك الاحداث القى القبض على اصحاب الامام الهادى عليه السّلام فى سامراء «۳»، و اصبح وكيله فى الكوفة، ايوب بن نوح مطلوبا من قبل قاضيها» «۴».

و كان الامام ابو الحسن عليه السّلام يخاطب الشيعة و يدعوهم الى الحفاظ على مكانتهم الاجتماعية، و مراعاة الجوانب الظاهرية، و معالم الزينة و الجمال فى الشخصية. فعند ما رأى الامام احد الشيعة يمشى و فى يده سمك قال له: «يا معشر الشيعة، انكم قد عاداكم الخلق فتزينوا بما قدرتم عليه) «۵».

و كثيرا ما كان الشيعة يدخلون فى المناصب الحكومية بامر من الائمة عليهم السّلام ليكونوا عونا للشيعة فى الاوقات المناسبة.

فكان يعقوب بن يزيد من كتّاب المنتصر، و مع ذلك فقد نقل عنه ان له كتبا منها كتاب البداء و كتاب المسائل و نوادر الحج و ... الخ «۶». و بديهى ان هؤلاء كانوا يعملون سرا، و الا فان الخلفاء كانوا يضيقون على كل من له علاقة بالامام

---

(۱) ولاة مصر، ص ۲۲۹.

(۲) الكافى ج ۱ ص ۵۱۱- ۵۱۳.

(۳) المناقب ج ۴ ص ۴۱۶.

(۴) كشف الغمة، ج ۳ ص ۲۴۷، نقلا عن تاريخ سياسى غيبت امام دوازدهم، (التاريخ السياسى لغيبة الامام الثانى عشر).

(۵) الكافى ج ۶ ص ۴۸۰.

(۶) رجال النجاشى ص ۳۵۰.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۱۴۶

الهادى، و يطردونه و يقطعون رزقه «۱». و ان كان هذا الضغط قد قلّ فى عهد المقتدر بشكل ملفت النظر.

و فضلا عن شيعة الامام و اصحابه فهناك ما يقرب من مائة و تسعين صحابيا رووا عن الامام الهادى عليه السّلام. روى مائة و ثمانون

منهم- على اقل تقدير- مواضيع و احاديث مختلفة عنه.

و كانت لدى الشيعة فى ذلك الوقت كتب الاحاديث و الفقه و الكلام التى الّفها اصحاب الائمة، و كانوا يعرضون اسئلتهم و مشاكلهم على الامام الهادى عليه السّلام عن طريق الوكلاء، و كان الامام بدوره يوجههم الى الاصحاب ذوى السبق، و المحبين لأهل البيت «۲».

و يمكن ان نستشف من القرائن اللاحقة، ان التشيع كانت له قاعدة جماهيرية واسعة رغم ان التاريخ لا يقدّم لنا معلومات دقيقة فى هذا المجال. و من المؤكد ان هذا الانتشار يعزى الى العمل الدؤوب الذى كان يبذله ائمة الشيعة و وكلائهم الى محبة المسلمين العميقة لاهل البيت عليه السّلام.

و فى عهد الامام الهادى عليه السّلام قام زعماء المذهب الزيدى بالعديد من الثورات فى ارجاء مختلفة من البلاد الاسلامية و الحصيلة العامة هى ان الزيدية صاروا مرفوضين من قبل الشيعة بسبب مواقفهم المتشددة ازاء الامامية. لكن الكثير منهم كانوا مخلصين فى ثوراتهم، و هذا ما كان يؤدى الى اجتذاب الشيعة عاطفيا نحوهم و بشكل طبيعى و يمكن لمن يرغب فى الحصول على اخبار تلك الحركات و الانتفاضات الرجوع الى كتاب مقاتل الطالبيين لابى فرج الاصفهانى و كتاب تاريخ الطبرى ... الخ.

---

(۱) أمالى الشيخ ج ۱ ص ۲۹۱، مسند الامام الهادى ص ۳۸- ۳۹.

(۲) رجال الكشى، ص ۱۱، مسند الامام الهادى ص ۸۲.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۱۴۷

وكلاء الامام الهادى عليه السّلام و صلاحياتهم:

كانت حياة ائمة الشيعة المتأخرين مقرونة عادة برقابة شديدة من خلفاء بنى العباس، و مع ذلك فقد لاحظنا انتشار الشيعة فى جميع البلاد الاسلامية. و يمكن ملاحظة ذلك الانتشار فى المؤلفات المناهضة للشيعة، و فى الاجراءات السياسية و العسكرية التى مارسها الحكام ضدهم. و قد تحدثنا فى فصل آخر عن علاقة الامام ابى الحسن على الهادى عليه السّلام بالشيعة الايرانيين. و على نفس تلك الشاكلة كانت علاقة الامام عليه السّلام مع شيعة العراق و اليمن و مصر و البلدان الاخرى.

اما الاسلوب الذى كان يجعل من تلك العلاقة علاقة متينة و متواصلة، فهو اسلوب نظام الوكالة، فقد كان الوكلاء يتولون عملية تنظيم الاتصال بين الامام الرضا ثم الامام الجواد ثم الامام الهادى عليهم السّلام و الشيعة. و كان واجبهم يتمثل فى جمع الخمس اضافة الى مسئوليتهم فى الاجابة على المسائل الفقهية و الكلامية، و ما كان لهم من دور فى تثبيت الامامة للامام اللاحق. و قد يحصل ان ينحرف بعضهم فيقوم الامام بتكذيبه و يستبدله بشخص آخر، كما كان لنظام الوكالة دور حيوى فى تثبيت الوضع الثقافى و السياسى للشيعة الامامية.

و كتب الدكتور جاسم حسين يقول: «يستفاد من الاخبار التاريخية، ان المناطق التى كان ينبغى بث الوكلاء فيها تقسم الى اربعة اقسام و هى:

المنطقة الاولى: و تشمل بغداد و المدائن و السواد و الكوفة.

و المنطقة الثانية: و تشمل البصرة و الاهواز.

و المنطقة الثالثة: و تشمل قم و همدان.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۱۴۸

و المنطقة الرابعة: و تشمل الحجاز و اليمن و مصر» «۱».

و كان ارتباط هؤلاء الاشخاص مع الامام يتم فى الغالب عبر الكتب و عن طريق من يوثق بهم ممن كانوا يذهبون الى الحجاز لغرض

الحج او الى العراق لزيارة قبر الامام الحسين عليه السّلام.

و لهذا السبب اشرنا فى دراستنا لحياة الامام الجواد و الامام الحادى عشر، الى ان اكثر معارفهم الفقهية و الكلامية قد نقلت الى شيعتهم بواسطة المكاتيب ثم انتقلت من تلك المكاتيب الى الكتب التى تعتبر اليوم مصادر الحديث.

فمن وكلاء الامام الهادى عليه السّلام على بن جعفر الوكيل، و هو من قرية (همينيا) من قرى بغداد، سعى به الى المتوكل فقبض عليه و حبس، و قضى فترة طويلة فى الحبس فلما اخلى سبيله، ذهب بأمر الامام الهادى عليه السّلام الى مكة و أقام فيها «۲»، و قد أيد الامام الهادى عليه السّلام موقفه ازاء احد رؤساء الغلاة يدعى فارس بن حاتم القزوينى و كتب فى ذلك كتبا فى الاجابة على بعض اسئلة الصحابة و قد كتب احد هذه الكتب فى العام ۲۴۰ ه «۳».

و من وكلائه أيضا ابراهيم بن محمد الهمدانى و كان حسب ما نقل الكشى من وكلاء الامام الهادى حج اربعين حجة «۴»، و كتب له الامام كتابا، و نوّه له الامام فى كتاب بعثه له الى أنه «قد وصل الحساب تقبل اللّه منك و رضى عنهم و جعلهم معنا فى الدنيا و الآخرة».

---

(۱) التاريخ السياسى لغيبة الامام الثانى عشر (بالفارسية) ص ۱۳۷.

(۲) رجال الكشى ص ۶۰۷- ۶۰۸، تنقيح المقال ج ۲ ص ۲۷۱، عن الكشى، اثبات الوصية ص ۲۳۲.

(۳) رجال الكشى ص ۵۲۵- ۵۲۷.

(۴) نفس المصدر ص ۶۰۸.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۱۴۹

و من الواضح ان الرسالة تتحدث عن الارتباط المالى لهذا الوكيل- الذى استلم الخمس من الشيعة و ارسله الى الامام- و كتب له الامام فى هذا الكتاب:

«اننى اوصيت فيك النضر بن محمد الهمدانى «۱» و اعلمته بمكانتك عندى، و قلت له ان لا يضيق عليك. و امرت ايوب بن نوح الدراج «۲» بنفس الامر، و كتبت أيضا الى اصحابى فى همدان كتابا امرتهم فيه باتباع امرك، و لا يوجد وكيل سواك فى تلك الناحية «۳».

و من وكلاء الامام الهادى أيضا الحسين بن عبد ربه- او كما ذكرت بعض المصادر- هو ابنه على عليه السّلام، و من بعده عيّن الامام على بن راشد محله. و كتب الامام فى عام ۲۳۲ ه كتابا الى على بن بلال، قال فيه بعد حمد اللّه و الثناء عليه:

«ثم انى أقمت ابا على مقام الحسين بن عبد ربه، و ائتمنته على ذلك بالمعرفة بما عنده الذى لا يتقدمه احد، و قد اعلم انك شيخ ناحيتك فاحببت افرادك و اكرامك بالكتاب بذلك، فعليك بالطاعة له، و التسليم إليه جميع الحق قبلك، و ان تخص موالىّ على ذلك، و تعرفهم من ذلك ما يصير سببا الى عونه و كفايته فذلك توفير علينا و محبوب لدينا، و لك به جزاء من اللّه و اجر، فان اللّه يعطى من يشاء افضل الاعطاء و الجزاء برحمته. و أنت فى وديعة اللّه. و كتبت بخطى و احمد اللّه كثيرا» «۴».

يعكس هذا الكتاب واجبات و حدود صلاحيات الوكلاء، و علاقة الوكلاء

---

(۱) تنقيح المقال: ج ۲ ص ۲۷۱.

(۲) تنقيح المقال ج ۱ ص ۱۵۹.

(۳) رجال الكشى ص ۶۱۱- ۶۱۲.

(۴) رجال الكشى ص ۵۱۳.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۱۵۰

الادنى بهم، و الـذين يتحلمون اساسا مسـئولية مناطق شاسـعة. و قـد كتب كتاب آخر من قبل الامام عن ابى على بن راشـد اوضح فيها مكانته و اعتبر فيها طاعته طاعة للامام و للّه.

«فقد اوجب فى طاعته طاعتى و الخروج الى عصيانه الخروج الى عصيانى. فالزموا الطريق يأجركم اللّه، و يزيدكم فى فضله» «۱».

و كتب الامـام كتابـا آخر وجّهه الى ايوب بن نوح امره فيه بعـدم الاكثار بينه و بين ابى على، و ان يلزم كل واحـد منهما ما وكل به، و امر بالقيـام فيه فى امر نـاحيته، و اوصـى ابـا على أيضـا بمثل ما اوصـى به أيوب، و طلب من الاثنين ان يتولى كل واحـد منهما الشؤون المالية لما يليه من الشيعة، و ان لا يقبلا شيئا من اموال شيعة المناطق الاخرى «۲».

و يحتمل ان يكون احمد بن إسـحاق الرازى أيضا من وكلاء الامام على بن محمد الهادى عليه السّـلام اذ يستفاد هذا المعنى من الخبر الذى اورده الكشـى عن اسماعيل ابن إسحاق النيسابورى «۳». و يعتبر احمـد من الشـيعة الثقات طوال حياة الائمة الاواخر و خلال فترة الغيبة الصغرى أيضا.

---

(۱) رجال الكشى ص ۵۱۴.

(۲) رجال الكشى ص ۵۱۴.

(۳) مسند الامام الهادى عليه السّلام ص ۳۲۰.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۱۵۱

الامام الهادى عليه السّلام و الشيعة فى ايران:

لا ريب ان اكثر الشـيعة هم من اهل الكوفة، و هذه الحقيقة يمكن الحصول عليها من خلال مراجعة كتب رجال الشيعة. اذ غالبا ما نرى فى هـذه الكتب ان اسـماء اكثر الشـيعة تشـير الى انهم من الكوفة، رغم ان ذلك لا يعنى كون اولئك الرجال من العرب، فنسـبتهم الى الكوفة كنسـبة بعض اصحاب الائمة منذ عهد الامامين الباقر و الصادق عليهما السّلام فصاعدا الى قم، فيقال لهم القميون مع انهم كانوا من العرب الاشاعرة الذين سكنوا قم.

ففى زمن الامام الهادى عليه السّـلام كان مركز التشـيع فى ايران هو مدينـة قم، و كان لشـيعتها، و شائـج متينـة مع الائمة عليه السّـلام و ينبغى التأكيـد على ان: كل مظاهر الانحراف و الغلو التى حصـلت فى العراق، حـدث فى قم ما يقابلها من اعتدال و مناهضة للتوجهات المغاليـة، و اصـرار من شـيعة هـذه المدينـة على مواقفهم. و الرسالـة المعروفة التى كتبت الى الامام الهادى عن الغلو، صدرت من هذه المدينة و كثيرا ما كانت الافكار المعادية للغلاة سائدة فى اجوائها «۱».

و الى جانب قم كانت مـدينتى آبـة أو آوه و مدينـة كاشان كـذلك متأثرة بالثقافـة الشـيعية و تحكمها مثل هذه الاتجاهات اذ جاء فى بعض الروايات ان (محمد ابن على القاسانى) كتب الى الامام يسأله عن التوحيد، فكتب له الامام الجواب «۲».

و كان لاهل مدينة قم طبعا ارتباط مالى واسع مع الامام الهادى عليه السّلام.

و وردت فى الروايات اسماء مثل: (محمد بن داود القمى) و (محمد الطلحى) كانوا

---

(۱) انظر: تاريخ التشيع فى ايران منذ البداية و حتى بداية القرن السابع (بالفارسية) ص ۱۱۷- ۱۲۳.

(۲) الكافى ج ۱ ص ۱۰۲، التوحيد ص ۱۰۱.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۱۵۲

يوصلون الى الامام الاموال و الاخبار من مدينة قم «۱».

و من التهم التى وجهت للامام ابى الحسن الثالث عليه السّلام هى استلامه اموالا من اهل قم «۲». و كان اهالى مدينتى قم و آبة يسافرون الى خراسان لزيارة مشهد الامام الرضا عليه السّلام، و كان الامام الهادى أيضا يعتبرهم من المغفور لهم بسبب زيارتهم للرضا عليه السّلام «۳».

و مثل هذه العلاقة كانت قائمة أيضا بين الائمة و مدن اخرى. هذا فى وقت كانت فيه المدن الايرانية آنذاك ذات ميول مذهبية سنية سببها تسلط الأمويين و العباسيين و كان الشيعة فيها يشكلون اقلية قليلة.

و كان من اصحاب الامام الهادى عليه السّلام رجل يدعى صالحا و يعرف بابى مقاتل الديلمى، و قد ألف هذا الشخص كتابا عن الامامة من الناحية الروائية و الكلامية «۴»، و قد بدأ الوجود الشيعى ينمو فى الديلم منذ أواخر القرن الثانى للهجرة و كان شيعتها فى الغالب من الشيعة المهاجرين من العراق اضافة الى بعض اهلها الذين كانوا على المذهب الشيعى.

و لا شك ان الأنساب و الالقاب التى تختتم بها اسماء بعض اصحاب الامام الهادى تدلنا الى حدّ ما على المدينة التى ينتسبون إليها فى ايران مثل: بشر بن بشار النيسابورى، الفتح بن يزيد الجرجانى، احمد بن إسحاق الرازى، الحسن بن سعيد الاهوازى، حمدان بن إسحاق الخراسانى، على بن ابراهيم الطالقانى، و هى امثلة

---

(۱) مشارق الانوار ص ۱۰۰، مسند الامام الهادى ص ۴۵.

(۲) أمالى الشيخ ج ۱ ص ۲۸۲، المناقب ج ۲ ص ۴۵۱، مسند الامام الهادى عليه السّلام ص ۳۷.

(۳) عيون اخبار الرضا عليه السّلام ج ۲ ص ۲۶۰.

(۴) مسند الامام الهادى ص ۳۱۷، تنقيح المقال، ج ۲ ص ۹۰.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۱۵۳

لاشخاص من مختلف المدن الايرانية و كانوا من اصحاب الامام على الهادى عليه السّلام.

و اضحت مدينتا نيسابور «۱» و جرجان «۲» بمرور الزمن من اكثر مراكز نفوذ الشيعة فى القرن الرابع، بسبب ما كان يبذله الشيعة فيهما من جهود.

و هناك شواهد تدل على وجود اصحاب للامام فى مدينة قزوين «۳» و مدينة اصفهان التى اشتهر عنها انها من المدن السنية المتعصبة للمذهب الحنبلى- و هكذا كانت فى واقع الحال- حيث كانت تشتمل احيانا على اشخاص من الشيعة من جملتهم ابراهيم بن شيبة الاصفهانى، و هو من اصحاب الامام الهادى عليه السّلام. و هذا الرجل و ان كان اصله كاشانيا، الا ان من المحتمل ان يكون قد عاش فى اصفهان مدة من الزمن. و حالة معاكسة لهذه كانت موجودة أيضا، فعلى بن محمد القاسانى [الكاشانى] كان اصفهانى الاصل، و هو أيضا من اصحاب الامام الهادى عليه السّلام «۴».

و ورد فى خبر تاريخى آخر اسم عبد الرحمن، و انه كان من اهالى هذه المدينة [اصفهان] فشاهد كرامة من الامام الهادى عليه السّلام فى سامراء فاصبح شيعيا. و فى القرن الرابع كان فى هذه المدينة من يحب الامام عليا عليه السّلام اكثر من حبه لداره و عياله «۵»، و كان عددهم كثيرا. و ذكر الامام فى كتاب له بعثه الى وكيله فى همدان قال فيه بأننى اوصيك خيرا بمحبينا فى همدان «۶».

---

(۱) احسن التقاسيم ص ۳۶۷/ ۳۱۵/ ۳۷۱/ ۳۵۸.

(۲) نفس المصدر ص ۳۶۶.

(۳) رجال الكشى، ص ۵۲۶.

(۴) مسند الامام الهادى، ص ۱۳۳.

(۵) مختصر تاريخ دمشق ج ۱۰ ص ۱۰۴.

(۶) رجال الكشى، ص ۶۱۰.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۱۵۴

اصالة القرآن فى فكر الامام الهادى:

من الانحرافات التى اشاعها غلاة الشيعة و أساءوا فيها الى سمعة هذا المذهب على مر التاريخ هى قضية تحريف القرآن. و هى القضية التى تمس اهل السنة أيضا، نظرا لاحتواء كتبهم على بعض الاحاديث غير الصحيحة الدالة على تحريف القرآن.

و فى نفس الوقت لم يكن بين اهل السنة و لا بين الشيعة الامامية من غير الغلاة من يعتقد بتحريف القرآن. بل كانوا على العكس من ذلك يعارضون هذا الأمر بشدة. و مع ذلك فان الذى يظهر من كتاب (الانتصار) للخياط المعتزلى شيوع نسبة تهمة تحريف القرآن الى الشيعة على الالسن «۱».

كان ائمة الشيعة عليهم السّلام ازاء مثل هذه الاتهامات الباطلة يعطون الاصالة للقرآن دوما فى مقابل الروايات، و يعتبرون كل حديث مخالف للقرآن باطلا كما كان الكثير من اهل السنة يعتقد بنفس هذا المبدأ أيضا. لكن المهم هو تطبيق هذا المبدأ عمليا و بشكل صحيح. فقد نقل ابن شعبة الحرانى رسالة مستفيضة عن الامام الهادى عليه السّلام يؤكد فيها بشدة على اصالة القرآن، و كونه المعيار لقياس صحة الروايات، اضافة الى اعتبار القرآن النص الوحيد الذى تتفق جميع الفرق و المذاهب على الاعتقاد به.

حيث قسم الامام أوّلا الاخبار الى صنفين:

الاول: الاخبار الصحيحة التى يلزم اتباعها و الاقرار بها.

---

(۱) الانتصار ص ۴۱.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۱۵۵

الثانى: الاخبار المنافية للحق و التى يلزم اجتنابها و عدم القبول بها.

ثم اشار الامام الى اجماع الامة على ان القرآن حق، و انه لا تشك فيه فرقة.

ثم قال: فاذا وافق القرآن خبرا فلم تقبله جماعة فالحق قبوله و الاقرار به فان الكل مجمعون على صحة القرآن، ثم مثّل لذلك بخبر الثقلين ذاكرا الآية الكريمة:

إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللَّهُ .. «۱»، استنادا الى شأن نزولها الذى رواه اهل السنة. و بعد ان ضرب هذا المثل انتقل الى شرح معنى «لا جبر و لا تفويض بل امر بين امرين»، و استشهد بالقرآن على تصديق صحة هذا الخبر من خلال استعراضه للآيات الدالة عليه. و قد اقترن هذا العمل بتقديم عشرات الآيات القرآنية التى تشير الى التفويض من جهة، و الى الجبر من جهة اخرى. و استشهد كذلك بالحكم التى نطق بها امير المؤمنين عليه السّلام فى هذا المجال «۲».

الامام الهادى عليه السّلام و علم الكلام عند الشيعة:

ان الاختلافات التى برزت بين الفرق الشيعية ادت الى تعقيد عمل الائمة «۳» فى توجيه الشيعة، و كان مما يزيد فى المصاعب التى يواجهونها تفرق الشيعة فى الامصار المختلفة، و ذلك ما يجعلهم عرضة للتأثر احيانا بالآراء و الافكار المنتشرة هناك. و فى خضم ذلك المعترك كان أتباع الفرق الاخرى و غيرهم من المتعصبين ضد الشيعة ياججون نار الاختلاف، و يبذلون المساعى المحمومة

لتعميق هوة الصراع، و توسيع فجوة الخلافات الفكرية. فقد ذكر الكشى رواية تبرز بوضوح

---

(۱) المائدة: ۵۵.

(۲) تحف العقول ص ۳۳۸- ۳۵۶.

(۳) المناقب ج ۲ ص ۴۴۳، مسند الامام الهادى، ص ۲۸- ۲۹.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۱۵۶

كيف ان احد اتباع الفرق الاخرى قسّم الشيعة الى فرق، و اطلق على كل واحدة منها اسم واحد من كبار اصحاب الامام الصادق عليه السّلام مثل زرارة، و عمار الساباطى، و ابن يعفور ... الخ. فسماها بالزرارية و العمارية و اليعفورية «۱».

و كان الائمة عليهم السّلام يواجهون مختلف انواع الاسئلة التى يكون منشؤها احيانا نفس الاختلافات الداخلية بين رجال الشيعة، و ان كان بعض تلك الاختلافات لا تعدو ان تكن لفظية أو صورية. و إحدى هذه المسائل الكلامية هو النقاش الذى دار حول قضية التشبيه و التنزيه.

فأئمة الشيعة عليهم السّلام قد اكدوا و منذ البداية على التنزيه، و الخطب الواردة عن الامام على عليه السّلام فى نهج البلاغة- و التى صارت فى متناول ايدى الائمة و شيعتهم من بعده- افضل دليل يثبت صحة قولنا.

و كذلك الروايات الاخرى الواردة عن الائمة التى جمعها الشيخ الصدوق بعد جهود شاقة فى كتاب التوحيد، و جمعها أيضا الشيخ الكلينى فى الكافى كلها تشير الى هذا المعنى. و مع كل ذلك فقد كانت تهمة التشبيه من التهم المتداولة بين اتباع الفرق الاخرى ضد الشيعة. اما المنصفون منهم فكانوا على اقل تقدير يعتبرون المشبهة احد فرق الرافضة. و لا يخفى ما قام به الائمة من جهود لرد تلك التهمة و تفنيدها و شجبها عن الشيعة، و الّف الشيخ الصدوق كتاب التوحيد لدفع تهمة «التشبيه و الجبر» عن الشيعة «۲».

و القضية التى نبحثها الآن هى كلام هشام بن الحكم و هشام بن سالم. ان

---

(۱) رجال الكشى ص ۲۶۵، قاموس الرجال، ج ۹ ص ۳۲۴.

(۲) التوحيد، ص ۱۷.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۱۵۷

هذين الشخصين و ان اختلفا فيما بينهما، و الّف ابن الحكم رسالة فى الرد على ابن سالم «۱»، الا ان عدم الاستخدام الصحيح للفظة الجسم و اطلاقها على اللّه ادى الى الصاق تهمة التشبيه و التجسيم بالشيعة من قبل بعض اصحاب الملل و النحل، كما اعتبر هشام بن الحكم من المشبهة الرافضة «۲». لكن هل ان هشاما كان يعتقد بالتجسيم أم لا؟ موضوع اختلف فيه المحققون.

و لقد ثبت فى هذا الصدد ضمن مقالة مؤكدة ان هشاما ما كان يعتقد حقيقة بالتجسيم بل استخدم كلمة الجسم كجزء من معناها العام المتداول، و اعتبر الجسم مساويا للشىء «۳». و قد التفت الائمة عليهم السّلام الى سوء استغلال الآخرين لرأى هشام هذا- و فى الحقيقة يمكن اعتبار تلك الحالة انحرافا ذوقيا من هشام- فابدوا معارضتهم له فى الوقت الذى كانوا يؤكدون على ان عقائد هشام صحيحة اساسا و أنه لا يؤمن بالتشبيه حقيقة.

كما يجب الاعتراف بان وجود ذلك المقدار الكبير من روايات اهل البيت فى مجال التنزيه، يجعل من البعيد لهشام ان يتجاهل ذلك باجمعه، و هو الشيعى الملتزم بمذهبه.

و قد سقنا هذه المقدمة لغرض إيضاح رواية نذكرها هنا لتفنيد عقيدة هشام ابن الحكم حتى لا يحصل فيها اى التباس.

يقول صقر بن ابى دلف: «سألت ابا الحسن على بن محمد بن موسى

(۱) رجال النجاشى ص ۳۰۴.

(۲) الانتصار، ص ۶۱.

(۳) انظر مقولـة: (جسم لا كالاجسام) بين موقف هشام بن الحكم و مواقف سائر اهل الكلام، السـيد محمد رضا الجلالى، مجلة تراثنا، العدد ۱۹ ص ۷- ۱۰۸.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۱۵۸

الرضا عليه السّـلام عن التوحيـد و قلت له: انى اقول بقول الهشام بن الحكم، فغضب عليه السّـلام ثم قال: ما لكم و لقول هشام انه ليس منـا من زعم ان اللّه عز و جـل جسم و نحن منه براء فى الـدنيا و الآخرة، يا ابن ابى دلف ان الجسم محـدث، و اللّه محـدثه و مجسـمه» «۱».

و يقول محمـد بن فرج الرخجى: «كتبت الى ابى الحسن عليه السّـلام اسـأله عمـا قـال هشـام بن الحكم فى الجسم و هشام بن سالم فى الصورة، فكتب عليه السّلام: دع عنك حيرة الحيران و استعذ من الشيطان، ليس القول ما قال الهشامان» «۲».

و كتب السـيد الجلالـى مشـيرا الى عبارة (فى الجسم) قائلا: «ليس المقصود منها ان هشاما كان يقول (بالجسم) اى الاعتقاد بالتجسـيم، بل أنه كان يقول (فى الجسم) و هو اشارة الى استعمال كلمة الجسم- بالمعنى الخاص الذى يقصده هشام- بشأن اللّه جل و علا» «۳».

و قد جوبهت مقولة هشام هذه بردود فعل شديدة من جانب الامامين الصادق و الكاظم عليهما السّلام «۴».

و هذا الجدل الذى دار بين الهشامين قد احدث اختلافا بين الشـيعة و جعل الائمة عرضة لاسـئلة متواصلة من الشيعة. و كتب ابراهيم بن محمـد الهمـدانى الى الامام ابى الحسن عليه السّـلام: «ان من قبلنا من مواليك قـد اختلفوا فى التوحيد، فمنهم من يقول صورة، و منهم من يقول جسم». فكتب عليه السّلام بخطه: «سبحان من لا يحد

(۱) التوحيد: ص ۱۰۴.

(۲) التوحيد، ص ۹۷.

(۳) مقالة: مقولة «جسم لا كالاجسام» تراثنا، شماره ۱۹، ص ۹۲.

(۴) انظر التوحيد، ص ۹۷- ۱۰۰.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۱۵۹

و لا يوصف، ليس كمثله شىء و هو السميع العليم،- او قال- البصير» «۱».

و نقل ان مثل هذا السؤال قد طرح من قبل اشـخاص آخرين كمحمد ابن على الكاشانى و غيره، و هذا يعكس لنا مدى سعة الاختلاف الفكرى فى ذلك الزمن.

اما بشأن موضوع اسـتحالة رؤية اللّه جل شأنه- حيث اشـتهر عن المشـبهة و اصـحاب الحديث قولهم بامكان الرؤية فى يوم القيامة على الاقل- فقد وردت فى هذا الصدد رواية عن الامام الهادى عليه السّلام يبين فيها عدم امكانية رؤية اللّه «۲».

و قد نقلت فى هذا المضـمار عن الامام الهادى عليه السّـلام اكثر من واحد و عشـرين رواية- بعضـها مسـتفيضة- و كلها تعكس ما قاله عليه السّلام فى باب التنزيه «۳».

ولدينا أيضا رسالة مبسوطة منقولة عن الامام عليه السّلام بشأن عقيدة ائمة الشيعة فى مسألة الجبر و التفويض حيث شرح الامام فى هذه الرسالـة الرواية الواردة عن الصادق عليه السّـلام: «لا جبر و لا تفويض بل امر بين امرين»، على ضوء الآيات القرآنية، و اوضح فيها بدقة الاسس الكلامية عند الشيعة فى باب الجبر و الاختيار «۴» يقول عليه السّلام:

«لكنا نقول: ان اللّه جل و عز خلق الخلق بقدرته، و ملكهم استطاعة تعبدهم بها، فامرهم و نهاهم بما اراد فقبل منهم اتباع امره، و رضى بذلك لهم، و نهاهم

---

(۱) التوحيد ص ۱۰۰، الكافى، ج ۱ ص ۱۰۲.

(۲) الكافى ج ۱ ص ۹۷، التوحيد ص ۱۰۹.

(۳) الكافى ج ۱ ص ۱۲۶.

(۴) تحف العقول، ص ۳۳۸- ۳۵۶، مسند الامام الهادى ص ۱۹۸- ۲۱۳.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۱۶۰

عن معصيته و ذم من عصاه و عاقبه عليها، و للّه الخيرة فى الامر و النهى يختار ما يريد و يأمر به، و ينهى عما يكره و يعاقب عليه بالاستطاعة التى ملكها عباده لاتباع امره و اجتناب معاصيه، لأنه ظاهر العدل و النصفة و الحكمة البالغة» «۱».

و تتطرق بقية الرواية لتبيان الشبهات التى تفهم من ظواهر بعض الآيات و تفيد معنى الجبر، و تتولى الاجابة عليها.

و قد تضمنت الروايات التى نقلت عن الامام الهادى عليه السّلام فى باب الاحتجاجات معارف اكثر فى هذا الصدد «۲».

الامام الهادى عليه السّلام و مسألة خلق القرآن:

إن من اهم القضايا التى تعرض لها العالم السنى فى بداية القرن الثالث و ادت به الى التشتت و الفرقة هى قضية الصراع على مسألة خلق القرآن أو قدمه، و هذه المسألة اشاعها احمد بن ابى داود «۳»، و تبعه على ذلك المأمون. و من بعده المعتصم، و سعوا الى اكراه جميع العلماء و المحدثين على الاعتقاد بخلق القرآن، و سميت هذه القضية تاريخيا باسم محنة القرآن.

و كان احمد بن حنبل على رأس اهل الحديث الذين يعتقدون بعدم الخلق، و تعرض اثر ذلك للكثير من الضغط و السياط من جانب الحكومة العباسية. و فى نفس الوقت لما جاء المتوكل من بعد المعتصم عاضد ابن حنبل و تآزرا على انهاء

---

(۱) مسند الامام الهادى ص ۲۰۵.

(۲) مسند الامام الهادى ص ۱۹۸- ۲۲۷.

(۳) الطبقات السنية فى تراجم الحنفية، ج ۱ ص ۲۹، (طبعة الرياض ۱۹۸۳).

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۱۶۱

القضية لصالح مذهب ابن حنبل، و اخراج الآخرين من الساحة بالقوة.

و لقد دخلت جميع المذاهب و الفرق فى ذلك المعترك، و اظهر كل واحد منها وجهة نظره الخاصة فى هذا الموضوع، لكن روايات اهل البيت عليهم السّلام- على ما نعلم «۱»- و آراء اصحاب الائمة لم تبحث فى هذه القضية بل التزموا الصمت ازاءه.

و فى ايدينا كتاب من الامام ابى الحسن الهادى الى احد شيعته يأمره فيه بعدم الادلاء باى راى فى هذا المضمار، لا الى جانب خلق القرآن، و لا الى جانب قدمه، و نص كتاب الامام هو:

«بسم اللّه الرحمن الرحيم، عصمنا اللّه و اياك من الفتنة، فان تفعل فبها و نعمت، و ان لم تفعل فهى الهلكة. نحن نرى ان الجدال فى القرآن بدعة اشترك فيه السائل و المجيب.

فتعاطى السائل ما ليس له و تكلف المجيب ما ليس عليه. ليس الخالق الا اللّه و ما سواه فمخلوق.

فالقرآن كلام اللّه لا تقبل له اسما من عندك فتكون من الظالمين، جعلنا اللّه و اياك من الذين يخشون اللّه بالغيب و هم من الساعة

مشفقون» «۲».

و من الطبيعى ان مثل هذا الكتاب، و ما شابهه من المواقف ادى الى عدم تورط الشيعة فى هذه المحنة التى لا نهاية لها.

---

(۱) يعود هذا الرأى الى الاستاذ المحقق السيد مهدى الروحانى (حفظه اللّه). و انى مدين له فى اصل عنوان هذا البحث.

(۲) متشابه القرآن و مختلفه، ج ۱ ص ۶۱، و فى نفس هذه الصفحة جاءت رواية عن السجاد عليه السّلام انه قال:

لا خالق و لا مخلوق بل كلام الخالق.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۱۶۲

الامام الهادى عليه السّلام و الصوفية:

نرى من المناسب هنا ان ننقل حديثا ورد عن الامام الهادى عليه السّلام فى الصوفية:

فقد جاء عن ابن حمزة انه نقل عن محمد بن الحسين بن ابى الخطاب أنه قال: «كنت مع الامام الهادى عليه السّلام فى مسجد المدينة اذ جاءت جماعة و فيهم ابو هاشم الجعفرى، و كان متكلما بارعا و صاحب مكانه رفيعة عند الامام. ثم دخلت من بعدهم ثلة من الصوفية، فاعتزلوا جانبا، و شكلوا حلقة و بدءوا بالتهليل «۱»، فقال الامام الهادى عليه السّلام: لا تغتروا بهؤلاء فهم اولياء الشيطان، و ماحقوا دعائم الدين، احترفوا الزهد للراحة و تهجدوا لايقاع الناس فى الاغلال.

و لم يتهلل هؤلاء سوى لخداع الناس و لم يقتصدوا فى المأكل سوى لاغوائهم و بث الفرقة بينهم. فاورادهم الرقص، و اذكارهم الترنم. لم يتبعهم الا السفهاء، و لم يلحق بهم سوى الحمقى.

من زار احدهم حيا او ميتا لم يزر فى الحقيقة الا الشيطان، و من اعانهم فما اعان الا يزيد و معاوية و ابا سفيان». ثم تحدث الامام عن عداء الصوفية لاهل البيت و شبههم بالنصارى «۲».

ثقافة الدعاء و الزيارة فى كلمات الامام الهادى عليه السّلام:

ان تركيز اسس الامامة و الولاية و تقويض دعائم الظلم و الاستبداد يفرض الالتفات الى امر هو ان المذهب الشيعى غنى بثقافة الدعاء و الزيارة، و اما سائر

---

(۱) قول «لا إله الا اللّه».

(۲) ذرايع اللسان ج ۲ ص ۳۷، نقلا عن منهاج التحرك عند الامام الهادى ص ۱۳۹- ۱۴۰.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۱۶۳

الفرق الاسلامية فهى لا تمتلك و لا حتى نصف ما يمتلكه الشيعة من هذا التراث الثر. و هذا ما يعكس الصورة الباطنية للتشيع و التى خلقت العرفان الشيعى و بلورة لدى المجتمع الشيعى مبادى الاخلاص الدينى و تزكية النفس، و احتل الدعاء مكانة سامية عند ائمة الشيعة و بالخصوص منهم ذلك العدد من الائمة الذين ركزوا على الدعاء و خلفوا تراثا يفوق ما خلفه باقى الائمة.

و كنا قد تحدثنا- قبل هذا- عند استعراضنا لحياة الامام السجاد عليه السّلام عن دور الدعاء و اهميته. و فى حياة الامام الهادى أيضا نرى ان للدعاء و الزيارة دورا حيويا فى توعية الشيعة، و تزويدهم بالمعارف الشيعية.

فالادعية- اضافة الى ما تشتمل عليه من ذكر و مناجاة- تتضمن بشكل أو آخر اشارات الى القضايا السياسية و الاجتماعية. و هى اشارات كان لها تأثيرها العميق فى الحياة السياسية للشيعة و تلقين المجتمع الشيعى بعض المفاهيم الخاصة الواحد تلو الآخر نشير فيما

يلى الى بعض الامثلة منها:

۱- ايجاد و توثيق الصلة بين الامة و اهل البيت: اذ تتضمن الادعية تحيات و صلوات متلاحقة على محمد و آله، و هذا من الادلة على صحة انتساب هذه الادعية الى الائمة.

كما ان فى هذه الادعية تأكيدا خاصا على علاقة الامة بآل محمد، نذكر على سبيل المثال.

«اللهم فصلّ على محمد و آله و لا تقطع بينى و بينهم فى الدنيا و الآخرة و اجعل عملى بهم متقبلا» «۱».

---

(۱) مصباح المتهجد، ص ۲۳۹، مسند الامام الهادى ص ۱۷۸.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۱۶۴

۲- التأكيد على مكانة اهل البيت فى قيادة الامة: فقد اكدت الزيارات المروية عن الامام الهادى عليه السّلام مرات و مرات على هذا المعنى و وصفتهم ب «معدن الرحمة و خزّان العلم، و قادة الامم، و ساسة العباد، و امناء الرحمن، و ائمة الهدى، و ورثة الأنبياء، و حجج اللّه على اهل الدنيا و الآخرة و الاولى» «۱».

و جاء أيضا فى نفس هذه الزيارة خطاب للائمة يقول فيه: «اشهد انكم الائمة الراشدون المهديون المعصومون المكرمون المقربون المتقون الصادقون المصطفون المطيعون للّه».

فالعبارات السابقة تستعرض خصائص الائمة عليهم السّلام، و تقدم للشيعة معنى الامام، و المواصفات التى ينبغى ان تتوفر فيه.

۳- الدين الصحيح يتمثل فى مذهب اهل البيت: و هذه الادعية و الزيارات تعلم الشيعة معنى الشهادة، فيخاطب احدهم ائمته قائلا:

«و جاهدتم فى اللّه حق جهاده حتى اعلنتم دعوته، و بيّنتم فرائضه و اقمتم حدوده، و نشرتم شرائع احكامه، و سننتم سنته و ... و فصل الخطاب عندكم و آيات اللّه لديكم و عزائمه فيكم و نوره و برهانه عندكم و امره إليكم».

و بهذا تكون المعارف الالهية الحقة فى مذهب اهل البيت وحده، و اتباع هذا المذهب فقط هم اهل الحق و الا فسواهم خارج عن الدين. «فالراغب عنكم مارق و اللازم لكم لاحق» «۲».

---

(۱) من لا يحضره الفقيه، ج ۲ ص ۶۰۹، عيون اخبار الرضا عليه السّلام ج ۲ ص ۲۷۲، التهذيب ج ۶ ص ۹۵، مسند الامام الهادى ص ۲۴۷.

(۲) مسند الامام الهادى ص ۲۴۹.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۱۶۵

۴- مقارعة الظلم: و ان من اوضح المعالم البارزة فى الفكر الشيعى مقارعته للظلم و هذا المعنى يتجسد بدقة فى ادعية الامام الهادى عليه السّلام، و خاصة دعاء المظلوم على الظالم الذى جرى به لسان الامام و يدعو فيه ربه لازالة الظلم و محق الظالمين. صحيح ان ظاهر هذا الامر متروك للّه، لكن المهم توعية الناس الى وجود الظلم و تعريفهم باشكاله المختلفة، لأن تلك هى الخطوة الاساسية فى ازالته و قد تلى هذا الدعاء على اثر الظلم الذى واجهه الامام من المتوكل. و من الواضح انه ذو بعد سياسى:

«فها انا اذ يا سيدى مستضعف فى يديه، مستضام تحت سلطانه، مستذل بعنائه مغلوب مبغى علىّ، مغصوب ... فاسألك يا ناصر المظلوم المبغى عليه اجابة دعوتى، فصلّ على محمد و آل محمد و خذه من مأمنه اخذ عزيز مقتدر، و افجأه فى غفلته مفاجأة مليك منتصر، و اسلبه نعمته و سلطانه، و افضض عنه جموعه و اعوانه، و مزّق ملكه كل ممزق، و اقصمه يا قاصم الجبابرة، و اهلكه يا مهلك القرون، و أبره يا مبير الامم الظالمة، و اخذله يا خاذل الفئات الباغية» «۱».

الامام الهادى عليه السّلام و غلاة الشيعة:

لم تكن المشاكل الداخلية التى واجهها الشيعة، بأقل من المشاكل التى كانت تضغط من خارج المجتمع الشيعى، خاصة و ان المشاكل الداخلية نفسها كان لها اكبر الاثر فى ايجاد المشاكل الخارجية. لذا فقد بذل ائمة الشيعة جهودا مضنية فى

---

(۱) مسند الامام الهادى: ص ۱۸۹- ۱۹۰.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۱۶۶

سبيل تنقية الفكر الشيعى من انحراف المغالاة، و تنحية المغالين عن مذهب الشيعة.

الا ان الغلاة كانوا ينسبون انفسهم للائمة لدوافع انتهازية و نفعية، او بسبب تفكيرهم الخاطئ، بل و كانوا يتصورون تصدى الائمة لهم نوعا من التقية. و أما فى المناطق البعيدة فلو لا وجود العلوم الشيعية و الفقه الشيعى لانخدع الكثير منهم بادعاءات الغلاة و لكان لذلك تأثيره الكبير فى تشويه سمعة الشيعة فى اذهان الفرق الاخرى.

و اصطدم الامام الهادى عليه السّلام- كما هو الحال بالنسبة لسائر الائمة عليهم السّلام- مع الغلاة، و كان من بين اصحابه من يدعى نفس ذلك الادعاء.

فقد كان احمد بن محمد بن عيسى من علماء الشيعة المعتدلين، و كان شديد التمسك بالائمة عليهم السّلام، و يعارض اى نوع من الغلو، و قد روى هذا الرجل بأنه كتب الى الامام الهادى فى قوم يتكلمون و يقرءون احاديث ينسبونها إليك و الى آبائك فيها ما تشمئز منها القلوب، و لا يجوز لنا ردّها اذا كانوا يروون عن آبائك عليهم السّلام، و لا قبولها لما فيها.

و ينسبون الارض الى قوم يذكرون انهم من مواليك، و هو رجل يقال له على بن حسكة، و آخر يقال له القاسم اليقطينى. و من اقاويلهم: أنهم يقولون ان قول اللّه تعالى: إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهى عَنِ الْفَحْشاءِ وَ الْمُنْكَرِ معناها رجل لا سجود و لا ركوع. و كذلك الزكاة معناها ذلك الرجل لا عدد درهم و لا اخراج مال، و اشياء من الفرائض و السنن و المعاصى تأوّلوها و صيّروها على هذا الحد الذى ذكرت. فان رأيت ان تبين لنا و ان تمن على مواليك بما فيه السلامة لمواليك و نجاتهم من هذه الاقاويل التى تخرجهم الى الهلاك، فكتب عليه السّلام: «ليس هذا ديننا

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۱۶۷

فاعتزله» «۱».

و نقل نظير هذا الكلام عن ابراهيم بن شيبة و سهل بن زياد و كان جواب الامام فى احد تلك الاخبار مستفيضا، و يرد فيه على ابن حسكة و ما يدعيه، و يعتبر قوله غير صحيح و يأمر الشيعة بالابتعاد عنهم بل و يحثهم على قتلهم انّى وجدوهم «۲». و جاء فى حديث آخر ان الامام لعنهما «۳».

كان على بن حسكة استاذا لقاسم الشعرانى، و هو من كبار الغلاة أيضا و ملعون على لسان الائمة عليهم السّلام «۴»، و من تلامذة على بن حسكة الآخرين حسين بن محمد بن بابا القمى، و كذلك محمد بن موسى الشريعى، أو التشريعى.

و كان ممن لعنهم الامام الهادى عليه السّلام محمد بن نصير النميرى، و فارس بن حاتم القزوينى. و اعلن الامام فى كتاب آخر غضبه على ابن بابا القمى و قال: «لقد ظن انى بعثته نبيا و أنه بابى» و قال عنه أيضا: «اذا قدرتم عليه فاقتلوه» «۵». و قد ادعى محمد بن نصير النميرى النبوة أيضا- و هو رئيس فرقة النميرية او النصيرية «۶»- و اشاع انه قد ارسل نبيا من جانب الامام الهادى عليه السّلام، و كان يعتقد بتناسخ الارواح و ربوبية الامام الهادى، و قيل انه كان يجيز نكاح المحارم و نكاح الذكور، و كان محمد بن موسى بن الحسن بن الفرات يعضده و يقوى اسبابه،

---

(۱) رجال الكشى، ص ۵۱۸- ۵۱۹.

(۲) رجال الكشى، ص ۵۱۸- ۵۱۹.

(۳) رجال الكشى، ص ۵۱۸- ۵۱۹.

(۴) رجال الكشى ص ۵۱۸- ۵۲۰.

(۵) رجال الكشى ص ۵۱۸- ۵۱۹.

(۶) فرقة النصيرية من فرق الغلاة المشهورة و هم يعرفون الآن باسم (العلوية) و (النصيرية).

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۱۶۸

و افترق اصحابه من بعده الى عدة فرق «۱».

و من الغلاة الآخرين الذين ظهروا فى تلك الفترة العباس بن صدقة و ابو العباس الطرفانى او [الطبرانى] و ابو عبد اللّه الكندى المعروف ب (شاه رئيس) و كانوا من رءوس الغلاة «۲».

و قد امر الامام ابو الحسن على الهادى عليه السّلام بشأن فارس بن حاتم فقال:

«كذبوه و اهتكوه ابعده اللّه و اخزاه»، و أما بشأن الاختلاف الذى وقع بين فارس و على بن جعفر المتوكل فقد امر الامام بمعاضدة على بن جعفر و اجتناب فارس و عدم ادخاله فى شىء من امور الشيعة. ثم ان الامام امر اصحابه بقتل فارس و ضمن لقاتله الجنة، و كلّف بذلك احد الشيعة و اسمه جنيد و بعد ان استلم جنيد الأمر من قبل الامام، قصد الى فارس و قتله.

ان الروايات الكثيرة التى وردت بشأن فارس فى كتاب رجال الكشى، تنمّ عن مدى خطورة ذلك الرجل على الشيعة، حيث كثرت اسئلتهم للامام بشأنه، و كان الامام يبدى غضبه عليه و استنكاره لفعله «۳».

و كتب السرى بن سلامة كتابا الى الامام الهادى عليه السّلام يعلمه فيه بأخبار الغلاة و فسادهم، فدعا الامام الشيعة الى الثبات، و عدم الوقوع تحت تأثيرهم «۴».

و من اصحاب الامام الهادى عليه السّلام الآخرين الذين تحولوا الى غلاة احمد بن

---

(۱) رجال الكشى ص ۵۲۱، فرق الشيعة ص ۹۳، المقالات و الفرق ص ۱۰۰- ۱۰۱، راجع كتاب ابن ابى الحديد ج ۲ ص ۳۰۹، الغيبة ص ۲۵۹.

(۲) رجال الكشى، ص ۵۲۲- ۵۲۸.

(۳) رجال الكشى، ص ۵۲۲- ۵۲۸.

(۴) الدر النظيم، نقلا عن كتاب حياة الامام الهادى ص ۳۳۶.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۱۶۹

محمد السيارى «۱» الذى حكم اغلب رجاليى الشيعة بغلوه و اعتبروه فاسد المذهب «۲»، فهو قد الف كتاب (القراءات) و هو يضم الكثير من الروايات التى تقول بتحريف القرآن، و من المؤكد ان مثل هذا الكتاب لا يحوى سوى اقاويل باطلة «۳» لا سيما و ان الامام الهادى قد اكد صحة القرآن و عدم تحريفه عند جميع الفرق الاسلامية و قال:

«و قد اجتمعت الامة قاطبة لا اختلاف بينهم ان القرآن حق لا ريب فيه عند جميع اهل الفرق» «۴».

و من غلاة الشيعة الآخرين الحسين بن عبيد و قد اخرجه احمد بن محمد بن عيسى القمى مع جماعة آخرين من مدينة قم بتهمة الغلو. و تجدر الاشارة هنا الى ان التشيع الذى ساد قم هو التشيع الخالص، و لم يكن شيعتها يتحملون ادنى انواع المغالاة. و لهذا فالاشخاص الذين كان القميون يطلقون عليهم لقب الغلاة احيانا، ليس غلوهم من الغلو الذى يقول بنوع من الربوبية للائمة عليه السّلام. و على اى

حال فان رفض الائمة المتواصل للغلاة ادى الى تقويضهم و سلبهم اهم سلاح كانوا يتمسكون به و هو الولاية للائمة.

و ينبغى الاشارة فى الوقت نفسه الى ان اثار الغلو قد بقيت فى الاخبار و الاحاديث، و يجب على كل مفكر يؤمن بالمذهب الامامى و بسيرة ائمة الشيعة غربلة تلك الاحاديث و ازالتها من الفكر الشيعى و كان هناك بعض الاشخاص

---

(۱) مسند الامام الهادى ص ۳۲۳.

(۲) رجال النجاشى ص ۵۸، قاموس الرجال، ج ۱ ص ۶۰۸، معجم رجال الحديث ج ۲ ص ۲۹۰.

(۳) انظر كتابنا: اكذوبة تحريف القرآن بين الشيعة و السنة.

(۴) تحف العقول ص ۳۳۸.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۱۷۰

الصالحين يقعون احيانا ضحية للاخبار و الافكار المغالية. فها هو الفتح بن يزيد الجرجانى يروى رواية مستفيضة عن الامام الهادى عليه السّلام، و يعترف أنه كان يتصور فى الماضى ان الامام لا يأكل و لا يشرب، لأن هذا الفعل لا يتناسب و مقام الامامة.

و لكن الامام قال له فى تلك الاثناء: «يا فتح ان الأنبياء اسوة لنا و كانوا يأكلون و يشربون و يمشون فى الاسواق. و هذا فعل كل جسم سوى اللّه الذى افاض الجسمية على الأجسام» «۱».

الا ان هناك اشخاصا كانوا يشيعون مثل هذه الافكار لأسباب مادية بحتة، من امثال عروة بن يحيى الدهقان و غيره «۲».

---

(۱) كشف الغمة ج ۲ ص ۳۳۸، راجع كتاب تنقيح المقال ج ۳ ص ۳.

(۲) رجال الكشى ص ۵۷۳.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۱۷۱

الامام العسكرى عليه السّلام

اشارة

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۱۷۳

قال الجاحظ: «و من الذين يعد من قريش او من غيرهم ما بعد الطالبيون فى نسق واحد كل واحد منهم عالم زاهد، ناسك، شجاع، جواد، طاهر، ذاكر، فمنهم خلفاء و منهم مرشحون: ابن، ابن، ابن، ابن ... هكذا الى عشرة و هم الحسن بن على بن محمد بن على بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على، و هذا لم يتفق لبيت من بيوت العرب و لا من العجم» «۱».

الامام الحادى عشر من ائمة الشيعة هو الامام الحسن العسكرى، ولد- على قول الشيخ الكلينى- فى شهر رمضان أو ربيع الثانى من العام ۲۳۲ للهجرة

---

(۱) آثار الجاحظ ص ۲۳۵.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۱۷۴

الشريفة، و قبض و هو ابن ثمان و عشرين سنة «۱».

و قال ابن خلكان ان ولادته كانت يوم الخميس فى احد شهور العام ۲۳۱ ه.

و اورد قولا آخر انه كان فى السادس من ربيع الاول او ربيع الثانى من العام ۲۳۲ ه «۲». و ذكر الشيخ المفيد و سعد بن عبد اللّه انه ولد فى ربيع الآخر «۳». و كتب المسعودى ان عمره كان ۲۹ عاما «۴»، فهو يعتبر ولادته فى العام ۲۳۱ ه طبعا «۵».

و قال اكثر المؤرخين ان استشهاده كان بتاريخ الثامن من ربيع الأول من العام ۲۶۰ ه «۶»، و هناك رأى آخر يقول: ان وفاته كانت فى جمادى الاولى من ذلك العام «۷».

و بما ان وفاة الامام الهادى كانت فى العام ۲۵۴ ه، فقد كانت فترة امامته- على قول الشيخ المفيد قدّس سرّه- ست سنوات «۸» او خمس سنوات و ثمانية اشهر على قول سعد بن عبد اللّه «۹».

و قد وقع اختلاف فى اسم أمه أيضا و هى أمّ ولد. اذ ذكرت بعض المصادر ان

---

(۱) الكافى، ج ۱ ص ۵۰۳.

(۲) وفيات الاعيان ج ۲ ص ۹۴، ابن طولون الائمة الاثنى عشر، ص ۱۱۳.

(۳) المقالات و الفرق، ص ۱۰۲، الارشاد ص ۳۳۵.

(۴) مروج الذهب ج ۴ ص ۱۱۲.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ج۲ ۱۷۴ الامام العسكرى عليه السلام ..... ص : ۱۷۱

(۵) جاء فى «تاريخ اهل البيت» ص ۸۷ سنة ۲۳۱.

(۶) الارشاد، ص ۳۳۵، المقالات و الفرق ص ۱۰۲، نور الابصار ص ۱۶۸، الكافى، ج ۱ ص ۵۰۳، تاريخ اهل البيت ص ۸۷.

(۷) وفيات الاعيان ج ۲ ص ۹۴؟

(۸) الارشاد ص ۳۳۵.

(۹) المقالات و الفرق ص ۱۰۲.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۱۷۵

اسمها (حديث) او (حديثة) و قالت اخرى ان اسمها (سوسن) «۱». و اعتبر كتاب عيون المعجزات ان اسمها الصحيح هو (سليل) و وصفها بانها كانت من العارفات الصالحات «۲». و جاء فى تاريخ اهل البيت ان اسمها هو (سمانة) و (اسماء) «۳».

من القابه: الصامت، الهادى، الرفيق، الزكى، النقى، و اضاف إليه البعض لقب: (الخالص)، و كان اسم ابن الرضا من الاسماء التى عرف بها الامام الجواد و الامام العسكرى أيضا «۴». و كذلك اشتهر الامامان الهادى و العسكرى بالعسكريين.

و كان نقش خاتمه على روايتين: «سبحان من له مقاليد السماوات و الارض» «۵». و «ان اللّه شهيد» «۶».

و وصف احمد بن عبد اللّه بن خاقان الشكل الظاهرى للامام بقوله:

«رجل اسمر، اعين، حسن القامة، جميل الوجه جيد البدن، حدث السن، له جلالة و هيبة «۷».

---

(۱) الكافى ج ۱ ص ۵۰۳، اكمال الدين، ج ۲ ص ۲۴۹، الفصول المهمة ص ۲۸۴، كشف الغمة ج ۲ ص ۴۰۲.

(۲) بحار الانوار ج ۵ ص ۲۳۸.

(۳) تاريخ اهل البيت ص ۱۲۴.

(۴) المناقب ج ۴ ص ۴۲۱، بحار الانوار ج ۵۰ ص ۲۳۶، نور الابصار ص ۱۶۶.

(۵) نور الابصار ص ۱۶۶.

(۶) بحار الانوار ج ۵۰ ص ۲۳۸.

(۷) اكمال الدين، ج ۱ ص ۴۰.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۱۷۶

امامته عليه السّلام:

اخبر الامام الهادى عليه السّلام فى سنة وفاته عام ۲۵۴ ه، بوصيته لولده الامام الحسن العسكرى بامامة الشيعة الاثنى عشرية. أما الاخبار التى روت وصيته لولده فهى موجودة فى الكثير من كتب الحديث و التاريخ الشيعية «۱». و ان قبول اكثرية الشيعة لامامته يثبت صحة وصية الامام الهادى عليه السّلام. و قد انقادت شيعة الامام على الهادى عليه السّلام و مجمل اصحابه لامامة ابنه وفقا لما نقل سعد بن عبد اللّه، و لم يشذ منهم سوى من اعتقد بامامة «محمد بن على» الذى مات فى حياة ابنه الهادى عليه السّلام، و جماعة قليلة مالت الى جعفر بن على، و قد اطلق على اتباع جعفر اسم «الجعفرية الخلص» «۲». و يعتبر المسعودى «جمهور الشيعة» اى الفرقة القطعية من اتباع الامام العسكرى و ولده «۳».

الامام فى سامراء:

يقول الشيخ المفيد ان الامام العسكرى بقى فى مدينة العسكر فى سامراء لمدة عشر سنوات و نيف «۴» و هذا غير صحيح، لأن ما عداه ذكروا باجمعهم عام ۲۳۳ ه و ربما يكون هذا التاريخ مأخوذا من التاريخ الذى ذكره الراوى للسنة التى استنسخت فيه رسالة المتوكل للامام، لا لاصل تلك الحادثة. و قد حدد ابن

---

(۱) ر. ك الغيبة للطوسى ص ۱۲۰- ۱۲۲، كشف الغمة ج ۲ ص ۴۰۴- ۴۰۷، الارشاد ص ۳۳۵، روضة الواعظين ص ۲۴۷، بحار الانوار ج ۵۰، ص ۲۳۹- ۲۴۶.

(۲) المقالات و الفرق: ص ۱۰۱.

(۳) مروج الذهب ج ۴ ص ۱۱۲.

(۴) الارشاد، ص ۳۳۴.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۱۷۷

خلكان و الآخرون هذه المدة بعشرين سنة و تسعة اشهر، و اعتبروها السبب فى تسمية هذين الامامين بالعسكريين «۱». و لا شك ان احضار هذين الامامين الى سامراء التى اضحت عاصمة للخلافة العباسية يشبه الى حد بعيد الاجراء الذى لجأ إليه المأمون فى جعل الامام قريبا منه. لأن مثل هذا القرب يجعل من المتيسر للخلفاء العباسيين مراقبة علاقات الامام مع شيعته و التعرف على الشيعة الذين يرتبطون بعلاقات وثيقة مع الامام و من يقصده من شتى ارجاء العالم الاسلامى خصوصا و ان الشيعة كانوا يشكلون خطرا كبيرا على الحكم العباسى، و كان الامام طوال فترة اقامته فى تلك المدينة باستثناء الفترة التى قضاها فى السجن.

و بهذه الصورة كانت عملية مراقبته من قبل الحكومة سهلة جدا، لأن وضع الامام فى سامراء كان وضعا عاديا، و لا يمكن تفسيره الا بكونه مكرها على البقاء فيها.

و كانت مثل هذه القضية فى غاية الاهمية بالنسبة للحكومة التى كانت تدرك آنذاك وجود شبكة متينة و منظمة من الشيعة، و هذا ما يستدعى مراقبتها و شل حركتها.

و قد كانت السلطات العباسية طلبت من الامام الابقاء على نوع من الاتصال المستمر بالبلاط حيث ينقل احد خدم الامام قائلا: كان الامام يذهب فى يوم الاثنين و الخميس من كل اسبوع الى دار الخلافة «۲».

ان مثل هذا التواجد يفهم فى الظاهر على أنه نوع من الاحترام و هو فى نفس الوقت اسلوب للمراقبة أيضا.

و قد حدث فى احدى المرات ان الخليفة حين خرج للقاء صاحب البصرة اصطحب معه الامام العسكرى أيضا، و كان اصحاب الامام قد اعدوا انفسهم على

---

(۱) وفيات الاعيان ج ۲ ص ۹۴- ۹۵، ياقوت معجم البلدان: ج ۴ ص ۱۲۴، الائمة الاثنى عشر ص ۱۱۳.

(۲) الغيبة ص ۱۲۹، ورد فى بعض الاخبار «دار العامة» و الظاهر ان المقصود هو نفس دار الخلافة.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۱۷۸

طول الطريق لرؤيته «۱». و يستشف من هذا الخبر ان الامام قد مرت عليه فترة ما كان خلالها قادرا على مقابلة اصحابه بشكل مباشر فى داره.

و قال اسماعيل بن محمد أيضا انه جلس على الطريق فى انتظار مرور الامام ليطلب منه بعض المال، فلما مر اخبره بطلبه «۲». و قال أيضا ابو بكر الفهفكى بانى اردت الخروج من سامراء لحاجة عرضت لى، فانتظرت الامام فى شارع (ابى قطيعة بن داود) فى يوم الموكب حتى اراه حين مروه الى دار العامة «۳». و كذلك قال محمد بن عبد العزيز البلخى بانه كان ينتظر الامام فى شارع (الغنم) ليشاهده و هو يمر متوجها الى دار العامة «۴». و كان محمد بن الربيع الشيبانى جالسا على باب احمد ابن الخضيب اذ اقبل ابو محمد عليه السّلام من دار العامة يوم الموكب فرآه الرجل هناك «۵».

و حدّث على بن جعفر عن الحلبى فقال: «كنا مجتمعين فى العسكر ننتظر قدوم الامام فى يوم ذهابه الى دار الخلافة، فوصلتنا رقعة منه فيها:

الا لا يسلّمنّ علىّ احد، و لا يشير إلىّ بيده، و لا يومئ، فانكم لا تؤمنون على انفسكم» «۶».

و كلام الامام هذا يدل بوضوح على اهتمام الحكام بمراقبة علاقة الامام مع

---

(۱) الكافى ج ۱ ص ۵۰۹، الارشاد ص ۳۸۷، اعلام الورى ص ۳۷۰، كشف الغمة ج ۲ ص ۴۲۵، الخرائج و الجرائح ج ۱ ص ۴۴۴، الصراط المستقيم ج ۲ ص ۲۰۸.

(۲) كشف الغمة ج ۲ ص ۴۴۶.

(۳) الخرائج و الجرائح ج ۱ ص ۴۴۶.

(۴) الخرائج و الجرائح ج ۱ ص ۴۴۷، نقل فى هاشم المستدرك ج ۹، ص ۷۲، اثبات الوصية ص ۲۴۳.

(۵) كشف الغمة ج ۲ ص ۴۲۵، الخرائج و الجرائح ج ۱ ص ۴۴۵، بحار الانوار ج ۵۰ ص ۲۹۳.

(۶) الخرائج و الجرائح ج ۱ ص ۴۳۹، الصراط المستقيم ج ۲ ص ۲۰۷.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۱۷۹

الشيعة و لا ريب ان الامام و الشيعة كانوا يلتقون ببعضهم فى الفرص المناسبة، تحت غطاء لا يثير ضدهم الشكوك و خاصة اسلوب (المكاتبة) الذى كان افضل اساليب الاتصال، و هو ما نراه بكثرة فى المصادر التاريخية و كتب الحديث.

مكانته عليه السّلام فى سامراء:

و رغم صغر سن الامام العسكرى الا ان فضله العلمى و الاخلاقى و زعامته للشيعة و اعتقادهم بامامته، قد اكسبته شهرة واسعة و جعلته موضع اهتمام العام و الخاص. و كانت السلطة العباسية تبدى احتراما خاصا له فى الظاهر باستثناء بعض المواقف.

و هناك رواية مطولة ذكرتها جميع المصادر التى تحدثت عن حياته تعكس مدى اهمية و عظمة مكانته فى سامراء. و نظرا لاهمية هذه الرواية التاريخية نذكر فيما يلى جزءا منها: يقول سعد بن عبد اللّه الاشعرى و هو من مشاهير علماء الشيعة و يحتمل أنه التقى بالامام العسكرى أيضا «۱».

«كنا جالسين فى شهر شعبان من العام ۲۷۸ ه بعد ثمانية عشر عاما من استشهاد الامام العسكرى، فى مجلس احمد بن عبد اللّه بن خاقان «۲»، و كان يومها على الضياع و الخراج فى قم، فجرى فى مجلسه ذكر العلوية و مذاهبهم و كان شديد النصب و الانحراف عن اهل البيت عليهم السّلام فقال:

ما رأيت و لا عرفت بسر من رأى رجلا من العلوية مثل الحسن بن على

---

(۱) رجال النجاشى ص ۱۲۶.

(۲) كان ابوه وزير المعتمد العباسى. راجع كتاب الكامل ج ۲ ص ۲۳۵.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۱۸۰

بن محمد بن على الرضا فى هديه و سكونه و نبله و عفافه و كبرته عند اهل بيته و بنى هاشم كافة، و تقديمهم اياه فى ذوى السن منهم، و الخطر و كذلك كانت حاله عند القواد و الوزراء و عامة الناس.

و اذكر انى كنت قائما يوما على راس ابى و هو يؤمّ مجلسه للناس اذ دخل حجّابه فقالوا: ابو محمد بن الرضا بالباب، فقال بصوت عال: ائذنوا له.

فدخل فلما نظر إليه ابى قام فمشى إليه خطى، و لا اعلمه فعل هذا باحد من بنى هاشم و القواد. فلما دنا منه عانقه و قبل وجهه و صدره، و اخذ بيده و اجلسه على مصلاه الذى كان عليه، و جلس الى جنبه مقبلا عليه بوجهه، و جعل يكلمه و يفديه بنفسه.

و لما صار الليل جئت الى ابى و سألته: من الرجل الذى رأيتك بالغداة فعلت به ما فعلت من الاجلال و الاكرام و التبجيل و فديته بنفسك و ابويك؟ فقال:

ذاك ابن الرضا امام الرافضة. و سكت ساعة ثم قال: يا بنى لو زالت الخلافة عن بنى العباس ما استحقها احد من بنى هاشم غيره لفضله، و عفافه و صيانته و زهده، و جميل اخلاقه و صلاحه و لو رأيت اباه رأيت رجلا جزلا نبيلا فاضلا.

يقول احمد: فازددت قلقا و تفكرا و غيظا. فلم تكن لى همة بعد ذلك الا السؤال عن خبره و البحث عن امره، فما سألت احدا من القواد و بنى هاشم و الكتّاب و القضاة و الفقهاء و ساير الناس الا وجدته عندهم فى غاية الاجلال و الاعظام و المحل الرفيع، و التقدم له على جميع اهل بيته و مشايخه، و كلهم يقول: ذاك امام الرافضة، فعظم قدره عندى اذ لم ار له وليا و لا عدوا الا و هو

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۱۸۱

يحسن القول فيه» «۱».

تظهر هذه الرواية بجلاء ما كان يتمتع به الامام من مكانة اخلاقية و اجتماعية بين الناس و حتى اعضاء الحكومة، هذا مع ان الراوى من مبغضى اهل البيت عليهم السّلام.

و يروى خادمه: «و كان يوم النوبة يحضر من الناس شىء عظيم، و يغص الشارع بالناس و الدواب و الضجة، فلا يكون لاحد موضع يمشى و لا يدخل بينهم، فاذا جاء الامام سكنت الضجة حتى يسير بينهم و يصير الى مرتبته التى جعلت له» «۲».

و الظاهر ان هؤلاء الناس كانوا يأتون من خارج سامراء لرؤيته او من بقية الناس الذين لا يقلون عن الشيعة حبا لابناء النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

مدة حبسه عليه السّلام:

سبق و ان اشرنا الى ان جلب الامام الهادى مع الامام العسكرى عليهما السّلام الى سامراء من قبل المتوكل العباسى، يعتبر حبسا لهما فى اجواء سامراء، و الهدف من وراء ذلك واضح لا- يحتاج الى بيان، و كان ذلك الحبس يتحول فى بعض الاحيان الى حبس اضيق خاصة عند حصول الازمات التى تهدد بقاء السلطة، فيوضع الامام و بعض اصحابه فى السجن.

و هناك روايات كثيرة بشأن حبس الامام العسكرى، و هى تناقض نفسها

---

(۱) الكافى، ج ۲۱ ص ۵۰- ۵۰۵، الغنية ۱۳۱- ۱۳۲، اكمال الدين ج ۱ ص ۴۰- ۴۱، اعلام الورى ۳۵۷- ۳۵۹، الارشاد ص ۳۳۸، كشف الغمة ج ۱، ص ۴۰۷.

(۲) الغيبة، ص ۱۲۹.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۱۸۲

فى بعض الجوانب و السبب فى ذلك يعود الى امكان ان يكون حبس عدة مرات من جهة، مضافا الى اختلاف الرواة فى ذكر اسماء الخلفاء من جهة اخرى، و لو ان كل الروايات جمعت و قورنت مع بعضها لكانت امكانية الوصول الى الحقيقة ايسر و أدق. فهناك رواية تشير الى ان المعتز (المخلوع و المقتول فى العام ۲۵۵ ه) عند ما امر سعيدا الحاجب بحمله الى الكوفة و ان يحدث عليه فى الطريق حادثة انتشر الخبر بذلك فى الشيعة فاقلقهم و كتب له بو الهيثم كتابا، يبلغه فيه قلقه. فكتب له الامام: «بعد ثلاث يأتيكم الفرج»، فقتل المعتز فى اليوم الثالث «۱».

الا أنه من المؤكد لدينا ان الامام قد حبس مدة فى عهد المهتدى الذى حكم من العام ۲۵۵ ه الى العام ۲۵۶ ه، و من قبل هذا التاريخ كان هناك عدد من الشيعة منهم داود بن قاسم المعروف بابى هشام الجعفرى فى السجن، و يبدو ان ذلك كان فى عام ۲۵۲ ه. و ذكر (الخطيب) سبب حبسه كما روى ابن عرفة «سمع منه قول ادى الى حبسه» «۲». بينما ذكر الشيخ الطوسى فى رواية اخرى: «ان حبسه و جماعة آخرين من بنى هاشم و غيرهم كان بسبب قتل عبد اللّه بن محمد العباسى» «۳»، و يفهم من بعض الروايات ان مسئول السجن آنذاك كان (صالح بن وصيف) و الذى قتل عام ۲۵۶ ه على يد موسى بن بغا «۴».

و على هذا يكون الاحتمال الاقوى ان الامام العسكرى قد سجن فى العام ۲۵۵ ه على عهد المهتدى.

---

(۱) كشف الغمة، ج ۲ ص ۴۱۶، الخرائج و الجرائح، ج ۱ ص ۴۵۱.

(۲) نقلا عن قاموس الرجال ج ۴ ص ۵۹، السمعانى ذكرها خطأ بعام ۲۴۲.

(۳) الغيبة، ص ۱۳۶، بحار الانوار ج ۵۰، ص ۳۰۶.

(۴) الكامل فى التاريخ ج ۷، ص ۲۱۸- ۲۱۹، ۲۲۵.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۱۸۳

يقول ابو هاشم الجعفرى: «انه لما كان فى السجن فى عهد المهتدى، جاءوا بالامام العسكرى عليه السّلام الى السجن، و لما قتل عام (۲۵۶ ه) انجانا اللّه منه، لأنه صحح العزم على قتل ابى محمد عليه السّلام» «۱».

و اسم المكان الذى سجن فيه الامام هو الجوسق، و هو نفس المكان الذى سجن و قتل فيه المهتدى و صالح بن وصيف. و الظاهر ان الجوسق كانت قلعة تستعمل لسجن الاشخاص «۲».

اما المعلومات التى بين ايدينا عن هذا السجن، فتتلخص فى نقطتين:

الاولى: هى ان الامام لما دخل السجن كان معنا فى السجن رجل عجمى [جمحى] يدعى انه علوى، فالتفت ابو محمد و قال: «لو لا ان

فيكم من ليس منكم لأعلمتكم متى يفرج اللّه عنكم و أومأ الى الجمحى فخرج، فقال ابو محمد: هذا الرجل ليس منكم فاحذروه فانه يخبر السلطان بما تقولون فيه»، يقول ابو هاشم: فقام بعضهم ففتش ثيابه فوجد فيها القصة يذكرنا فيها بكل عظيمة» «۳».

«و الثانية:» تتعلق بسلوك الامام فى الحبس و معاملته الكريمة مع سجانيه و هى معاملة اخجلتهم و هذا ما روى أيضا بشأن الامام الكاظم عليه السّلام أيضا و هو ما اشرنا إليه خلال حديثنا عن حياته عليه السّلام. فقد كان صالح بن وصيف من جلاوزة بنى العباس و قد دخلوا عليه يوما عند ما حبس ابو محمد، فقالوا له: ضيق عليه

---

(۱) بحار الانوار ج ۵۰ ص ۳۱۳، عن مهج الدعوات ص ۳۴۳، الغيبة ص ۱۲۳.

(۲) نور الابصار ج ۱۶۶- ۱۶۷، الفصول المهمة ص ۲۸۶، الكامل فى التاريخ ج ۷ ص ۲۳۰- ۲۳۵، تاريخ الخلفاء ص ۳۶۳.

(۳) نور الابصار ص ۱۶۶، كشف الغمة، ج ۲ ص ۴۳۲، بحار الانوار ج ۵۰ ص ۲۵۴، الخرائج و الجرائح ج ۲ ص ۱۸۲.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۱۸۴

و لا توسع فقال لهم صالح: ما اصنع به و قد وكلت به رجلين من شر من قدرت عليه، فقد صارا من العبادة و الصلاة و الصيام الى امر عظيم «۱».

و كتبوا عن الامام انه كان دائم الصيام فى الحبس «۲».

و اما المرة الاخرى التى سجن فيها الامام فكانت فى زمن المعتمد العباسى الذى حكم من العام ۲۵۶ ه حتى العام ۲۷۹ ه و قد ورد فى الخبر ان الامام كان عام ۲۵۹ ه فى حبس المعتمد و كان سجانه على بن جرين، و كان المعتمد يسأله عن اخباره فى كل وقت فيخبره انه «يصوم النهار و يصلى الليل» «۳».

و جاء عن الحميرى أيضا انه ذكر فى كتاب (الاوصياء) نقلا عن (المحمودى) انه قال: «رأيت خط ابى محمد العسكرى عليه السّلام و قد كتب هذه الآية الشريفة عند خروجه من السجن. يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُا نُورَ اللَّهِ بِأَفْواهِهِمْ وَ اللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْكافِرُونَ «۴».

و قد نقل الشيخ المفيد عن محمد بن اسماعيل العلوى قال: «حبس ابو محمد عليه السّلام عند على بن اوتامش (پارمش). و كان شديد العداوة لآل محمد عليهم السّلام غليظا على آل ابى طالب. و قيل له افعل به و افعل، فما قام الا يوما حتى وضع خديه له و كان لا يرفع بصره إليه اجلالا له و اعظاما. و خرج من عنده و هو احسن بصيرة و احسنهم قولا فيه» «۵». و يحتمل احتمالا يقرب الى اليقين ان هذا

---

(۱) الارشاد ص ۳۴۴، كشف الغمة ج ۲، ص ۴۱۴، روضة الواعظين ص ۲۴۸.

(۲) نور الابصار ص ۱۶۷، الفصول المهمة ص ۲۸۶، الكافى ج ۱ ص ۵۱۲.

(۳) بحار الانوار، ج ۵۰، ص ۳۱۴، عن مهج الدعوات ص ۳۴۴.

(۴) سورة الصف: ۸۲.

(۵) الارشاد ص ۳۴۲، الكافى ج ۱ ص ۵۰۸، كشف الغمة ج ۲ ص ۴۱۲.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۱۸۵

الحبس كان فى عام ۲۵۹ ه، و الدليل الذى يمكن سوقه على ذلك هو الرواية التالية:

اورد الكشى فى كتاب (رجاله) ان محمد بن ابراهيم السمرقندى قال:

«خرجت الى الحج فاردت ان امر على رجل كان من اصحابنا معروف بالصدق و الصلاح و الورع و الخير، يقال له بورق البوسنجانى فى قرية من قرى هراة و أزوره و احدث عهدى به. قال فاتيته فجرى ذكر الفضل بن شاذان رحمه اللّه فقال بورق: كان الفضل بن بطن شديد العلة، و يختلف فى الليلة مائة مرة الى مائة و خمسين مرة، فقال له بورق: خرجت حاجّا فاتيت محمد بن عيسى العبيدى و رايته

شيخا فاضلا و معه عدة رأيتهم مغتمين محزونين فقلت لهم: ما لكم؟ قالوا:

ان ابا محمد عليه السّلام قد حبس. قال بورق: فحججت و رجعت، ثم اتيت محمد بن عيسى و وجدته قد انجلى عنه ما كنت رأيت به، فقلت: ما الخبر؟ قال: قد خلى عنه.

فخرجت الى سر من رأى و معى كتاب يوم و ليلة. فدخلت على ابى محمد عليه السّلام و أريته ذلك الكتاب، فقلت له: جعلت فداك ان رأيت ان تنظر فيه فلما نظر فيه تصفّحه ورقة ورقه قال: هذا صحيح ينبغى ان يعمل به.

فقلت له: الفضل بن شاذان شديد العلة، يقولون انها من دعوتك بموجدتك عليه لما ذكروا عنه انه قال: وصى ابراهيم خير من وصى محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و لم يقل- جعلت فداك- هكذا كذبوا عليه. فقال: نعم رحم اللّه الفضل. قال بورق:

فرجعت فوجدت الفضل قد توفى فى الايام التى قال ابو محمد عليه السّلام: رحم اللّه الفضل» «۱». و اذا قبلنا ان وفاة الفضل كانت كما هو مشهور فى عام ۲۶۰ ه فيجب ان يكون سجن الامام قد حدث فى اواخر عام ۲۵۹ ه قبل شهر ذى الحجة.

---

(۱) رجال الكشى، ص ۵۳۷- ۵۳۸، الرواية: ۱۰۲۳.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۱۸۶

و قد نقلنا الرواية بتمامها لاسباب اخرى سنشير إليها فيما بعد.

الامام و علاقته بالشيعة:

لقد اضطر الشيعة منذ وصول الامام الرضا عليه السّلام الى ايران و هجرة السادة لعلويين الى مختلف نقاط العالم الاسلامى و لدوافع و اسباب شتى و من حين تزايد الضغوط على العلويين و الشيعة فى العراق على وجه الخصوص اضطروا الى البحث عن اماكن للعيش اكثر امنا، و هذه الاماكن قلما كانت تتوفر فى المناطق الغربية من البلاد الاسلامية حيث كانت الروحية الاموية هى السائدة هناك.

اما فى الشرق- اى فى ايران- فقد كان الاجواء اكثر ملائمة، و لذا توجه عدد كبير من الشيعة نحو المناطق الشرقية، و عاشوا فى اماكن متفرقة و متباعدة عن بعضها الآخر. و كان اغلب هؤلاء بحاجة للاتصال بالامام، و ذلك لحاجتهم لمن يعرضون عليه اسئلتهم الدينية، و يتلقون منه الحلول لمشاكلهم السياسية و الاجتماعية، و هذا ما كان يدفعهم للاتصال بالأئمة و بأساليب مختلفة منها ارسال المبعوثين الخاصين او الاتصال بهم فى ايام الحج لاخذ الروايات و الارشادات عنهم. ان تواجد الشيعة فى امكان مختلفة من البلاد الاسلامية و خاصة فى الستين سنة الاخيرة من الامامة الى بداية الغيبة الصغرى، امر يمكن معرفته من خلال شواهد و قرائن تاريخية كثيرة، و من خلال الاحاديث الفقهية الى حد ما.

و نحن سنشير الى انتشار الشريعة أولا ثم سنتناول اساليب اتصال الائمة بهم. و بحثنا هنا يشمل الشيعة الذين كان لهم ارتباط فكرى و دينى يصل الى حد الاعتقاد بالامامة طبعا، و لا يشمل المناصرين لاهل البيت بالشعارات و المحبين لهم بالمعنى العام لكلمة المحبة. و هو الفارق الذى حدده الامام العسكرى عليه السّلام

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۱۸۷

بشكل واضح فى احدى الروايات «۱».

ان من جملة المناطق التى كان للشيعة تواجد واضح فيها، و كان الامام على اتصال بهم أيضا، مدينة نيسابور مثلا فان شرق ايران كان من المناطق التى يسكنها عدد من اصحاب الائمة عليهم السّلام و قد برز فيها علماء مشهورون من الشيعة فى القرن الثالث و الرابع.

و من الامثلة الواضحة التى يمكن الاشارة إليها فى هذا الصدد: الفضل بن شاذان الذى كان يحظى بمكانة متميزة بين اصحاب الائمة و علماء الشيعة. و فضلا عن نيسابور فان ولايات من امثال سمرقند و بيهق و طوس كانت تضم اعدادا كبيرة من الشيعة أيضا بل قد يكون

غالبية نفوسها من الشيعة، كما هو الحال بالنسبة لمدينة بيهق.

ان هذا التناثر و الانتشار الذى كانت له نظائر مشابهة فى المناطق الاخرى أيضا كان يستلزم وجود جهاز منظم يمكن بواسطته نشر التشيع أو المحافظة عليه على اقل تقدير. و قد تم ايجاد مثل ذلك الجهاز من خلال تعيين الوكلاء من جانب الائمة عليهم السّلام حيث بات من المتيسر تقديم الارشادات و التوجيهات الدينية و السياسية الضرورية عن طريق العلاقة القائمة بين الامام و وكلائه و خاصة بواسطة المكاتبات. ان هذا الاسلوب المجرب استخدمه الامام العسكرى عليه السّلام فى حياته أيضا، و ظل مستعملا بل اصبح اكثر اتساعا فى فترة ما بعد الغيبة.

فالاشخاص الذين كانت لهم سابقة علمية وضاءة، و يرتبطون بعلاقات وثيقة مع الائمة السابقين او معه شخصيا، و كان بامكانهم تقديم الدعم و العون

---

(۱) الخرائج و الجرائح ج ۲ ص ۶۸۴.

للشيعة، كانوا يعينون كوكلاء عن الامام.

فمدينة نيسابور التى كانت تمتاز بموقع علمى و ثقافى و اقتصادى يربو على سائر المناطق الاخرى، كانت تعتبر مركزا هاما بالنسبة لولاية خراسان، و كان وكيل الامام فيها هو «ابراهيم بن عبدة» كما تذكر الرواية التى سنوردها فيما يلى.

و لاجل توضيح اهمية هذا الجهاز و المهام التى يتولاها نذكر فيما يلى خلاصة لكتب الامام التى ارسلها بشأن قضية الوكالة:

ارسل الامام الحسن العسكرى كتابا الى عبد اللّه بن حمدويه، جاء فيه:

«و بعد فقد نصبت لكم ابراهيم بن عبده ليدفع النواحى و اهل ناحيتك حقوقى الواجبة عليكم إليه، و جعلته ثقتى و امينى عند موالىّ هناك، فليتقوا اللّه و ليراقبوا و ليؤدوا الحقوق فليس لهم عذر فى ترك ذلك أو تأخيره» «۱».

يتبين من هذا الكتاب ان مسئولية ابراهيم كانت واسعة و تشمل حتى ناحية عبد اللّه بن حمدويه البيهقى. و ربما قصد من هذه الناحية هى مدينة بيهق التى ينتسب إليها هذا الشخص، و يبدو ان بعضهم قد شك فى صحة خط الامام المرقوم فى كتاب تعيين ابراهيم فكتب:

«و كتابى الذى ورد على ابراهيم بن عبده بتوكيلى اياه لقبض حقوقى من موالينا هناك: نعم هو كتابى بخطى اقمته- اعنى ابراهيم بن عبده- لهم ببلدهم حقا غير باطل. فليتقوا اللّه حق تقاته، و ليخرجوا من حقوقى و ليدفعوها إليه، فقد جوزت له ما يعمل به فيها».

---

(۱) رجال الكشى ص ۵۸۰.

و من الكتب المهمة للامام العسكرى عليه السّلام فى هذا الصدد، هو الكتاب الذى ارسله الى إسحاق بن اسماعيل النيسابورى بشأن ابراهيم بن عبدة، و هو كتاب يضم الكثير من النصائح الاخلاقية و التوجيهات القيمة. فبعد المقدمة الطويلة التى كتبها عليه السّلام عن الهداية الربانية عن طريق الاوصياء، و انهم ابواب العلم الربانى، تطرق الى الآية الكريمة: الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ... كشاهد على منّة اللّه فى تعيين الاوصياء لهداية الناس. كما و تحدث فيه الامام عليه السّلام عن الحقوق الواجبة المفروضة لهم، و كتب لهم ما يلى:

«و أنت رسولى يا إسحاق الى ابراهيم بن عبدة وفقه اللّه ان يعمل بما ورد عليه فى كتابى مع محمد بن موسى النيسابورى ان شاء اللّه و رسولى الى نفسك، و الى من خلف ببلدك ان تعملوا بما ورد عليكم فى كتابى مع محمد بن موسى النيسابورى.

و كل من قرأ كتابنا هذا من موالىّ من اهل بلدك، و من هو بناحيتكم و نزع عما هو عليه من الانحراف عن الحق، فليؤدّ حقوقنا الى

ابراهيم، و ليحمل ذلك ابراهيم بن عبدة الى الرازى او الى من يسمى له الرازى، فان ذلك من امرى و رأيى ان شاء اللّه. و يا اسحاق اقرأ كتابى على البلالى رضى اللّه عنه فانه الثقة الامين و على المحمودى عافاه اللّه.

فاذا وردت بغداد فاقرأه على الدهقان وكيلنا و ثقتنا و الذى يقبض من موالينا، و كل من امكنك من موالينا فاقرأهم هذا الكتاب، و ينسخه من اراد منهم و لا يكتم هذا الامر عمن شاهده من موالينا. و لا تخرجنّ من البلد حتى تلقى العمرى رضى اللّه عنه برضاى عنه، و تسلم عليه و تعرفه و يعرفك. فكل ما

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۱۹۰

يحمل إلينا من شيء من النواحى فاليه يصير آخر امره، ليوصل ذلك إلينا» «۱».

نستحصل من الكتاب السالف ذكره معلومات هامة تتعلق بالوكالة. فهذا الجهاز له دوره الحيوى فى توجيه الشيعة لدفع ما عليهم من حقوق مالية، هذه الحقوق التى لها دورها الفاعل فى الحفاظ على الشيعة. و منها أيضا تعريف الوكلاء و طرح الثقة بهم لتثبيت مكانتهم، و تقوية مركزهم فى تلك المنطقة، و علاوة على ذلك يفهم من الرواية المارّة الذكر ان وكلاء كل منطقة يسلمون ما لديهم من اموال الى وكلاء آخرين اكثر اتصالا بالامام، و هؤلاء يسلمونها بدورهم الى الوكيل الاصلى ليسلمها فى نهاية المطاف الى الامام. و من الواضح ان هناك بعض الشبهات التى تحصل احيانا، و يضطر معها الامام عليه السّلام لارسال كتب اخرى لازالة تلك الشبهات عن الوكلاء.

ان وجود او ايجاد مثل هذه الوشائج كانت عاملا حيويا فى احياء الشيعة فى المجالات الثقافية و الاجتماعية، و الحيلولة دون ذوبانهم فى المجتمع السنى، و هى العملية التى يحتمل حصولها بالنسبة الى أية اقلية، و قد اضطر العباسيون فى فترة من الزمن الى ايجاد مثل هذا الجهاز و الاستفادة منه فى نشاطاتهم المختلفة، كما استخدمه الاسماعيليون لفترة زمنية اطول. و لا شك ان النتائج التى تمخضت عن وجود مثل هذا الجهاز كانت باهرة و فريدة، و تتمثل على اقل تقدير فى الحفاظ على الشيعة من المخاطر التى كانت تتهددهم دوما بالفناء، و هو بالاضافة الى ذلك كان عاملا مساعدا فى توضيح المعارف الدينية لدى الشيعة بحيث ان مناطق مثل كش و سمرقند احتضنت قسما كبيرا من علماء الشيعة رغم بعد موقعها الجغرافى

---

(۱) رجال الكشى، ص ۵۷۵، الحديث ۱۰۸۸، اعيان الشيعة ج ۴ ص ۱۸۸، عن تحف العقول، معادن الحكمة ج ۲، ص ۲۶۲- ۲۶۶، بحار الانوار ج ۵۰، ص ۳۱۹- ۳۲۳.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۱۹۱

عن مراكز تواجد الائمة عليهم السّلام.

و كما ذكر سابقا: فان هذا التباعد كان يجرى رتقه بواسطة المبعوثين و ارسال الكتب، و خاصة المكاتبة التى كانت مستعملة على نطاق واسع فى ذلك الزمن. و مع ان مثل هذا الكتب لا يبقى منها اثر عادة، الا أنه يوجد بين ايدينا الكثير منها، و الكثير من الشواهد الدالة على كثرتها.

يقول ابو الديان: «كنت اخدم الحسن بن على العسكرى عليهما السّلام و احمل كتبه الى الامصار، فدخلت عليه فى علته التى توفى فيها صلوات اللّه عليه، فكتب معى كتبا و قال: تمضى بها الى المدائن، فانك ستغيب خمسة عشر يوما فتدخل الى سر من رأى يوم الخامس عشر و تسمع الواعية فى دارى و تجدنى على المغتسل. و دخلت سر من رأى يوم الخامس عشر كما قال لى عليه السّلام فاذا انا بالواعية فى داره» «۱».

يظهر من هذه الرواية ان الامام كان له رسول خاص لبعث و جلب الكتب.

يقول محمد بن الحسين بن عباد: «مات ابو محمد العسكرى عليه السّلام يوم الجمعة مع صلاة الغداة، و كان فى تلك الليلة قد كتب

بعده كتبا كثيرة الى المدينة و ذلك فى شهر ربيع الاول لثمان خلون من سنة ستين و مائتين للهجرة» «۲». كما يوجد لدينا كتاب ارسله الامام العسكرى عليه السّلام الى اهالى مدينتى قم و آبة (آوه) «۳».

و ذكر ابن شهرآشوب ان الامام أبا محمد عليه السّلام قد كتب كتابا الى على بن

---

(۱) بحار الانوار ج ۵۰، ص ۳۳۲، عن اكمال الدين ج ۲ ص ۱۴۹.

(۲) بحار الانوار، ج ۵۰، ص ۳۳۱، عن اكمال الدين ج ۲ ص ۱۴۹- ۱۵۰.

(۳) المناقب ج ۴ ص ۴۲۵، بحار الانوار ج ۵۰، ص ۳۱۷.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۱۹۲

الحسين بن بابويه، و هذا الامر يبدو مستبعدا و ذلك لأن وفاته كانت عام ۳۲۹ ه، و قد كان ابن بابويه طبعا على اتصال دائم بالامام صاحب الزمان عليه السّلام عن طريق تبادل الكتب و الرسائل بواسطة السفير الثالث للامام ابى القاسم الحسين بن روح «۱».

و من الاساليب الاخرى التى كانت متبعة فى الاتصال بالامام هى ارسال المبعوثين إليه من قبل الشيعة. يقول جعفر بن شريف الجرجانى: ذهبت فى احدى السنوات للحج و مرت بالامام العسكرى عليه السّلام فى سامراء قاصدا تسليمه الاموال التى اعطانيها اصحابى و قبل ان اسأله: لمن اعطيها؟ بادرنى هو بقوله: «اعط ما جئت به الى مبارك الخادم» «۲».

و جاء فى رواية اخرى: خرج رجل من العلويين من سر من رأى فى ايام ابى محمد الى الجبل يطلب الفضل، فتلقاه رجل من همدان فقال له: من اين اقبلت؟ قال: من سر من رأى.

قال: هل تعرف درب كذا و موضع كذا؟ قال: نعم: فقال: هل عندك من اخبار الحسن بن على شىء؟ قال: لا قال: فما اقدمك الجبل؟ قال: طلب الفضل، قال: فلك عندى خمسون دينارا فاقبضها و انصرف معى الى سر من رأى حتى توصلنى الى الحسن بن على عليه السّلام فقال: نعم.

فقبض منه الخمسين دينارا و عاد معه الى سامراء و دخلا على الامام

---

(۱) النجاشى ص ۱۸۴.

(۲) كشف الغمة، ج ۲ ص ۴۲۷.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۱۹۳

العسكرى عليه السّلام و دفع ذلك الرجل اربعة آلاف دينار للامام» «۱».

و يمكن ذكر اسم ابراهيم بن مهزيار الاهوازى كواحد من وكلاء الامام، و كان يسكن الاهواز «۲».

و كانت قم تعتبر اكثر مدن الشيعة اصالة، و بقيت على اتصال دائم بالائمة منذ زمن الامام الصادق عليه السّلام، و كان احد عوامل اتصالها بالامام العسكرى عليه السّلام على يد «احمد بن إسحاق بن عبد اللّه الاشعرى» الذى وصفه النجاشى بأنه وافد القميين الذين يشكلون حلقة وصل بين اهل قم و الامام. معتبرا اياه واحدا من خواص ابى محمد عليه السّلام «۳».

و صرح ابو محمد العسكرى عليه السّلام بكونه ثقة «۴». و ذكر الآخرون صراحة وكالته من قبل الامام «۵».

و من اكبر وكلاء الامام الذى اصبح فيما بعد واحدا من السفراء الاربعة هو عثمان بن سعيد العمرى المعروف ب «السمان» و كان وكيلا أيضا من قبل الامامين الهادى و العسكرى عليهما السّلام و ذكر الشيخ الطوسى سبب تسميته بالسمان قائلا: «كان يعمل بتجارة السمن، و يستغل ذلك العمل كغطاء لنشاطه. و عند ما يأتيه احد الشيعة بالمال كان يخفيه فى وعاء السمن و يرسله سرا الى ابى محمد العسكرى» «۶»

(۱) كشف الغمة ج ۲، ص ۴۲۶.

(۲) قاموس الرجال، ج ۱ ص ۳۱۶ طبعة قم، دار النشر الاسلامى.

(۳) رجال النجاشى ص ۹۱، فهرست الطوسى ص ۲۶.

(۴) رجال الكشى ص ۵۵۷، الحديث ۱۰۵۳.

(۵) تنقيح المقال: ج ۱ ص ۵۰ عن ربيع الشيعة.

(۶) الغيبة ص ۲۱۴- ۲۱۵.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۱۹۴

و قد جاء فى رواية اوردها الكشى و ذكرناها فيما سبق: ان جميع الاموال التى كانت تدفع الى الوكلاء، كانت تصل فى نهاية الامر الى عثمان بن سعيد «۱».

و قد اكد الامامان الهادى و العسكرى عليهما السّلام عدة مرات على كونه ثقة «۲». و لما جاءه جماعة من شيعة اليمن، ارسل الامام العسكرى عليه السّلام عثمان بن سعيد ليستلم منهم الاموال التى جلبوها «۳».

ان القضية المهمة فى نظام الوكالة هى حصول حالات من التجاوز احيانا من قبل بعض ضعفاء النفوس الذين يسرقون الاموال التى يدفعها لهم الشيعة لايصالها للامام، فيلعنهم الامام و يتبرأ منهم. كما اتّفق فى بعض الاحيان التى يحدث ان يتوفى فيها احد الائمة ان الوكلاء ينكرون وفاته حتى لا يضطروا لدفع الاموال الموجودة لديهم الى الامام اللاحق، و لا شك ان هذا العامل هو السبب الرئيسى الكامن وراء فكرة الواقفية.

و عمر بن يحيى المعروف ب (الدهقان)- و الذى عد ثقة فى كتاب الامام الى إسحاق بن ابراهيم النيسابورى- كان احد وكلاء الامام فى بغداد، و قد نسب بعض الاكاذيب للامامين الهادى و العسكرى، فجلب لنفسه اللعن من جانب الامام العسكرى، و امر عليه السّلام جميع الشيعة بلعنه. و كان الدافع وراء ذلك هو أنه جمع مبالغ من المال لنفسه، و قد كان قبل ذلك خازنا للامام.

و كانت الكتب التى تصدر من قبل الامام يتم نشرها بسرعة بين الشيعة

(۱) رجال الكشى، ص ۵۷۵، الحديث ۱۰۸۸.

(۲) الغيبة، ص ۲۱۵.

(۳) الغيبة، ص ۲۱۶.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۱۹۵

حتى لا يطلع على مضمونها احد. و لذلك فلو صدر امر من الامام بطرد احد؛ فانه سرعان ما يرى مطرودا من بين صفوف الشيعة.

و من الاشخاص الآخرين الذين حق عليهم اللعن، احمد بن هلال، فان هذا الشخص كان قد قضى عمره فى صحبة الائمة عليهم السّلام، الا ان امورا حصلت فى علاقته بالامام العسكرى دفعت الامام عليه السّلام الى اصدار توقيع ضده (و فى هذا الحديث وردت لفظة قوام بدل كلمة وكيل و ربما تعنى شيئا آخر غير الوكيل، او تدل على الجانب المالى البحت) حيث كتب الامام عليه السّلام الى وكلائه فى العراق العبارة التالية:

«احذروا الصوفى المتصنع» «۱».

و لما شك جماعة فى صحة التوقيع نظرا لثقتهم الشديدة به، كتب الامام لشيعته كتابا مستفيضا شرح لهم فيه اهم اخطائه، و منها تجاهله للتعليمات الصادرة إليه، و تفرده فى رأيه. و اشار الامام فى ختام كتابه الى الدهقان أيضا قائلا انه قد طرد أيضا بعد عمر طويل من

الصحبة و الخدمة «۲».

كما انتقد الامام فى بعض الموارد الاشخاص الذين يتدخلون فى عمل الوكلاء، عبر الانتقادات التى توجه للهبات و العطاءات التى تقدم من قبل الوكلاء، و حذرهم من التدخل فى الامور الادارية التى لا تعنيهم «۳».

و بهذا الترتيب كان جهاز الوكلاء يؤدى دوره فى اقامة العلاقات بين الامام و الشيعة، و لا سيما فى باب استلام الوجوه الشرعية التى كانت تصرف على العوائل

---

(۱) رجال الكشى، ص ۵۳۵- ۵۳۶.

(۲) راجع كتاب تنقيح المقال ج ۱ ص ۹۹- ۱۰۰، النجاشى ص ۶۰، الغيبة ص ۲۱۴.

(۳) الغنية، ص ۲۱۳، بحار الانوار ج ۵۰، ص ۳۰۶.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۱۹۶

الشيعية المحتاجة. و قد اشارت الكتب التى تناولت سيرة حياة الامام الى الكثير من امثال هذه المساعدات «۱».

و من ضمن المهام التى كان يقوم بها هؤلاء الوكلاء هى الحيلولة دون نفوذ افكار الواقفية و الغلاة و سائر الافكار المنحرفة الاخرى فى اذهان الشيعة، و خاصة اولئك الذين يعيشون فى المناطق النائية. و هذا الاسلوب كان له دوره الفاعل فى الحفاظ على اصالة الشيعة.

اصحاب الامام و صيانة التراث الثقافى الشيعى:

ان ظاهرة تدوين الاحاديث ظاهرة عريقة عند اصحاب الائمة و خاصة منذ زمن الامام الصادق عليه السّلام فصاعدا، اذ اصبح عدد كبير من الصحابة يقوم بتدوين روايات المعصومين فى اغلب الاحيان، ليتم ارسالها الى الشيعة فى البقاع الاسلامية الاخرى. و مع تقدم الزمن اقترن تزايد عدد الكتاب بتزايد عدد الكتب كما و نوعا، و اتخذت هذه الظاهرة طابعا اوسع على عهد الامام العسكرى عليه السّلام، و ادت دورا بالغ الاهمية فى الحفاظ على كنوز الاحاديث الشيعية التى كانت السبب الاصلى فى بقاء التشيع. و يمكن الاشارة الى اسم الحسين بن شكيب السمرقندى من بين اصحاب الحسن العسكرى عليه السّلام و الذى كان يتولى سدانة مرقد السيدة فاطمة المعصومة عليه السّلام فى مدينة قم مدة من الزمن ثم ذهب بعدها الى سمرقند. و قد احصى النجاشى اسماء كتبه، و من بينها كتاب تحت عنوان: (الرد على الزيدية) «۲».

---

(۱) راجع كتاب الكافى ج ۱ ص ۵۰۷- ۵۰۸، اعيان الشيعة ج ۴، جزء ۲، ص ۱۸۶.

(۲) رجال النجاشى ص ۳۳.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۱۹۷

و يبدو ان نشاطات الزيدية و ثوراتهم المتواصلة فى تلك الحقبة الزمنية كان لها تأثيرها على بعض الشيعة. و لهذا السبب كانت تصدر من امثال هذه الكتب التى يعتمد معظمها على اقوال المعصومين اضافة الى بعض الادلة الاخرى، و كانت فى الواقع سلاحا جيدا للتصدى لمثل تلك الانحرافات.

و كان احمد بن محمد بن خالد احد الشيعة المعاصرين للامام الحسن العسكرى عليه السّلام و من اصحابه و له كتاب (المحاسن) و هو بمثابة الموسوعة التى تضم جميع مواضيع الفقه و الاخلاق و التفسير «۱».

و من اصحابه أيضا الحسن بن موسى الخشاب و كانت له عدة مؤلفات منها:

(الرد على الواقفة) «۲». و تبدو اهمية هذه المؤلفات واضحة فى مقابل المشاكل التى كان الواقفية يثيرونها آنذاك.

و فضلا عن الكتب الفقهية او الكلامية فقد كانت تصدر فى بعض الاحيان كتابات تاريخية أيضا، مثل الكتاب الذى ألفه محمد بن على بن حمزة و هو من اصحاب الامام أيضا، و كان عنوانه (مقاتل الطالبيين) «۳».

و من الاشخاص الآخرين الذى كانت لهم علاقة بالامام على بن الحسن بن على بن فضال، و كان ثقة رغم كونه فطحيا، و ألف كتبا كثيرة «۴» قال عنه العياشى:

لم يصدر عن الائمة كتاب فى اى موضوع كان، الا و كان عنده «۵» و هذا الخبر يثبت

---

(۱) رجال النجاشى، ص ۵۵- ۵۶.

(۲) رجال النجاشى ص ۳۱.

(۳) رجال النجاشى ص ۲۴۵، كتب ابو الفرج الاصفهانى فى القرن الرابع كتابا تحت نفس العنوان.

(۴) رجال الطوسى، ص ۴۳۳، رجال النجاشى ص ۱۲۸.

(۵) رجال الكشى ص ۵۳۰، الحديث ۱۰۱۴.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۱۹۸

وجود و تداول روايات الائمة عليهم السّلام و حتى كتاباتهم عند الاصحاب، و ينم عن وجود حركة علمية كانت تعتبر الدعامة الاساسية للتشيع.

ان المبادئ و الاوليات التى تم تدوينها حتى ذلك التاريخ جمعت فيما بعد على شكل مصنفات فى الحديث اوسع و اكبر. فجمعت مصنفات كتاب الكافى مثلا بالاعتماد على كتابات الاصحاب تلك. و كان الاصحاب احيانا يسألون الائمة عن رأيهم فى بعض الكتب التى تم تدوينها و هذا ما فعله بورق البوشنجانى كما ورد فى الحديث الذى نقل عنه انه قال:

«عرضت كتاب يوم و ليلة على ابى محمد عليه السّلام لينظر فيه. فلما نظر فيه و تصفحه ورقه ورقة، قال: هذا صحيح ينبغى ان يعمل به» «۱».

و كان بعض اصحاب الائمة لهم مؤلفات أيضا فى مجال القضايا العلمية. و ذكر النجاشى اسم احمد بن ابراهيم بن اسماعيل و عدّه من خواص ابى محمد العسكرى عليه السّلام، و له كتب كثيرة منها كتاب تحت عنوان: (اسماء الجبال و المياه و الادوية) «۲» و يحتمل ان يكون فى موضوع الجغرافيا.

الامام العسكرى عليه السّلام و يعقوب بن اسحاق الكندى:

ينقل ابن شهرآشوب عن كتاب (التبديل) «۳» [التحريف]» لأبى القاسم الكوفى جاء فيه: «بدأ يعقوب بن اسحاق الكندى فيلسوف العرب فى زمانه

---

(۱) رجال الكشى ص ۵۳۸، الحديث ۱۰۲۳.

(۲) رجال النجاشى- ص ۶۷- ۶۸.

(۳) ر. ك: الذريعة ج ۱۲ ص ۳۱۱.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۱۹۹

(۱۸۵- ما يقارب ۲۵۲ ه) بتأليف كتاب فى تناقض القرآن، و تفرد به فى منزله.

و ان بعض تلامذته دخل يوما على الامام الحسن العسكرى عليه السّلام فقال له ابو محمد:

اما فيكم رجل رشيد يردع استاذكم الكندى عما أخذ فيه من تشاغله بالقرآن؟

فقال التلميذ: نحن من تلاميذه، كيف يجوز منا الاعتراض عليه فى هذا او فى غيره؟ فقال ابو محمد عليه السّلام: أ تؤدى إليه ما ألقيه إليك؟ قال: نعم.

قال: فصر إليه و تلطف فى مؤانسته و معونته على ما هو سبيله. فاذا وقعت الانسة فى ذلك فقل: قد حضرتنى مسألة اسألك عنها فانه يستدعى ذلك منك، فقل له: ان اتاك المتكلم بهذا القرآن هل يجوز ان يكون مراده بما تكلم به منه غير المعانى التى قد ظننتها انك ذهبت إليها؟ فانه سيقول من الجائز لأنه رجل يفهم اذا سمع، فاذا وجب ذلك فقل له: فما يدريك لعله قد اراد غير الذى ذهبت أنت إليه، فتكون واضعا لغير معانيه.

فصار الرجل الى الكندى و تلطّف الى ان القى عليه هذه المسألة، فقال له:

اعد علىّ فاعاد عليه. فتفكر فى نفسه، و رأى ذلك محتملا فى اللغة و سائغا فى النظر. فقال: اقسمت إليك الا اخبرتنى من اين لك؟ فقال: امرنى فيه ابو محمد، فقال: الآن جئت به، و ما كان ليخرج مثل هذا الا من ذلك البيت. ثم أنه دعا بالنار و احرق جميع ما كان الّفه» «۱».

لقد ادى الخلط بين عالمين متعاصرين، و متحدين فى الاسم و اللقب الى ان يعتبر بعض الاشخاص الرواية المذكورة اعلاه تخص الفيلسوف المسلم يعقوب بن اسحاق الكندى.

---

(۱) المناقب، ج ۴ ص ۲۴۲، بحار الانوار ج ۵۰، ص ۳۱۱.

و هذه النسبة مضافا الى انها لا تنسجم مع عهد امامة الامام العسكرى عليه السّلام حيث ان وفاة الكندى كانت فى العام ۲۵۲ ه، فانها تواجه اشكالا مهما هو استبعاد صدور مثل هذا العمل القبيح من قبل فيلسوف مسلم. و مع معرفتنا بوجود عالم مسيحى يحمل اسم عبد المسيح الكندى معاصر للفيلسوف المعروف بالكندى ندرك ان الرواية المذكورة تخصه، و قد وردت ترجمة كلا الرجلين فى (موسوعة المعارف الاسلامية) «۱».

الكتب المنسوبة الى الامام:

أ- التفسير:

هناك كتاب فى التفسير ينسب الى الامام العسكرى عليه السّلام و يحتوى على تفسير سورة الحمد و قسم من سورة البقرة، و قد تعرض هذا الكتاب منذ بداية شيوعه فى القرن الرابع و لحد الآن لآراء متباينة. فوافق فريق على نسبته الى الامام و نقل منه عدة احاديث.

و اعتبره فريق آخر موضوعا و لا يحظى باى اعتبار، و يعود السبب فى نشوء هذا الاختلاف الى سند الكتاب. فاساس هذا الحديث شخصان: الاول يدعى يوسف بن محمد بن زياد، و الثانى هو محمد بن سيار، و انهما رواياه عن أبويهما و الواسطة بين هذين الرجلين و الصدوق هو محمد بن قاسم الاسترآبادى.

رغم ان ابن شهرآشوب اخبر ان حسن بن خالد البرقى قد روى هذا التفسير أيضا «۲». و فضلا عن الغموض الذى يلف رواة السند المذكورين- باستثناء حسن بن خالد البرقى- و الابهام الموجود فى كيفيته و هل هما الراويان أم ابواهما، هناك

---

(۱) موسوعة المعارف الاسلامية ۱۲ ج ۵ ص ۱۲۰- ۱۲۱.

(۲) معالم العلماء ص ۳۴، طبعة النجف.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۲۰۱

اشكالات اخرى واردة فى الكتاب أيضا «۱»، و قد اجاب البعض عليها.

و الاشكال الآخر: ان الكتاب يضم مواضيع يمكن طرح الكثير من المؤاخذات العلنية ضدها. بل لا يمكن نسبة بعضها الى الامام عليه السّلام على الاطلاق.

و قد عرض العلامة التسترى اربعين مثالا لهذه المواضيع «۲» و من جملة المعارضين لنسبة هذا الكتاب الى الامام يمكن الاشارة الى كل من: الغضائرى، العلامة البلاغى، و السيد الخوئى.

اما الفريق الآخر الذى يدعم و بقوة فكرة نسبته الى الامام عليه السّلام فنذكر الصدوق، الطبرسى صاحب الاحتجاج، الكركى، المجلسى الاول، و الثانى، و الشيخ الحر العاملى «۳».

و اختار الفريق الثالث موقفا وسطا و قال: ان شأن هذا الكتاب شأن الكتب الروائية الاخرى يمكن انتقاده و انتقاء الروايات الصحيحة منه. و كتب العلامة البلاغى رسالة فى نقده و اورد النقاط التى تطعن فى مصداقية الكتاب «۴».

و القضية المهمة الاخرى هى ان على بن ابراهيم القمى و كذلك محمد بن مسعود العياشى لم يتطرق اى منهما فى تفسيره الى ذكر شىء عن ذلك الكتاب.

و هذه النقطة لا شك جوهرية فى الحكم على نسبة الكتاب المذكور.

---

(۱) رسالة حول التفسير المنسوب الى الامام الحسن العسكرى، مجلة نور العلم، العدد الاول، السنة الثانية، ص ۱۴۳.

(۲) الاخبار الداخلية ج ۱ ص ۴۹.

(۳) بحث حول تفسير الامام الحسن العسكرى عليه السّلام، العدد الاول، السنة الثانية، ص ۱۱۸- ۱۳۵.

(۴) رسالة حول التفسير المنسوب للامام العسكرى، تحقيق الشيخ رضا استادى، مجلة نور العلم، العدد الاول، السنة الثانية ص ۱۳۷- ۱۵۱.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۲۰۲

ب- كتاب المقنعة:

و هناك كتاب آخر ينسب الى الامام و راويه هو ابن شهرآشوب، و يظهر انه ورد فى احدى نسخ المناقب تحت عنوان كتاب المنقبة كما اشار إليه صاحب الذريعة بنفس الاسم. اما فى نسخة المناقب المطبوعة فى النجف و قم فقد جاء ذكره تحت عنوان رسالة المقنعة، و من بعد ذلك اورده البياضى باسم المقنعة او رسالة المقنعة «۱». و يتضمن كلا الكتابين اشارة الى احتواء الكتاب المذكور على مسائل الحلال و الحرام، و لا يمكنه اين يكون فى المنقبة طبعا. و لا بد ان تصحيفا قد حصل فى الكلمة.

ان ما يزيل اللبس عن الموضوع كاملا، هو ان النجاشى ذكر فى آخر اسم رجاء بن يحيى بن سامان العبرتائى انه كان يروى عن الامام الهادى عليه السّلام و قيل ان سبب وصلته ان أباه يحيى بن سامان كان قد وكّل برفع خبر ابى الحسن عليه السّلام، و كان اماميا فحظيت منزلته.

و روى رجاء رسالة تسمى (المقنعة فى ابواب الشريعة) عن الامام الهادى عليه السّلام و رواها عنه ابو المفضل الشيبانى «۲».

و لو وضعنا الى جانب هذا ما قاله السيد ابن طاوس (نقلا عن آقا بزرك) و هو ما نقله عن على بن عبد الواحد و جاء فيه:

«انه اخرج المقنعة من دار ابى محمد العسكرى فى سنة ۲۵۵ ه» «۳»، و جئنا أيضا بالحديث الوارد فى المناقب و يذكر فيه ان رسالة المقنعة للامام العسكرى قد

---

(۱) المناقب، ج ۲ ص ۵۲۵، (المطبعة الحيدرية- النجف) الصراط المستقيم ج ۲ ص ۷۵، الذريعة ج ۳۳، ص ۱۴۹، اعيان الشيعة ج ۴، جزء ۲ ص ۱۸۸.

(۲) رجال النجاشى ص ۱۱۹.

(۳) الذريعة ج ۲۲، ص ۱۲۴ عن اقبال الاعمال.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۲۰۳

كتبت فى العام ۲۵۵ ه «۱» لا تضح من ذلك ان الرسالة المنسوبة للامام هى نفس كتاب رجاء بن يحيى الذى يرويه عن الامام الهادى و كان موجودا فى دار الامام العسكرى، و اخرج عام ۲۵۵ ه من ذلك المنزل.

و المثير للانتباه هو ان صاحب المناقب قد صرح بوجود العبارة الآتية فى بداية الكتاب:

«اخبرنى على بن محمد بن موسى و هو الامام الهادى عليه السّلام، و ان المفضل قد نقله عن رجاء بن يحيى فى سنة ۳۱۴ ه، و هى نفس السنة التى توفى فيها رجاء «۲».

و يسترسل ابن شهرآشوب قائلا: «ان الحميرى اورد قسما من ذلك الكتاب فى كتابه الموسوم بمكاتبات الرجال و الذى رواه عن العسكريين».

رحلة الامام العسكرى عليه السّلام:

كانت رحلة الامام- كما ذكرنا- فى الثامن من ربيع الاول عام ۲۶۰ ه، و هناك آراء متضاربة حول وفاته هل انها كانت طبيعية أم انه مات مقتولا؟

فبناء على ما يرويه الطبرسى و آخرون، يتفق اغلب علماء الشيعة على مصداق الحديث الوارد عن الامام الصادق عليه السّلام: «ما منا الا مسموم أو مقتول».

و خاصة بالنسبة للائمة الذين وردت روايات تدل على استشهادهم، و الظاهر ان

---

(۱) المناقب ج ۳ ص ۵۲۵، و خروج من عند ابى محمد فى سنة خمس و خمسين و مائتين كتاب ترجمة فى جهة رسالة المقنعة، تشتمل على اكثر علم الحلال و الحرام.

(۲) الطبرسى، مكارم الاخلاق ص ۴۵۸، طبعة الاعلمى بيروت، الذريعة ج ۲۲ ص ۱۲۴، نوابغ الرواة ص ۱۳۰.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۲۰۴

مثل هذه الروايات نقلت بشأنهم جميعا «۱».

و على اية حال فاستشهاد الامام امر محتمل جدا مع وجود حالات سجن سابقة بحقه، اضافة الى ما كان يشكله من خطورة على العباسيين فى جميع الاحوال و كونه شخصية سياسية معارضة، كما ان صغر سن الامام يؤكد هذا الاحتمال، و نظرا لما كان يمتاز به الامام عليه السّلام من شهرة و محبة بين اوساط الناس فى مدينة سامراء، فقد ابدى اهالى سامراء حزنهم و ألمهم لفقده. يقول احمد بن عبد اللّه فى الحديث الذى اوردنا مقاطع منه سابقا. «لما قبض صارت سامراء ضجة واحدة مات ابن الرضا، ثم اخذوا بتهيئته و عطلت الاسواق و ركب ابى (وزير المعتمد العباسى) و بنو هاشم و سائر الناس الى جنازته. و امر بحمله، فحمل من وسط داره و دفن فى

البيت الذى دفن فيه ابوه» «۲».

و كان تواجد الامام و ابيه فى مدينة سامراء و لمدة تناهز الستة و العشرون عاما كفيلا بجعل الناس تتعلق بهم لا فى سامراء وحدها، بل ان الكثير من الشيعة قد انهال عليها من اماكن أخرى، اذن فلا عجب لو استحالت تلك المدينة فى يوم استشهاده الى اجواء من الحزن و الاسى الما لفقد سبط الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

---

(۱) بحار الانوار ج ۵۰، ص ۲۳۸، اعلام الورى، ص ۳۴۹، الفصول المهمة ص ۲۹۰.

(۲) اكمال الدين ج ۱ ص ۴۳، نور الابصار ص ۱۶۸، الغيبة ص ۱۳۲.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۲۰۵

الامام الحجة عليه السّلام

اشارة

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۲۰۷

قال اللّه تبارك و تعالى: بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ «۱».

الامام الثانى عشر و هو حجة اللّه و صاحب الامر امام الزمان (عجل اللّه تعالى فرجه الشريف) الذى عبّر عنه القرآن ب (بقية اللّه) اذ قال جل و علا فى كتابه المجيد: بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ.

أما بالنسبة لتاريخ ولادته، فلم يبرز فيه سوى اختلاف طفيف فى يوم الولادة، اذ اتفقت اغلب المصادر على الخامس عشر من شعبان- كيوم لولادته- لكن الاختلاف القائم هو فى سنة الولادة و مرد ذلك الى اخفاء ولادته، فقد ذكر الشيخ المفيد ان ولادته كانت فى العام ۲۵۵ ه، اى ان عمره عند رحلة ابيه كان خمس سنوات «۲». كما ذكر الكلينى نفس ذلك العام «۳». و هناك رواية عن حكيمة

---

(۱) هود: ۸۶.

(۲) الارشاد، ص ۴۳۶.

(۳) الكافى ج ۱ ص ۵۱۴.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۲۰۸

عمة الامام العسكرى تظهر ان ولادة الامام كانت فى العام ۲۵۵ ه أيضا «۱».

الا ان هناك من الفرق التى احصاها الاشعرى من يعتقد ان ولادة الامام كانت بعد ثمانية اشهر من رحلة الامام العسكرى عليه السّلام «۲».

و هذا الحديث اضافة الى تعارضه مع الكثير من الروايات لا ينسجم أيضا مع ما يعتقده الشيعة من عدم خلو الارض من حجة إلهية.

و القول الآخر فى ولادته، يستظهر انها كانت فى السنة ۲۵۸ ه «۳». و يعتقد المسعودى فى اثبات الوصية ان سنه فى بداية الغيبة الصغرى كان يبلغ اربع سنوات و سبعة اشهر و هذا يعنى انه يحتمل تاريخ ولادته فى العام ۲۵۶ ه «۴». كما ذكر أيضا فى مواضع اخرى انه ولد فى العام ۲۵۷ ه «۵».

و من الواضح ان اكثر الاقوال تشير الى العام ۲۵۵ ه و هى مسندة بحديث حكيمة بنت الامام الجواد عليه السّلام.

اما بالنسبة الى أمه فقد تضاربت بشأنها الآراء، و رويت فيها الروايات المختلفة ففى الرواية التى نقلها الشيخ الطوسى جاء ان اسمها

(ريحانة)، و لكنه استدرك و قال: و كانت تدعى أيضا: (نرجس) و (صيقل) [صقيل] و (سوسن) «۶».

و اضافة الى ذلك فان الرأى الآخر الذى ذكره الشهيد بقوله (قيل) ان والدة

---

(۱) الغيبة للطوسى ص ۱۴۱- ۱۴۳.

(۲) المقالات و الفرق ص ۱۱۴، الفرقة الثالثة عشر.

(۳) كشف الغمة ج ۲ ص ۴۳۷.

(۴) اثبات الوصية ص ۲۳۱.

(۵) راجع هامش ص ۸۸ من كتاب تاريخ اهل البيت.

(۶) الغيبة ص ۲۴۱، راجع كتاب تاريخ اهل البيت ص ۱۲۵.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۲۰۹

امام الزمان هى مريم بنت زيد العلوية «۱»، و أكدت رواية حكيمة و هى ادق الروايات و اشهرها فى ولادة الامام صاحب الزمان (عج) على ان اسمها هو نرجس «۲». و اعلن احد المحققين عن رأيه فى هذا الصدد قائلا: «ربما كان اسمها الاصلى هو نرجس، و الاسماء الاخرى- سوى صيقل- سمتها بها مولاتها حكيمة بنت الامام الجواد عليه السّلام. و كان الناس فى الماضى يطلقون على جواريهم اسماء شتى للاستئناس، و نرجس و ريحانة، و سوسن كلها من اسماء الازهار» «۳».

و تتضمن رواية حكيمة معلومات دقيقة نسبيا عن ولادة الامام المهدى، نذكر ملخصها فيما يلى:

«جاءنى رسول الامام و طلب إلىّ المثول إليه، و الافطار عنده تلك الليلة ليسعدنى اللّه برؤية حجته و الخليفة من بعده، فصرت فى تلك الليلة الى بيت الامام حتى ولد له ذلك المولود» «۴».

و تسترسل حكيمة فى سرد الرواية قائلة: «و جئت فى اليوم التالى لكنى لم اشاهد الطفل، و لما سألت الامام عنه قال: لقد القيته الى من القت إليه أمّ موسى بولدها». و بعد سبعة ايام ارسل إلىّ الامام لاصير إليه و عند ما دخلت عليه وجدته حاملا طفله على يده، فقال له: تحدث يا بنى، فنطق امام الزمان عليه السّلام بالشهادتين وعد الائمة الواحد تلو الآخر «۵»، ثم قرأ هذه الآية: وَ نُرِيدُ أَنْ نَمُنَ

---

(۱) بحار الانوار ج ۵۱، ص ۲۸.

(۲) بحار الانوار ج ۵۱، ص ۲.

(۳) التاريخ السياسى لغيبة الامام الثانى عشر ص ۱۱۴ (بالفارسية).

(۴) الغيبة للطوسى، ص ۱۴۱- ۱۴۲) (و هى رواية مستفيضة).

(۵) راجع الغيبة للطوسى، ص ۱۴۳، اكمال الدين، ج ۲ ص ۲۴۲- ۲۴۶.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۲۱۰

عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِى الْأَرْضِ وَ نَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَ نَجْعَلَهُمُ الْوارِثِينَ «۱».

يتحدث الدكتور جاسم حسين مشيرا الى بعض الاشارات الواردة فى الروايات المتعلقة بولادة المهدى عليه السّلام و يستشفّ منها انه عليه السّلام قد نقل بعد ولادته الى المدينة المنوّرة لاخفائه عن عيون الاعادى «۲».

مساعى الحكومة العباسية للعثور على الامام المهدى عليه السّلام:

ان المساعى المحمومة التى قام بها العباسيون لمراقبة حياة الامام العسكرى فى سامراء و بغداد كانت هى السبب فى اخفاء ولادة الامام

المهدى عليه السّلام، مضافا الى ذلك فان مسألة اخفاء ولادته يوضح ان بنى العباس كانوا- فى الوقت الذى كانت مسألة غيبة الامام امرا شائعا و متداولا- يسعون الى اغلاق الطريق امام الشيعة باى نحو كان.

و قد كتب الشيخ المفيد فى بداية حياة امام الزمان عليه السّلام ما يلى: «و كان قد اخفى مولده و ستر امره، لصعوبة الوقت و شدة طلب سلطان الزمان له، و اجتهاده فى البحث عن امره «۳». و اشارت روايات الائمة عليهم السّلام- من قبل هذا- الى اخفاء امر ولادته بل قد اشترطت هذه القضية فى العلامات المتعلقة بمعرفته» «۴».

فقد ذكرت اغلب المصادر التاريخية ما قام به العباسيون من البحث

---

(۱) سورة القصص، الآية ۵.

(۲) التاريخ السياسى لغيبة الامام الثانى عشر ص ۱۲۴.

(۳) الارشاد ص ۳۴۵.

(۴) منتخب الاثر ص ۲۸۷- ۲۸۸.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۲۱۱

و التنقيب للعثور على ولد الامام الحادى عشر. اذ ورد فى حديث مستفيض رواه احمد بن عبد اللّه الخاقان و كان على الضياع و الخراج ب (قم)، يذكر فيه شدة الرقابة على دار الامام العسكرى عليه السّلام واصفا ذلك الحال كما يلى:

«لما اعتل الامام العسكرى عليه السّلام بعث الخليفة الى ابى ان ابن الرضا قد اعتل. فركب من ساعته الى دار الخلافة، ثم رجع مستعجلا و معه خمسة من خدم امير المؤمنين كلهم من ثقاته و خاصته، و امرهم بلزوم دار الحسن و تعرّف خبره و حاله. و بعث الى نفر من المتطببين فامرهم بالاختلاف إليه، و تعهده صباحا و مساء. فلما كان بعد ذلك بيومين او ثلاثة اخبر انه قد ضعف.

فامر المتطببين بلزوم داره، و بعث الى قاضى القضاة فاحضر مجلسه و امره ان يختار عشرة ممن يوثق به فى دينه و ورعه و امانته.

فاحضرهم فبعث بهم الى دار الامام عليه السّلام و امرهم بلزومه ليلا و نهارا، فلم يزالوا هناك حتى توفى عليه السّلام، و بعث السلطان الى داره من فتشها، و فتش حجرها، و ختم على جميع ما فيها، و طلبوا اثر ولده، و جاءوا بنساء يعرفن الحمل، فدخلن على جواريه ينظرن إليهن، فذكر بعضهن ان هناك جارية بها حمل، فجعلت فى حجرة و امر بمراقبتها حتى تبين بطلان الحمل، فقسم ميراثه بين أمه و اخيه جعفر.

و جاء جعفر بعد ذلك الى ابى فقال له: اجعل لى مرتبة اخى، و اوصل لك فى كل سنة عشرين الف دينار، فزبره ابى و اسمعه ما يكره» «۱».

---

(۱) الكافى ج ۱ ص ۵۰۵/ ۵۰۶، الغيبة ص ۱۳۱، اكمال الدين ج ۱ ص ۴۱، اعلام الورى ص ۲۵۹، الارشاد ص ۳۴۰، كشف الغمة ص ۴۰۷.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۲۱۲

و تتحدث رواية اخرى عن مجىء بعض شيعة قم الى سامراء لدفع المال الذى عليهم، فسمعوا و هم فى الطريق بوفاة الامام ابى محمد عليه السّلام. و لما وصلوا سامراء أخذوهم الى جعفر الكذاب، و ارادوا ان يعرفوا ما لديه من العلم فسألوه عن مقدار المبلغ الذى معهم فأظهر عجزه، و قال: (لا يعلم الغيب الا اللّه)، فلم يعطوه ما معهم من المال.

فى تلك الاثناء، نادى عليهم رجل و دلّهم على دار، و لما ذهبوا الى حيث دلّهم اخبروا هناك بمقدار المبلغ الذى عندهم، و اعلنوا استعدادهم لدفعه الى من اخبرهم بمقداره، فذهب جعفر بعد هذا و اخبر المعتمد العباسى بالخبر، فاصدر امره بتفتيش دار الامام ثانية

بل فتش دور جيرانه أيضا. و هنا ادعت جارية تدعى صيقل انها حامل حفاظا على حياة الامام صاحب الزمان (عج) فقبض عليها و حبست لمدة عامين و لما تأكدوا من عدم حملها خلوا عنها «۱».

و من المؤكد ان ذلك الاهتمام الذى كانت تبديه السلطات العباسية و بتحريض من جعفر، كان سببه الرغبة فى مراقبة الامام الثانى عشر، او الادعاء على اقل تقدير ان الامام العسكرى لم يخلف ولدا فيما لو لم ينجحوا فى العثور عليه. و كانوا يستعينون ببعض الاشخاص الموثوقين لاثبات ادعائهم ذاك الذى يهدف الى ايهام الشيعة و اضلالهم، و لهذا وردت تتمة هذا الخبر على رواية الشيخ الطوسى «و من بعد ذلك كانوا يأتون بالاشخاص ليشهدوا انه قد مات «۲» و لم يخلّف ولدا».

الا ان المسألة قد طرحت فى الحقيقة بشكل منظم من الاساس حتى تبقى بعيدا عن اعين الناس بل بعيدا عن اعين الكثير من الشيعة، و لهذا لم تتمخض عنها

---

(۱) اكمال الدين، ج ۱ ص ۴۷۳- ۴۷۴.

(۲) الغيبة ص ۱۳۲.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۲۱۳

تعقيدات و مشاكل كثيرة.

معرفة بعض الشيعة بولادة صاحب الزمان عليه السّلام:

و ليس معنى ذلك ان اى احد لم يكن مطّلعا على خبره، أو ان احدا لم يره، فقد كان الكثير من ثقاة الشيعة و وكلاء الامام و الخدم العاملين فى داره على اطلاع بحقيقة الامر.

فقد نقل الشيخ المفيد عن عدد من الاصحاب و الخدم و الثقات المقربين من الامام الحسن العسكرى عليه السّلام انهم شاهدوا ولده، و منهم: محمد بن اسماعيل بن موسى بن جعفر، و حكيمة بنت الامام الجواد عليه السّلام و ابى على بن مظهر، و عمرو الاهوازى، و ابى نصر طريف الخادم «۱». و قد أراهم اياه الامام العسكرى عليه السّلام و اخبرهم انه صاحبكم من بعدى.

و نقل الشيخ الكلينى عن ضوء بن على العجلى، عن رجل من اهل فارس سماه، قال: «أتيت سر من رأى لرؤية ابى محمد عليه السّلام فدعانى من غير ان استاذن و لزمت المنزل مدة اشترى لهم الحوائج. و فى احدى المرات ارانى ولده و قال هذا صاحبكم، فما رأيته بعد ذلك حتى مضى ابو محمد، و كان عمره حين رأيته يقدر بسنتين» «۲».

و ربما تكون اهم مرة عرض فيها الامام العسكرى عليه السّلام ولده على الشيعة هى عند ما جاء محمد بن عثمان العمرى و هو النائب الثانى لامام الزمان عليه السّلام مع اربعين

---

(۱) الارشاد ص ۳۵۰، و راجع كتاب- ينابيع المودة ص ۴۶۱.

(۲) الكافى ج ۱، ص ۵۱۴.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۲۱۴

رجلا من الشيعة الى الامام ابى محمد عليه السّلام. اذ أراهم ولده و قال:

«هذا امامكم من بعدى و خليفتى عليكم، اطيعوه و لا تتفرقوا من بعدى فى اديانكم لتهلكوا أما إنكم لا ترونه بعد يومكم هذا».

ثم قبض الامام من بعدها بعدة ايام «۱».

و قد نقل الشيخ الطوسى هذه الرواية بدوره و ذكر اسماء بعض الرجال الذين حضروا عند الامام و منهم: على بن بلال، و احمد بن

هلال، و محمد بن معاوية بن حكيم، و حسن بن ايوب بن نوح «۲».

و جاءت فى منتخب الاثر رواية اخرى فى هذا الصدد و تجدر الاشارة هنا الى انه كان من غير الجائز التصريح باسمه عليه السّلام و اكد الامام الهادى عليه السّلام ان يدعى فقط ب (الحجة من آل محمد) «۳».

الاختلافات المذهبية بعد رحلة الامام العسكرى عليه السّلام.

اشارة

ان المشاكل السياسية و الكبت الذى مارسه خلفاء بنى العباس ضد أئمة الشيعة، احدثت نوعا من الاضطراب و عدم الاستقرار فى العلاقة بين الائمة و الشيعة. و كانت هذه المشكلة تتفاقم بعد رحلة كل امام و حلول آخر محله. و فى مثل هذه الاوضاع كان بعض الشيعة ينساق وراء الشكوك و يبقى حائرا فى امره، و يظل مثل هذا الوضع سائدا مدة من الزمن حتى تتقوّض تلك الفرق المنشقة

---

(۱) منتخب الاثر، ص ۳۵۵، عن اكمال الدين، راجع كتاب ينابيع المودة ص ۴۶۰.

(۲) منتخب الاثر ص ۳۵۵.

(۳) كشف الغمة، ص ۴۹۹.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۲۱۵

و تزول افكارها المنحرفة، و تستتب الاوضاع للامام الجديد.

و ربما كانت بعض تلك المشاكل على درجة من الشدة بحيث كانت تؤدى الى سلخ جماعة كبيرة من جسد الشيعة كما حصل بالنسبة للواقفية و الفطحية و الاسماعيلية.

و تضاعفت هذه الازمة بعد رحيل الامام العسكرى عليه السّلام بسبب حصول الغيبة و ما سبقها من احداث خفية مثل ولادة صاحب الزمان و الوصاية له بالامامة. و السند الوحيد الذى ارتكزت عليه امامته فى احد جوانبها هو التراث الضخم من الاحاديث الموجودة فى اساس قضية المهدوية و ما يتعلق بها، و ارتكزت امامته فى جانب آخر على جهاز منظم و قوى يتمثل فى عناصر الاتصال التى تربط بين الامام و شيعته.

اما عن كيفية و اسباب الاختلاف التى ظهرت بين الشيعة فقد وردت فى كتابى (المقالات و الفرق)، و (فرق الشيعة) للنوبختى. كما و أورد الشيخ المفيد الاخبار التى ذكرها النوبختى مع شىء من التلخيص و الاضافة.

و قد احصى الاشعرى خمس عشرة فرقة، لكل واحدة منها معتقدها الخاص حول الوصى من بعد الامام العسكرى عليه السّلام، حتى ان بعضهم شك فى الامام الحادى عشر و قد ذكر النوبختى فى بداية الامر اسم اربع عشرة فرقة، لكنه عند ما أتى عليها بالتفصيل ذكر ثلاث عشرة منها. و ذكر الشيخ المفيد اربع عشرة فرقة نقلا عن النوبختى «۱». و دوّن الشيخ الطوسى أيضا الآراء المهمة لتلك الفرق، و التى سنوردها

---

(۱) ر. ك. المقالات و الفرق ص ۱۰۲- ۱۱۶، فرق الشيعة ص ۹۶- ۱۱۶، الفصول المهمة ص ۲۵۸- ۲۶۶.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۲۱۶

فيما يلى بالترتيب، و ابدى رأيه فيها من خلال الروايات و الاستدلالات الكلامية «۱».

و لو دمجنا الفرق الاربع عشرة تلك لاستخلصنا منها الفرق الخمس التالية مقسمة وفقا لمنهجها الاصولى و كما يلى:

۱- الواقفية:

و هم الذين اعتقدوا بعدم وفاة العسكرى عليه السّلام و اعلنوا انه حى، و اعتبروا الامام الحادى عشر هو (المهدى) «۲».

۲- الجعفرية:

و هم الذين قالوا بامامة جعفر بن على الهادى عليه السّلام. فهؤلاء و بسبب عدم رؤيتهم لولد الامام الحادى عشر، اعتقدوا بامامة جعفر الذى يسميه الامامية بالكذاب. و كانت لديهم آراء متفاوتة فيما بينهم، فبعضهم كان يعتبر جعفرا نائبا عن الامام العسكرى عليه السّلام و تصوّره البعض الآخر انه هو الامام الثانى عشر.

۳- المحمدية:

و هم الذين اعتقدوا بامامة الابن الاكبر للامام الهادى عليه السّلام اى محمد الذى توفى فى حياة ابيه و انكروا امامة الحسن العسكرى عليه السّلام.

۴- الذين اعتقدوا بعدم وجود امام بعد وفاة الامام الحسن العسكرى عليه السّلام، كما هو الحال بعد وفاة النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

۵- الامامية:

و هم الذين كانوا يؤلفون اكثرية الشيعة و يعتقدون بامامة المهدى عليه السّلام و هذا هو التيار الرئيسى الذى تمحورت حوله الشيعة الامامية «۳».

و لم تحظ الفرق المذكورة بدعم شخصيات مشهورة الا الفرقة القائلة بامامة جعفر بن على، فقد نالت هذه الفرقة تأييد احد متكلمى الكوفة و هو (على بن

---

(۱) الغيبة ص ۱۳۰- ۱۳۵.

(۲) انظر كتاب اكمال الدين ج ۱، ص ۴۰، لترى ابطال آراء هذه الطائفة.

(۳) التاريخ السياسى لغيبة الامام الثانى عشر ص ۱۰۳- ۱۱۲.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۲۱۷

الطاحى)، و كانت تؤازره فى هذا الامر اخت فارس بن حاتم القزوينى «۱». و ما كان لهذه الفرقة ان تدوم لأن جعفر كان معلنا للفسق، و لا يمكن تبرير الفسق بالتقية فى نظر الشيعة «۲». و يقول الشيخ المفيد انه- اى جعفر- لم يحظ حتى بمساندة شخص واحد من الشيعة «۳».

اما الفرقة الوحيدة التى ثبتت على صفحة تاريخ التشيع فهى فرقة الشيعة الامامية حيث استطاعت هذه الفرقة- التى تعتقد بامامة المهدى (عج) ابن الامام العسكرى- استقطاب اكثرية الشيعة، و هذه النتيجة تبين لنا ان ثمة اجراءات قد اتخذت، و ان هناك ترتيبات قد جرى الاعداد لها من قبل للاستعداد لمثل هذا التغيير. و لا بد انها كانت على قدر كبير من السعة و الاهمية بحيث انقذت اكثرية الشيعة من السقوط فى مهاوى التجزئة و الاختلاف.

و يؤكد الشيخ المفيد عند تدوينه لهذا الخبر عدم بقاء اى من هذه الفرق سوى فرقة الامامية، و يعلن انها اكبر الفرق الشيعة من حيث عدد اتباعها، و علمائها، و متكلميها، و زعمائها، و صالحيها، و عبادها، و فقهائها، و محدثيها، و ادبائها، و شعرائها، و هم فخر الشيعة الامامية و اعيان المجتمع و ثقاة الشيعة «۴».

و ينبغى رغم ذلك الالتفات الى ان بلوغ مثل هذه النتيجة لم يكن ليتم بلا خسائر. فقضية الغيبة و مع كثرة الاحاديث الواردة فى تبيانها عن النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و الائمة عليهم السّلام كانت مثارا للشك فى العقول العادية.

---

(۱) فرق الشيعة ص ۹۹.

(۲) انظر: المقالات و الفرق ص ۱۰۹، الفصول المختارة ص ۲۶۵.

(۳) الارشاد ص ۳۴۵، يمكن مراجعة الكافى ج ۱ ص ۵۰۴، بشأن الاعتراف بفسقه.

(۴) الفصول المختارة ص ۲۶۱.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۲۱۸

و هذا هو السبب الذى حدا بعلماء الشيعة لتخصيص جزء من جهودهم و بحوثهم لموضوع الغيبة و ما يتعلق به. فقد الّف ابراهيم النعمانى كتابه (الغيبة) لدفع الشبهات التى حصلت لدى الشيعة و اودت بهم الى الاختلافات «۱». و اعتبر السبب فى ذلك عدم الالتفات الى الروايات الوافرة المختصة بهذا الموضوع، و التى تولّى هو عملية جمعها.

و هناك علماء آخرون غير النعمانى الذى كتب كتاب الغيبة فى النصف الاول من القرن الهجرى الرابع كانوا فى المناطق الشيعية المختلفة، و تركوا لنا الكثير من المؤلفات و الكتابات فى هذا الحقل. ففى القرن الرابع أيضا كتب الشيخ عدة مؤلفات عن الغيبة ذكرها النجاشى فى كتابه «۲».

و اهم كتاب صدر بعد ذلك التاريخ هو كتاب الشيخ الطوسى (الغيبة) الذى كتبه فى القرن الخامس للهجرة (عام ۴۴۷ ه) و مع مرور الزمان كانت الضرورة تستدعى الاجابة على موضوع الغيبة و ما يتعلق به «۳». و هذا ما كان الشيخ يشعر بضرورته و قد اشار إليه فى مقدمة كتابه «۴».

و يعد كتاب الغيبة للشيخ الطوسى من اهم الكتب التى تعالج الجوانب المختلفة لمسألة الغيبة و خاصة ابعادها التاريخية.

---

(۱) كتاب الغيبة ص ۲۱.

(۲) رجال النجاشى ص ۲۸۲- ۲۸۷.

(۳) للاطلاع على سير عملية التأليف و الكتابة فى موضوع الغيبة، انظر نور المهدى عليه السّلام، مقالة المسار التاريخى لغيبة الامام [بالفارسية] ص ۷۷- ۹۵.

(۴) كتاب الغيبة ص ۲- ۳.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۲۱۹

تمهيد النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و ائمة الشيعة عليهم السّلام لغيبة القائم:

من المسلّم به ان روايات كثيرة كانت بين ايدى الصحابة مروية عن الائمة فى موضوع الغيبة، ناهيك عما كان لديهم من مباحث كلامية، و القاء نظرة على ذلك الكم الهائل من الروايات التى جمعت اخيرا، يدلنا على عدم خفاء هذه القضية عن نظر اى من الائمة، بل اكدوا عليها بأجمعهم. فبالاضافة الى الاحاديث الواردة عن النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم التى روى عدد كبير منها الائمة عليهم

السّلام و جمعت فى مجلدين، وردت عن كل واحد من الائمة احاديث متعددة حول الجوانب المختلفة لمسألة الغيبة و المهدوية، و قد بلغت بمجموعها اكثر من ستمائة حديث «۱».

و هذا ان دلّ على شىء فانما يدل على مدى الاهمية التى تلقاها مسألة المهدوية فى الفكر الروائى للشيعة، حتى ان الكثير من الاشخاص كانوا يتوهمون بعد وفاة او استشهاد اى امام انه هو المهدى، و ربما حصل ذلك فى حال حياتهم عليهم السّلام أيضا.

و يظهر لنا من خلال سير ابحاث الاشعرى و النوبختى حول فرق الشيعة ان احد اهم اسباب ذلك الاختلاف و تلك الفرقة هى مسألة المهدوية، التى كانت تثار من قبل اصحاب بعض الائمة عن نية مخلصة أو لدوافع و اغراض غير صحيحة حيث نتجت عنها انقسامات و تشعبات و لو محدودة.

و يجب الانتباه الى ان الاعتقاد بمهدوية محمد بن الحنفية أو مهدوية ذى النفس الزكية «۲» و غيرها من الحالات الاخرى انما هى نابعة فى الاساس من

---

(۱) معجم احاديث المهدى عليه السّلام اربعة مجلدات، عن مؤسسة المعارف الاسلامية.

(۲) ادعى فيه الكثير من علماء اهل السنة انه المهدى. ر. ك: مقاتل الطالبيين ص ۲۴۰- ۲۴۹، و نحن نعلم

الاهتمام الذى كان يوليه النبى الاعظم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لمسألة المهدوية.

و ادعى بعض اعوان عبد اللّه بن معاوية بن عبد اللّه بن جعفر (المتوفى فى العام ۱۲۹ ه) انه المهدى.

و ادعى البعض مهدوية الامام الباقر لكنه عليه السّلام استنكر ذلك «۱». و حصل نفس الادعاء بشأن اسماعيل بن الامام الصادق عليه السّلام. و هذا نفسه ما حدث للامامين الصادق و الكاظم عليهما السّلام أيضا «۲».

و قام بعض العلويين بالثورة على بنى العباس من امثال الحسن بن القاسم فى العام (۴۰۴ ه) و يحيى بن عمر و محمد بن القاسم ... الخ «۳».

ان هذه الحالات المتعددة من ادعاء المهدوية فى القرون الاولى للهجرة، عند كل من الشيعة و السنة يدل على ان مبدأ المهدوية كان قضية ثابتة، و امرا مقبولا بين المسلمين و انما حصلت المشاكل فى المصاديق. اما فى القرون اللاحقة، و خاصة فى القرنين الثامن و التاسع للهجرة فقد شهد التاريخ العشرات من حالات ادعاء المهدوية، و نظرا لاهمية هذا الموضوع و حاجته الى التمهيد المسبق فقد تبنّى النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و الائمة عليهم السّلام هذا الدور و مارسوا عملية التمهيد الكافية له.

و التمهيد الآخر الذى ذكره المسعودى فى اثبات الوصية هو السلوك الخاص الذى اتبعه الامامان العاشر و الحادى عشر فى الاعتزال عن الشيعة، و الاتصال

ان القاب الخلفاء العباسيين كالسفاح و المنصور أيضا عناوين تشير الى ادعاءهم المهدوية.

(۱) كنز العمال ج ۱۷، ص ۲۷.

(۲) فرق الشيعة ص ۷۸، ص ۹۰.

(۳) انظر دراسات و بحوث فى التاريخ و الاسلام ج ۱ ص ۵۷- ۷۵، مقالة المهدوية بنظرة جديدة للاستاذ جعفر مرتضى.

بهم عن طريق الوكلاء و الخواص.

و قد اعتبر هذا النوع من الاتصال مقدمة و تمهيدا لغيبة الامام الثانى عشر «۱».

دور المعتقدات الكلامية للشيعة فى اثبات غيبة المهدى:

ان ما كان يعتقده الشيعة من الناحية الكلامية حول الامامة، و ما يستندون إليه بشأن الانقياد لامامة امام بعد آخر، كان له دور مهم فى استتباب مكانة الامام الجديد. و تحولت تلك المعتقدات بالتدريج الى صفة رسمية عند الشيعة لا يستساغ العدول عنها، و طرحت مجموعة من تلك المعتقدات فيما يخص امامة المهدى عليه السّلام.

و الخبر الذى اورده النوبختى و الاشعرى بشأن المسائل التى طرحها الامامية حول وصايته يعكس ماهية المعتقدات الكلامية للشيعة فى موضوع الامامة و كيفية الاستخلاف. ثم تبلورت المبادئ الكلامية للشيعة فيما بعد بناء على تلك المعتقدات و اتخذت صيغتها الرسمية. و فى نهاية بحث النوبختى حول الفرقة الثانية عشر من الفرق التى ظهرت بعد رحلة الامام العسكرى عليه السّلام و هى فرقة الامامية يشير الى بعض تلك الاسس قائلا:

۱- ان الارض لا تخلو من حجة.

۲- لا تكون الامامة فى أخوين بعد الحسن و الحسين عليه السّلام.

۳- لو لم يبق على الارض إلّا رجلين لكان المهدى احدهما.

۴- لا تكون الامامة فى أولاد من لم تثبت امامته، مثل اسماعيل الذى توفى

---

(۱) اثبات الوصية ۲۳۱.

فى حياة ابيه لا يمكن لابنه محمد ان يصبح اماما.

ثم يضيف قائلا: «و هذا الذى ذكرناه هو المأثور عن الصادقين الذى لا تدافع له بين هذه العصابة و لا شك فيه لصحة مخرجه و قوة اسبابه و جودة اسناده، و لا يجوز ان تخلو الارض من حجة، و لو خلت لساخت الارض و من عليها. و لا يجوز شىء من مقالات هذه الفرق كلها فنحن مستسلمون بالماضى و امامته، مقرون بوفاته، معترفون بأن له خلفا قائما من صلبه و انّ خلفه هو الامام من بعده حتى يظهر و يعلن امره كما ظهر و اعلن امر من مضى قبله من آبائه، و يأذن اللّه فى ذلك اذ الامر للّه يفعل ما يشاء، و يأمر بما يريد من ظهوره و خفائه كما قال امير المؤمنين عليه السّلام:

«اللهم انك لا تخلى الارض من حجة لك على خلقك إما ظاهرا معروفا أو خائفا مغمورا كيلا تبطل حجتك و بيّناتك»، و بذلك امرنا و به جاءت الاخبار الصحيحة عن الائمة الماضين، لأنه ليس للعباد ان يبحثوا عن امور اللّه و يقضوا بلا علم لهم، و يطلبوا آثار ما ستر عنهم، و لا يجوز ذكر اسمه و لا السؤال عن مكانه حتى يؤمر بذلك».

ثم اشار فى سياق الحديث الى التقية التى التزم بها الامامان الصادق و الكاظم عليهما السّلام و اعتبر ضرورتها فى بداية الغيبة اكثر اهمية من ضرورتها فى عصر ذلكما الامامين قائلا: «فكيف يجوز فى زماننا هذا مع شدة الطلب و جور السلطان و قلة رعايته لحقوق امثالهم».

ثم يعول على الاخبار و الروايات الكثيرة الدالة على ان القائم تخفى ولادته على الناس و لا يعرف. الا انه لا يقوم حتى يظهر و يعرف انه امام ابن امام، ثم يقول فى النهاية:

«فهذا سبيل الامامة و المنهاج الواضح اللاحب الذى لم تزل الشيعة الامامية الصحيحة التشيع عليه» «۱».

و يشير الشيخ المفيد الى ما يناظر هذه الاستدلالات لتفنيد معتقدات الفرق الاخرى و الآراء التى تقول بها حول الخليفة من بعد الامام

الحادى عشر، و من المبادئ المهمة التى يشير إليها هو مبدأ (عدم خلو الارض من حجة إلهية)، و الحديث الذى يقول: «من مات و لم يعرف امام زمانه مات ميتة جاهلية» «۲».

و ورد أيضا ما يماثل هذه الروايات و بعض الاستدلالات الكلامية القائمة عليها فى كتاب الشيخ الطوسى الموسوم ب (كتاب الغيبة)، و فيه ردّ على آراء الفرق التى ظهرت الى الوجود بعد رحيل الامام الحسن العسكرى «۳».

و فضلا عن مبدأ (عدم خلو الارض من حجة إلهية) فهناك أيضا آيتان وردتا فى القرآن تعتبران سندا كلاميا لمسألة المهدوية. اولاهما:

وَ نُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَ نَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَ نَجْعَلَهُمُ الْوارِثِينَ «۴». و الثانية: وَ لَقَدْ كَتَبْنا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُها عِبادِيَ الصَّالِحُونَ «۵» «۶».

---

(۱) فرق الشيعة ص ۱۰۸- ۱۱۲.

(۲) الفصول المختارة، ص ۲۶۳- ۲۶۴.

(۳) الغيبة ص ۱۳۰- ۱۳۷.

(۴) سورة القصص: ۵.

(۵) روت حكيمة بنت الامام الجواد عليه السّلام: «ان الامام المهدى قد قرأ هاتين الآيتين بعد ولادته». كتاب الغيبة ص ۱۴۳.

(۶) الأنبياء: ۱۰۵.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۲۲۴

و تطرق الشيخ المفيد خلال حديثه عن الامام صاحب الزمان (عج) الى هاتين الآيتين و استند الى الحديث المشهور الوارد عن النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و فيه يقول: «لن تنقضى الايام حتى يبعث اللّه رجلا من اهل بيتى يواطئ اسمه اسمى يملأها قسطا و عدلا كما ملئت ظلما و جورا» «۱».

الامام المهدى عليه السّلام و النواب الاربعة:

اشارة

ابتدأت الغيبة الصغرى مع رحيل الامام العسكرى عليه السّلام عام ۲۶۰ ه، و انتهت بوفاة آخر النواب الاربعة للامام المهدى و ذلك فى العام ۳۲۹ ه حيث وقعت الغيبة الكبرى.

و خلال تلك المدة كان الامام يتصل بالشيعة عبر هؤلاء الاربعة، و يدبر الامور التى كانت تشمل الجوانب المالية و الفقهية و الكلامية بواسطتهم، و كان النواب الاربعة من كبار رجال الشيعة كما كانوا معروفين بتاريخهم المشرف و حيازتهم لثقة الائمة السابقين بهم؟ و كان واجبهم يتمثل بالاتصال بوكلاء الامام نيابة عنه، و ايصال مطالبيهم و كتبهم إليه، و تقديم الاجابات لهم بما يرتئى الامام.

و المهم فى الامر هو- اضافة الى اختفاء الامام عن الانظار- قيام النواب بتصريف الامور بعيدا عن الانظار، و كان الوكلاء يتصرفون على نفس المنوال أيضا. و بما ان الشيعة الامامية لم يكن لديهم تفكير آنى بالثورة ضد الحكومة، و عرف عنهم ذلك فقد تقلصت المضايقات المفروضة عليهم، و تمكنوا من الحفاظ على انفسهم- فى العراق و الى جانب عاصمة الخلافة العباسية التى كانت تدعم

---

(۱) الارشاد: ۳۴۶.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۲۲۵

مذهب اهل الحديث و السنة- و اقرار نوع من التنظيم الواسع الذى يربط الشيعة فى مختلف الامصار مع بعضهم.

و اصبحت بغداد فيما بعد واحدة من المراكز الاصلية للتشيع مما يعنى ان الشيعة كانوا رغم عدم اعترافهم بشرعية الحكم العباسى لا يتخذون اى موقف علنى ضده، و استطاعوا عن هذا الطريق توسيع و مواصلة نشاطهم و نفوذهم فى بغداد، و نحن نعلم أيضا ان السياسة التى كانت تحظى بدعم الائمة هى اقرار عمل بعض الشخصيات الامامية فى جهاز الحكم العباسى حتى على مستوى الوزارة «۱».

و فيما يلى نورد اسماء النواب الخاصين للامام، ثم نستعرض الاعمال التى انجزوها بامر من الامام:

۱- عثمان بن سعيد العمرى السمان:

أول نائب خاص للامام، و اشتهر بالسمان للتغطية على نشاطه لأنه كان اذا اعطوه اموالا لغرض ايصالها للامام وضعها فى ظروف السمن و اوصلها إليه «۲».

و انتهج وكلاء آخرون نفس ذلك النهج، كما كان يفعل محمد القطان الذى كان يوصل الاموال للامام تحت غطاء التجارة بالقماش «۳». و قد ذكر اخباره الشيخ الطوسى فى كتاب الغيبة. و عثمان بن سعيد من قبيلة بنى اسد، و يعتبر من وكلاء الامام الحسن العسكرى عليه السّلام، و كان قبل ذلك من ثقاة الامام الهادى عليه السّلام أيضا، و كان يصفه

---

(۱) انظر خاندان نوبختى [آل نوبخت] ص ۹۶- ۹۷. و سنتحدث عنه بالتفصيل فيما بعد.

(۲) الغيبة الطوسى، ص ۲۱۴.

(۳) بحار الانوار ج ۵۱ ص ۳۷۶.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۲۲۶

لاصحابه بأنه ثقة و امين «۱».

و لما جاء جماعة من شيعة اليمن الى الامام العسكرى عليه السّلام ارسل إليهم عثمان ابن سعيد، ليستلم منهم الاموال التى جاءوا بها نيابة عن الامام عليه السّلام «۲».

كما تولى تغسيل و تكفين و دفن الامام العسكرى عليه السّلام «۳».

و يحتمل انه توفى قبل عام ۲۶۷ ه. و قال البعض انه توفى فى عام ۲۸۰ ه «۴».

۲- ابو جعفر محمد بن عثمان العمرى:

و هو النائب الثانى للامام المهدى عليه السّلام و قد آلت إليه النيابة بأمر من الامام بعد وفاة ابيه، اذ اصدر الامام توقيعا عزّاه فيه بوفاة والده، و دعا له و افضى إليه مهام ابيه «۵».

و كان شأنه شأن ابيه، من خواص الامام العسكرى، و جاء فى احدى الروايات انه قال:

«العمرى و ابنه ثقتان فما اديا إليك فعنّى يؤديان، و ما قالا لك فعنّى يقولان، فاسمع لهما و اطعهما فانهما الثقتان المأمونان» «۶».

---

(۱) نفس المصدر ص ۲۱۵.

(۲) نفس المصدر ص ۲۱۴.

(۳) بحار الانوار ج ۵۱ ص ۲۱۴.

(۴) راجع كتاب: التاريخ السياسى لغيبة الامام الثانى عشر (بالفارسية)، ص ۱۵۵- ۱۵۶.

(۵) الغيبة ص ۲۱۹.

(۶) نفس المصدر السابق.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۲۲۷

و رغم المعارضة التى واجهها من قبل بعض الغلاة الا ان اكثرية الشيعة انقادوا له و لم يشكوا فى عدالته ابدا «۱».

و ظل العمرى الابن واسطة بين الامام و الناس حتى وفاته فى عام ۳۰۵ ه، و كان يؤدى دورا فى مراقبة و توجيه الوكلاء فى المناطق المختلفة. و خلال تلك المدة صدرت عن الامام توقيعات تأييدا له «۲».

و يقول الشيخ الطوسى انه كان لديه الكثير من الاحاديث المدونة، و قد تحولت من بعده الى الحسين بن روح ثم الى ابى الحسن السمرى «۳».

۳- ابو القاسم الحسين بن روح:

و هو الثالث من النواب الخاصين للامام المهدى عليه السّلام، و كان يعتبر من ثقاة و خواص ابى جعفر (محمد العمرى) فى بغداد «۴».

و كان ابو جعفر يأمر كل من يأتيه بمال او سؤال إليه ليمهد بذلك الارضية له ليحل محله بعد وفاته، و قد امر الامام ابا جعفر العمرى بأن يوصى الى ابى القاسم الحسين بن روح، ثم راح الناس يصيرون إليه لدفع المال «۵».

و قد ذكر إقبال اخباره مفصلة فى كتاب (آل نوبخت) و ذكر انه ينتسب الى

---

(۱) نفس المصدر ص ۲۲۱.

(۲) الغيبة، ص ۲۲۰.

(۳) نفس المصدر، ص ۲۲۱، انظر سيرة حياته فى تنقيح المقال ج ۲ ص ۱۴۹.

(۴) الغيبة، ص ۲۲۳.

(۵) الغيبة ص ۲۲۴.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۲۲۸

البرامكة من جهة أمه، كما كان يطلق عليه لقب القمى أيضا «۱».

و كان الحسين بن روح من اصحاب الامام العسكرى عليه السّلام، و قد جمع ابو جعفر العمرى جماعة من وجوه الشيعة منهم ابو على همام، و ابو عبد اللّه بن محمد الكاتب، و ابو عبد اللّه الباقطانى، و ابو سهل اسماعيل بن على النوبختى، و ابو عبد اللّه الوجناء، و غيرهم من الوجوه و الاكابر و اوصى إليه «۲».

و روت أمّ كلثوم بنت ابى جعفر خبرا مستفيضا يحكى عن مكانة الحسين ابن روح، و دوره فى حياة ابيها، و المنزلة الرفيعة التى كان يحظى بها عند الشيعة «۳».

و كان له أيضا نفوذ فى البلاط العباسى حينما كانت وزارة المقتدر العباسى بيد آل فرات و هم من المناصرين للشيعة، الا ان الحسين بن روح واجه مضايقات جمة بعد تسلط حامد بن العباس على مقاليد الوزارة، و قد اتخذ هذا جانب خصوم الشيعة. و لا توجد لدينا معلومات دقيقة عن حياة و اخبار الحسين بن روح بعد تسلم حامد بن العباس الوزارة سوى انه كان فى عام ۳۱۲ ه فى الحبس و خلّى عنه فى العام ۳۱۷ ه «۴» و كانت له بعد ذلك التاريخ حتى وفاته فى العام ۳۲۶ ه مكانة بارزة فى بغداد، و لم يتعرض له احد، لوجود

آل نوبخت و نفوذهم فى البلاط العباسى. قال عنه اقبال: «كان ابو القاسم الحسين بن روح من اعقل و اذكى اهل زمانه بشهادة الموالى و المعادى» «۵».

---

(۱) آل نوبخت ص ۲۱۳.

(۲) الغيبة، ص ۲۲۶.

(۳) الغيبة ص ۲۲۷.

(۴) راجع كتاب خاندان نوبختى (آل نوبخت) ص ۲۱۷- ۲۱۸.

(۵) اثبات الوصية ص ۲۴۶.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۲۲۹

۴- ابو الحسن على بن محمد السمرى:

و هو النائب الرابع و الاخير للامام صاحب الزمان عليه السّلام، و قد اوصى إليه ابو القاسم الحسين بن روح بامر من الامام عليه السّلام، و بقى نائبا له حتى العام ۳۲۹ ه، اى انه كان نائبا لمدة ثلاث سنوات.

و كانت ولادته فى احدى كور البصرة. ينقل بعض المؤرخين ان الكثير من افراد هذه العائلة كانت لهم املاك كبيرة فى البصرة مثل الحسن و محمد ابنى اسماعيل بن صالح و كذلك على بن زياد، و قد اوقفوا نصف املاكهم للامام العسكرى، و انهم كانوا يقبضون خراجها و يرسلونه إليه.

و ان اهم حدث حصل فى هذه المدة هو التوقيع الذى صدر قبل وفاة السمرى- و هى الوفاة التى كان امام الزمان عليه السّلام قد اخبره بها و بتاريخها من قبل- و كان يحمل مؤشرات على بدء الغيبة الكبرى، و كان كما يلى:

«بسم اللّه الرحمن الرحيم: يا على بن محمد السمرى، اعظم اللّه اجر اخوانك فيك، فانك ميت ما بينك و بين ستة ايام. فاجمع امرك و لا توص الى احد فيقوم مقامك، بعد وفاتك، فقد وقعت الغيبة التامة فلا ظهور الا بعد اذن اللّه تعالى ذكره، و ذلك بعد طول الامد و قسوة القلوب و امتلاء الارض جورا.

و سيأتى لشيعتى من يدّعى المشاهدة الا فمن ادّعى المشاهدة قبل خروج السفيانى و الصيحة فهو كذاب مفتر، و لا حول و لا قوة الا باللّه العلى العظيم» «۱».

و يحمل هذا التوقيع الملامح العامة لبداية عهد جديد، و يرسم للشيعة مسارا جديدا الى جانب ما سبقه من احاديث و تواقيع صادرة عن الائمة فى هذا المجال،

---

(۱) الغيبة، ص ۲۴۲.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۲۳۰

و هو ايذان لبداية عهد جديد امام الشيعة.

نظرة على الاعمال التى قام بها النواب للحفاظ على الشيعة:

اشارة

يجب علينا- بغض النظر عن الشؤون المذهبية و مجريات الاحداث و تعليمات الامام التى كانت النواب يتصرفون وفقا لها- اجراء دراستنا هذه بناء على ما ورد فى التوقيعات رغم ان الكثير من تلك التواقيع- و مع الاسف- ليس فى متناول ايدينا مع علمنا انها قد جمعت فى وقت ما، اذ يمكن من خلالها دراسة الجهود المبذولة من قبل النواب فى المجالات التالية:

۱- التصدى للغلاة:

لقد استعرضنا هذا الموضوع خلال حديثنا عن حياة من سبق من الائمة عليهم السّلام، و اشرنا الى ان القسم الاعظم من مواقفهم الثقافية و السياسية كان يتجسد فى مواجهتهم للانقسامات الداخلية بين الشيعة و على رأسهم فرقة الغلاة، و من جملة الغلاة. الذين ظهروا فى تلك الفترة محمد بن نصير الذى كان يطرح آراءه المغالية منذ زمن الامام الهادى عليه السّلام و ما تلاه. قال عنه الشيخ الطوسى: «انه كان يقول بالمعتقدات المغالية التى كان يطرحها الغلاة السالفين من نكاح المحارم

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۲۳۱

و القول بربوبية الائمة و ذلك فى زمن النائب الثانى، الا ان ابا جعفر لعنه و تبرأ منه، ثم انقسم اتباعه من بعده الى ثلاث فرق، فتفرقوا فلا يرجعون الى شىء» «۱».

و كان من فقهاء الامامية و وكلاء الائمة محمد بن على الشلمغانى، كان وكيلا للامام، لكنه مال الى عقيدة الغلاة حبا للجاه و لا سيما عقيدة الحلول، و حاول اغواء اتباعه، و كانوا من بنى بسطام، و تفسير اللعن و البراءة التى صدرت ضده من جانب الحسين بن روح بأنه ادرك الحقائق أصرّ على الجهر بها فاصبح موضعا للطرد و اللعنة «۲».

و بناء على ما ذكره الطوسى فان الرجل كان يعتقد ان روح رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قد حلت فى النائب الثانى، و روح على عليه السّلام قد حلت فى الثالث و ان روح فاطمة الزهراء عليها السّلام قد حلت فى جسد أمّ كلثوم بنت ابى جعفر النائب الثانى، و قد اعلن الحسين بن روح بأن هذه الآراء كفر و الحاد، و كشف عن تحايله، و وصف معتقداته بأنها لا تختلف عن معتقدات النصارى فى المسيح، و لا عن معتقدات الحلاج «۳».

لقد بذل الحسين بن روح جهودا شاقة من اجل كشف زيف الشلمغانى و اخيرا صدر توقيع من الامام صاحب الزمان عليه السّلام فخصم الامر بالكامل «۴».

و لا يفوتنا الاشارة الى ان الاعيب الشلمغانى تلك قد ساهمت فى ايجاد بعض المشاكل فى صفوف الشيعة الامامية لمدة من الزمن. و من المؤكد انه قد

---

(۱) الغيبة ص ۲۴۴- ۲۴۵.

(۲) الغيبة ص ۲۴۸.

(۳) الغيبة ص ۲۴۹.

(۴) الغيبة ص ۱۵۹، راجع كتاب تاريخ الغيبة الصغرى ص ۵۱۸، اخباره موجودة بالتفصيل فى كتاب:

التاريخ السياسى بغية الامام الثانى عشر عليه السّلام (بالفارسية) ص ۲۰۰- ۲۰۶.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۲۳۲

تسبب مع بقية اتباعه فى الحاق ابشع التهم بالشيعة الامامية. و فضلا عمن تزعموا الحركات المغالية فقد كانت الافكار و الآراء المغالية ذاتها سببا احيانا فى ظهور بعض المشاكل بين الشيعة فقد ذكر الشيخ الطوسى:

«اختلف جماعة من الشيعة فى ان اللّه عز و جل فوض الى الائمة صلوات اللّه عليهم ان يخلقوا أو يرزقوا، فقال قوم هذا محال. و قال

آخرون بل اللّه اقدر الائمة على ذلك و فوّضه إليهم، فخلقوا و رزقوا، فرجعوا الى ابى جعفر و كتبوا المسألة و انفذوها إليه، فخرج إليهم من الامام توقيع نسخته: ان اللّه تعالى هو الذى خلق الاجسام و قسم الارزاق، لأنه ليس بجسم، و لا حالّ فى جسم، ليس كمثله شىء و هو السميع العليم. و أما الائمة عليهم السّلام فانهم يسألون اللّه تعالى فيخلق، و يسألونه فيرزق، ايجابا لمسألتهم، و اعظاما لحقهم» «۱».

كما صدر توقيع عن الامام فى لعن ابى الخطاب المغالى المعروف و اتباعه، و نهى المؤمنين عن مجالسته «۲». و يتضح من الكلام السابق ان البحث كان قائما حول الافكار و المعتقدات المغالية، و كانت احدى المهام التى اضطلع بها النواب هى حل تلك المشاكل و مواجهة العقائد المنحرفة للغلاة.

ب- ازالة الشكوك التى اثيرت بشأن المهدى (عج):

و كان من جملة الاجراءات التى اتخذها النواب ازالة الشكوك المثارة حول وجود صاحب الزمان عليه السّلام، و ذلك باستعمال شتى الاساليب و منها اسلوب الاخبار

---

(۱) الغيبة ص ۱۷۸.

(۲) اكمال الدين ج ۲ ص ۴۸۵.

بالغيب، و كان لهذه المهمة ابعاد واسعة فى عهد النائبين الاول و الثانى. اما الفترة التى تلتها فقد استمر الوضع كما كان عليه فى السابق، و كانت تثار قضايا و مسائل بين الحين و الآخر، حتى نهاية فترة الغيبة الصغرى.

و من جملة توقيعاته التى حصلنا عليها وجدنا بعضها يختص بهذا الموضوع.

و نقل الشيخ الطوسى ان مناظرة جرت بين ابن ابى غانم القزوينى و جماعة من الشيعة، و كان يدعى فيها ان الامام العسكرى عليه السّلام لم يخلف ولدا، فكتب الشيعة قوله ذلك الى الامام صاحب الزمان عليه السّلام و طلبوا منه الاجابة عليه.

فورد جواب كتابهم بخطه عليه السّلام، استعرض فى بدايته موضوع الولاية و الامامة و اشار الى الائمة السابقين ثم قال: «ظننتم ان اللّه تعالى ابطل دينه، و قطع السبب بينه و بين خلقه، كلّا ما كان ذلك و لا يكون حتى تقوم الساعة».

ثم تحدث بعد ذلك عن ضرورة الغيبة و لزوم الاختفاء عن انظار الظالمين «۱».

و جاء فى سياق رواية اخرى ان الامام المهدى (عج) اصدر توقيعا تضمن كلاما مطوّلا نسبيا بعد ادعاء جعفر الكذاب الوصاية عن اخيه، تحدث فيه أيضا عن امامة الائمة عليهم السّلام و علمهم و عصمتهم و تطرق الى الامامة و مستلزماتها و الى جهل جعفر بالحلال و الحرام، و عدم معرفته الحق من الباطل، و المحكم من المتشابه. ثم قال: فكيف له ان يدعى الامامة «۲»؟

و حصلت لدى محمد بن ابراهيم بن مهزيار بعض الشكوك أيضا، و كان ابوه

---

(۱) الغيبة ص ۱۷۳- ۱۷۴.

(۲) الغيبة، ص ۱۷۴- ۱۷۶.

من وكلاء الامام العسكرى عليه السّلام، فكتب الامام كتابا ازال عنه تلك الشكوك «۱».

و هناك احاديث اخرى أيضا فى هذا الموضوع «۲»، فقد وردت رواية بشأن صدور توقيع آخر منه يثبت فيه وجوده عليه السّلام، و

تضمن ذلك التوقيع الاجابة على بعض المسائل الفقهية «۳». و قد مر علينا سابقا ان النواب و رغم تأكيدهم المطلق على وجود الامام الا انهم كانوا ينهون الشيعة عن التشبث لمعرفة مواصفاته، و الدافع لذلك هو الحرص على سلامته و حياته عليه السّلام.

ج- تنظيم عمل الوكلاء:

ان سياسة تعيين الوكلاء لادارة شئون النواحى و الولايات و ايجاد نظام للاتصال بين الشيعة و الائمة، كان اسلوبا متبعا منذ عهد الائمة السابقين. و فى زمن الغيبة انقطع الاتصال بالامام المهدى عليه السّلام، و انحصر محور الاتصال بين الوكلاء و الامام بالنائب الذى كان يعينه الامام.

و كانت المناطق الآهلة بالشيعة واضحة تقريبا، و كان استقرار الوكيل فى المنطقة يكون بحسب الضرورة، و قد يحدث فى بعض الاحيان ان يخضع عدة وكلاء فى المناطق الصغيرة، لاشراف وكيل آخر يعينه الامام أو النواب لاحقا.

و كان هؤلاء الوكلاء يجمعون الاموال التى تدفع إليهم و يوصلونها الى بغداد، بشتى الاساليب لتسلم الى النواب الذين يصرفونها بدورهم فى الموارد الضرورية التى

---

(۱) الكافى، ج ۱ ص ۵۱۸، اكمال الدين، ج ۲ ص ۴۸۷.

(۲) الكافى، ج ۱ ص ۵۱۸- ۵۱۹.

(۳) الكافى، ج ۱ ص ۱۷۶.

يعينها لهم الامام.

و قد حظى بعض الوكلاء بمقابلة امام الزمان عليه السّلام مرة واحدة كما حصل لمحمد بن احمد القطان الذى كان من وكلاء ابى جعفر النائب الثانى «۱»، الا انهم كانوا يؤدون واجباتهم عادة تحت اشراف نائب الامام. و روى احمد بن متيل القمى أنه كان لأبى جعفر عشرة انفس يتصرفون له ببغداد، و كانوا كلهم اخص به من الحسين بن روح الذى اصبح النائب الثالث فيما بعد «۲»، فلما كان وقت مضىّ ابى جعفر وقع الاختيار عليه و كانت الوصية إليه.

و يستشف من بعض الروايات الاخرى وجود وصولات استلام كانت تدفع من قبل الوكلاء ازاء المبالغ المقبوضة، الا ان مثل هذه الوصولات ما كانت تستلم من النائب الخاص للامام. و لما وقع الاختيار على الحسين بن روح و عينه ابو جعفر نائبا امر بعدم مطالبته بالوصولات «۳».

كما وردت اخبار بعض الوكلاء فى الاهواز و سامراء و مصر و الحجاز و اليمن، و بعض مناطق ايران كخراسان و قم و الرى، بشكل متفرق فى نهاية بعض المواضع الاخرى فى كتابى الغيبة للطوسى و اكمال الدين للصدوق. الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ج۲ ۲۳۵ ج - تنظيم عمل الوكلاء: ..... ص : ۲۳۴

---

(۱) اكمال الدين، ج ۱ ص ۴۴۲.

(۲) الغيبة ص ۲۲۵.

(۳) الغيبة ص ۲۲۶.

د- المحافظة على بقاء الامام فى الخفاء:

يستدل من الاخبار التى فى متناول ايدينا ان الامام صاحب الزمان عليه السّلام كان يعيش فى العراق و مكة كما هو الحال بالنسبة لمحمد بن احمد القطان الذى سبق لنا الحديث عنه. و لما شك ابو طاهر محمد بن على بن بلال فى نيابة ابى جعفر العمرى، اخذه ابو جعفر و رتب له لقاء مع الامام حتى يسمع منه مباشرة تعيينه لأمر النيابة، ثم جعله يعترف فى مجلس عامّ بصدور الامر من صاحب الزمان بتسليم الاموال الى ابى جعفر «۱».

و رغم ذلك فقد كان يتحتم على اولئك النواب المحافظة على سرية وجود الامام و اخفاء مواصفاته عليه السّلام.

و حين اصبح الحسين بن روح النوبختى نائبا للامام كان احد شخصيات الامامية من هذه العائلة يسكن فى مدينة بغداد، و يحظى فيها بمكانة رفيعة و كان اسمه ابو سهل اسماعيل بن على النوبختى. و لما اختير ابن روح لمنصب نيابة الامام، سأل احد الاشخاص أبا سهل عن السبب فى عدم انتخابه هو لنيابة الامام، فاجابه:

«هم اعلم و ما اختاروه، و لكنّى رجل القى الخصوم و اناظرهم، و لو علمت بمكانه كما علم ابو القاسم و ضغطتنى الحجة لعلّى كنت ادل على مكانه.

و اما ابو القاسم فلو كان الحجة تحت ذيله و قرض بالمقاريض ما كشف الذيل عنه» «۲».

---

(۱) الغيبة ص ۲۶۰، نقلا عن التاريخ السياسى لغيبة الامام الثانى عشر (بالفارسية) ص ۱۶۶.

(۲) الغيبة ص ۲۵۵، نقلا عن خاندان نوبختى (آل نوبخت) ص ۲۱۷.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۲۳۷

وجوب عدم ذكر اسم الامام فى الغيبة الصغرى:

هناك روايات متعددة اشارت الى عدم جواز ذكر اسمه، لكن هل ان ذلك المنع كان مقتصرا على فترة زمنية محدودة، أم انه سيبقى سارى المفعول حتى قيامه؟

و قد اختلف الفقهاء و المؤرخون فى هذا الشأن، و بادر العلامة المجلسى بدوره الى جمع تلك الروايات فى باب خاص افرده لهذا الموضوع و اطلق عليه عنوان: (باب النهى عن التسمية) «۱».

روى عبد اللّه بن جعفر الحميرى قال: «كنت مع احمد بن اسحاق عند العمرى، فقلت له: انى اسألك عن مسألة هى كما قال اللّه عز و جل فى قصة ابراهيم: أَ وَ لَمْ تُؤْمِنْ قالَ بَلى وَ لكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِى. هل رأيت صاحبى؟ قال:

نعم: قلت: و ما الاسم؟ قال: اياك ان تبحث عن هذا فانّ عند القوم ان هذا النسل قد انقطع» «۲».

و هذا يعنى ان بنى العباس لما تأكدوا من عدم وجود خلف للامام العسكرى تركوا امر البحث عنه، فكان ذلك فى مصلحة الامام و الشيعة معا.

و جاء قول صريح فى التواقيع التى كانت تصدر من الامام فى زمن الغيبة الصغرى يقول فيه: «من سمّانى فى مجمع من الناس باسمى فعليه لعنة اللّه» «۳».

---

(۱) بحار الانوار ج ۵۱، راجع كتاب الكافى ج ۱ ص ۳۳۷، و ذكر المير داماد فى «شرعة التسمية» عشرين حديثا فى هذا الباب.

(۲) بحار الانوار ج ۵۱، ص ۳۳.

(۳) بحار الانوار ج ۵۱، ص ۳۳، اكمال الدين ج ۲، ص ۴۸۲، الغيبة ص ۲۶۳، اعلام الورى ص ۴۲۳، شرعة التسمية ص ۶۰.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۲۳۸

و قد كان هذا الموضوع شائعا حتى بين نساء الهادى عليه السّلام فكن يعلمن أنه امر بعدم التصريح باسمه و الاكتفاء بقول: (الحجة من آل محمد صلوات اللّه عليه» «۱».

اما الشيخ الصدوق فهو يعتقد بحرمة ذكر اسمه، حتى بعد ذكر الاخبار الواردة فى اللوح «۲».

و قال الأربلى بعد ان اشار الى الروايات التى تنهى عن ذكر اسمه او كنيته:

«ان الشيعة كانوا يطلقون عليه اثناء الغيبة الاولى (الصغرى) اسم الناحية المقدسة و كان ذلك رمز يعرفه به الشيعة، و الرمز الآخر الذى كانوا يستدلون به عليه هو كلمة (الغريم)» «۳». ثم يضيف قائلا:

«و من العجب ان الشيخ الطبرسى (الطوسى) «۴» و الشيخ المفيد رحمه اللّه قالا: لا يجوز ذكر اسمه و لا كنيته، ثم يقولان: اسمه اسم النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و كنيته كنيته عليهما السّلام، و هما يظنان انهما لم يذكرا اسمه و لا كنيته، و الذى اراه ان المنع من ذلك انما كان للتقية فى وقت الخوف عليه، و الطلب له و السؤال عنه، فاما الآن فلا» «۵».

و بقيت هذه القضية موضع خلاف بين الشيعة، و بعد ان استفتى جماعة منهم المير داماد «۶» فى ذلك، كتب رسالة تحت عنوان: (شرعة التسمية فى النهى عن

---

(۱) الكافى ج ۱ ص ۳۳۳.

(۲) عيون اخبار الرضا ج ۱ ص ۴۱.

(۳) اكمال الدين، ج ۲ ص ۴۹۲- ۴۹۸.

(۴) يحتمل ان تكون كلمة (الطوسى) هى الصحيحة. و لما نقل آقا بزرك هذا الكلام ذكر كلمة الطوسى فى كتابه الذريعة ج ۱۴ ص ۱۷۸.

(۵) كشف الغمة ج ۲ ص ۵۱۹- ۴۲۰.

(۶) كتب ميرلوحى: دار نقاش حول القضية من الشيخ البهائى و المير داماد، فكتب المير داماد تلك الرسالة.

ر. ك، فوائد الرضوية ص ۴۲۲.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۲۳۹

تسمية صاحب الزمان صلوات اللّه عليه و على آبائه الطاهرين و عجل اللّه فرجه) تحدث فيها بشكل مفصل عن هذا الباب متمسكا بالاطلاقات الموجودة فى الروايات التى تنهى عن التسمية «۱».

و كتب العلامة آقا بزرك كتابا آخر فى هذا الموضوع اطلق عليه اسم (كشف الغمة فى جواز التسمية) يذكر فيه عن الشيخ الحر العاملى «۲». و من الواضح ان الشيخ الحر العاملى كان يعتقد بجواز ذكر اسم الامام صاحب الزمان عليه السّلام و لا يعتبر ذلك حراما، و انه الّف كتابا فى الرد على (شرعة التسمية).

و يفهم من بعض الروايات التى اشرنا الى معظمها ان الظروف السياسية السائدة آنذاك هى التى فرضت عدم جواز التسمية. و قد صرحت احد الروايات التى اشرنا إليها سابقا ان نائب الامام قال للحميرى:

«محرّم عليكم ان تسألوا عن ذلك، فان الامر عند السلطات ان ابا محمد قد مضى و لم يخلف ولدا و قسم ميراثه ... و اذا وقع الاسم وقع الطلب» «۳».

و على أية حال، فبالامكان مراجعة الكتب التى اختصت ببحث هذا الموضوع للاستزادة و الاطلاع على حقيقة الحال.

(۱) ر. ک. الذريعة ج ۱۴، ص ۱۷۸.

(۲) الذريعة ج ۱۸، ص ۲۳، کتبت عن هذا الموضوع رسائل اخری، ورد شرحها فی مقدمة السید استادی علی «شرعة التسمیة».

(۳) الکافی ج ۱ ص ۳۳۰.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۲۴۰

اتساع المد الشيعي اثناء الغيبة الصغرى و نفوذهم في البلاط العباسي:

ربما تكون اولى ملامح اتساع النفوذ الشيعي في البلاط العباسي تتمثل في جعل ولاية العهد للامام الرضا عليه السّلام، و قد علمنا ان علي بن يقطين قد امر من قبل الامام الكاظم عليه السّلام بضرورة البقاء في منصبه في الحكومة العباسية، و تقديم العون للشيعة. و يبدو ان تسمية الامام الرضا عليه السّلام لولاية العهد، قد صبغت التشيع أيضا بصبغة حكومية. و من بعدها كان المأمون يتظاهر بالتشيع على الدوام و ان تشيعه ذاك و ان لم يكن اماميا، الا أنه يستلزم مناصرة الشيعة و لو بشكل محدود، و قد ورد في الخبر التاريخي ان المأمون و بعد مجيئه الى العراق حاول تفويض شئون الدولة لبعض الشيعة ممن كان يماشيه. و لما وافق فيما بعد على استخدام اشخاص آخرين في المناصب الحكومية، قرر ان يعين رجلا من الشيعة الى جانب كل مسئول من اهل العامة «۱».

و جاء المتوكل بعد المأمون و المعتصم و غيّر ذلك السياق، و صار يساند اهل الحديث الذين كانوا من الدّ خصوم الشيعة و المعتزلة. و قد بالغ في اظهار العداء للعلويين حتى أنه عمد الى هدم قبر الامام الحسين عليه السّلام و حراثة ارضه و زراعتها «۲».

الا ان هذا التوجه لم يدم طويلا حتى جاء من بعده مجموعة من الخلفاء كانوا يظهرون العداء للشيعة بشكل متطرف او معتدل احيانا .. و بعد مجيء المقتدر للسلطة (في عام ۲۹۵ ه فصاعدا) تهيأت الارضية لنمو و اتساع حركة التشيع.

(۱) تاريخ التشيع في ايران من البداية حتى القرن السابع (بالفارسية)، ص ۱۶۹.

(۲) مقاتل الطالبيين ص ۴۷۸.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۲۴۱

و قبل الولوج في تلك الحقبة الزمنية، نرى من المناسب التحدث باختصار عن بعض الشخصيات الشيعية التي كانت تحتل مناصب رفيعة في الحكم العباسي، و ربما كان بعضهم من اصحاب الائمة أيضا.

يروى الشيخ الطوسي في كتاب الاستبصار عن الحكم بن عليا أنه قال:

«وليت البحرين و اصبت مالا كثيرا فانفقت و اشتريت ضياعا كثيرا، و ... و بعد مدة حملت خمس المال الى الامام الجواد عليه السّلام، فقال: أما انه كله لنا، و قد قبلت ما جئت به، و حللتك الباقي» «۱».

و يستدل من هذا النص على رسوخ بعض اصحاب الامام الجواد عليه السّلام في مناصب في الحكومة العباسية.

و نقل النجاشي عن حمدويه: «ان محمد بن اسماعيل بن بزيع، و احمد بن حمزة كانا من الوزراء. و كان حمدويه من شيعة الامام الكاظم، ادرك عهد الامام الجواد» «۲».

و كان الحسين بن عبد اللّه النيسابوري من شيعة الامام الجواد عليه السّلام أيضا و كان واليا مدة من الزمن على منطقة بست و سجستان «۳».

كما كان نوح بن دراج من الشيعة و قاضيا على الكوفة. و كان يقول انى لم ادخل في اعمال هؤلاء الا بعد ان استاذنت اخي جميل بن دراج الذي كان من خواص الامام الصادق عليه السّلام «۴».

(۱) الاستبصار ج ۲ ص ۵۸.

(۲) رجال النجاشى ص ۲۲۲.

(۳) الكافى ج ۵، ص ۱۱۱.

(۴) رجال الكشى ص ۲۵۱.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۲۴۲

ان مشاركة الشيعة فى الاعمال و المناصب الحكومية قد اتسعت كثيرا فى عهد الائمة المتأخرين و فى عهد الامام العسكرى عليه السّلام. و اثناء فترة الغيبة الصغرى كان الكثير منهم يعملون كتّابا فى اجهزة الدولة العباسية. و لا تفوتنا أيضا الاشارة الى ان اليعقوبى المورخ كان من الشيعة و كان كاتبا مرموقا أيضا.

و لا بد من الاشارة الى البغض الطبيعى الذى كان العباسيون يبدونه تجاه الشيعة، كما كانت الحركات الزيدية سببا آخر فى توسيع شدة المخاطر التى يواجهها الشيعة «۱».

و كذلك كان الحال بالنسبة للقرامطة الذى كان عددهم يتزايد فى القرن الهجرى الثالث فى العراق و فى اطراف الكوفة، فهم كانوا يخلقون نفس المشكلة للشيعة. و اضافة الى هاتين الفرقتين فان الغلاة كانوا يثيرون سخط المسلمين بادعاءاتهم الغريبة العجيبة، و كان اهل الحديث يحسبونهم على الشيعة.

و رغم كل ذلك فقد استطاع الشيعة من خلال تجنبهم المشاركة فى مثل تلك الاحداث، توسيع دائرة نفوذهم فى واحد من اهم المراكز الاسلامية هو العاصمة بغداد، بينما كان الاسماعيلية و القرامطة و الزيدية قد حصلوا على مراكز نفوذ لهم فى الاصقاع النائية فى البحرين و شمال ايران و اليمن. و تركز نشاط الخوارج لأسباب مشابهة فى جنوب شرقى ايران.

و كان ممن شغل مناصب حكومية على بن محمد بن زياد و هو زوج اخت جعفر بن محمد الوزير، و قد تمكن من احراز عمل فى مؤسسات الدولة بسبب

(۱) فرق الشيعة ص ۷۶، الطبرى ج ۲ ص ۲۱۸، نقلا عن: التاريخ السياسى لغيبة الامام الثانى عشر (بالفارسية)، ص ۱۷۱.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۲۴۳

ذلك، و قد الف كتاب الاوصياء الذى ذكره العلامة المجلسى عند نقله رواية منه وردت فى كتاب النجم الثاقب و اثنى المجلسى على كتابه «۱».

و ذكر عباس اقبال فى استعراضه لحياة ابن سهل اسماعيل بن على النوبختى (۲۳۷ ه- ۳۱۱ ه) كيفية اتساع نشاط الشيعة فى تلك الفترة و نفوذ الشيعة فى الاجهزة الادارية للحكومة العباسية، و قال: «كان لابى سهل نفوذا واسعا و خاصة فى الفترة الاولى من خلافة المقتدر و وزارة ابن فرات، و كانت فرقة الشيعة الامامية فى تلك الفترة- اى فى ايام الغيبة الصغرى- تتمتع بنفوذ واسع و لها شوكة قوية فى بغداد بسبب ما كانت تحظى به من دعم من عائلة آل نوبخت و كبار شخصياتها من امثال ابو الحسين على بن عباس (م ۳۲۴ ه) و ابو القاسم الحسين بن روح (م ۳۲۶ ه) الذى كانت لهم الرئاسة و السطوة فى بغداد و ذلك تحت توجيه و اشراف ابو سهل اسماعيل بن على».

ثم اشار أيضا الى وزارة آل فرات و دعمهم و مساندتهم لآل ابى طالب و قال: «لقد اتسع نشاط عدد من الفرق المعادية لاهل السنة بشكل عام و فرقة الامامية بشكل خاص فى ظل المساندة التى كان يبديها آل فرات» «۲».

و اورد أيضا فى ختام ما كتبه عن حياة الحسين بن روح النائب الثالث للامام المهدى عليه السّلام ما يلى: «كان الحسين بن روح و منذ

تعيينه نائبا للامام و حتى اوان وزارة حامد بن عباس «۳» (من شهر جمادى الثانى فى العام ۳۰۶ ه و حتى شهر

---

(۱) ر. ك، بحار الانوار ج ۵۱، انظر (تاريخ سياسى غيبت امام دوازدهم (التاريخ السياسى لغيبة الامام الثانى عشر) ص ۲۱۰.

(۲) آل نوبخت، ص ۹۶- ۹۹.

(۳) كان حامد يميل الى السنة فى مقاتل آل فرات.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۲۴۴

ربيع الثانى من العام ۳۱۱ ه) يحظى بمنزلة و احترام وافر فى بغداد و كان منزله محطة يرتادها الامراء و الاعيان و الوجهاء و الوزراء المخلوعين، و بعد التخلية عنه و اطلاقه من الحبس «۱» عاد الحسين بن روح الى سابق ما كان عليه من العز و الاحترام و ادارة الشؤون الدينية للشيعة الذين كانوا يدفعون إليه ما عليهم من اموال. و لم يتعرض الحسين بن روح خلال هذه الفترة لأية مضايقات و ذلك لوجود شخصيات متعددة من آل نوبخت مثل ابو يعقوب اسحاق بن اسماعيل (المقتول عام ۳۲۳ ه) فى البلاط العباسى و فى المراكز العسكرية و الإدارية المهمة» «۲».

و من الواضح ان نفوذ الشيعة كان آخذا فى التزايد فى مؤسسات الحكم العباسى و هو ما يعد من الاسباب المهمة لتنامى نفوذهم فى بغداد، حيث ان حشودا غفيرة منهم قد حضروا فى بغداد، قبيل دخول البويهيين إليها، و اتخذت الاوضاع فيها طابعا لم يتمكن معه اهل السنة من اخراجهم منها الا بمساعدة بعض السلاطين. و مع تسلط السلاجقة على بغداد فيما بعد تعرض الشيعة فيها لمصاعب شديدة.

و يمكن الاستفادة فى الوقت نفسه من تلك التجارب التاريخية للاجابة على السؤال التالى:

ما هو رأى الشيعة فى الحكومة؟

ان الشيعة الامامية فى حقيقة الامر كانوا يعتبرون الحكومة العباسية غاصبة للخلافة، و معينة على الجور من جهة، فى الوقت الذى تمكنوا و بالالتزام بمبدإ التقية

---

(۱) كان فى الحبس من عام ۳۱۲ حتى عام ۳۱۷.

(۲) خاندان نوبختى (آل نوبخت) ص ۲۱۷- ۲۲۰.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۲۴۵

من المحافظة على كيانهم و وجودهم فى داخل المجتمع، لا فى خارجه كما هو حال الزيدية و الاسماعيلية و الخوارج من جهة اخرى «۱».

و كان احد الاعتراضات التى طرحها الشيخ الصدوق و اجاب عليها فيما يخص قضية الغيبة هى السبب فى عدم وقوع الغيبة بالنسبة للائمة الذين كانوا عرضة للقتل و التعذيب فى عهد بنى أميّة بينما حصلت فى وقت كثر فيه شيعتهم و انصارهم و انتشرت احاديثهم بسبب علاقاتهم الوطيدة مع اصحاب السلطة و النفوذ «۲» و قد اجاب الشيخ الصدوق على هذا السؤال: «بأن الحديث كان شائعا فى ان القائم بالسيف هو الامام الثانى عشر، فكانت هذه النقطة هى السبب فى المشكلة. كما يمكن الاعتراض فى نفس الوقت بأن ازدياد عدد الشيعة و نفوذهم فى الجهاز الحكومى للدولة العباسية قد تم ايضاحه فيما سبق بشكل جلى».

سيرة الامام المهدى عليه السّلام:

اشارة

بعد هذا الاستعراض المختصر للظروف التى مرّ بها امام الزمان عليه السّلام نرى من المناسب هنا تبيان مجموعة من الروايات التى تصف سيرته عليه السّلام بعد الظهور و نورد فى هذا الخصوص ترجمة ما ذكره الاستاذ محمد رضا حكيمى فى كتابه الثمين (شمس الغروب، بالفارسية) لنستفيد من محتوى تلك الروايات و لنستمتع مضافا الى ذلك بالقلم الادبى للاستاذ المذكور.

---

(۱) تحدثنا عن الآراء السياسية للشيعة فى مقدمة كتاب (الدين السياسة فى الدولة الصفوية) بالفارسية.

(۲) اكمال الدين ج ۱ ص ۴۵.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۲۴۶

أ- سيرته الدينية:

المهدى عليه السّلام خاشع للّه و جلال خشوع النسر إذا بسط جناحيه و احنى رأسه، و انقض هابطا من عنان السماء.

المهدى خاشع للّه تتجلى فيه عظمة الخالق، و تملأ وجوده عزة المعبود «۱».

المهدى عليه السّلام عادل مبارك، طاهر و مطهر، لا يتهاون فى مثقال ذرة، و لا يتعداه قيد أنملة، على يده يعز اللّه الاسلام. خشية اللّه ماثلة فى قلبه ابدا، لا يغره مقام القرب الذى خصّ به، و لا المنزلة التى هو فيها، لا يبالى بدنيا، و لا يعبأ بمال، و لا يضع حجرا على حجر.

فى ظل حكومته .. لا ينال احدا اذى، و لا يصيب انسانا مكروه إلّا فى حدّ من حدود اللّه «۲».

ب- سيرته الخلقية:

المهدى عليه السّلام ذو حشمة و سكينة و وقار، ما يلبس من الثياب إلّا خشنها، و لا يأكل من الطعام غير الشعير. علم المهدى يفوق الناس علما و حلما .. هو سمى محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و خلقه خلقه «۳». يمشى فى الناس بمشعل الهداية .. و يسير فيهم بسيرة الصالحين «۴».

---

(۱) المهدى الموعود .. (بالفارسية) ج ۱ ص ۲۸۰- ۳۰۰.

(۲) نفس المصدر.

(۳) المهدى الموعود، ج ۱ ص ۲۸۱- ۲۸۲.

(۴) المهدى الموعود، ج ۱ ص ۲۶۶- ۳۰۰.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۲۴۷

ج- سيرته العلمية:

اذا قام المهدى عليه السّلام سادت المحبة، و استحكمت الالفة، و عمت الوحدة ارجاء الكون. فان احتاج احد شيئا مدّ يده فى جيب الآخر فاخذ حاجته، لا يمنعه مانع، و لا يحول دونه حائل «۱».

فى زمن المهدى لا يأخذ المؤمن من مؤمن فى معاملة ربحا «۲»، و لا يضمر أحد لاحد حقدا، و يعمّ الامن و الاستقرار كل مكان «۳».

و المهدى كريم لا يبخل بمال، و لا يملّ النوال، على العمال و الولاة شديد، و بالضعفاء و المساكين شفيق «۴»، إذ علامة المهدى ان يكون شديدا على العمال، جوادا بالمال، رحيما بالمساكين «۵».

فى سيرته أنه يلقم المساكين الزيت و العسل «۶».

و يحيا عليه السّلام حياة جدّه امير المؤمنين عليه السّلام، يأكل الجشب و يلبس الخشن «۷».

---

(۱) الاختصاص، الشيخ الميد ص ۲۴.

(۲) وسائل الشيعة، ابواب التجارة.

(۳) بحار الانوار ج ۱۰.

(۴) المهدى الموعود، ج ۱ ص ۲۷۶- ۲۷۷.

(۵) نفس المصدر، ج ۱ ص ۲۷۶- ۲۷۷.

(۶) نفس المصدر ج ۱ ص ۲۹۷.

(۷) الغيبة للنعمانىّ، بحار الانوار ج ۵۲، ص ۳۵۹.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۲۴۸

د- سيرته الثورية:

يعيد لكل صاحب ذى حقّ حقّه، و لو كان لاحد حق تحت اسنان آخر لاستخرجه من تحت اسنانه و أعاده لصاحبه «۱».

اذا ما قام المهدى رفعت الجزية فلا يبقى إلّا مسلم. يدعو الناس لدين اللّه بالسيف فمن أبى ضرب عنقه، و من عصى قتله «۲».

يدخل المهدى عليه السّلام الكوفة، فلا يلقى شاكا أو مرتابا فيها الا قتله .. و يهدم قصورها، و يقتل مقاتلتها، و يأتى على الظلمة و أعوان الظلمة حتى يرضى اللّه «۳».

اذا بعث اللّه القائم من اهل البيت حكم بحكم اللّه، الزانى المحصن يرجمه، و مانع الزكاة يقتله «۴».

يقول زرارة بن اعين: «سألت ابا جعفر الصادق عليه السّلام هل يسير القائم عليه السّلام بسيرة محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم؟ قال: هيهات، هيهات، يا زرارة، ما يسير بسيرته، ان رسول اللّه سار فى امّته باللين، كان يتآلف الناس. و القائم عليه السّلام يسير بالقتل، بذلك امر فى الكتاب الذى معه، ان يسير بالقتل، و لا يستتيب احدا، ويل لمن ناواه «۵». يقوم القائم و ليس شأنه إلّا السيف، لا يستتيب احدا و لا تأخذه فى اللّه لومة لائم «۶».

---

(۱) المهدى الموعود ج ۱ ص ۲۷۹.

(۲) المهدى الموعود، ج ۱ ص ۲۸۲- ۲۸۳.

(۳) الارشاد للمفيد، بحار الانوار ج ۵۲، ص ۳۳۸.

(۴) اكمال الدين، بحار الانوار، ج ۵۲، ص ۳۲۵.

(۵) الغيبة للنعمانى، بحار الانوار ج ۵۲، ص ۳۵۳.

(۶) الغيبة للنعمانى، بحار الانوار ج ۵۲ ص ۲۵۳.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۲۴۹

ه- سيرته السياسية:

فى حكومة المهدى عليه السّلام تتلاشى حكومة الجبارين و المستكبرين، و يتفوض النفوذ السياسى للمنافقين و الخائنين «۱»، و تصبح مدينة مكة قبلة لحركته الثورية، و تجتمع فيها طلائع ثورته، يتوافد المسلمون عليها لينضموا إليه.

يقضى المهدى عليه السّلام على نفوذ اليهود و النصارى، و يخرج تابوت السكينة من انطاكية، و فيه التوراة و الانجيل، فيحكم بين اهل الانجيل بالانجيل، و يدعوهم الى اتباعه، فيسلم بعض «۲» و يحارب آخرون. و لا يبقى ذو شوكة و صاحب قوة فى الوجود (سواء من اهل الكتاب او غيرهم)، و لا فى العالم سياسة او حكومة غير حكومة الاسلام، و سياسة القرآن.

و يبلغ سلطان المهدى المشرق و المغرب، و يهبط عيسى بن مريم من السماء فيصلى خلفه، و يهتف: «افتحوا ابواب بيت المقدس» فينفتح.

و مع الدجال يومئذ سبعون الف يهودى كلهم مسلحون، فاذا رأى الدجال عيسى ولّى هاربا فيقول عيسى عليه السّلام «ان لى فيك ضربة لن تفوتنى أبدا»، فيدركه فيقتله. فلا يبقى شىء مما خلق اللّه يتوارى به يهودى الا انطقه، و ما من حجر و لا شجر و لا دابّة الا قال:

«يا عبد اللّه المسلم! هذا يهودى فاقتله» «۳». و هكذا يطهر العالم من لوث وجود اليهود.

---

(۱) المهدى الموعود ... ج ۱ ص ۲۵۲.

(۲) المهدى الموعود ... ج ۱ ص ۲۵۴- ۲۵۵.

(۳) المهدى الموعود ج ۲ ص ۵ و ۷.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۲۵۰

أجل، حين يظهر المهدى لا تبقى ارض الا ارتفع فيها نداء:

«اشهد ان لا إله الا اللّه و اشهد ان محمدا رسول اللّه» «۱».

و- سيرته التربوية:

فى زمن حكومة المهدى عليه السّلام يؤتى الناس العلم و الحكمة، حتى ان المرأة لتقضى فى بيتها بكتاب اللّه تعالى و سنة رسوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم «۲».

و فى ذلك العهد، تجمع عقول العباد، و تكتمل احلامهم «۳».

فى زمن دولة المهدى عليه السّلام تذهب عن الشيعة العاهة، و تصير قلوبهم كزبر الحديد، و قوة الرجل منهم بقوة اربعين رجلا، و يكونون حكّام الارض و سنامها «۴».

ز- سيرته الاجتماعية:

اذا ظهر المهدى عليه السّلام، ملأ الارض قسطا و عدلا بعد ما ملئت ظلما و جورا، و لا يبقى موضع فى الارض الّا ناله من بركته و عدله و احسانه، فيزدهر فى ظل وجوده الحيوان و النبات يشمله من العدل و البركة و الخير و الاحسان «۵».

---

(۱) تفسير العياشى، بحار الانوار، ج ۵۲، ص ۳۴۲.

(۲) بحار الانوار، ج ۵۲، ص ۳۵۲.

(۳) اصول الكافى، ج ۱ كتاب العقل الحديث ۲۱.

(۴) الخصال للصدوق، الخرائج للراوندى، بحار الانوار، ج ۵۲، ص ۳۱۷ و ۳۳۵.

(۵) بحار الانوار ج ۱۰، الروايات الواردة فى هذا الباب كثيرة و شائعة.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۲۵۱

و فى ظل دولته يستغنى كل الناس و لا يبقى ذو حاجة و لا مملق «۱». و فى ظل عدالته لا يظلم احد.

أول ما يظهر القائم من العدل ان ينادى مناديه ان يسلم صاحب النافلة لصاحب الفريضة الحجر الاسود و الطواف «۲».

ح- سيرته المالية:

تجمع للمهدى عليه السّلام اموال الدنيا .. ما فى بطن الارض، و ما على ظهرها.

فيقول للناس: تعالوا الى ما قطعتم فيه الارحام، و سفكتم فيه الدماء، و ركبتم فيه محارم اللّه فيعطى شيئا لم يعط احد كان قبله «۳». يقوم الرجل و يقول: يا مهدى اعطنى، فيقول: خذ «۴».

و يقسم الاموال بين الجميع بالتساوى «۵»، و لا يفضل احدا على احد «۶».

ط- سيرته الاصلاحية:

المهدى عليه السّلام منقذ، يبعثه اللّه لانقاذ عالم البشرية، فيعيش الناس فى دولته عيش رفاه و استقرار، و وفور فى النعمة. فتكثر الدواب و تعيش مع سائر

---

(۱) بحار الانوار، ج ۵۱ ص ۱۴۶.

(۲) الكافى ج ۴، ص ۴۲۷.

(۳) علل الشرائع للصدوق، بحار الانوار ج ۵۱ ص ۲۹.

(۴) كشف الغمة للاربلى، كفاية الطالب، بحار الانوار، ج ۵۱، ص ۸۸.

(۵) شمس الغروب، محمد رضا حكيمى، فصل ۱۳، لاحظ عنوان التساوى و المساواة فى الاموال.

(۶) المهدى الموعود، ج ۱ ص ۲۶۴، ۲۷۷، ۲۷۵، ۲۸۸، ۳۱۱، ۲۸۵، ۲۱۸، ۲۸۷ ج ۲ ص ۱۱.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۲۵۲

الحيوانات بأمن و اطمئنان، و تكتسى الارض بالنبات، و تزداد مياه الانهار، و تخرج الارض كنوزها «۱». و لا يبقى فى عهده ظلم و لا جور، و لا تزول الفتنة، و الحروب، و الغارات، و المغازى «۲».

المهدى عليه السّلام ينقذ البشرية من فتنة كبرى و شاملة و مفصلة «۳»، و لا يبقى فى العالم مكان خرب الّا عمّره «۴».

يملأ انصار القائم ارجاء الارض، و يغلبون عليها، فيطيعهم الناس و كل شىء، حتى وحوش البوادى و طيور الصيد تفرح به، و تسعد لرؤية المبشرين بالدين و العدل و الصلاح. حتى تتباهى كل قطعة من الارض على ما سواها بأنّ انصار المهدى قد وضعوا اقدامهم فيها «۵». و يكون للرجل من اصحاب المهدى قوّة اربعين رجلا، قلوبهم كزبر الحديد، اذا اعترضتهم جبال من الفولاذ فلقوها، فلا يضعون سيوفهم حتى يرضى اللّه عز و جل «۶».

أجل، إذا ملأت الارض الفتن و الاضطرابات، و عمّ الظلم و الفساد كل مكان، بعث اللّه المصلح الاعظم ليهدم حصون الضلال، و ينير القلوب القاسية المظلمة بنور العدل و التوحيد و الانسانية «۷».

---

(۱) المهدى الموعود ج ۱ ص ۲۶۴.

(۲) المهدى الموعود ج ۱ ص ۱۱.

(۳) نفس المصدر السابق.

(۴) نفس المصدر السابق.

(۵) اكمال الدين، بحار الانوار ج ۵۲، ص ۳۱۷.

(۶) اكمال الدين، بحار الانوار، ج ۵۲، ص ۳۱۷.

(۷) المهدى الموعود ج ۱ ص ۳۱۰.

الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ،ج۲،ص:۲۵۳

و اخيرا نبلغ الى كلام على عليه السّلام فى نهج البلاغة واصفا تلك المسيرة الاصلاحية و هو يقول:

«يعطف الهوى على الهدى، اذا عطفوا الهدى على الهوى، و يعطف الرأى على القرآن اذا عطفوا القرآن على الرأى .. ياخذ الوالى من غيرها عمّالها على مساوئ اعمالها و تخرج له الارض افاليذ كبدها، و تلقى إليه سلما مقاليدها.

فيريكم كيف عدل السيرة، و يحيى ميت الكتاب و السنة» «۱».

ى- سيرته القضائية:

فى قضاء المهدى عليه السّلام لا يصيب احدا ظلم، و لا ينال انسانا حيف «۲»، يحكم بالدين الخالص (لا يلتفت الى آراء الآخرين و افكار فقهاء المذاهب» «۳». يضع الميزان القسط بين الناس فلا يستطيع احد ان يظلم احدا) «۴».

و يقضى المهدى عليه السّلام بقضاء جديد «۵»، و يحكم بحكم داود و آل داود، لا يطلب من الناس البينة، يقول الشيخ المفيد: «و اذا قام قائم آل محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم حكم بين الناس بحكم داود عليه السّلام لا يحتاج الى بينه، يلهمه اللّه تعالى فيحكم بعلمه، و يخبر كل قوم بما استبطنوه و يعرف وليه من عدوه بالتوسم» «۶».

---

(۱) نهج البلاغة، طبعة فيض الاسلام، ص ۴۲۴- ۴۲۵.

(۲) المهدى الموعود، ج ۱ ص ۲۸۰- ۲۸۴.

(۳) المهدى الموعود، ج ۱ ص ۲۸۰- ۲۸۳- ۲۸۴.

(۴) نفس المصدر السابق.

(۵) الغيبة للنعمانى، بحار الانوار، ج ۵۲، ص ۳۴۹ و ۳۵۴.

(۶) الارشاد ص ۳۶۵- ۳۶۶.

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علیّ بُنُ موسَی الرِّضا – علَیهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْیَا أمْرَنَا... َ یَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ یُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ کَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فی تلخیص بحار الأنوار، للعلّامة فیض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُیونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّیخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائمیّة" الثّقافیّ بأصبَهانَ – إیرانَ: الشهید آیة الله "الشمس آباذی" – رَحِمَهُ اللهُ – کان أحداً من جَهابذة هذه المدینة، الذی قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَیت النبیّ (صلواتُ اللهِ علَیهِم) و لاسیَّما بحضرة الإمام علیّ بن موسَی الرِّضا (علیه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرجَهُ الشَّریفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درایته، فی سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجریّة الشمسیّة (=۱۳۸۰ الهجریّة القمریّة)، مؤسَّسةً و طریقةً لم یَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَی و أحسَنِ مَوقِفٍ کلَّ یوم.

مرکز "القائمیّة" للتحرِّی الحاسوبیّ – بأصبَهانَ، إیرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریّة القمریّة) تحتَ عنایة سماحة آیة الله الحاجّ السیّد حسن الإمامیّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّیجی الحوزات العلمیّة و طلاب الجوامع، باللیل و النهار، فی مجالاتٍ شتّی: دینیّة، ثقافیّة و علمیّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشیعة و تبسیط ثَقافة الثَّقَلَین (کتاب الله و اهل البیت علیهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزیز دوافع الشّباب و عموم الناس إلی التَّحَرِّی الأدَقّ للمسائل الدّینیّة، تخلیف المطالب النّافعة – مکانَ البَلاتیثِ المبتذلة أو الرّدیئة – فی المحامیل (=الهواتف المنقولة) و الحواسیب (=الأجهزة الکمبیوتریّة)، تمهید أرضیّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافیّةٍ علی أساس معارف القرآن و أهل البیت –علیهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققین و الطّلّاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِجِ العلوم الإسلامیّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهیل رفع الإبهام و الشُّبُهات المنتشرة فی الجامعة، و...

– مِنها العَدالة الاجتماعیّة: التی یُمکِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحدیثة متصاعدةً، علی أنّه یُمکِن تسریعُ إبراز المَرافِق و التسهیلاتِ– فی آکناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلامیّة و الإیرانیّة – فی أنحاء العالَم – مِن جهةٍ اُخرَی.

– من الأنشطة الواسعة للمرکز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ کتبٍ، کتیبة، نشرة شهریّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقیقیّة و مکتبیة، قابلة للتشغیل فی الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثُلاثیّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّکة و... الأماکن الدینیّة، السیاحیّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتی "القائمیّة" www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِع اُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضیّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمریّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعیّة، الاخلاقیّة و الاعتقادیّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسیم النظام التلقائیّ و الیدویّ للبلوتوث، ویب کشک، و الرّسائل القصیرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراکزَ طبیعیّة و اعتباریّة، منها بیوت الآیات العِظام، الحوزات العلمیّة، الجوامع، الأماکن الدینیّة کمسجد جَمکرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفیذ مشروع "ما قبلَ المدرسة" الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِکین فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعلیمیّة عمومیّة و دورات تربیة المربّی (حضوراً و افتراضاً) طیلة السَّنَة

المکتب الرّئیسیّ: إیران/أصبهان/ شارع "مسجد سیّد/ "ما بینَ شارع "پنج رَمَضان "ومُفترَق "وفائی/"بنایة"القائمیّة"

تاریخ التأسیس: ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریة القمریّة)

رقم التسجیل: ۲۳۷۳

الهویّة الوطنیّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتى: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التِّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِي الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفِّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم - فى حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ وليّ التوفيق.

مرکز القائمیة للبحوث والتخریبات الکمبیوتریة
اصبهان
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹